المقالات الشوارد

مقالات منهجية تتناول شوارد القضايا الأدبية

محمود السيد

دار ومكتبة الكندي
للنشر والتوزيع

قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ
رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ
جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾

المقالات الشوارد

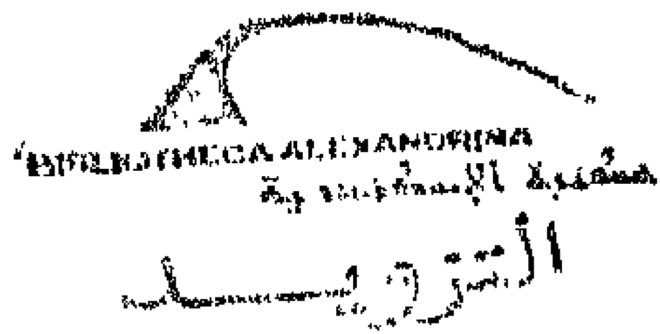
المقالات الشوارد

مقالات منهجية/ تتناول شوارد القضايا الأدبية

محمود السيد أحمد

الطبعة الأولى

2014م /1435هـ





المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2013/8/2833)

814

احمد، محمود السيد

المقالات الشوارد مقالات منهجية/ تتناول القضايا الأدبية/ محمود السيد أحمد، اربد، دار الكندي للنشر والتوزيع، 2013.

( ) ص.

ر.إ: 2833/ 8/ 2013.

الواصفات: /المقالات الأدبية/

* يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو اي جهة حكومية أخرى.

الطبعة الأولى

2014م/ 1435هـ



دار ومكتبة الكندي للنشر والتوزيع

عمان – وسط البلد – تلفاكس ‎+962 6 4640597

ص.ب 184248 عمان 11118 الأردن

dar_alkindi@yahoo.com

ISBN: 978-9957-523-32-9

تنبيه

كِتَـابٌ قَـدْ حَـوَى دُرَرَاً

بِعَيْنِ الحُسْـنِ [مَنْظُـورَهْ]

لِـهَـذَا قُـلْـتُ تَنْبِيهَـاً :

[سِهَـامُ الغَضْبِ مَحْظُورَهْ] (1).

أَبُـو نِـزَار المِصْـرِيّ





(1) ـ ما بين المعقفات من كلمات ؛ إنما هي من كيسي . [أَبُو نِزَار] .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم
الحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ؛
وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَبَوَيْهِ
إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل ؛ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً





۞ - إِهْـدَاء

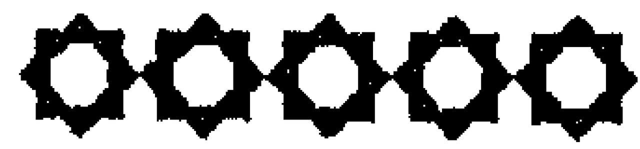


﴿أنَا عُمَر إِيزِيل !!... ؛لَيْسَ فِي الدُّنْيَا سِوَاي !! ...... ؛سَأَصْنَعُ مَا أُرِيـد !!... ؛سَأَتَحَدَّى كُلَّ أَمْـرٍ أَحْيَاهُ وَأُلاقِيه ؛أو سَأُقَابِلُهُ وَأُواجِهُهُ عَمَّا قَرِيب !! ... ؛أنَا مَن أكَلَ وَشَرِبَ التَّجَارِبَ حَتَّى أضْحَى لا يُنْصِتُ إِلاَّ لِرَأْيِهِ ... ؛وَمَا ذَاكَ إِلاَّ لأَنَّهُ لا يَرَى سِوَى نَفْسِهِ !!... ؛ أنَا ابْنُ المُحَال !!. ﴾ .

إِلَى زَمَنٍ أَرَدتُ فِيهِ أن أحْيَا كَمَا يَحْيَا البَشَر ... ؛ وَلَكِنَّهُ أبَى إِلاَّ أن أمْضِي فِي دَرْبٍ مُظْلِمٍ لَعِينٍ لا تَسْلُكُهُ سِوَى الشَّيَاطِين !!... ؛وَمَن جَهِلَ أَسَالِيبَ الشَّيْطَان ... ؛لَم يَنْتَصِر عَلَيْه.... ؛وَلَسْتُ أنَا مَن يَرْضَى بِالهَزِيمَة !!... ؛إِلَى كُلِّ لَعْنَةٍ أصَابَتْنِي بِدَهْرِي الَّذِي مَضَى !!... ؛أُهْدِي هَذَا الكِتَاب !!

القَادِمُ مِنَ الزَّمَنِ المَجْهُول

﴿ عُمَر إِيزِيل ﴾

۞ - تَصْدِير



جَـزَى اللهُ الشَّـدَائِدَ كُلَّ خَيْـرٍ
عَـرِفْتُ بِهَا عَـدُوِّي مِـن صَـدِيقِي !!



ـ مَدْخَل



إِذَا هَمَّ هَمَّاً لَم يَرَ اللَّيْلَ غُمَّةُ
عَلَيْهِ وَلَم تَصْعُب عَلَيْهِ المَرَاكِبُ
.؛ جَلِيدٌ كَرِيمٌ خِيمُهُ وَطِبَاعُهُ
عَلَى خَيْرِ مَا تُبْنَى عَلَيْهِ الضَّرَائِبُ
إِذَا جَاعَ لَم يَفْرَح بِأَكْلَةِ [لَيْلَةٍ]
وَلَم يَبْتَئِس مِن فَقْدِهَا وَهُوَ سَاغِبُ
يَرَى أَنَّ بَعْدَ العُسْرِ يُسْرَاً وَلا يَرَى
.. ؛ إِذَا كَانَ يُسْرٌ أَنَّهُ الدَّهْرَ لازِبُ





۞ ـ كَلِمَةٌ قُبَيْلَ الشُّرُوع :

بسم الله الرحمن الرحيم



وَإِنَّ مَقَامَ مِثْلِى فِى الأَعَادِى
مَقَامُ البَدْرِ تَنْبَحُهُ الكِلابُ
.. ؛ رَمَوْنِى بِالعُيُوبِ مُلَفَّقَاتٍ
؛ وَقَد عَلِمُوا بِأَنِّى لا أُعَابُ !!
وَأَنِّى لا تُدَنِّسُنِى المَخَازِى
؛ وَأَنِّى لا يُرَوِّعُنِى السِّبَابُ
وَلَمَّا لَم يُلاقُوا فِىَّ عَيْبَاً... ؛
كَسَوْنِى مِن عُيُوبِهِمُ وَعَابُوا !!

.....

كُنْتُ فِيمَا مَضَى أَرَى أَنَّ كُلَّ امْرِىءٍ لابُدَّ أن تُهَيِىءَ لَهُ الحَيَاةُ دَوْرَهُ الَّذِى يَسْتَحِقُّهُ بَيْنَ أَبْنَاءِ هَذِهِ الدُّنْيَا ... ؛ فَلَمَّا خَبِرْتُ الحَيَاةَ وَعَلِمْتُ مَا لَم أَكُن أَعْلَم !!... ؛ أَيقَنْتُ أَنَّهَا مَحْضُ حَرْبٍ لا يَنْتَصِرُ فِيهَا إِلاَّ أُمَرَاءُ الدَّهَاء !!... ؛

وَمِن يَوْمِئِذٍ نَزَعْتُ ثِيَابَ البَرَاءَةِ وَالسُّكُون ؛ وَاستَبْدَلْتُ بِقَلْبِي قَلْبَاً سِوَاه !! ... ؛ وَهَكَذَا يَتَحَوَّلُ أَهْلُ الحُبِّ وَالسَّلام ... ؛ إِلَى رِجَالاتِ مَكْرٍ وَحُرُوبٍ لا تَنْشَبُ إِلاَّ تَحْتَ أَستَارِ الظَّلام !!... ؛ وَمَن لَم يُقْدِم عَلَى القِتَالِ وَالنِّزَال ؟!! ... ؛ سَحَقَتْهُ الدُّنْيَا بِصُورَةٍ رَهِيبَةٍ لا تَرْحَم !!... ؛ وَأَنَا لا أُرِيدَ أَن أَحْيَا عَلَى أَرْضِ الضَّعْفِ وَالعَجْزِ وَالهَزَائِم !!

تَأَخَّرْتُ أَستَبْقِي الحَيَاةَ فَلَم أَجِد
. ؛ لِنَفسِي حَيَاةً مِثْلَ أَن أَتَقَدَّمَا
فَلَسْنَا عَلَى الأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُومُنَا
وَلَكِن عَلَى أَقْدَامِنَا تُقْطِرُ الدِّمَا
وَلَمَّا رَأَيْتُ الصَّبْرَ قَد حِيلَ دُونَهَا
وَإِن كَانَ يَوْمَاً ذَا كَوَاكِبَ مُظْلِمَا
صَبَرْنَا ؛ وَكَانَ الصَّبْرُ مِنَّا سَجِيَّةً
بِأَسْيَافِنَا يَقْطَعْنَ كَفَّاً وَمِعْصَمَا
... ؛ نُفَلِّقُ هَامَاً مِن رِجَالٍ أَعِزَّةٍ
عَلَيْنَا ؛ وَهُم كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

وَلَمَّا رَأَيْتُ الحُبَّ لَيْسَ بِنَافِعِي
عَمَدْتُ إِلَى الأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَحْزَمَا
... ؛ فَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الحَيَاةَ بِذِلَّةٍ
وَلا مُرْتَقٍ مِن خَشْيَةِ المَوْتِ سُلَّمَا

.....

كَم حَاوَلْتُ أَن أَصْنَعَ السَّلامَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي ؛ ثُمَّ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبْنَاءِ هَذِهِ الدُّنْيَا ... ؛ وَلَكِن أَبَت أَقْدَارِي إِلاَّ أَن تَحُولَ دُونِي وَدُونَ كُلِّ رَغْبَةٍ تَدْعُو إِلَى الحَقِّ وَالخَيْرِ وَالحُبِّ وَالجَمَال !!... ؛ وَجُعِلْتُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ لا ثَالِثَ لَهُمَا ؟!!... : إِمَّا أَن أَرْكَنَ إِلَى عُزْلَتِي ؛ فَتَمْضِي سَنَوَاتُ حَيَاتِي ؛ ثُمَّ تَأْتِي المَنِيَّةُ وَيُقْدِمُ الرَّدَى ؛ وَتَنْتَهِي قِصَّتِي فِي هَذَا الوجُودِ بِلا نَصْرٍ وَلا ذِكْرٍ !! ... ؛ وَأَمُوتُ فِي عُزْلَتِي كَمَن يَمُوتُ فِي سَجْنِهِ بَعْدَ أَن عُوقِبَ بِقَضَاءِ جَمِيع أَيَّامِ عُمُرِهِ بَيْنَ جُدْرَانِ هَذَا السَّجْنِ المُظْلِمِ الكَئِيب !!.

كَانَ عَلَيَّ إِمَّا أَن أُسَلِّمَ رَقَبَتِي وَأُعْطِي مَصِيرِي عَن طَوَاعِيَةٍ وَاخْتِيَارٍ لِهَذَا الأَمْرِ الغَرِيبِ الَّذِي يَأْبَاهُ كُلُّ حُرٍّ غَيُورٍ ذِي طُمُوحٍ وَآمَال !!... ؛ وَإِمَّا آلَةُ الحَرْبِ الَّتِي تَسْتَوْجِبُهَا طَبِيعَةُ هَذَا الزَّمَان ... ؛ مِن صَمْتٍ سَاكِنٍ وَلَكِنَّهُ يُنْكِرُ هُدُوءَ النَّفْسِ وِسَكِينَةَ الرُّوح!!... ؛ وَصَبْرٍ طَوِيلِ الذُّيولِ وَلَكِنَّهُ لا يُقِرُّ بِشَيْءٍ اسْمُهُ القَنَاعَةُ وَالرِّضَى بِأَيِّ أَمْرٍ قَلَّ أَو كَثُر !!... ؛ وَالكِفَاحُ الَّذِي لا

يُرِيدُ أن يَرَى خُطْوَةً تَمْشِى بِمُحَاذَاتِهِ فَضْلاً عَن أن تَسْبِقَهُ ؛ فَهُوَ لا يَبْغِى سِوَى المُقَدِّمَةِ الَّتِى تَأْنَفُ مِنَ المُشَارَكَةِ وَلا تَشْتَهِى إلاَّ نَفْسَهَا وَحَسْب ؛ لا تُحِبُّ أن تَرَى أحَداً فِى الدُّنْيَا مَعَهَا أو بِجِوَارِهَا !!... ؛ إنَّهُ ﴿عُمَر إيزِيل﴾ !!... ؛ كَانَ شِبْهَ مَلائِكِيٍّ !!... ؛ فَأصْبَحَ يَسْعَى مَعَ الشَّيْطَانِ فِى دَرْبٍ وَاحِدٍ !!... ؛ وَإن كَانَت لَهُ طَرِيقَتُهُ وَنَهْجُهُ وَفِكْرُهُ وَأُسْلُوبُهُ ؛ فَهُوَ مُنْفَرِدٌ بِنَفْسِهِ دَائِماً وَأبَداً !! .

.....

هَذَا هُوَ ﴿عُمَر إيزِيل﴾ !!... ؛ لَقَد كَانَ يَعْشَقُ الحُبَّ وَالسَّلام... ؛ فَأصْبَحَ لا يَرَى الحَيَاةَ سِوَى مَعْرَكَةٍ مِنَ الكَرَاهِيَةِ وَالبَغْضَاءِ !!... ؛ وَلا يُبْصِرُهَا غَيْرَ حَرْبٍ مِنَ المَكْرِ وَالدَّهَاءِ وَالخِدَاعِ !!.

صَفَحْنَا عَن بَنِى ذُهْلٍ
وَقُلْنَا القَوْمُ إخْوَانُ
عَسَى الأيَّامُ أن يُرْجِعـ
ـنَ قَوْماً كَالَّذِى كَانُوا
. ؛ فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ
فَأمْسَى وَهُوَ عُرْيَانُ

وَلَم يَبْقَ سِوَى العُدْوَا

نِ دِنَّاهُم كَمَا دَانُوا

مَشَيْنَا مِشْيَةَ اللَّيْثِ

غَدَا وَاللَّيْثُ غَضْبَانُ

بِضَرْبٍ فِيهِ تَوْهِـ . ؛

ينٌ وَتَخْضِيعٌ وَإِقْرَانُ

وَبَعْضُ الحِلْمِ عِنْدَ الجَهْـ

ـلِ لِلذِّلَّةِ إِذْعَانُ

وَفِى الشَّرِّ نَجَاةٌ حِيـ

نَ لا يُنْجِيكَ إِحْسَانُ



وَبَعْدُ :

فَهَذَا هُوَ «عُمَر إِيزِيل » !!... ؛ الرَّجُلُ الَّذِى أَجْبَرَتْهُ الدُّنْيَا عَلَى أَن يَبْدَأَ حَيَاتَهُ الجَدِيدَةَ بِهَذِهِ الصُّورَةِ الرَّهِيبَة !!... ؛ وَمَا بَيْنَ حَنِينِهِ إِلَى مَا كَانَ فِى

حَيَاتِهِ القَدِيمَةِ الَّتِى خَلَّفَهَا وَرَاءَهُ: مِن طَهَارَةٍ وَبَرَاءَةٍ وَحُبٍّ وَجَمَال !!... ؛ وَمَا يَحْيَاهُ الآنَ فِى حَيَاتِهِ الجَدِيدَةِ وَالَّتِى أَسَرَتْهُ وَدَفَعَتْهُ إِلَى دُرُوبِهَا دَفْعاً: مِن خِدَاعٍ وَنِفَاقٍ وَمَكْرٍ وَكَذِب !!... ؛ مَا بَيْنَ هَذِهِ وَتِلْكَ !!...: كَانَت هَذِهِ الكِتَابَات ... ؛ وَكَانَت هَذِهِ الأَعْمَال !!... ؛ إِنَّهَا خُلاصَةُ تَجْرِبَةٍ مَلِيئَةٍ بِالتَّنَاقُضَات !!... ؛ كَانَت !!... ؛ وَمَا تَزَال !!.



القَادِمُ مِنَ الزَّمَنِ المَجْهُول

« عُمَر إِيزِيل »

[6 / 11 / 2012 م]

بِالحَارَةِ العَتِيقَة

مَدِينَةُ الرِّيَاض ..... بِشَمَالِ الدِّيَارِ المِصْرِيَّة





« إِنَّ الأَعْمَالَ الَّتِى كُتِبَ لَهَا البَقَاءُ فِى تَارِيخِ الفِكْرِ وَالثَّقَافَةِ ؛ لَيْسَت وَلِيدَةَ عُقُولٍ مُظْلِمَةٍ بَلِيدَةٍ قَالَت لِلْقَلَمِ : اُكْتُب ؛ فَكَتَبَ ! ؛ وَمَا كَانَت أَبَدَاً ثَمَرَةَ خُطُواتٍ عَبَثِيَّةٍ وَمَنْهَجِيَّةٍ ضَبَابِيَّةٍ !! .

مَا عَاشَت وَمَا سَتَبْقَى إِلاَّ تِلْكَ الكِتَابَاتِ الَّتِى صُنِعَت بِأَصَابِعِ أَذْكِيَاءِ البَشَرِيَّة ؛ وَوضِعَت عَلَى صَفَحَاتٍ لا تَقْبَلُ أَن يُصَاغَ عَلَى أَسْطُرِهَا إِلاَّ مَا يَدْخُلُ تَحْتَ مُسَمَّى : ((إِبْدَاعُ العَبَاقِرَة)) . » .

أَبُو نِزَار

مُحَمَّد مَحْمُود دَحْرُوج

- بَيْنَ يَدَى الكِتَاب :

بسم الله الرحمن الرحيم



مِنَ الكُتُبِ مَا هُوَ قَادِرٌ عَلَى التَّأْثِيرِ وَتَنْبِيهِ العُقُول ... ؛ وَلَكِنَّهُ تَأْثِيرٌ لا يَتَجَاوزُ اللَّحْظَةَ التَّارِيخِيَّةَ الرَّاهِنَة ؛ وَتَنْبِيهٌ وَلَكِنَّهُ لا يُنَاطُ إلاَّ بِالوَقْتِ الآنِىِّ الحَاضِرِ ... ؛ وَهِىَ قِيمَةٌ لا بَأْسَ بِقَدْرِهَا وَمَنْزِلَتِهَا ... ؛ وَلَكِن إِذَا مَا مَرَّ الزَّمَنُ أَضْحَت مُجَرَّدَ أَعْمَالٍ لَهَا فَضْلُ السَّبْق ... ؛ وَلَكِنَّهَا تُصْبِحُ مُتَأَخِّرَةً مِن جِهَةِ القُدْرَةِ عَلَى إِثَارَةِ العُقُولِ وَإِدْهَاشِ القَرَائِح .

ثُمَّ تَأْتِى كُتُبٌ لَهَا قِيمَةٌ تَجْعَلُهَا قَادِرَةً عَلَى مُوَاصَلَةِ دَوْرِهَا الثَّقَافِىِّ لِعَشَرَاتِ السِّنِين !!... ؛ إِنَّهَا الأَعْمَالُ الَّتِى سُطِّرَت بِيَرَاعِ العَبَاقِرَة !!... ؛ كُتِبَت كَى تُعَبِّرَ عَن تَجْرِبَةِ حَيَاةٍ ؛ هِىَ حَيَاةُ إِنْسَانٍ يَخْتَلِفُ عَن أَكْثَرِ أَبْنَاءِ جِيلِهِ !!... : مِن حَيْثُ طَبِيعَةِ النَّظْرَة ... ؛ وَمَاهِيَّةِ الثَّقَافَة ... ؛ وَكُنْهِ التَّجْرِبَةِ الحَيَاتِيَّةِ المُعَاشَة ... ؛ وَمَنْطِقِ العَقْلِ ؛ وَفَلْسَفَةِ الرُّوح .

وَلَقَد صَدَقَ الفَاضِلُ أَبُو نِزَار مُحَمَّد مَحْمُود دَحْرُوج حِينَ قَال :

﴿ إِنَّ الأَعْمَالَ الَّتِى كُتِبَ لَهَا البَقَاءُ فِى تَارِيخِ الفِكْرِ وَالثَّقَافَةِ ؛ لَيْسَت وَلِيدَةَ عُقُولٍ مُظْلِمَةٍ بَلِيدَةٍ قَالَت لِلْقَلَمِ : اُكْتُب ؛ فَكَتَبَ ! ؛ وَمَا كَانَت أَبَداً ثَمَرَةَ خُطُواتٍ عَبَثِيَّةٍ وَمَنْهَجِيَّةٍ ضَبَابِيَّةٍ !! .

مَا عَاشَت وَمَا سَتَبْقَى إِلاَّ تِلْكَ الكِتَابَاتِ الَّتِى صُنِعَت بِأَصَابِعِ أَذْكِيَاءِ البَشَرِيَّة ؛ وَوضِعَت عَلَى صَفَحَاتٍ لا تَقْبَلُ أن يُصَاغَ عَلَى أَسْطُرِهَا إِلاَّ مَا يَدْخُلُ تَحْتَ مُسَمَّى : ((إِبْدَاعُ العَبَاقِرَة)) . ﴾ .(1).



وَبَعْد :

فَمَا بَيْنَ يَدَيْكَ الآن أَيُّهَا الرَّفِيقُ الفَاضِل : هُوَ طَلِيعَةُ عَمَلٍ ضَخْمٍ كَتَبَهُ الكَاتِبُ القَادِمُ مِنَ الزَّمَنِ المَجْهُول ﴿ عُمَر إِيزِيل ﴾ !!... ؛ أَظُنُّ ظَنَّاً

(1) ـ انْظُر كِتَابَهُ : ((كَيْفَ تَكْتُبُ بَحْثَاً عِلْمِيَّاً أو تُحَقِّقُ عَمَلاً تُرَاثِيَّاً خَطِيَّاً)) ؛ [ص : 40] ؛ مَنْشُورَات دَار أَطْلَس لِلنَّشْرِ وَالإِنْتَاجِ الإِعْلامِىِّ بِالقَاهِرَة .

أنَّهُ جَاءَ لِيُعَبِّرَ عَمَّا أسْلَفْتُهُ مِن كَلِمَات ... ؛ فَإِنَّهُ خُلاصَةُ جَهْدِ سَنَوَاتٍ وَسَنَوَات !!.



وَكَتَبَ بِيَمِينِهِ

القَادِمُ مِنَ الزَّمَنِ المَجْهُول

(عُمَر إِيزِيل)

[25 / 9 / 2012م]

بِالحَارَةِ العَتِيقَة

مَدِينَةُ الرِّيَاض ..... بِشَمَالِ الدِّيَارِ المِصْرِيَّة





ـ كَلِمَةٌ عَن بِنْيَةِ هَذَا الكِتَاب :

بسم الله الرحمن الرحيم



سِلْسِلَة ﴿ المَقَالاتُ الشَّوَارِد ﴾ : جَاءَت فِكْرَتُهَا فِى لَحَظَاتٍ أشْعَرَتْنِى بِأنَّ دَوْرِى القَدِيمَ قَد مَاتَ وَانْتَهَى أمْرُهُ !!... ؛ أخَذْتُ أتَأمَّلُ فِى وَاقِعِ حَيَاتِى الَّذِى مَضَى !!... ؛ لِمَاذَا كُتِبَت الهَزِيمَةُ عَلَى كُلِّ إنْسَانٍ خَاضَ دُرُوبَهُ بِشَرَفٍ وَصِدْقٍ وَإخْلاص ؟!!... ؛ لِمَاذَا تُقْهَرُ نُفُوسُ الأَحْرَار بِأُسْلُوبٍ يُشْعِرُهَا بِأنَّهَا لا تُمَثِّلُ شَيْئَاً يُذْكَرُ فِى دَائِرَةِ هَذَا العَالَم ؟!!... ؛ تِلْكَ جَدَلِيَّةٌ سَيْطَرَت عَلَى عَقْلِى وَضَمِيرِى لِسَنَوَاتٍ وَسَنَوات !!... ؛ ثُمَّ مَاتَت صُورَتِى القَدِيمَةُ إثْرَ حَادِثَةِ فِبْرَايِر 2011م !!... ؛ مَاتَت لِتُعْلِنَ نِهَايَةَ المَأسَاة !!... ؛ ثُمَّ وُلِدَ ﴿ عُمَر إيزِيل ﴾ !!.

وَلَقَد جَاءَت مَقَالاتُ هَذِهِ السِّلْسِلَة ﴿ المَقَالاتُ الشَّوَارِد ﴾ : لِتُجَسِّدَ مَصِيرَ الأُدَبَاءِ الأَحْرَارِ الشُّرَفَاءِ فِى تَارِيخِ الثَّقَافَةِ الإنْسَانِيَّةِ ... ؛ مُتَّخِذَةً مِنَ مَرَاحِلِ تَارِيخِ وَحَيَاةِ صُورَتِى القَدِيمَةِ مُنْطَلَقَاً لِهَذِهِ المَقَالات !! .

وَسَتَشْتَمِلُ هَذِهِ السِّلْسِلَةُ عَلَى هَذِهِ الأَعْمَال ـ مَعَ مُرَاعَاةِ مَسْألَةِ المَرَاحِلِ

وَالأَدْوَارِ مِن حَيْثُ التَدَرُّجِ الزَّمَنِىِّ وَالتَّسَلْسُلِ التَّارِيخِىِّ -:

1ـ الجُزْءُ الأَوَّل:

《 المَقَالاتُ الشَّوَارِد 》

وَيَشْتَمِلُ عَلَى هَذِهِ الأَبْوَابِ ؛ وَالَّتِى تُعَبِّرِ عَن المَسَائِلِ وَالقَضَايَا الأَوَلِيَّةِ فِى حَيَاةِ الأُدَبَاءِ وَمَنَاهِجِهِم عَلَى دَرْبِ العِلْمِ وَالأَدَبِ وَالثَّقَافِةِ ؛ فَكَانَت هَذِهِ الأَبْوَاب:

ـ البَابُ الأَوَّل:

.....

- رِحْلَةُ العِلْم
بَيْنَ
إِتْلافِ الجَسَد ... ؛ وَاحْتِرَاقِ الرُّوح
.... ؛ وَذَهَابِ سَنَوَاتِ الشَّبَاب !!

ـ البَابُ الثَّانِى:

.....

- أَهْلُ العِلْم
وَالصِّرَاعُ بَيْنَ عِشْقِ الطُّرُوسِ وَاليَرَاع
... ؛ وَالرَّغْبَةِ فِى حَيَاةٍ إِنْسَانِيَّةٍ كَرِيمَة !!

《 جَدَلِيَّةُ عِشْق الكَلِمَات ... ؛
وَالخَوْف مِنَ الفَقْرِ وَالفَاقَة !! 》

ـ البَابُ الثَّالِث :

.....

❁ ـ السَّحَابُ الأَحْمَر

《 جَدَلِيَّةُ الآمَالِ السَّوْدَاء ... !!
العِشْقُ وَالهَوَى فِي حَيَاةِ رُهْبَانِ الأَدَب 》

وَإِذَا كَانَت عُنْوَانَاتِ الأَبْوَابِ السَّابِقَةِ تُعَبِّرُ عَن نَفْسِهَا ؛ وَعَن الغَرَضِ مِنْهَا ؛ فَالمُرَادُ بِـ:

❁ ـ السَّحَابُ الأَحْمَر

أَي الحُبُّ ... ؛ تِلْكَ المَشَاعِرُ الَّتِي تُسَيْطِرُ عَلَى أَهْلِ القَلَمِ مِن أُدَبَاءٍ وَشُعَرَاء ... ؛ فَيَظُنُّونَ أَنَّهُم قَد يَجْنُونَ الثَّمرَةَ الطَّيِّبَةَ الَّتِي يَرْجُونَهَا إِذَا مَا أَقْدَمُوا عَلَى هَـذَا المَيْدَان ... ؛ ثُمَّ تَكُونُ العَاقِبَةُ الَّتِي يَعْرِفُهَا جَيِّدَاً أَصْحَابُنَا مِن أَبْنَاءِ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ القَلَمِيَّةِ مِنَ الأُدَبَاءِ وَالشُّعَرَاء .

2ـ الجُزْءُ الثَّانِي :

《 إِشْكَالِيَّةُ الصَّوْتِ وَالمَدَى 》

وَهُوَ حَدِيثٌ طَوِيلُ الذُّيُولِ عَن أَمْرِ الحُبِّ وَالهَوَى فَلْسَفِيًّا وَتَارِيخِيًّا ؛ مِن خِلالِ تَحْقِيقِ نَصٍّ تُرَاثِيٍّ نَادِرٍ ؛ يُنْشَرُ لأَوَّلِ مَرَّةٍ بِتَحْقِيقٍ عِلْمِيٍّ فَرِيد .

3ـ الجُزْءُ الثَّالِث :

《 ثَمَرَاتُ الخَيَـال 》

وَهُوَ تَتِمَّةٌ لِحَدِيثِ الحُبِّ وَالغَرَامِ وَالهَوَى ؛ وَلَكِنَّهُ يَعْرِضُ لَهُ هَذِهِ المَرَّةَ مِن خِلالِ رُؤْيَةٍ وِجْدَانِيَّةٍ شَاعِرِيَّةٍ .

4 ـ الجُزْءُ الرَّابِع :

《 الحَصَادُ المُـر 》

نُبَيِّنُ مِن خِلالِهِ كَافَّةَ النِّهَايَاتِ الَّتِى تُخْتَمُ بِهَا حَيَاةُ الأُدَبَاءِ فِى الشَّرْقِ وَالغَرْب ... ؛ مَا بَيْنَ ؟!!! ... :

الغَيَابُ بَيْنَ أَجْسَادِ النِّسَاءِ وَحَيَاةُ الخَنَا وَالمَجُون !!... ؛ أَو التَّرَهُّبُ واعْتِزَالُ النِّسَاء !!.

... ؛ مَا بَيْنَ ؟!!! ... :

الجُنُون !!... ؛ وَالانْتِحَار !!.

... ؛ مَا بَيْنَ ؟!!! ... :

العُزْلَةُ الأَبَدِيَّةُ !!... ؛ وَالمَوْتُ فِى رَيْعَانِ الشَّبَابِ قَبْلَ أن يَصِلَ الفَتى إِلَى الأَرْبَعِينَ مِن عُمُرِه !!.

فـ : ﴿ الحَصَادُ المُر ﴾

يَتَنَاوَلُ ظَاهِرَتَى :

الغَيَابُ بَيْنَ أَجْسَادِ النِّسَاءِ وَحَيَاةُ الخَنَا وَالمَجُون !!... ؛ أو التَّرَهُّبُ واعْتِزَالُ النِّسَاء !!.

5 ـ الجُزْءُ الخَامِس :

﴿ المَدَارَاتُ المُحْتَرِقَة ﴾

يَتَنَاوَلُ ظَاهِرَتَى :

الجُنُون !!... ؛ وَالانْتِحَار !!.

6 ـ الجُزْءُ السَّادِس :

﴿ جَدَلِيَّةُ التَّجَلِّى وَالخَفَاء ﴾

يَتَنَاوَلُ ظَاهِرَتَى :

العُزْلَةُ الأَبَدِيَّةُ !!... ؛ وَالمَوْتُ فِى رَيْعَانِ الشَّبَابِ قَبْلَ أن يَصِلَ الفَتى إِلَى الأَرْبَعِينَ مِن عُمُرِه !!.

ثُمَّ يَأْتِى :

7ـ الجُزْءُ السَّابِع :

﴿ كَلِمَات !!... ؛ بَيْنَ الثَّابِتِ وَالمُتَحَرِّك ﴾

وَهُوَ يُنَاقِشُ قَضِيَّةَ دِلالاتِ المُتَنَاثِرِ بَيْنَ أَسْفَارِ التُّرَاثِ العَرَبِيِّ مِن مَقُولاتٍ وَآرَاءٍ وَأَفْكَارٍ وَأَحْدَاث ؛ وَهُوَ أَيْضاً فِي وَصَايَا الأُدَبَاءِ وَالشُّعَرَاء ؛ وَكَلِمَاتِهِم الأَخِيرَة ؛ وَدِلالاتِ ذَلِك .



وَبَعْدُ :

فَانْظُر جَيِّداً إِلَى أَبْوَابِ أَجْزَاءِ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ الَّتِي ذَكَرْتُ عُنْوَانَاتِ أَجْزَائِهَا ... ؛ وَسَتَعْرِفُ كَيْفَ هِيَ حَيَاةُ أَبْنَاءِ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ وَذَلِكَ المَيْدَان !!... ؛ وَسَتَقِفُ عَلَى كُنْهِ نُفُوسِ أَرْبَابِ القَلَمِ وَمَاهِيَّةِ طَبَائِعِهِم وَمَشَاعِرِهِم عَلَى مَدَارِ التَّارِيخِ الإِنْسَانِيِّ !!... ؛ وَسَتُدْرِكُ حِينَئِذٍ أَنَّ العَبْقَرِيَّةَ !!... ؛ مِنَ المُحَالِ أن تُثْمِرَهَا سِوَى؟!!... ؛ المُعَانَاة !!... ؛ وَالغُرْبَة !!... ؛ وَالتَّوَحُّد !!.



قَيَّدَ بِقَلَمِه ..... وَنَطَقَ بِكَلِمِه

القَادِمُ مِنَ الزَّمَنِ المَجْهُول

«عُمَـر إيـزِيـك»

مَدِينَة **الريـاض**

[27 / 11 / 2012 م]

بِالحَارَةِ العَتِيقَة



- البَابُ الأوَّل :

.....

۞ - رِحْلَةُ العِلْم

بَيْنَ

إتْلافِ الجَسَد ... ؛ وَاحْتِرَاقِ الرُّوح

.... ؛ وَذَهَابِ سَنَوَاتِ الشَّبَاب !!



البَابُ الأَوَّل :

.....

۞- رِحْلَةُ العِلْم
بَيْنَ
إِتْلافِ الجَسَد ... ؛ وَاحْتِرَاقِ الرُّوح
.... ؛ وَذَهَابِ سَنَوَاتِ الشَّبَاب !!



أخطأ من ظَنَّ أن العلم قد يُنَالُ بقليلِ جَهْدٍ أو بميسُور البذْلِ والتضحية !! ... ؛ ومن ظنَّ ذلكَ وأقدم على الدُّخُولِ فى الميدان ؛ كانت النتيجةُ أن آبَ بالخُسْرِ وسُخريةِ الأراذلِ قبل أن يحظى بذلك الجزاء من أولى العلم والنَّباهةِ والفضل !!.

وأمَّا من فَهِمَ المسألة حَقَّ فهمها ؛ وعَلِمَ أن ناصية العلم لا تُنَالُ إلاَّ بالكفاح والنِّضال وبذل كُلِّ ثمينٍ غير مرخوص : من جهدٍ جهيد ؛ وعزمٍ شديد ؛ وإنفاقِ الجديد والتَّليد ... ؛ من علم ذلك وآمن بهِ ؛ وجزم بأنَّ المُرادَ لا يُصنَعُ

بِسِواه ؛ أيقن أنَّها حربٌ ضَرُوس ؛ وأنَّها معركةٌ طاحنةٌ ؛ رُبَّما أتت على الأخضرِ واليابس !!... ؛ وبعد كُلِّ هذا !!... ؛ فإمَّا ظَفَرٌ ونصرٌ مُبين ... ؛ وإلاَّ ضاع كُلُّ شيءٍ !!... ؛ فليلعب حينئذٍ مع اللاعبين ... ؛ حتى يُريحهُ الموتُ والرَّدَى واليقين !! .

على أنِّى أقُول :

من جَدَّ وجد ؛ ومن زرع حصد ؛ ومن قَدَّمَ العملَ والنَّصَب ؛ نالَ الغَايَةَ وَالأَرَب .

وأمَّا من حُرِمَ التَّوفيقَ والتسديدَ مع كونه يستأهلُ التقديم والتَّبْرِيز !!... ؛ فتلك بليَّةٌ لا دواء لها ولا طِبَّ لألَمِهَا !!... ؛ وحكمة غرائب الأقدار غَيْبٌ مجهُولٌ لا يعلمُهُ إلاَّ العظيمُ العَزيز ... ؛ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَار .

وإن كُنْتُ أعودُ فأقُول :

من أَراد المجد ؛ وَرَغِبَ فى ذُرْوَةِ الأمرِ وحِيازة الفضل ؛ فعليهِ بالمُغامرة ؛ وعلى قَدْرِ العَطِيَّةِ ؛ تكُونُ المخاوفُ ... ؛ فاختر لنفسك !!... ؛ فإمَّا حياةُ النُّبلاءِ والأشراف ؛ وإمَّا عيشةُ السُّفَهاءِ والأجلاف !! .

قال أبو هلال العسكريُّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى - (1):

« وَالاجْتِهَادُ فِيمَا يُكْسِبُ الْعِزَّ وَيَزِيدُ فِي النَّبَاهَةِ وَالْقَدْرِ رَاحَةُ العَاقِلِ ؛ وَالتَّوَانِي عَنْهُ عَادَةُ الْجَاهِلِ .

وَقُلْتُ :

أَلا لاَ يَذُمُّ الدَّهْرَ مَنْ كَانَ عَاجِزاً
وَلا يَعْذِلُ الأَقْدَارَ مَنْ كَانَ وَانِيَا
فَمَنْ لَمْ تُبَلِّغْهُ الْمَعَالِيَ نَفْسُهُ
فَغَيْرُ جَدِيرٍ أَنْ يَنَالَ الْمَعَالِيَا

وَمَثَلُ الْعُلُوِّ فِي الْمَكَارِمِ مَثَلُ الصُّعُودِ فِي الثَّنَايَا وَالْقُلَل ؛ وَلا يَكُونُ إِلا بِشِقِّ النَّفْسِ ؛ وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَنْعَمُ فِي قَصْدِ الذُّرَى والتَّوقُّل فِي الغُرُفَاتِ العُلَى ؛ فَقَدْ ظَنَّ بَاطِلاً وَتَوَهَّمَ مُحَالاً » .

وَرُتْبَةُ الأَدِيبِ مِنْ أَعْلَى الرُّتَب ؛ وَدَرَجَةُ الْعِلْمِ أَشْرَفُ الدَّرَج ؛ فَمَنْ أَرَادَ مُدَاوَلَتَهَا بِالدَّعَةِ وَطَلَبَ الْبُلُوغَ إِلَيْهَا بِالرَّاحَةِ ؛ كَانَ مَخْدُوعاً » .

---

(1) - «الحثُّ على طلب العلم والاجتهاد في جمعه» ؛ (صـ: 41-44) - باختصار - .

وَقَالَ الْجَاحِظُ :

الْعِلمُ عَزِيزُ الْجَانِبِ ؛ لا يُعْطِيكَ بَعْضَهُ حَتَّى تُعْطِيهِ كُلَّكَ ؛ وَأَنْتَ إِذَا أَعْطَيْتَهُ كُلَّكَ كُنْتَ مِنْ إِعْطَائِهِ إِيَّاكَ الْبَعْضَ عَلَى خَطَرٍ .

وَقَدْ صَدَقَ ؛ فَكَمْ مِنْ رَاغِبٍ مُجْتَهِدٍ فِي طَلَبِهِ لا يَحْظَى مِنْهُ بِطَائِلٍ عَلَى طُولِ تَعَبِهِ وَمُوَاصَلَةِ دَأْبِهِ وَنَصَبِهِ ؛ وَذَلِكَ إِذَا نَقَصَ ذَكَاؤهُ وكَلَّ ذِهْنُهُ وَنَبَتَ قَرِيحَتُهُ ؛ وَالْفَهْمُ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ اعْتِدَالِ آلَتِهِ ؛ فَإِذَا عُدِمَ الاعْتِدَالُ لَمْ يَكُنْ قَبُولٌ ، كَالطِّينَةِ إِذَا كَانَتْ يَابِسَةً أَوْ مُنْحَلَّةً لَمْ تَقْبَلِ الْخَتْمَ ؛ وَإِنَّمَا تَقْبَلُهُ فِي حَالِ اعْتِدَالِهَا ؛ وَإِذَا أَكْدَى الطَّالِبُ مَعَ الاجْتِهَادِ ؛ فَكَيْفَ يَكُونُ مَعَ الْهُوَيْنَا وَالفُتُور ؟!! .

فَإِذا كُنْتَ أَيُّهَا الأَخُ تَرْغَبُ فِي سُمُوِّ الْقَدْرِ ؛ وَنَبَاهَةِ الذِّكْرِ ؛ وَارْتِفَاعِ الْمَنْزِلَةِ بَيْنَ الْخَلْقِ ؛ وَتَلْتَمِسُ عِزّاً لا تَثْلمُهُ اللَّيَالِي وَالأَيَّامُ ؛ وَلا تَتَحَيَّفُهُ الدُّهُورُ وَالأَعْوَامُ ؛ وَهَيْبَةً بِغَيْرِ سُلْطَانٍ ؛ وَغِنىً بِلا مَالٍ ؛ ومَنَعَةً بِغَيْرِ سِلاحٍ ؛ وَعَلاءً مِنْ غَيْرِ عَشِيرَةٍ ؛ وَأَعْوَاناً بِغَيْرِ أَجْرٍ ؛ وَجُنْداً بِلا دِيوَانٍ وَفَرْضٍ ؛ فَعَلَيْكَ بِالْعِلْمِ ؛ فَاطْلُبْهُ فِي مَظَانِّهِ ؛ تَأْتِكَ الْمَنَافِعُ عَفْواً ؛ وَتَلْقَ مَا يُعْتَمدُ مِنْهَا صَفْواً ؛ وَاجْتَهِدْ فِي تَحْصِيلِهِ لَيَالِيَ قَلائِل ؛ ثُمَّ تَذَوَّقْ حَلاوَةَ الْكَرَامَةِ مُدَّةَ عُمْرِك ؛ وَتَمتَّعْ بِلَذَّةِ الشَّرَفِ فِيهِ بَقِيَّةَ أَيَّامِك ؛ وَاسْتَبْقِ لِنَفْسِكَ الذِّكْرَ بِهِ بَعْدَ وَفَاتِك .

ولأمرٍ مَا ؛ اجْتَهَدَ فِيهِ طَائِفَةُ الْعُقَلاء ؛ وَتَنَافَسَ عَلَيْهِ الْحُكَمَاء ؛ وَتَحَاسَدَ فِيهِ

الْفُضَلاء .
وَلا يَصْلُحُ الْحَسَدُ وَالْمَلَقُ فِى شَىْءٍ غَيْرِه .)) .



﴿ لا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجَسَد ﴾

.....

﴿ لا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجَسَد ﴾ ... ؛ كَلِمَةٌ صادقةٌ بلا رَيْبٍ ؛ إِذ أتت لتُجمل كلاماً كثيراً قيلَ فى مُناقشة هذهِ المسألة ؛ وهى كلمةٌ قديمةٌ جداً ؛ فاه بها صاحبُها ؛ ثُمَّ تمثَّلَ بها الأعيانُ من بعدهِ ... ؛ وأجدُنى مدفُوعاً إلى تخريجِ هذا الخبر ؛ لِمَا لهُ من قيمةٍ تاريخيَّةٍ ؛ ولِمَا يحملُ من دِلالةٍ عظيمةٍ فيما نحنُ بصددهِ :

فأقُول :

أخرجَ مُسْلِمٌ (ت 261هـ) في ((صحيحه)) ؛ (جـ 1/ 428) ؛ [175 (612)] ؛ قال :

((حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ ؛ قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِى كَثِيرٍ ؛ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِى يَقُولُ :

﴿ لا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْم﴾ .)) .

قُلْتُ: هكذا أخرجهُ بهذا اللَّفْظ: ﴿ الجِسْم ﴾

وأخرجهُ عِيَاض بن موسى اليحصبيُّ السبتيُّ ﴿ ت 544هـ ﴾ فى ﴿الغُنْيَـة﴾ ـ فهرست شيوخ القاضى عياض ـ ؛[ص: 153ـ 154] ؛من طريق مُسلم ابن الحجَّاج صاحب الصَّحيح ؛قال:

« 56 ـ الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الخشنيُّ ؛المعروف بابن أبى جعفر:

شيخ فُقهاء وقته بشرق الأندلس ؛ وأحفظهم للمذهب ؛مع المعرفة بالتفسير لكتاب الله ؛ والتفنُّن فى المعارف ؛ والمُشاركة فى علوم .

سمع :

أباه ؛ وأبا القاسم الطرابلسيَّ ؛ وأبا الوليد الباجى ؛ وابن سعدون القرويّ ؛ وهشام بن وضَّاح .

ولقىَ فُقهاء طُليطلة وقُرطبة : أبا المطرف بن سلمة ؛ وأبا جعفر بن رزق ؛ وأبا الحسن بن حمدين ؛ وغيرهم .

وحجَّ ؛ فسمع بمكة : من أبى عبد الله الطبريِّ كتاب مسلم ؛ وسمع من أبى عبد الله الحافظ .

لقيته بسبتة عند صدوره من الحج ؛ وسمعت منه شيئاً ؛ثم لقيته فى رحلتى ببلده مرسية ؛ فقرأت عليه:

ـ جميع كتاب مُسلم بن الحجَّاج ؛ وقد ذكرت سنده قبل فيه .

ـ وقرأت عليه كتاب المُلخَّص لأبى الحسن القابسيِّ ؛ وقد ذكرت سنده فيما تقدَّم.

ـ وسمعت عليه كتاب الشهاب للقضاعيِّ ؛ عن الشيخ أبى الخيار مسعود بن خلف ؛ عن مؤلفه ؛ وقد ذكرنا أسانيدنا فيه .

ـ وحضرت عنده مجالسه فى المُناظرة فى المُدوَّنة ؛ وأجازنى جميع رواياته .

وكان أبوه أبو عبد الله مُفتى موضعه ـ مع ابنه ـ ؛ وتوفِّيَ سنة أربع وتسعين بعد انصراف ابنه من الحج .

وتُوفِّيَ شيخُنا ـ رَحِمَهُ الله ـ: بمرسية ؛ سنة ست وعشرين وخمسمائة . مولده سنة سبع وأربعين وأربعمائة .

ـ حدَّثنا رحمه الله بقراءتى عليه ؛ قال ؛ حدثنا أبو عبد الله الطبرىُّ ؛ قال ؛ حدثنا أبو الحُسين الفارسىُّ ؛ حدَّثنا أبو أحمد بن عمرويه ؛ حدثنا إبراهيم بن سُفيان ؛ حدثنا مُسلم بن الحجَّاج ؛ حدثنا يحيى بن يحيى التميمىُّ ؛ حدثنا عبد الله بن يحيى بن أبى كثير ؛ قال : سمعت أبى يقول :

﴿ لا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ ﴾ .)) .

وأخرجهُ أبو عمرو الدقَّاق ؛ المعرُوف بابن السَّمَّاك ﴿ ت : 344هـ ﴾ فى ﴿ الثانى من الفوائد المنتقاة لابن السمَّاك ﴾ ؛ [رقم : 51] ـ مخطوط ـ من

طريقٍ آخر عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ؛ قال :

« حَدَّثَنَا حَنْبَلٌ ؛ ثنا مُسَدَّدٌ ؛ ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ؛ قَال : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ :

﴿ لا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجَسَد ﴾ . » .

وأخرجهُ البيهقيُّ في « المدخل إلى السُّنن الكُبْرَى » ؛ (ت 458هـ) ؛ [جـ 1/ 277] ؛ من هذا الطريقِ الوارد قَبْلُ بعينهِ ؛ [رقم : 400] ؛ قال :

« أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ بِشْرَان ؛ أنبا أَبُو عَمْرٍو السَّمَّاك ؛ ثنا حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاق ؛ ثنا مُسَدَّدٌ ؛ ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ؛ قَال : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ :

﴿ مِيرَاثُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنَ الذَّهَبِ ؛ وَالنَّفْسُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ مِنَ اللُّؤْلُؤِ ﴾.

قَالَ : وَسَمِعْتُ أَبِي يَقُول :

﴿ لا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْم ﴾ . » .

وأخرجهُ أبو عُمر يُوسُف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النَّمَرِيُّ القُرطبيُّ ﴿ ت 463هـ ﴾ في ﴿ جامع بيان العلم وفضله ﴾ ؛ [جـ 385/1] ؛ [رقم : 555] ؛ من طريقٍ أُخرى عن مُسَدَّد ؛ قال :

« حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَحْيَى ؛ نا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ ؛ نا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ النُّعْمَان ؛ نا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مَرْوَان ؛ نا مُسَدَّدٌ ؛ نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ

أَبِي كَثِيرٍ ؛ عَنْ أَبِيهِ ؛ قَالَ :

﴿ لا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ ﴾ . » .

وأخرجهُ أبو عمر بن عبد البر ﴿ ت 463هـ ﴾ في ﴿جامع بيان العلم وفضله﴾ ؛[جـ 1/ 384] ؛[رقم : 553] ؛ من طريقٍ أُخرى عن عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ .

قال :

« حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ فَتْحٍ ؛ أنا أَبُو أَحْمَدَ بْنُ الْمُفَسِّرِ الدِّمَشْقِيُّ بِمِصْرَ ؛ نا مُحَمَّدُ ابْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ ؛ نا مُوسَى بْنُ أَيُّوب ؛ نا بَقِيَّةُ ؛ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّه ؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ؛ عَنْ أَبِيهِ ؛ قَالَ :

﴿ مِيرَاثُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ مِيرَاثِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ؛ وَالنَّفْسُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ مِنَ اللُّؤْلُؤِ ؛ وَلا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجَسَدِ . ﴾ . » .

وأخرجهُ أبو عُمر بن عبد البر ﴿ ت 463هـ ﴾ في ﴿ جامع بيان العلم وفضله ﴾ ؛[جـ 385/1] ؛[رقم : 554] ؛ بمعناه لا بلفظه المعرُوف ؛ وما رواهُ مُسْنَداً ؛ قال :

« وَرَوَاهُ مُسَدَّدٌ ؛ وَيَحْيَى بْنُ يَحْيَى ؛ قَالا : نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ؛ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ :

﴿ لا يُنَالُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْبَدَنِ ﴾ . » .

وأخرج أبو عمر بن عبد البر بن عاصم فى ﴿ جامع بيان العلم وفضله ﴾ ؛ [جـ 386/1] ؛ [رقم : 556] ؛ قال :

« وَقَدْ رُوِىَ مِثْلُ هَـذَا الْقَوْلِ عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِىٍّ بْنِ حُسَيْنٍ ؛ أَنَّهُ قَالَ :

﴿ لا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ ﴾ . » .

وأخرج أبو القاسم الأصبهانىُّ ؛ الْمُلقَّب بقوَّام السُّنَّة ﴿ ت 535هـ ﴾ فى ﴿ سِير السَّلف الصالحين ﴾ ؛ [ص : 1235] عند ذِكْرِ أَبِى مُحَمَّدٍ عبد الرَّحمن بْنِ أَبِى حَاتِمٍ الرَّازِىِّ ؛ قال :

﴿ـ فَصْلٌ :

فِى ذِكْرِ حِرْصِهِ عَلَى طَلَبِ الْعِلْم

وَأَخْبَرَنَا عَلِىُّ بْنُ إِبْرَاهِيم ؛ قَال : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ عَلِىٍّ الرَّقَّام يَقُول : سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ الْحُسَيْنِ الدَّرَسْتِينِىَّ يَقُول : ....

قَالَ الرَّقَّامُ : ....

قَالَ عَلِىُّ بْنُ إِبْرَاهِيم : ... ؛ قَالَ : وَسَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ يَوْمًا يَقُول :

﴿ لا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ ﴾ . » .

قُلْتُ : أصابت الكلمةُ استحسان العُلماء وأساطين أهل العلم ؛ حتَّى أنَّها أثارت إعجاب الإمام عبد الرحمن بن أبى حاتم صاحب كتاب « الجرح والتعديل » ؛ فكان يتمثَّل بها ؛ ويحُثُّ على طلب العلم والاجتهاد فى

تحصيله بإسماعها أصحابه وتلامذته .

وبعدُ ؛ فهذا تخريجٌ ابنُ ساعتِهِ ؛ أردتُ به الإخبار عن اهتمام أصحاب الكُتُبِ العظيمة برواية هذا الخبر ؛ وما طَمِعْتُ فيما هو فوق ذلك ؛ إذ لِكُلٍّ مقامٍ مقال .



﴿ تَجَارِبٌ أَدْهَشَت أَصْحَابَ العَزْمِ وَالإِرَادَة !! ﴾

أخرج أبو القاسم الأصبهانىُّ ؛ المُلقَّب بقوَّام السُّنَّة ﴿ ت 535هـ ﴾ فى ﴿ سير السَّلف الصالحين ﴾ ؛[ص : 1235] عند ذِكْرِ أَبِى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِى حَاتِمٍ الرَّازِىِّ ؛ قال :

﴿ـ فَصْلٌ :

فِى ذِكْرِ حِرْصِهِ عَلَى طَلَبِ العِلْم

وَأَخْبَرَنَا عَلِىُّ بْنُ إِبْرَاهِيم ؛ قَال : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ عَلِىٍّ الرَّقَّام يَقُول : سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ الْحُسَيْنِ الدَّرَسْتِينِىَّ يَقُول : سَمِعْتُ أَبَا حَاتِمٍ يَقُول : قَالَ لِى أَبو زُرْعَةَ : مَا رَأَيْتُ أَحْرَصَ عَلَى طَلَبِ الْحَدِيثِ مِنْكَ يَا أَبَا حَاتِم !! ؛ فَقُلْتُ : إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ لَحَرِيصٌ ؛ قَالَ : مَن أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَم .

قَالَ الرَّقَّامُ: سَأَلْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ عَنِ اتِّفَاقِ كَثْرَةِ السَّمَاعِ لَهُ وَسُؤَالاتِهِ مِن أَبِيهِ؟ ؛ فَقَالَ: رُبَّمَا كَانَ يَأْكُلُ وَأَقْرَأُ عَلَيْهِ ؛ وَيَمْشِي وَأَقْرَأُ عَلَيْهِ ؛ وَيَدْخُلُ الْخَلاءَ وَأَقْرَأُ عَلَيْهِ ؛ وَيَدْخُلُ الْبَيْتَ فِي طَلَبِ شَيْءٍ وَأَقْرَأُ عَلَيْهِ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيم: وَبَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ يَسْأَلُ أَبَاهُ أَبَا حَاتِمٍ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ عَن أَشْيَاء مِن عِلْمِ الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِ إِلَى وَقْتِ ذَهَبَ لِسَانُهُ ؛ فَكَانَ يُشِيرُ إِلَيْهِ بِطَرْفِهِ نَعَم وَلا !!.

قَالَ: وَسَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ يَوْمَاً يَقُول:

« لا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْم » .».

وأخرج أبو القاسم الأصبهانيُّ في « سير السَّلف الصالحين » ؛[ص: 1226 ـ 1227] عند ذِكْرِ أَبِي زُرْعَةَ الرَّازِيِّ ؛ قال:

« قَالَ أَبُو زُرْعَـة:

خَرَجْتُ مِنَ الرَّيِّ الْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِين ؛ وَرَجَعْتُ سَنَةَ اثْنَيْنِ وَثَلاثِين ؛ وَإِنِّي حَجَجْتُ ؛ ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى مِصْر ؛ فَأَقَمْتُ بِهَا خَمْسَةَ عَشَرَ شَهْرَاً ؛ وَكُنْتُ عَزَمْتُ فِي بَدْءِ قُدُومِي مِصْر أَنْ أُقِلَّ الْمُقَامَ بِهَا ؛ وَلَمَّا رَأَيْتُ كَثْرَةَ الْعِلْمِ ؛ رُمْتُ عَلَى الْمُقَام ؛ وَلَم أَكُن عَزَمْتُ عَلَى سَمَاعِ كُتُبِ الشَّافِعِيِّ ؛ فَلَمَّا عَزَمْتُ عَلَى الْمُقَام ؛ وَجَّهْتُ إِلَى أَعْرَفِ رَجُلٍ بِمِصْرَ يَكْتُبُ لِلشَّافِعِيِّ ؛ وَسَلَّمْتُ إِلَيْهِ ثَمَانِينَ دِرْهَمَاً عَلَى أَنْ يَكْتُبَهَا لِي ؛ وَأَعْطَيْتُهُ الْكَاغِدَ ؛ وَكُنْتُ

حَمَلْتُ مَعِي ثَوْبَيْنِ دَقِيقَيْنِ لأَقْطَعْهُمَا لِنَفْسِي ؛ فَلَمَّا عَزَمْتُ عَلَى كِتَابَتِهَا أَمَرْتُ بِبَيْعِهَا ؛ فَبِيعَا بِسِتِّينَ دِرْهَماً ؛ وَاشْتَرَيْتُ مِائَةَ وَرَقَةِ كَاغِدٍ بِعَشَرَةِ دَرَاهِم ؛ فَكَتَبْتُ فِيهَا كُتُبَ الشَّافِعِيِّ ؛ ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى الشَّام ؛ فَأَقَمْتُ بِهَا مَا أَقَمْتُ ؛ ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى الْجَزِيرَةِ ؛ فَأَقَمْتُ مَا أَقَمْتُ ؛ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى بَغْدَادَ سَنَةَ ثَلاثِينَ فِي آخِرِهَا ؛ وَرَجَعْتُ إِلَى الْكُوفَةِ ؛ فَأَقَمْتُ بِهَا مَا أَقَمْتُ ؛ وَقَدِمْتُ الْبَصْرَةَ ؛ فَكَتَبْتُ فِيهَا عَنْ شَيْبَانَ وَعَبْدِ الأَعْلَى .» .

وَقَالَ أَبو القاسم الأصبهانيُّ في « سِير السَّلف الصالحين » [ص: 1227 ـ 1231]:

« ـ ذِكْرُ أَبِي حَاتِمٍ الرَّازِيِّ ؛ وَاسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيس :

قَالَ أَبُو حَاتِم :

أَحْصَيْتُ مَا مَشَيْتُ عَلَى قَدَمِي فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ زِيَادَةً عَلَى أَلْفِ فَرْسَخٍ : سِرْتُ مِن مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ مَرَّاتٍ ؛ وَمِنَ الْبَحْرَيْنِ إِلَى مِصْرَ ؛ وَمِنْ مِصْرَ إِلَى الرَّمْلَةِ ؛ وَمِنَ الرَّمْلَةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَطَبَرِيَّةَ ؛ وَمِنْ طَبَرِيَّةَ إِلَى دِمَشْق ؛ وَمِن دِمَشْق إِلَى حِمْص ؛ وَمِن حِمْصَ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ ؛ وَمِنْ أَنْطَاكِيَّةَ إِلَى طَرسُوس ؛ ثُمَّ رَجَعْتُ مِن طَرسُوسَ إِلَى حِمْص ؛ فَكَانَ بَقِيَ عَلَيَّ شَيْءٌ مِن حَدِيثِ أَبِي الْيَمَان ؛ فَسَمِعْتُ ؛ ثُمَّ خَرَجْتُ مِن حِمْص إِلَى بِيسَان ؛ وَمِن بِيسَانَ إِلَى الرَّقَّةِ ؛ وَمِنَ الرَّقَّةِ رَكِبْتُ الْفُرَاتَ إِلَى بَغْدَاد ؛ وَخَرَجْتُ قَبْلَ خُرُوجِي إِلَى الشَّامِ مِن

وَاسِطٍ ؛ وَمِنْ وَاسِطٍ إِلَى الْكُوفَةِ : كُلُّ ذَلِكَ أَمْشِى . !!.

هَذَا فِى السَّفَرِ الأَوَّلِ ؛ وَأَنَا ابْنُ عِشْرِينَ سَنَةً ؛ أَجُولُ سَبْعَ سِنِينَ ؛ خَرَجْتُ مِنَ الرَّىِّ سَنَةَ ثَلاثٍ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْن .

وَخَرَجْتُ الْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِين ؛ وَرَجَعْتُ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِين ؛ وَحَجَجْتُ الْحَجَّةَ الأُولَى سَنَةَ خَمْسٍ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْن ؛ وَالْحَجَّةَ الثَّانِيَةَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلاثِين ؛ وَالثَّالِثَةَ سَنَةَ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِين ؛ وَالرَّابِعَةَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِين ؛ وَفِيهَا حَجَّ عَبْدُ الرَّحْمَن ابْنِى .

وَقَالَ :

بَقِيتُ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ ؛ وَكَانَ فِى نَفْسِى أَنْ أُقِيمَ سَنَةً ؛ فَانْقَطَعَتْ نَفَقَتِى ؛ فَجَعَلْتُ أَبِيعُ ثِيَابَ بَدَنِى شَيْئاً بَعْدَ شَىْءٍ ؛ حَتَّى بَقِيتُ بِلا نَفَقَةٍ ؛ وَمَضَيْتُ أَطُوفُ مَعَ صَدِيقٍ لِى عَلَى الْمَشْيَخَةِ ؛ وَأَسْمَعُ مِنْهُمْ إِلَى الْمَسَاءِ ؛ فَانْصَرَفَ رَفِيقِى ؛ وَرَجَعْتُ إِلَى بَيْتٍ خَالٍ ؛ فَجَعَلْتُ أَشْرَبُ الْمَاءَ مِنَ الْجُوعِ ؛ ثُمَّ أَصْبَحْتُ مِنَ الْغَدِ وَغَدَا عَلَىَّ رَفِيقِى ؛ فَجَعَلْتُ أَطُوفُ مَعَهُ فِى سَمَاعِ الْحَدِيثِ عَلَى جُوعٍ شَدِيدٍ ؛ فَانْصَرَفَ عَنِّى وَانْصَرَفْتُ جَائِعاً ؛ فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ غَدَا عَلَىَّ ؛ فَقَالَ : سِرْ بِنَا إِلَى الْمَشَايِخِ ؛ فَقُلْتُ : أَنَا ضَعِيفٌ لا يُمْكِنُنِى ؛ قَالَ : مَا ضَعْفُكَ ؟!!! ؛ قُلْتُ : لا أَكْتُمُكَ أَمْرِى ؛ قَدْ مَضَى كَذَا وَكَذَا مَا طَعِمْتُ شَيْئاً ؛ فَقَالَ لِى : قَدْ بَقِىَ دِينَارٌ ؛ فَأَنَا أُقَاسِمُكَ بِنِصْفِهِ ؛ وَتَحْفَظُ النِّصْفَ الآخَرَ

فِي الكَرى ؛ فَخَرَجْنَا مِنَ الْبَصْرَةِ ؛ وَكُنَّا فِي الْبَحْرِ ؛ فَاحْتَلَمْتُ ؛ فَأَخْبَرْتُ أَصْحَابِي بِهِ ؛ فَقَالُوا : اغْمُرْ نَفْسَكَ فِي الْبَحْرِ ؛ قُلْتُ : إِنِّي لا أُحْسِنُ أَسْبَحُ ؛ فَقَالُوا : إِنَّا نَشُدُّ فِيكَ حَبْلاً وَنُعَلِّقُكَ فِي الْمَاءِ ؛ فَشَدُّوا فِيَّ حَبْلاً وَأَرْسَلُونِي فِي الْمَاءِ وَأَنَا فِي الْهَوَاءِ هُوَ ذَا أَسْرَعُ الْوُضُوءِ ؛ فَلَمَّا تَوَضَّأْتُ قُلْتُ : أَرْسِلُونِي قَلِيلاً ؛ فَأَرْسَلُونِي ؛ فَغَمَسْتُ نَفْسِي فِي الْمَاءِ ؛ قُلْتُ : ارْفَعُونِي ؛ فَرَفَعُونِي ؛ قَالَ : فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ صِرْنَا إِلَى الْجَارِ ؛ وَرَكِبْنَا الْبَحْرَ ؛ وَكُنَّا ثَلاثَةَ أَنْفُسٍ ؛ وَكَانَتِ الرِّيحُ فِي وُجُوهِنَا ؛ فَبَقِينَا فِي الْبَحْرِ ثَلاثَةَ أَشْهُرٍ ؛ وَضَاقَت صُدُورُنَا ؛ وَفَنِيَ مَا كَانَ مَعَنَا مِنَ الزَّادِ ؛ فَخَرَجْنَا إِلَى الْبَرِّ ؛ فَجَعَلْنَا نَمْشِي أَيَّاماً عَلَى الْبَرِّ ؛ فَفَنِيَ مَا كَانَ مَعَنَا مِنَ الزَّادِ وَالْمَاءِ ؛ فَمَشَيْنَا يَوْماً لَمْ يَأْكُلْ أَحَدٌ مِنَّا شَيْئاً وَلا شَرِبْنَا ؛ وَيَوْمَ الثَّانِي كَمِثْلِهِ ؛ وَيَوْمَ الثَّالِثِ ؛ كُلَّ يَوْمٍ نَمْشِي إِلَى اللَّيْلِ ؛ فَإِذَا جَاءَ الْمَسَىُ صَلَّيْنَا وَأَبْقَيْنَا بِأَنْفُسِنَا ؛ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا يَوْمَ الرَّابِعِ ؛ جَعَلْنَا نَمْشِي عَلَى قَدْرِ طَاقَتِنَا ؛ فَسَقَطَ الشَّيْخُ الَّذِي كَانَ مَعَنَا مَغْشِيّاً عَلَيْهِ ؛ فَتَرَكْنَاهُ ؛ فَمَشَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي قَدْرَ فَرْسَخٍ أَوْ فَرْسَخَيْنِ ؛ فَضَعُفْتُ وَسَقَطْتُ مَغْشِيّاً عَلَيَّ ؛ وَمَضَى صَاحِبِي وَتَرَكَنِي ؛ فَلَمْ يَزَلْ يَمْشِي ؛ إِذ أَبْصَرَ مِن بَعِيدٍ قَوْماً قَدْ قَرَّبُوا سَفِينَتَهُم إِلَى الْبَرِّ ؛ وَنَزَلُوا عَلَى بِئْرِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلام - ؛ فَلَمَّا عَايَنَهُم لَوَّحَ بِثَوْبِهِ إِلَيْهِم ؛ فَجَاءُوا وَمَعَهُمُ الْمَاءَ فِي إِدَاوَةٍ ؛ فَسَقَوْهُ وَأَخَذُوا بِيَدِهِ ؛ فَقَالَ : الْحَقُوا رَفِيقَيْنِ لِي قَدْ أَلْقَيَا بِأَنْفُسِهِمَا مَغْشِيّاً عَلَيْهِمَا ؛ فَمَا شَعُرْتُ إِلاَّ

بِرَجُلٍ يَصُبُّ الْمَاءَ عَلَى وَجْهِي ؛ فَفَتَحْتُ عَيْنِي ؛ فَقُلْتُ : اسْقِنِي !! ؛ فَصَبَّ الْمَاءَ مِن رَكْوَتِهِ شَيْئاً يَسِيراً ؛ فَشَرِبْتُ ؛ وَرَجَعَتْ إِلَيَّ نَفْسِي ؛ فَقُلْتُ : اسْقِنِي ؛ فَسَقَانِي شَيْئاً يَسِيراً ؛ وَأَخَذَ بِيَدِي ؛ فَقُلْتُ : وَرَائِي شَيْخٌ مُلْقَى ؛ قَالَ : فَذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ جَمَاعَةٌ ؛ وَأَخَذَ بِيَدِي وَأَنَا أَمْشِي أَجُرُّ رِجْلِي يَسْقِينِي شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ ؛ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ إِلَى سَفِينَتِهِم وَأَتَوا بِرَفِيقِي الشَّيْخِ وَأَحْسَنُوا إِلَيْنَا ؛ فَبَقِينَا أَيَّاماً حَتَّى رَجَعَت إِلَيْنَا أَنْفُسُنَا ؛ ثُمَّ كَتَبُوا لَنَا كِتَاباً إِلَى مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا رَايَة ؛ إِلَى وَالِيهِم ؛ وَزَوَّدُونَا مِنَ الكَعْكِ وَالسَّوِيقِ وَالْمَاءِ ؛ فَلَمْ نَزَلْ نَمْشِي حَتَّى نَفَدَ مَا كَانَ مَعَنَا مِنَ الْمَاءِ وَالسَّوِيقِ وَالْكَعْكِ ؛ فَجَعَلْنَا نَمْشِي جِيَاعاً عِطَاشاً عَلَى شَطِّ الْبَحْرِ ؛ فَدُفِعْنَا إِلَى سُلْحِفَاةٍ قَدْ رَمَى بِهَا الْبَحْرُ مِثْلَ التُّرْسِ ؛ فَعَمَدْنَا إِلَى حَجَرٍ كَبِيرٍ ؛ فَضَرَبْنَا عَلَى ظَهْرِ السُّلْحِفَاةِ ؛ فَانْفَلَقَ ظَهْرُهَا ؛ وَإِذَا فِيهَا مِثْلَ صُفْرَةِ الْبَيْضِ ؛ فَأَخَذْنَا مِنْ بَعْضِ الأَصْدَافِ الْمُلْقَاةِ عَلَى شَطِّ الْبَحْرِ ؛ فَجَعَلْنَا نَغْتَرِفُ مِنْ ذَلِكَ الأَصْفَرِ فَنَتَحَسَّاهُ ؛ حَتَّى سَكَنَ عَنَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ ؛ حَتَّى دَخَلْنَا مَدِينَةَ الرَّايَةِ ؛ وَأَوْصَلْنَا الْكِتَابَ إِلَى عَامِلِهِم ؛ فَأَنْزَلَنَا فِي دَارِهِ ؛ وَأَحْسَنَ إِلَيْنَا ؛ وَكَانَ يُقَدِّمُ إِلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ الْقَرْعَ ؛ وَيَقُولُ لِخَادِمِهِ : هَاتِي لَهُم بِالْيَقْطِينَ الْمَارِك ؛ فَقَالَ وَاحِدٌ مِنَّا بِالْفَارِسِيَّةِ : أَلا نَدْعُو بِاللَّحْمِ ؟ ؛ فَقَالَ صَاحِبُ الدَّارِ : أَنَا أُحْسِنُ بِالْفَارِسِيَّةِ ؛ فَإِنَّ جِدَّتِي كَانَتْ هَرَوِيَّةً ؛ فَأَتَانَا بَعْدَ ذَلِكَ بِاللَّحْمِ ؛ ثُمَّ خَرَجْنَا مِن هُنَاك ؛ فَزَوَّدَنَا إِلَى أَن بَلَغْنَا مِصْر !! . » . أ هـ .

- البَابُ الثَّانِى :

.....

۞ـ أَهْلُ العِلْم

وَالصِّرَاعُ بَيْنَ عِشْقِ الطُّرُوسِ وَاليَرَاع

... ؛وَالرَّغْبَةِ فِى حَيَاةٍ إِنْسَانِيَّةٍ كَرِيمَة !!

﴿ جَدَلِيَّةُ عِشْق الكَلِمَات ... ؛

وَالخَوْف مِنَ الفَقْرِ وَالفَاقَة !! ﴾

❀ـ البَابُ الثَّانِي :

.....

❁ـ أَهْلُ العِلْم

وَالصِّرَاعُ بَيْنَ عِشْقِ الطُّرُوسِ وَاليَرَاع

... ؛ وَالرَّغْبَةِ فِي حَيَاةٍ إِنْسَانِيَّةٍ كَرِيمَة !!

« جَدَلِيَّةُ الانْهِيَارِ الحَالِم ...!! »



.....

❁ـ الخَلِيلُ بْنُ أَحْمَد

قَالَ يَاقوتُ الحمويُّ في «مُعجم الأُدباء» ؛ (ج3/1260ـ1271) :

« ـ الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيديُّ :

ويُقال ـ الفرهوديُّ : نسبة إلى فراهيد بن مالك بن فهم بن عبد الله بن مالك ابن مُضر .

الأزديُّ ؛ البصريُّ ؛ العروضيُّ ؛ النَّحويُّ ؛ اللُّغويُّ .

سيِّد الأُدبَاء في علمه وزُهده .

قيل : أول من سُمِّيَ في الإسلام أحمد أبو الخليل .

ويُكنى أبا عبد الرحمن ؛ وهو من أعمال عُمان ؛ من قرية من قُراها ؛ وانتقل إلى البصرة .

مات سنة خمس وسبعين ومائة عن أربع وسبعين سنة .

وقيل : إنه مولى الفراهيد ؛ وأصله من الفُرس .

قال المُؤلِّف :

وهذا القول عندي صحيح ؛ وذاك لأنه لم يذكر أحدٌ في نسبه أكثر من الخليل ابن أحمد ؛ لم يزد أحدٌ عليه ؛ ولو كان عربيًّاً لم يخف ذلك عن الأئمَّة العُلماء الذين كتبوا أنساب الأراذل الخاملي الذكر !! ؛ فكيف مثل هذا الإمام مع كثرة تلاميذه المُتقنين ؟!! ؛ أما كان منهم رَجُلٌ سأله عن نسبه فيكتبه فيما كتب من أخباره وأشعاره ؟!! .

قال حمزة بن الحسن الأصبهانيُّ في كتاب « الموازنة بين العربيَّة والعجميَّة » :

« وللعرب فضلٌ على غيرهم من الأُمم : بما اتفق لعُلماء لُغتهم من تقييد ألفاظهم في بُطون الكُتُب ؛ وعُلماء الفُرس تدَّعِي مُشاركتهم في هذه

الفضيلة ؛ ويزعمون أن لُغتهم كانت مُنتشرة ذاهبة فى الضياع على غير نظام ؛ إلى أن ظهر بجمعها بعد انتشارها فيلسوف دولة الإسلام الخليل بن أحمد الفرهوديُّ ؛ ومن الفرس كان أصله ؛ لأنه من فراهيد اليمن ؛ وكانوا من بقايا أولاد الفُرس الذين فتحوا بلاد اليمن لكسرى .

وكان جدُّ الخليل من أولئك ؛ فضمَّهُ إلى وهرز لتدبير جيشه ؛ وحصل باليمن ؛ فتناسل بها أولاده ؛ وصاهروا قبائل الأزد ؛ فادَّعاهم الأزد ؛ وبالبلدية والقرابة ضمَّ الخليلُ سيبويه إلى نفسه حتى خرَّجه ؛ فمن أجل أنَّ الخليل كان من الفُرس صارت لنا شركة فى مفاخر العرب بما أثَّلهُ الخليل لهم ؛ فزعموا أن للخليل ثلاثة أيادٍ عند العرب كبار لم يُسْدِ مثلها إليهم عربيٌّ منهم :

- أحدها :

ما نهج لتلميذه سيبويه من التأتِّى لتأليف كتابه ؛ حتى علَّمه كيف يُفرِّق جمهور النحو أبواباً ؛ وتجنس الأبواب أجناساً ؛ ثم تنوع الأجناس أنواعاً ؛ حتى أخرجه معجز التأليف ؛ فقيَّد به على العرب منطقهم حتَّى سلم أعقابهم للإعراب وتقويم اللسان من هُجنة اللحن وخطأ القول .

ـ الثانية :

اختراعه لأشعارهم ميزاناً حذاه على غير مثال ؛ وهو العروض التى إليها مفزع من خذله الطبع ؛ ولم يُساعده الذوق من الشُّعراء ورواة الأشعار ؛ فصار أثره لاختراع هذا العلم كأثر الفيلسوف أرسطاطاليس فى شرح علم حدود المنطق .

ـ الثالثة :

ما منحهم فى لُغتهم من حصره إيَّاها فى الكتاب الذى سمَّاه كتاب (العين) ؛ فبدأ فيه بسياقة مخارج الحروف ؛ وأظهر فيه حكمةً لم يقع مثلها للحُكماء من اليونانيين ؛ فلما فرغ من سرد مخارج الحروف ؛ عدل إلى إحصاء أبنية الأشخاص وأمثلة أحداث الأسماء ؛ فزعم أن مبلغ عدد أبنية كلام العرب المُستعمل والمُهمل على مراتبها الأربع من الثُّنائىِّ والثُّلاثىِّ والرُّباعىِّ والخُماسىِّ من غير تكريرٍ ينساق إلى اثنى عشر ألف ألف وثلاثمائة ألف وخمسة آلاف وأربعمائة واثنى عشر :

الثنائىُّ منها ينساق إلى سبعمائة وستة وخمسين .

والثلاثىُّ إلى تسعة عشر ألف وستمائة وستة وخمسين .

والرُّباعىُّ إلى أربع مائة وواحد وتسعين ألفاً وأربعمائة .

والخُماسىُّ إلى أحد عشر ألف ألف وسبعمائة وثلاثة وتسعين ألفاً وستمائة .

قالوا :

فقد شاركنا فى : فضيلة لُغتها ؛ ومزيَّة نحوها ؛ وحِلية عروض قريضها شرك العنان ؛ إذ كان الخليل مُثيرها من مكمنها وهو منَّا .

قال السيرافىُّ : كان الغاية فى تصحيح القياس ؛ واستخراج مسائل النحو وتعليله .

أخذ عن : أبى عمرو بن العلاء ؛ وروى عن أيوب ؛ وعاصم الأحول ؛ وغيرهما .

وأخذ عنه : الأصمعىُّ ؛ وسيبويه ؛ والنضر بن شُميل ؛ وأبو فيد مؤرّج السَّدوسىُّ ؛ وعلىُّ بن نصر الجهضمىُّ ؛ وغيرهم .

وهو أوَّل من : استخرج العروض ؛ وضبط اللغة ؛ وحصر أشعار العرب .

يُقال إنه دعا بمكة أن يرزقه الله تعالى علماً لم يُسبق بـه ؛ فرجع ؛ وَفُتِحَ عليه بالعروض ؛ وكانت معرفته بالإيقاع ؛ وهو الذى أحدث له علم العروض ؛ وكان يقول الشعر ؛ فينظم البيتين والثلاثة ونحوها .

قال الخليل بن أحمد : دخلت على سُليمان بن علىٍّ بن عبد الله بن عبَّاس ؛ ووجدته يسقط فى كلامه ؛ فجلست حتى انصرف الناس ؛ فقال : هل حاجة يا أبا عبد الرحمن ؟ ؛ قُلْتُ : أكبر الحوائج !! ؛ قال : قُل ؛ فإن مسائلك مقضيَّة

ووسائلك قويَّة !! .

قُلْتُ: أنت سُليمان بن عليٍّ؛ وكان عليٌّ في العلم عليًّا؛ وكان عبد الله بن العبَّاس الحبر والبحر؛ وكان العبَّاس بن عبد المُطَّلب إذا تكلَّم؛ أخذ سامعه ما يأخذ النشوان على نقر العيدان !!؛ وأراك تسقط فى كلامك !!؛ وهذا لا يُشبه محتدك ومنصبك !!.

قال: فكأنما فُقأ فى وجهه الرُّمَّان خجلاً !!؛ فقال: لن تسمعه بعدها !!.

ثم احتجب عن الناس؛ وأكبَّ على النظر؛ ثم أذِن للناس فى مجلسٍ عام؛ فدخلتُ فى لُـمَّة الناس؛ فوجدته يُفصح حتى خلته معد بن عدنان !!؛ فجلست حتى انصرف الناس؛ فقال: كيف رأيت أبا عبد الرحمن ؟!!؛ فقُلتُ: رأيت كُلَّ ما سرَّنى فى الأمير !!.

...؛ وانصرفت؛ فاستتبعنى غُـلامٌ على كتفه بَدْرَة؛ فرددتها عليه؛ وكتبت إليه:

أبلـغ سُليمان أنِّى عنه فى سَعَةٍ
وفى غِنَىً غير أنِّى لستُ ذا مالِ
سَخٌّى بنفسى أنِّى لا أرى أحداً
يموتُ هزلاً ولا يبقى على حالِ

والفقرُ فى النَّفس لا فى المال نعرفهُ
ومثل ذاك الغنى فى النَّفس لا المالِ
والرِّزْقُ عن قَدَرٍ لا العجز يُنقصهُ
ولا يزيدك فيه حولُ مُحتالِ ؛ .

... ؛ وكان الخليل أعلم الناس ؛ وأذكاهم ؛ وأفضل الناس ؛ وأتقاهم ؛ وكانوا يقولون : لم يكن فى العرب بعد الصحابة أذكى من الخليل بن أحمد ولا أجمع ؛ ولا كان فى العجم أذكى من ابن المُقَفَّع ولا أجمع .

وكان الخليل أشد الناس تعفُّفاً ؛ ولقد كان الملوك يقصدونه ويتعرَّضون له لينال منهم فلم يكن يفعل ؛ وكان يعيش من بُستانٍ له خلَّفه عليه أبوه بالحربيَّة ؛ وكان يحجُّ سنةً ويغزو سنةً حتى جاءه الموت ؛ وأول من جمع الحروف فى بيت واحد الخليل ؛ فقال :

صف خلق خُودٍ كمثل الشمس إذ بزغت
يحظى الضجيع بها ؛ نجلاء معطارُ

قيل : كان عند رَجُلٍ دواء لظُلمة العين ينتفع به الناس ؛ فمات وأضرَّ ذلك بمن كان يستعمله ؛ فقال الخليل بن أحمد : ألهُ نُسخةٌ معروفةٌ ؟ ؛ قالوا : لم نجد نُسخته !! ؛ قال : فهل له آنيةٌ يعمله فيها ؟ ؛ قالوا : نعم ؛ إناءٌ كان يجمع

الأخلاط فيه ؛ قال : فجيئونى به ؛ فجعل يشُمُّهُ ويُخرج نوعاً نوعاً ؛ حتى ذكر خمسة عشر نوعاً ؛ ثم سأل عن جمعها ومقدارها ؛ فعرف ذلك ممن يعالج مثله ؛ فعمله ؛ فأعطاه الناس ؛ فانتفعوا به مثل تلك المنفعة ؛ ثم وُجِدَت النُّسخة فى كُتُبِ الرَّجُل ؛ فوجدوا الأخلاط ستة عشر خلطاً كما ذكر الخليل ؛ لم يغفل منها إلا خلطاً واحداً !!.

وقال الخليل : كُنتُ أخرج من منزلى ؛ فألقى رَجُلاً من أربعة : رَجُلاً أعلم منِّى فهو يؤمُ فائدتى ؛ ورجُلاً مثلى فهو يؤم مُذاكرتى ؛ ورجُلاً مُتعلِّماً منى فهو يؤم ثوابى ؛ ورجُلاً دُونى فى الحقيقة ؛ وهو يرى أنه فوقى ؛ ويحُاول أن يتعلَّم منى ؛ وكأنه يُعلِّمُنى !! ؛ فذاك الذى لا أُكلِّمهُ ولا أنظر إليه .

وقال : الرجال أربعة :

رَجُلٌ يدرى ؛ ويدرى أنه يدرى ؛ فذاك عالمٌ ؛ فاتَّبعوه .

ورَجُلٌ يدرى ؛ ولا يدرى أنه يدرى ؛ فذاك غافلٌ ؛ فنبِّهُوه .

ورَجُلٌ لا يدرى ؛ ويدرى أنه لا يدرى ؛ فذاك جاهلٌ ؛ فعلِّموه .

ورَجُلٌ لا يدرى ؛ ولا يدرى أنه لا يدرى ؛ فذاك مائقٌ ؛ فاحذروه .

وقال الخليل : تكلَّم أربعة أملاك بأربع كلمات كأنها رميةٌ واحدةٌ :

قال كسرى : أنا على ردِّ ما لم أقل أقدر منِّى على ردِّ ما قُلت .

وقال قيصر : لا أندم على ما لم أقل ؛ وقد أندم على ما قُلت .

وقال ملك الصين : إذا تكلّمت بالكلمة ملكتنى ؛ وإذا لم أتكلّم بها ملكتها .

وقال ملك الهند : عجبت لمن يتكلّم بالكلمة ؛ إن وقعت عليه ضرَّته ؛ وإن لم ترفع عليه لم تنفعه !!.

قال الخليل : وطلبت لها نظائر فى أشعار العرب ؛ فوجدت منها فى قول الشاعر :

حبس ما لم أقل علىَّ يسيرٌ
وعسيرٌ رَدُّ الكلام المقولِ

وقال الآخر :

ما لم أقله لم أسعه ندامةً
ومتى أقل يكثر علىَّ تندُّمى

وقال الآخر :

كلامك مملوكٌ إذا لم تفُه بهِ
وتلقاه إن أطلقته لك مالكا

وقال الآخر :

عجبتُ للقائل قولاً هذرا
متى يُشع يُدْن إليك ضررا
وليس بالنافع إمَّا سترا

وقال الخليل: ثلاثةٌ يُنسين المصائب: مرُّ الليالى؛ والمرأة الحسناء؛ ومُحادثة الرِّجَال .

وقال:

وما بقيت من اللذات إلا
محُادثة الرجال ذوى العقولِ
وقد كُنَّا نعُدُّهُمُ قليلاً
فقد أضحوا أقلَّ من القليلِ

كان عبد الله بن الحسن العنبريُّ قاضى البصرة يأتى جاراً له يقول بالنُّجُوم؛ فدخل قلبه شىء؛ فجاء الخليل فسأله؛ فقال له الخليل: أخبرنى عن الحاء من أين مخرجها؟؛ قال: من الحلق؛ قال: فأخبرنى عن الباء من أين مخرجها؟؛ قال: من طرف اللسان؛ قال: أفتقدر أن تخرج هذه من مخرج تلك؟؛ قال: لا؛ قال: قُم فإنك مائق؛ ثم أنشأ يقول:

أبلغا عنِّىَ المُنجِّم أنِّى
كافرٌ بالذى قضته الكواكب
عالمٌ أن ما يكون وما كا
ن فحتمٌ من المُهيمن واجب

وأنشد للخليل:

يقولون لى دار الأحبَّة قد دنت
وأنت كئيبٌ ؛ إن ذا لعجيبُ !!
فقُلتُ وما تُغنى الديار وقُربها
إذا لم يكُن بين القُلُوب قريبُ !!

ورُوىَ: أن سُليمان بن حبيب وجَّه إلى الخليل وهو يومئذٍ والى فارس والأهواز يستدعيه لتأديب ولده ؛ فأخرج الخليل إلى رسوله خُبزاً يابساً ؛ وقال له: كُل ؛ فما عندى غيره ؛ وما دُمت أجده فلا حاجة لى إلى سليمان ؛ وقال:

أبلغ سُليمان أنّى عنه فى سَعَةٍ
وفى غِنَىً غير أنّى لستُ ذا مالِ

سَخَّى بنفسى أنّى لا أرى أحداً
يموتُ جُوعاً ولا يبقى على حالِ
؛ وإنَّ بَيْنَ الغِنَى والفقرِ منزلةً
مخطُومةً بجديدٍ ليس بالبالى

والـرِّزْقُ عـن قَـدَرٍ لا العجز يُنقِصهُ

.. ؛ ولا يزيـدك فيـه حـولُ مُحتـالِ

.. ؛ إن كـان ضنَّ سُـليمـانٌ بنـائلـهِ

.... ؛ فالله أفضل مسؤولٍ لسُؤالِ

والفقرُ فى النَّفس لا فى المال نعرفهُ

ومثل ذاك الغنى فى النَّفس لا المالِ

قيل :

قطع سُليمان جارياً كان يجُريه عليه ؛ فقال الخليل :

إن الذى شقَّ فمى ضامنٌ

للـرزق حتَّى يتـوفَّانى

حـرمتنى خيراً قليـلاً فما

زادك فى مالك حرمانى

فبلغت سليمان ؛ فأقامته وأقعدته !! ؛ وكتب إلى الخليل يعتذر إليه ؛ وأضعف جاريه ؛ فقال الخليل :

وزلـةٌ يُكثـر الشيـطـانُ إن ذُكِـرَت

منها التعجُّبَ .... ؛ جاءت من سُليمانا

. ؛ لا تعجبنَّ لخيرٍ زلَّ عن يدهِ

فالكوكبُ النَّحْسُ يسقى الأرض أحيانا

وله :

اعمل بعلمى ولا تنظر إلى عملى

ينفعك علمى ؛ ولا يضررك تقصيرى

حدَّث علىُّ بن نصر الجهضمىُّ ؛ قال :

رأيت الخليل بعدما مات فى النَّوم ؛ فقُلتُ له : ما صنع الله بك ؟ ؛ قال : رأيت ما كُنَّا فيه لم يكُن شيئاً !! ؛ وما وجدت أفضل من : ((سُبحان الله ؛ والحمد لله ؛ والله أكبر)) .

قيل : وكان الخليل يُحِبُّ أن يرى عبد الله بن المقفع ؛ وكان عبد الله يُحِبُّ ذلك ؛ فجمعهما عبَّاد بن عبَّاد المُهلبىُّ ؛ فتحادثا ثلاثة أيام ولياليهن ؛ ثم افترقا !! .

فقيل للخليل : كيف رأيت ابن المقفع ؟ ؛ فقال : ما رأيت مثله قط !! وعلمه أكثر من عقله !! .

وقيل لابن المُقفَّع : كيف رأيت الخليل ؟ ؛ فقال : ما رأيت قط مثله !! ؛ وعقله أكثر من علمه !!.

وصدق فى ذلك ؛ أدَّى عقلُ الخليل إلى أن مات وهو أزهد الناس ؛ وأدَّى جهل ابن المُقفَّع إلى أن قُتِل !!.

وَسُئِلَ الخليل ؛ فقيل له : ما الجود ؟ ؛ قال : بذل الموجود ؛ قيل : فما الزُّهد ؟ ؛ قال : ألا تطلب المفقود حتى يُفقد الموجود .

وقال الخليل : الناس فى سجنٍ ما لم يتمازحوا .

وكان يقول :

إذا نُسِخَ الكتاب ثلاث مرَّات ؛ ولم يُقابل : انقلب بالفارسيَّة !!.

وله ـ وقد لامه قومه على كثرة الحلم ـ :

سأُلزم نفسى الصفح عن كُلِّ مُجُرِمٍ
؛ وإن كثُرت منهم إلىَّ الجرائمُ
..... ؛ فما أنا إلا واحدٌ من ثلاثةٍ
شريفٌ ؛ ومشروفٌ ؛ ومثلٌ مُقاومُ
فأما الذى فوقى فأعرف قدرهُ
؛ وأتبع فيه الحقَّ ؛ والحقُّ قائمُ
وأمَّا الذى مثلى ؛ فإن زلَّ أو هفا
تفضَّلْتُ .. ؛ إنَّ الفضل للحُرِّ لازمُ

وأما الذى دُونى ؛ فإن قال صُنْتُ عن
إجابته نفسى ..... ؛ وإن لام لائمُ

مولد الخليل سنة مائة ؛ وتُوفِّى سنة خمس وسبعين ومائة .

قيل :

أقام الخليل فى خُصٍّ من أخصاص البصرة لا يقدر على فلسين ؛ وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال !! .

ولقد سمعه النضر بن شُميل يقول : إنِّى لأُغلق علىَّ بابى ؛ فما يُجاوزه همِّى . !!.

وقد رُوى فى سبب وضع الخليل كتاب العروض ؛ ما ذكره عبد الله بن المُعتز :

أن الخليل مرَّ فى سكّة القصَّارين فى البصرة ؛ فسمع دقَّ الكوادين بأصواتٍ مُختلفةٍ ؛ فوقف يسمع اختلافه ؛ ثُمَّ قال : والله لأصنعنَّ على هذا المعنى علماً غامضاً ؛ فوضع العروض .

وحدَّث النضر بن شُميل ؛ قال : كان أصحاب الشعر يَمُرُّون بالخليل ؛ فيتكلَّمون فى النحو ؛ فقال الخليل : لابُدَّ لهم من أصل ؛ فوضع العروض .

وخلا فى بيتٍ ؛ ووضع بين يديه طستاً أو ما أشبه الطست ؛ فجعل يقرعه بعودٍ ؛ ويقول : فاعلن مُستفعلن فعولن ؛ قال : فسمعه أخوه ؛ فخرج إلى

المسجد ؛ فقال : إن أخى قد أصابه جُنُون !! ؛ فأدخلهم عليه وهو يضرب الطست ؛ فقالوا : يا أبا عبد الرحمن !! ؛ ما لك ؟!! ؛ أصابك شىء ؟!! ؛ أتحب أن نُعالجك ؟!! .

فقال : وما ذاك ؟!!

قالوا : أخوك زعم أنك قد خولطت !!

فأنشأ يقول :

لو كُنتَ تعلم ما أقولُ عذرتنى

أو كُنتُ أجهل ما تقول عذلتكا

لكن جهلت مقالتى فعذلتنى

؛ وعلمتُ أنَّكَ جاهلٌ فعذرتكا !!

قال أبو محمد اليزيدىُّ :

قصدت الخليل فى بعض الأيَّام ؛ فلما دخلت عليه ؛ ألفيته جالساً على طنفسةٍ صغيرةٍ ؛ فأوسع لى ؛ فكرهت التضييق عليه ؛ فقال : لا يضيق سُمُّ الخياط مع مُتحابين ؛ ولا تسع الدُّنيا مُتباغضين ؛ وأنشد :

ما اتسعت أرضٌ إذا كان من

تُبغض فى شىءٍ من الأرضِ

كتب سُليمان بن حبيب إلى الخليل : أن اكتُب لى النحو فى ثلاث كلمات ؛ ولا تزد عليها ؛ فكتب إليه :

الرفع موسومٌ بالوصف ؛ والخفض مجرور الإضافة ؛ وما لا سبيل إليه فهو نصب .

وأنشد للخليل :

ما ازددت فى أدبى حرفاً أُسَرُّ بِهِ
؛ إلاّ تزيَّدتُ حرفاً تحته شُومُ
إنَّ المُقدَّمَ فى حِذْقٍ بصنعتهِ
أنَّى توجَّه فيها فهو محرُومُ

وقال الخليل : من أخطأته المنايا ؛ قيدته الليالى والسُّنُون .

حدَّث الخليل بن أحمد ؛ قال :

اجتزت فى بعض أسفارى براهبٍ فى صومعةٍ ؛ فدققت عليه والمساء قد أزفت جداً وقد خِفْتُ من الصحراء ؛ وسألته أن يُدخلنى ؛ فقال : من أنت ؟!!! قُلْتُ : أنا الخليل بن أحمد ؛ فقال : أنت الذى يزعمه الناس وجهاً واحداً فى العلم بأمر العرب ؟!!! ؛ فقُلْتُ : كذا يقولون ؛ ولست كذلك !! ؛ فقال : إذا أجبتنى عن ثلاث مسائل جواباً مُقنعاً فتحت لك البابَ وأحسنت ضيافتك ؛

وإن لم تجب لم أفتح لك ؛ قُلْتُ : وما هى ؟!! .

قال : ألسنا نستدلُّ على الغائب بالشاهد ؟

فقلتُ : بلى .

قال : فأنت تقول : الله عَزَّ وَجَلَّ ليس بجسمٍ ولا عَرَض ؛ ولا نرى شيئاً بهذه الصفة ؟!!

وأنت تزعُمُ أن الناس فى الجنَّة يأكلون ويشربون ؛ ولا يتغوَّطُون ؛ وأنت لم تر آكلاً شارباً إلاَّ مُتغوِّطاً ؟!!

وأنت تقول : إن نعيم أهل الجنَّة لا ينقضى ؛ وأنت لم تر شيئاً إلا مُنقضياً ؟!!

قال : فقُلتُ له : بالشاهد الحاضر استدللت على ذلك كُلِّه :

أما الله تعالى ؛ فإنما استدللت عليه بأفعاله الدالَّة عليه ؛ ولا مثل له ؛ وفى الشاهد مثل ذلك ؛ وهى الرُّوح التى فيك وفى كُلِّ حيوان ؛ تعلم أنك تُحسُّ بها تحت كُلِّ شعرةٍ منها ؛ ونحن لا ندرى أين هى ؛ ولا كيف هى ؛ ولا ما صفتها ؛ ولا جوهرها ؛ ثم ترى الإنسان يموت إذا خرجت ؛ ولا يحسُّ بشىءٍ خرج منه ؛ وإنما استدللنا عليها بأفعالها وبحركاتها ؛ وتصرُّفنا بكونها فينا .

وأما قولك إن أهل الجنَّة لا يتغوَّطون مع الأكل :

فالشاهد لا يمنع ذلك ؛ ألا ترى الجنين يغتذى فى بطن أُمِّه ولا يتغوَّط ؟!!

وأما قولك : إن نعيم أهل الجنَّة لا ينقضى مع أن أوله موجود :

فإنا نجد أنفسنا نبتدىء الحساب بالواحد ؛ ثم إذا أردنا ألا ينقضى إلى ما لا نهاية له لم نكرره ؛ وأعداده تضعيفه إلى انقضائها .

قال : ففتح لى الباب ؛ وأحسن ضيافتى .

قال المُؤلِّف :

هذا الجواب كما شرط الراهبُ : إقناعىٌّ ؛ لا قطعىٌّ .

وكان سُفيان الثورىُّ يقول : من أحبَّ أن ينظر إلى رَجُلٍ خُلِقَ من الذهب والمسك ؛ فلينظر إلى الخليل بن أحمد !!.

ويُروى عن النضر بن شُميل أنه قال :

كنا نميل بين ابن عون والخليل بن أحمد : أيهما نُقدِّم فى الزُّهد والعبادة ؛ فلا ندرى أيهما نُقدِّم .

وكان يقول :

ما رأيت رَجُلاً أعلم بالسُّنَّة بعد ابن عون من الخليل بن أحمد .

وكان يقول :

أُكِلَت الدُّنيا بعلم الخليل بن أحمد وكُتبه ؛ وهو فى خُصٍّ لا يُشْعَرُ به !!.

...... ؛ تُوفِّىَ سنة ستين ومائة ـ وقيل : سبعين ومائة ـ ؛ وله أربعٌ وسبعون سنة .﴾ .أهـ .

.....

۞ ـ ابْنُ الْمُطَرِّز

قَالَ الثَّعَالِبِيُّ فِي «يتيمة الدهر» ؛ (جـ 5/73 ـ 74) :

﴿ ـ ابْنُ الْمُطَرِّز :

وَهُوَ الْيَوْم بَقِيَّة الشُّعَرَاء بِبَغْدَاد ؛ ويُكنى أَبَا القَاسِم ؛ واسْمه : عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد .

أَنْشدنى أَبُو الْفضل عبد الْوَاحِد بن مُحَمَّد البَغْدَادِيُّ التَّمِيمِيُّ ؛ قَالَ : أَنشدنى ابْنُ الْمُطَرِّز لنَفسِهِ من قصيدةٍ :

سَرَى مُغرماً بالعيش يفتجع الرَّكْبَا
يُسائلُ عَن بدر الدُّجَى الشرق والغربا
..... ؛ إِذا لم تُبلغنِّى إِلَيْكُم ركائبى
فَلا وَردت مَاءً ؛ وَلا رعت العُشْبَا
على عذبات الْجزع من مَاء تغلبٍ
. ؛ غزالٌ يرى مَاء الْقُلُوب لَهُ شِرْبَا
.... ؛ إِذا مَلأَ البَدْر العُيُون فَإِنَّهُ
.. ؛ لعينكَ بدرٌ يملأ العَيْنَ والقَلْبَا

وأنشدنى أبو يعلى البَصْرِيُّ لَهُ من أُخْرَى :

يَا صَاحِبىَّ بأعـلام الْـمَدِينَـة لى

؛ ظَبْىٌ إِذا أَنَسَت عَيْنِى بِهِ نَفِـرَا

لَوْلا احتشامىَ مِنْـهُ حِين يلحظنى

.... ؛ إِذا تـأَمَّلتـهُ أفنيتـه نَظَرَا

؛ إِذا تَبَسَّم واستـجلى محاسنهُ

طرفِى خلعت عَلَيْهِ السَّمع والبصرا

فَإِن رَنَا قُلْتُ عَن عين الغزال رَنَا

وَإِن مَشى قُلْتُ غُصْنٌ يحمل القمرا

... ؛ وَله أَيْضا :

سَلامٌ على بَغْدَاد من كُلِّ بَلْدَةٍ

وَحُقٌّ لَهَا منِّى سَلامٌ مُضاعفُ

لعمرُك مَا تركى لَهَا عَن قلى لَهَا

وَإِنِّى بحُسنى جانبيها لعارفُ

وَلكنَّهَا ضَاقَت عَلىَّ برحبها

وَلم تكُن الأرزاق فِيهَا تُساعِفُ

فَكَانَت كَخِلٍّ كُنتُ أهوى دُنُوَّهُ
. ؛ وأخلاقه تنأى بِهِ وتُخالفُ

﴾ .أهـ .

.....

۞ ـ أَبُو الحُسَيْن أَحْمَدُ بْنُ فَارِس اللُّغَوِيُّ

ترجم لهُ الشَّيْخُ أبو منصور الثعالبيُّ ((ت 429هـ)) فى ((يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر)) ؛ (جـ 3/ 463 ـ 470) ـ باختصار ـ ؛ قَال :

﴿ ـ أَبُو الْحُسَيْن أحْمد بن فَارس بن زَكَرِيَّا ؛ الْمُقِيم ؛ كَانَ بهمذان ؛ من أَعْيَان العلم ؛ وأفراد الدَّهْر ؛ يجمع : إتقان العُلمَاء ؛ وظرف الكُتَّاب وَالشُّعرَاء .
وَهُوَ بِالْجَبَلِ : كَابْنِ لنكك بالعراق ؛ وَابْن خالويه بِالشَّام ؛ وَابْن العلاَّف بِفَارِس ؛ وَأبى بكر الْخَوَارِزْمِيِّ بِخُراسان .
وَله كُتُبٌ بديعةٌ ؛ ورسائلُ مُفيدةٌ ؛ وأشعارٌ مليحةٌ ؛ وتلامذةٌ كَثِيرَةٌ ؛ مِنْهُم : بديع الزَّمَان .
وَأنا أكتب من رِسَالَةٍ لأبى الْحُسَيْن كتبهَا لأبى عَمْرو مُحَمَّد بن سعيد الكَاتِب فصلاً فِى نِهَايَة الملاحة يُنَاسب كتابى هَذَا فِى محَاسِن أهل العَصْر ؛ ويتضمَّن أنموذجاً من مُلَحِ شُعراء الجَبَل وَغَيرهَا من العصريين وظرف

أخبارهم ؛ كَأَبى مُحَمَّد القزْوِينِىِّ ؛ وَابْنِ الرياشىِّ ؛ والهمذانىِّ الْمُقِيم بشيراز ؛ وَابْن الْمَنَاوِىِّ ؛ وَأَبى عبد الله المغسلىِّ المراغىِّ ؛ وَغَيرهم ؛ ثُمَّ أُورِدُ مَا وَقع إِلَىَّ من مُلَحِ أبى الْحُسَيْن إِن شَاءَ الله تَعَالَى .

- الْفَصْل من الرسَالَة الْمَذْكُورَة :

ألهمك الله الرَّشاد ؛ وأصحبك السَّداد ؛ وجنَّبك الْخلاف ؛ وحبَّبَ إِلَيْكَ الإِنْصَاف ؛ وَسَبَبُ دُعائى بِهَذَا لَك : إنكارك على أبى الحسن مُحَمَّد بن عَلىٍّ العجلِىِّ تأليفه كتاباً فِى الحماسة ؛ وإعظامك ذَلِك ؛ وَلَعَلَّه لَو فعل حَتَّى يُصِيب الغَرَض الَّذِى يُريدهُ ؛ وَيَرِد المنهل الَّذِى يَؤمُّهُ ؛ لاستدرك من جيِّد الشِّعْر ونقيِّه ومُخْتاره ورضيِّه كثيراً مِمَّا فَاتَ الْمُؤلِّف الأوَّل ؛ فَمَاذَا الإِنْكَار ؟!! وَلِمَ هَذَا الإعتراض ؟!! وَمن ذَا حظر على الْمُتَأَخِّر مُضادة الْمُتَقَدِّم ؟!! ولمه تَأْخُذ بقول من قَالَ : مَا ترك الأول للآخر شَيْئاً ؛ وَتَدَع قَول الآخر : كم ترك الأول للآخر ؟!! ؛ وَهل الدُّنيَا إِلاَّ أزمان ؛ وَلكُلِّ زمَان مِنْهَا رجال ؟!! ؛ وَهل العُلُوم بعد الأُصُول المحفوظة إِلاَّ خطرات الأوهام ونتائج العُقُول ؟!! ؛ وَمن قَصَرَ الآدَاب على زمَانٍ مَعْلُومٍ ؛ ووقفها على وَقتٍ مَحْدُودٍ ؟!! ؛ ولمه لا ينظر الآخر مثل مَا نظر الأوَّل حَتَّى يُؤلِّف مثل تأليفه ؛ وَيجمع مثل جمعه ؛ وَيرى فِى كل ذَلِك مثل رَأيه ؟!! ؛ وَمَا تَقول لفُقهاء زَمَانَنَا إِذا نزلت بهم من نَوَادِر الأَحْكَام نازلةٌ لم تخطر على بَال من كَانَ قبلهم ؟!! ؛ أومَا علمت أن لكُلِّ

قلبٍ خاطراً ؛ وَلِكُلِّ خاطرٍ نتيجة ؟!!! ؛ ولِمَ جَازَ أن يُقَال بعد أبي تَمَّام مثل شعره ؛ وَلم يجُز أن يُؤلَّف مثل تأليفه ؟!!! ؛ ولمه حجرت وَاسِعاً ؛ وحظرت مُبَاحاً ؛ وَحرَّمت حَلالاً ؛ وسددت طَرِيقاً مسلوكاً ؟!!! ؛ وَهل حبيبٌ إلاَّ وَاحِدٌ من الْمُسلمين لَهُ مَا لَهُم وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِم ؟!!! ؛ وَلم جَازَ أن يُعَارض الفُقَهَاء فِي مُؤلَّفاتهم ؛ وَأهل النَّحْو فِي مُصنَّفاتهم ؛ والنُّظَّار فِي موضوعاتهم ؛ وأرباب الصناعات فِي جَمِيع صناعاتهم ؛ وَلم يجز مُعَارضَة أبي تَمَّام فِي كتابٍ شَذَّ عَنهُ فِي الأَبْوَاب الَّتِي شرعها فِيهِ أمرٌ لا يُدْرك وَلا يُدْرى قدره؟!!! ؛ وَلَو اقْتصرَ النَّاسُ على كُتُبِ القُدماء ؛ لضاع علمٌ كثيرٌ ؛ ولذهب أدبٌ غزيرٌ ؛ ولضلَّت أفهامٌ ثاقبةٌ ؛ وَلَكَلَّت أَلْسُنٌ لَسِنَةٌ ؛ وَلَمَّا توشَّى أحدٌ الخطابة ؛ وَلا سلك شِعْبَاً من شِعَابِ البلاغة ؛ وَلَمجَّت الأسماع كُلَّ مُرَدَّدٍ مُكَرَّرٍ ؛ وللفظت القلوب كل مُرَجَّعٍ مُمَضَّغٍ .

... ؛ وَهَذِه مُلَحٌ من شعر أبي الْحُسَيْن بن فَارس :

مِنْهَا قَوْله فِي الشَّكوى :

سَقَى هَمَذَانَ الغَيْثُ لَسْتُ بِقَائِلٍ
سِوَى ذَا وَفِي الأَحْشَاءِ نَارٌ تَضَرَّمُ
وَمَا لِيَ لا أُصْفِي الدُّعَاءَ لِبَلْدَةٍ
أَفَدتُ بهَا نِسْيَانَ مَا كُنْتُ أَعْلَمُ ؟!!!

نَسِيتُ الَّذِى أَحْسَنْتُهُ غَيْرَ أَنَّنِى
مَدِينٌ وَمَا فِى جَوْفِ بَيْتِىَ دِرْهَمُ !!

وَقوله :

وَقَالُوا كَيْفَ حَالُكَ قُلْتُ خَيْرٌ
تُقَضَّى حَاجَةٌ ؛ وَتَفُوتُ حَاجُ
إِذَا ازْدَحَمَت هُمُومُ الصَّدْرِ قُلْنَا
عَسَى يَوْمَاً يَكُونُ لَهَا انْفِرَاجُ
نَدِيمِى هِرَّتِى ؛ وَأَنِيسُ نَفْسِى
دَفَاتِرُ لِى ؛ وَمَعْشُوقِى السِّرَاجُ

وَقوله :

اسْمَع مَقَالَةَ نَاصِحٍ
جَمَعَ النَّصِيحَةَ وَالمِقَهْ
إِيَّاكَ وَاحْذَرْ أَن تَبِيتَ مِنَ الثِّقَاتِ عَلَى ثِقَهْ

وَقوله :

إِذَا كُنْتَ فِى حَاجَةٍ مُرْسِلاً ؛ وَأَنْتَ بِهَا كَلِفٌ مُغْرَمُ
فَأَرْسِل حَكِيماً وَلا تُوصِهِ وَذَاكَ الْحَكِيمُ هُوَ الدِّرْهَمُ

وَقَوله :

عَتَبْتُ عَلَيْهِ حِينَ سَاءَ صَنِيعُهُ   وَآلَيْتُ لا أَمْسَيْتُ طَوْعَ يَدَيْهِ
فَلَمَّا خَبِرْتُ النَّاسَ خُبْرَ مُجَرِّبٍ   وَلَـم أَرَ خَيْراً مِنْهُ عُدتُ إِلَيْهِ

أخذه من قَول الْقَائِل :

عَتَبْتُ عَلَى سَلْمٍ ؛ فَلَمَّا هَجَرْتُهُ
وَجَرَّبْتُ أَقْوَامَاً ؛ رَجَعْتُ إِلَى سَلْمِ . ﴾ .

وفى «المُسْتَفَاد مِن تَارِيخ بَغْدَاد » لابْنِ الدِّمْيَاطِيِّ ؛[جـ 21/ 46 ؛ رَقَمُ التَّرْجَمَة : 43]:

﴿ قال : كان الصاحب بن عبَّاد يقول : شيخنا أبو الحسين بن فارس : رُزِقَ التصنيف ؛ وَأَمِنَ من التصحيف .

وله من التصانيف :

ـ المجمل فى اللغة .

ـ وكتاب : مُتخيَّر الألفاظ .

ـ وكتاب : فقه اللغة .

ـ وكتاب : غريب إعراب القُرآن .

يُقال : إن أبا الحسين بن فارس كان بقزوين يُصنِّف فى كُلِّ ليلة جمعة كتاباً ؛ ويبيعه يوم الجمعة قبل الصَّلاة ؛ ويتصدَّق بثمنه ؛ فكان هذا دأبه !! .

توفِّى بالرَّى فى صفر سنة خمس وتسعين وثلاثمائة .

رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .﴾ .

وذكرهُ ياقُوت الحمويُّ فى «مُعجم الأُدباء» ؛(جـ 1 / 410 - 418) ؛

وَإِلَيْكَ المُستَفَادُ مِن هَذِهِ التَّرْجَمَة :

« أحمد بن فارس بن زكريا اللغويُّ

وقال ابن الجوزيّ : أحمد بن زكريا بن فارس ؛ ولا يُعاج به .

مات سنة تسع وستين وثلاثمائة ؛ وقال قبل وفاته بيومين :

يَا رَبِّ إِن ذُنُوبِى قَد أَحَطتَ بِهَا
عِلْـمَاً وَبِى وَبِإِعْلانِى وَإِسْرَارِى
أَنَا الـمُوحِّـدُ لَكِنِّى الـمُقِرُّ بِهَا
فَهَب ذُنُوبِى لِتَوْحِيدِى وَإِقْرَارِى

وَوُجِدَ بخط الحُميديِّ : أن ابن فارس مات فى حدود سنة ستين وثلاثمائة ؛ وكُلٌّ منهما لا اعتبار به ؛ لأنى وجدت خطَّ كَفِّهِ على (كتاب تتمة الفصيح) من تصنيفه ؛ وقد كتبه فى سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة .

وذكره الحافظ السِّلَفِيُّ فى (شرح مُقدِّمة معالم السُّنن) للخطَّابى ؛ فقال : أصله من قزوين .

وقال غيره: أخذ أحمد بن فارس عن أبى بكر أحمد بن الحسن الخطيب راوية ثعلب؛ وأبى الحسن علىٍّ بن إبراهيم القطَّان؛ وأبى عبد الله أحمد بن طاهر المُنَجِّم؛ وعلىٍّ بن عبد العزيز المكىٍّ صاحب أبى عُبَيْد؛ وأبى القاسم سُليمان بن أحمد الطبرانىٍّ.

وكان ابن فارس يقول: ما رأيت مثل أبى عبد الله أحمد بن طاهر؛ ولا رأى هو مثل نفسه.

وكان كريماً جواداً؛ لا يُبقى شيئاً؛ وربما سُئِلَ فوهب ثياب جسمه وَفَرْشَ بيته.

وله من التصانيف:

- كتاب: المُجمل.
- وكتاب: مُتخيَّر الألفاظ.
- كتاب: فقه اللغة.
- كتاب: غريب إعراب القُرآن.
- كتاب: تفسير أسماء النَّبِىٍّ عَلَيْهِ السَّلام.
- كتاب مُقدِّمة نحو.
- كتاب: دارات العرب.
- كتاب: حلية الفُقهاء.

ـ كتاب: الفرق .

ـ كتاب: مُقدِّمة الفرائض .

ـ كتاب: ذخائر الكلمات .

ـ كتاب: شرح رسالة الزُّهرىِّ إلى عبد الملك بن مروان .

ـ كتاب: الحجر .

ـ كتاب: سيرة النَّبىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ كتابٌ صغير الحجم ـ .

ـ كتاب: الليل والنهار .

ـ كتاب: العَمُّ والخال .

ـ كتاب: أُصُول الفقه .

ـ كتاب: أخلاق النَّبىِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ .

ـ كتاب: الصاحبىُّ ـ صنَّفهُ لخزانة الصاحب ـ .

ـ كتاب: جامع التأويل فى تفسير القرآن ـ أربع مُجلَّدات ـ .

ـ كتاب: الشيات والحُلى .

ـ كتاب: خلق الإنسان .

كتاب: الحماسة المُحدثة .

ـ كتاب: مقاييس اللُّغة ـ وهو كتابٌ جليلٌ لم يُصنَّف مثله ـ .

ـ كتاب: كفاية المتعلمين فى اختلاف النحويين .

... ؛ قال يحيى بن منده الأصبهانيُّ : سمعت عمِّي عبد الرحمن بن محمد بن العبديّ يقول : سمعت أبا الحسين أحمد بن زكريا بن فارس النحويّ يقول : دخلت بغداد طالباً للحديث ؛ فحضرت مجلس بعض أصحاب الحديث وليست معي قارورة ؛ فرأيت شابّاً عليه سِمَة جمال ؛ فاستأذنته في كَتْبِ الحديث من قارورته ؛ فقال :

من انبسط إلى الإخوان بالاستئذان ؛ فقد استحقَّ الحرمان !! .

قال عبد الرحمن بن منده : وسمعت ابن فارس يقول : سمعت أبا أحمد بن أبي التيار يقول : أبو أحمد العسكريُّ يكذب على الصوليِّ ؛ مثلما كان الصوليُّ يكذب على الغلابيِّ ؛ مثلما كان الغلابيُّ يكذب على سائر الناس .

وجدت على نُسخةٍ قديمةٍ بكتاب (المُجمل) من تصنيف ابن فارس ما صورته : ... ؛ وكتبه مجمع بن محمد بن أحمد بخطِّه في شهر ربيع الأول سنة ست وأربعين وأربعمائة .

وكان في آخر هذا الكتاب ما صورته أيضاً : قضى الشيخ أبو الحسين أحمد ابن فارس رَحِمَهُ الله : في صفر سنة خمس وتسعين وثلاثمائة بالرَّي ؛ وَدُفِنَ بها مُقابل مشهد قاضي القُضاة أبي الحسن عليِّ بن عبد العزيز - يعني الجرجانيِّ - .» .

وترجم لهُ جمال الدِّين القفطيُّ « ت 646هـ » في « إنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة » ؛ (جـ 1/ 127 ـ 130) ؛ ومِمَّا جاء فيه :

﴿ من أعيان أهل العلم ؛ وأفراد الدهر .

ولابن فارس شعرٌ جميلٌ ؛ ونثرٌ نبيلٌ .

وذكره أبو الحسن الباخرزيُّ ؛ وسجَّع له ؛ فقال :

(أبو الحسين بن فارس : إذا ذُكِرَت اللغة فهو صاحب مجملها ؛ لا ؛ بل صاحبها المجمل لها ؛ وعندى أن تصنيفه ذلك من أحسن ما صُنِّفَ فى معناها ؛ وأن مُصنِّفها إلى أقصى غايةٍ من الإحسان تناهى .) .

ورأيت ترجمةً لأحمد بن فارس فى بعض تصانيف المُتأخِّرين ؛ وقد لقفها من أماكن مُتعدِّدة ؛ فنقلتها على صورتها ؛ وهى :

(أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب ؛ أبو الحسين الرَّازى ؛ وقيل : القزوينىّ الزهراوىّ الأشتاجردىّ .

واختلفوا فى وطنه ؛ فقيل : كان من قزوين ؛ ولا يصح ذلك ؛ وإنما قالوه لأنه كان يتكلَّم بكلام القزاونة .

وقيل : كان من رُستاق الزهراء ؛ من القرية المدعوَّة كرسف جياناتاذ .

كان واسع الأدب ؛ مُتبحِّراً فى اللغة العربيَّة ؛ فقيهاً شافعيَّاً ؛ وكان يُناظر فى الفقه ؛ وكان ينصر مذهب مالك بن أنس .

وطريقته فى النحو طريقة الكوفيين ؛ وإذا وجد فقيهاً أو مُتكلِّماً أو نحويَّاً : كان يأمر أصحابه بسؤالهم إيَّاه ؛ ويُناظره فى مسائل من جنس العلم الذى يتعاطاه ؛ فإن وجده بارعاً جَدِلاً ؛ جَرَّهُ فى المُجادلة إلى اللغة ؛ فيغلبه بها ؛ وكان يحُثُّ الفُقهاء دائماً على معرفة اللغة ؛ ويُلقى عليهم مسائل ؛ ذكرها فى كتابٍ سمَّاه (كتاب فُتيا فقيه العرب) ؛ ويخُجلهم بذلك ؛ ليكون خجلهم داعياً إلى حفظ اللغة ؛ ويقول : من قَصَّرَ علمه عن اللغة ؛ وغُولِط ؛ غلط) .

قال أبو عبد الله الحُميدىُّ : سمعت أبا القاسم سعد بن على بن محمد الزَّنجانىّ يقول : كان أبو الحسين أحمد بن فارس الرَّازىّ من أئمَّة أهل اللغة فى وقته ؛ مُحتجَّاً به فى جميع الجهات غير مُنازعٍ ؛ مُنجباً فى التعليم ؛ ومن تلاميذه : بديع الزمان الهمذانىّ ؛ وغيره .

وأصله من همذان ؛ ورحل إلى قزوين إلى أبى الحسن إبراهيم بن علىٍّ بن إبراهيم بن سلمة بن فخر : الإمام الفقيه الجليل الأوحد فى العلوم ؛ فأقام هُنالك مُدَّةً .

ورحل إلى زنجان إلى أبى بكر أحمد بن الحسن بن الخطيب راوية ثعلب ؛ ورحل إلى ميانج .

ومن شيوخه : أحمد بن طاهر بن المُنجِّم أبو عبد الله .

وكان أبو الحسين بن فارس يقول عن أبى عبد الله هذا : إنه ما رأى مثله ؛ ولا رأى هو مثل نفسه .

واستوطن أبو الحُسين الرَّىَّ بأخرةٍ ؛ وكان سبب ذلك : أنه حُمِلَ إليها من همذان ؛ ليقرأ عليه مجد الدولة أبو طالب بن فخر الدولة ؛ فسكنها ؛ واكتسب مالاً ؛ وبلغ ذلك بتعليمه من النجابة مبلغاً مشهوراً .

وكان ابن فارس كريم النَّفس ؛ جواد اليد ؛ لا يكاد يَرُد سائلاً حتى يهب ثيابه وفرش بيته ؛ ومن رُؤساء أهل السُّنَّة المُجَوِّدين على مذهب أهل الحديث .

وتوفِّى بالرَّى فى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ؛ وَدُفِنَ مُقابل مشهد القاضى علىٍّ بن عبد العزيز الجرجانىِّ ـ رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى ـ .

... ؛ وله مُقَطَّعَاتٌ مُتعدِّدةٌ من الشِّعر ؛ تُوجد فى كتب من صنَّف أخبار الشُّعراء . ﴾ .

وترجم لهُ ابنُ خَلِّكان فى « وفيات الأعيان » ؛ (جـ 1/ 118 ـ 120) ؛ ومما قالهُ هُناك :

﴿كان إماماً فى عُلُومٍ شتَّى ؛ وخُصوصاً اللغة ؛ فإنه أتقنها ؛ وألَّف كتابه (المجمل) في اللغة ؛ وهو على اختصاره جمع شيئاً كثيراً ؛ وله كتاب (حلية الفقهاء) ؛ وله رسائل أنيقة ؛ ومسائل فى اللغة ؛ وَيُعَايِى بها الفقهاء ؛ ومنه اقتبس الحريرىُّ صاحب المقامات ـ الآتى ذكره إن شاء الله تعالى ـ ذلك

الأسلوب ؛ ووضع المسائل الفقهيَّة فى المقامة الطيبة ؛ وهى مائة مسألة .

وكان مُقيماً بهمذان ؛ وعليه اشتغل بديع الزمان الهمذانىُّ صاحب المقامات.﴾ .

وترجم لهُ الشَّمْسُ الذَّهبىُّ فى «سِيَر أعلام النُّبلاء» ؛ (جـ 12 / 538 - 540) ؛ (رَقَمُ التَّرْجَمَة : 3690) ؛ قَال الشَّيْخ :

« الإِمَامُ ؛ العَلاَّمَةُ ؛ اللُّغَوِىُّ ؛ المُحَدِّثُ : أَبُو الحُسَيْنِ ؛ أَحْمَدُ بنُ فَارسِ بنِ زَكَرِيَّا ابن مُحَمَّدِ بنِ حَبِيبٍ ؛ القَزْوِينِىُّ ؛ المَعْرُوفُ بِالرَّازِىِّ ؛ المَالِكِىُّ ؛ اللُّغَوِىُّ ؛ نَزِيْلُ هَمَذَان ؛ وَصَاحِب كِتَاب (المُجْمَل) .

حَدَّثَ عَن : أَبِى الحَسَنِ عَلِىِّ بنِ إِبْرَاهِيمَ بنِ سَلَمَةَ القَطَّان ؛ وسُليمان بن يَزِيد الفَامِى ؛ وَعَلِىِّ بن مُحَمَّدِ بنِ مِهْرَوَيه - القَزْوِينيين - ؛ وَسَعِيْدِ بن مُحَمَّدٍ القَطَّان ؛ وَمُحَمَّدِ بن هَارُون الثَّقَفِىِّ ؛ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ حَمْدَان الجَلاَّب ؛ وَأَحْمَد بن عُبَيْد - الهَمَذَانيين - ؛ وَأَبِى بَكْرٍ بنِ السُّنِّىِّ الدينورىِّ ؛ وأبى القاسم الطبرانىِّ ؛ وطائفةٍ .

حدَّث عَنْهُ : أَبُو سَهْلِ بنُ زيرك ؛ وَأَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بنُ عِيْسَى ؛ وَعَلِىُّ بنُ القَاسِمِ الخَيَّاط المُقْرِئ ؛ وَأَبُو مَنْصُوْرِ بنُ المُحْتَسِب ؛ وَآخَرُون .

مَوْلِدُهُ بقَزْوِين ؛ وَمَرْبَاهُ بهَمَذَان ؛ وَأَكْثَر الإِقَامَةَ بِالرَّىِّ .

وَكَانَ رَأْسَاً فِي الأَدب ؛ بَصِيْراً بفقهِ مَالِك ؛ مُنَاظِراً ؛ مُتَكَلِّماً عَلَى طريقَةِ أَهْلِ الحَقِّ ؛ وَمَذْهَبُهُ فِي النَّحْوِ عَلَى طريقَةِ الكُوْفِيِّين ؛ جمع إِتْقَانَ العِلْم إِلَى ظَرْفِ أَهْلِ الكِتَابَةِ وَالشِّعر .

وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ وَرسَائِل ؛ وَتَخَرَّجَ بِهِ أَئِمَّةٌ .

وَكَانَ يَتَعَصَّبُ لآل العَمِيْدِ ؛ فَكَانَ الصَّاحِبُ بنُ عَبَّاد يَكْرَهُهُ لذلك ؛ وَقَدْ صنَّف باسمه كِتَاب (الحِجْر) ؛ فَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ قَلِيْلَةٍ .

وَكَانَ يَقُوْلُ : مَنْ قَصُرَ عِلْمُهُ فِي اللُّغَةِ ؛ وغُوْلِطَ ؛ غَلِطَ .

قَالَ سَعْدُ بنُ عَلِيٍّ الزَّنْجَانِيُّ : كَانَ أَبُو الحُسَيْنِ مِن أَئِمَّةِ اللُّغَةِ ؛ مُحْتَجَّاً بِهِ فِي جَمِيعِ الجِهَات غَيْرَ مُنَازِعٍ ؛ رَحَلَ إِلَى الأَوْحدِ فِي العُلُوم أَبِي الحسَن القَطَّان ؛ وَرَحَلَ إِلَى زَنْجَان : إِلَى صَاحِبِ ثَعْلَب أَحْمَد بن الحَسَنِ الخَطِيب ؛ وَرَحَلَ إِلَى مَيَانَج : إِلَى أَحْمَدَ بن طَاهِرِ بن النَّجم ؛ وَكَانَ يَقُوْل : مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ .

قَالَ سَعْدٌ : وَحُمِلَ أَبُو الحُسَيْنِ إِلَى الرَّيِّ ؛ لِيَقْرَأَ عَلَيْهِ مجدُ الدولة ابن فَخر الدَّوْلَة ؛ وَحصَّل بِهَا مَالاً مِنْهُ ؛ وَبرع عَلَيْهِ .

وَكَانَ أَبُو الحُسَيْنِ مِنَ الأَجوَاد ؛ حَتَّى إِنَّهُ يَهَبُ ثِيَابَهُ وَفَرْشَ بَيْتِهِ ؛ وَكَانَ مِن رُءوس أَهْلِ السُّنَّة المُجَرَّدين عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الحَدِيْث .

قَالَ : وَمَاتَ بِالرَّيِّ فِي صَفَرٍ سَنَة خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَثَلاَثِ مائَةٍ .

وَفِيْهَا ورَّخه أَبُو القَاسِمِ بنُ مَنْدَه ؛ وَوَهِمَ مَن قَال : مَاتَ سَنَةَ تِسْعِيْن . ﴾ .

ثُمَّ وقفتُ على ترجمتِهِ بكتاب « التدوين فى أخبار قزوين » لأبى القاسم الرافعىِّ القزوينىِّ « ت 623هـ » ؛ (جـ 2/ 215 ـ 219) ؛ وهى ترجمةٌ نفيسةٌ جِداً ؛ بها ما ليس بسواها ؛ قَالَ الُمصَنِّفُ ـ رَحِمَهُ الله (باختصار) ـ :

« ـ فصل :

ـ أَحْمَدُ بْنُ فارس بْنِ زكريا بْنِ مُحَمَّد بْنِ حبيب ؛ أبو الحُسين ؛ النَّحوىُّ ؛ أحد أئمَّة الأدب المرجوع إليهم فِى بلاد الجبل ؛ مُتقنٌ ؛ حاذقٌ ؛ صنَّف : جامع التأويل ؛ و : مجمل اللغة ؛ و : مقايس اللغة ؛ و : الصاحبىّ فِى فقه اللغة ؛ وفيهما دلالةٌ ظاهرةٌ عَلَى : جودة تصرُّفه ؛ وحُسن نظره ؛ وتمام فقهه .

وصنَّف من الُمختصرات مالا يُحصى .

وُلِدَ بِقَزْوِين ؛ ونشأ بهمدان ؛ وكان أكثر مقامه بالرَّى ؛ وله بِقَزْوِين فِى الجامع صندوقٌ ؛ فيها كُتُبٌ من وقفه سنة إحدى وستين وثلاثمائة ؛ وكان يُناظر فِى الفقه ؛ وينصر مذهب مالك .

سمع الكثير بِقَزْوِين مِن : عَلِىِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مهرويه ؛ وعلىِّ بْنِ إبراهيم القطَّان ؛ وعلىِّ بْنِ عُمر الصيدنانىِّ ؛ ومما سمعه منه : كتاب مكة لأبى الوليد مُحَمَّد بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أَحْمَد الأزرقىِّ ؛ بسماعه من عُبَيْد بْنِ مُحَمَّد بْنِ إبراهيم الكشورىِّ الأزرقىِّ .

وسمع بزنجان : أَحْمَد بن محمود بن شُعيب القطَّان .

وبآذربيجان : أبا عبد الله أَحْمَد بن طاهر ؛ وأبا حفص عُمر بن هشام القاضى .

وكان له مجالسُ إملاء عَلَى رَسْمِ أهل الحديث .

... ؛ قَالَ أَحْمَد بْنُ فارس فِى جُزْءٍ جمعه فِى السِّواك : أخبرنى ... .

... ؛ وحدَّث فِى مُخْتصرٍ جمعه فِى تلخيص معنى الآل : حدَّثنى ... .

تُوفِّى أبو الحُسين سنة خمس وتسعين وثلاثمائة بالرَّى . ﴾ .

وفى « المُختصر فى أخبار البشر » ؛ (جـ 2/ 135) لأبى الفداء عماد الدين إسماعيل بن علىٍّ بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب ؛ الملك المُؤيَّد ؛ صاحب حماة « ت 732هـ » :

﴿ ـ ثم دخلت سنة تسعين وثلاثمائة :

فى هذه السنة ـ وقيل : بل فى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ـ تُوفِّى أبو الحُسين أحمد بن فارس بن زكريا الرَّازى ؛ اللغوىُّ ؛ كان إماماً فى عُلُومٍ شتَّى ؛ وخُصوصاً فى اللُّغة ؛ وله عِدَّة مُصنَّفات ؛ منها : كتابه المجمل فى اللُّغة ؛ ووضع المسائل الفقهيَّة ؛ وهى [مائة] مسألة فى المقامة الطيبيَّة . ﴾ .

قُلْتُ : كذا قال ؛ وَالصَّوابُ الذى لا ريب فيهِ ؛ أنَّهُ تُوفِّىَ فى سنة خمسٍ وتسعين وثلاثمائة .

فى « تاريخ الإسلام » ؛ (جـ 27/ 311) ـ نُسْخَة تدمرى ـ :

﴿ توفِّى فى صفر ؛ سنة خمسٍ وتسعين .

انتهى قول الزَّنْجانىِّ .

وكذا وَرَّخهُ عَبْد الرَّحْمَن بْن مَنْدَه ؛ وغيره .

وقيل : مات سنة تسعين وثلاثمائة ؛ وهو قولٌ ضعيفٌ . ﴾ .

قُلْتُ : ولكن الحافظ ابن كثير قالَ فى « البداية والنهاية » ؛ (جـ 11 / 335) :

﴿ قَالَ ابْنُ خَلِّكَان : تُوُفِّىَ سَنَةَ تِسْعِينَ وَثَلاثِمِائَةٍ ؛ وَقِيلَ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِين . وَالأَوَّلُ أَشْهَرُ . ﴾ .

قُلْتُ : وافقهُ على ذلكَ جمعٌ من المُؤرِّخين ؛ ولكن الرأى الذى قدَّمْناهُ واعتمدناهُ : هو الأبيْنُ والأظهر ؛ والله أعلم .

.....

❁ ـ عَبْدُ الوَهَّاب بْنُ عَلِىٍّ بْنِ نَصْر

قَالَ أبو إسحاق الشيرازىُّ « ت : 476هـ » فى « طبقات الفُقهاء » ؛ (1/168 ـ 169) :

﴿ ـ عَبْدُ الوَهَّاب بْنُ عَلِيّ بْنِ نَصْر :

أدركته ؛ وسمعت كلامه فى النظر ؛ وكان قد رأى أبا بكر الأبهرىَّ ؛ إلا أنه لم يسمع منه شيئاً .

وكان فقيهاً ؛ مُتأدِّباً ؛ شاعراً ؛ وله كُتُبٌ كثيرةٌ فى كُلِّ فَنٍّ من الفقه .

وخرج فى آخر عمره إلى مصر ... ؛ ومات بمصر سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة .

وأنشد فى خروجه من بغداد :

سَلامٌ على بَغْدَاد فِى كُلِّ مَوْطِنٍ
وَحُقَّ لَهَا منِّى سَلامٌ مُضاعفُ
فَوالله ما فارقتها عَن قلى لَهَا
وَإِنِّى بِشطَّى جانبيها لعارفُ
وَلكنَّهَا ضَاقَت عَلىَّ بأسْرِهَا
وَلم تكُن الأرزاق فِيهَا تُساعِفُ
وَكَانَت كَخِلٍّ كُنتُ أهوى دُنُوَّهُ
. ؛ وأخلاقه تنأى بِهِ وتُخالفُ ﴾ .

.....

قُلْتُ: وَلَقَد تنبَّهَ الأوائل إلى هذهِ المسألة ؛ ومنهم من عرض لنقاشها بصورةٍ طريفةٍ ؛ كى يُثْبِتَ بأنَّ هذا الواقع المُؤْسِف يتنزَّلُ على الكثرة الكاثرة من أبناء هذه الصِّناعة ؛ فها هو صاحب «المَقَامَات» : أبى مُحَمَّد القَاسِمِ بْنِ عَلِىٍّ الحَرِيرِىُّ (ت 516 هـ) يقول فى بعض مقاماته :

.....

❁ـ المَقَامَةُ الإسْكَنْدَرِيَّة



(قالَ الحارثُ بنُ هَمَّامٍ :

طَحا بى مَرَحُ الشَّباب ؛ وهوَى الاكتِساب ؛ إلى أن جُبْتُ ما بينَ فرْغانَة ؛ وغانَة ؛ أخوضُ الغِمار ؛ لأجْنِى الثِّمار ؛ وأقْتَحِمُ الأخطار ؛ لكَى أُدرِكَ الأوْطار ؛ وكُنتُ لَقِفْتُ من أفْواهِ العُلَماء ؛ وثَقِفْتُ من وَصايا الحُكَماء :

أنهُ يَلْزَمُ الأديبَ الأريب ؛ إذا دخَلَ البلَدَ الغريب :
أنْ يَستَميلَ قاضيَه ؛ ويستَخْلِصَ مَراضيَه ؛ ليشْتَدَّ ظهرُهُ عندَ الخصام ؛ ويأمَنَ فى الغُرْبَةِ جَوْرَ الحُكّام ؛ فاتَّخذْتُ هذا الأدَبَ إماماً ؛ وجعلْتُهُ لمَصالحى

زِماماً ؛ فما دَخلْتُ مَدينةً ؛ ولا ولَجْتُ عَرينَةً ؛ إلا وامتزجْتُ بحاكمِها امتِزاجَ الماءِ بالرَّاح ؛ وتقوَّيْتُ بعِنايَتِهِ تقَوِّى الأجْسادِ بالأرْواح ؛ فبَينَما أنا عِندَ حاكِمِ الإسكنْدَريَّة ؛ فى عشيَّةٍ عريَّة ؛ وقد أحضَرَ مالَ الصَّدَقات ؛ ليَفُضَّهُ على ذوىَ الفاقات ؛ إذْ دخَل شيخٌ عِفْرِيَةٌ ؛ تعتُلُهُ امرأةٌ مُصْبِيَةٌ !! .

فقالت : أيَّدَ اللهُ القاضى ؛ وأدامَ بِهِ التَّراضى ؛ إنى امرأةٌ من أكرَمِ جُرثومَة ؛ وأطْهَرِ أرومة ؛ وأشرَفِ خُؤولَةٍ وعُمومَة ؛ مِيسَمى الصَّون ؛ وشيمَتى الهَوْن ؛ وخُلُقى نِعْمَ العَوْن ؛ وبيْنى وبينَ جاراتى بَوْن ؛ وكان أبى إذا خطَبَنى بُناةُ المجْد ؛ وأرْبابُ الجَد ؛ سكَّتَهُم ويكَّتَهُم ؛ وعافَ وُصلَتَهُم وصِلَتَهم ؛ واحتجَّ بأنَّهُ عاهَدَ اللهَ تَعالى بحَلْفَةٍ ؛ أن لا يُصاهِر غيرَ ذى حِرفَةٍ ؛ فقيَّضَ القَدَرُ لنَصَبى !! ؛ ووَصَبى !! ؛ أنْ حضَرَ هذا الخُدَعَةُ نادىَ أبى ؛ فأقسَمَ بينَ رهْطِهِ ؛ أنَّهُ وُفْقَ شرْطِهِ ؛ وادَّعى أنهُ طالَما نظَمَ دُرَّةً الى دُرَّة ؛ فباعَهُما ببَدْرَة ؛ فاغْتَرَّ أبى بزَخرَفَةِ مُحالِه ؛ وزوَّجَنيهِ قبْلَ اختِبارِ حالِه ؛ فلمَّا استَخْرَجَنى من كناسى ؛ ورحَّلَنى عن أُناسى ؛ ونقَلَنى الى كسْرِهِ ؛ وحصَّلَنى تحتَ أسرِهِ ؛ وجدْتُهُ قُعَدَةً جُثَمَة !! ؛ وألفَيْتُهُ ضُجَعَةً نُوَمَة !! ؛ وكُنتُ صحبتُهُ برِياشٍ وزِىٍّ ؛ وأثاثٍ ورِىٍّ ؛ فما برِحَ يَبيعُهُ فى سوقِ الهضْم ؛ ويُتْلِفُ ثمَنَهُ فى الخَضْم ؛ والقَضْم !! ؛ إلى أن مزَّقَ ما لى بأسْرِهِ ؛ وأنْفَقَ مالى فى عُسْرِهِ !! ؛ فلمَّا أنسانى طَعْمَ الرَّاحة ؛ وغادرَ بيْتى أنْقَى منَ الرَّاحة ؛ قُلْتُ له : يا هَذا !! إنَّهُ لا

مُخْبأ بعْدَ بُوس ؛ ولا عِطْرَ بعْدَ عَروس ؛ فانهَضْ للاكتِساب بصِناعَتِك ؛ واجْنِى ثمرَةَ براعتِك ؛ فزعَمَ أن صِناعَتَهُ قد رُمِيت بالكَساد ؛ لِما ظهرَ فى الأرضِ من الفَساد ؛ ولى منْهُ سُلالةٌ ؛ كأنَّهُ خِلالَةٌ ؛ وكِلانا ما يَنالُ معَهُ شِبْعَة ؛ ولا ترْقأ لهُ منَ الطَّوى دمعَة ؛ وقد قُدتُهُ إليْك ؛ وأحضَرْتُهُ لديْك ؛ لتَعْجُمَ عودَ دعْواه ؛ وتحْكُمَ بيْننا بِما أراكَ الله .

فأقْبَلَ القاضى عليْه ؛ وقال لهُ : قد وعَيْتُ قَصَصَ عِرْسِك ؛ فبرْهِنِ الآنَ عن نفسِك ؛ وإلا كشَفْتُ عن لَبْسِك ؛ وأمرْتُ بحَبْسِك .

فأطْرَقَ إطْراقَ الأفعُوان ؛ ثُمَّ شمَّرَ للحرْبِ العَوان ؛ وقال :

اسْمَعْ حَديثى فإنَّهُ عَجَبُ
يُضحَكُ من شرحِهِ ويُنتحَبُ
أنا امرؤٌ ليسَ فى خَصائِصِهِ
. ؛ عَيْبٌ ولا فى فَخارِهِ رِيَبُ
سَروجُ دارى التى وُلِدْتُ بها
والأصلُ غسَّانُ حينَ أنتسِبُ
وشُغْلىَ الدَّرسُ والتبحُّرُ فى الـ
عِلمِ طِلابى وحبَّذا الطَّلَبُ

ورأسُ مالى سِحْرُ الكَلامِ الذى
مِنْهُ يُصاغُ القَريضُ والخُطَبُ
أغوصُ فى لُجَّةِ البَيان فأخـ
تارُ اللآلىَ منها وأنتَخِبُ
وأجْتَنى اليَانِعَ الجَنىَّ مِنَ الـ
قَوْلِ وغيرى للعودِ يحْتَطِبُ
.... ؛وآخُذُ اللفْظَ فِضَّةً فإذا
... ؛ما صُغْتُهُ قيلَ إنَّهُ ذَهَبُ
وكُنتُ من قبلُ أمْترى نَشَبَاً
.. ؛بالأدَبِ المُقْتَنى وأحتَلِبُ
. ؛ويُمتَطى أخْمُصى لُرمَّتِهِ
.. ؛مَراتِباً ليسَ فوقَها رُتَبُ
وطالَما زُفَّتِ الصِّلاتُ إلى
رَبْعِى فلم أرْضَ كُلَّ من يهَبُ
فاليومَ مَن يعْلَقُ الرَّجاءُ بهِ

أكسَدُ شىءٍ فى سُوقِه الأدَبُ
لا عِـرْضُ أبْنـائِهِ يُـصانُ ولا
يُـرْقَـبُ فـيهِـم إلٌّ ولا نسَـبُ
كأنَّهُـمْ فى عِراضِهِـم جِيَـفٌ
. ؛ يُبْعَـدُ من نَتْنِها ويُجْتَنَـبُ
.. ؛ فحارَ لُبِّى لِما مُنيتُ بِـهِ
مـنَ اللَّيـالى وصرْفُها عَجَبُ
وضـاقَ ذرْعى لضيقِ ذاتِ يَدى
وساوَرَتـنى الهُمُومُ والكُـرَبُ
. ؛ وقـادَنـى دَهْـرِى المُليمُ إلى
سُـلُـوكِ ما يستَشينُهُ الحسَبُ
فبِعْـتُ حتَّى لـم يبْقَ لـى سبَدٌ
...... ؛ ولا بَتـاتٌ إليْـهِ أنْقَلِـبُ
وادَّنْـتُ حتَّـى أثقَلـتُ سالِفَتى
بحَملِ دَينٍ من دونِه العطَبُ

ثُمَّ طوَيتُ الحَشا على سغَبٍ

خمْساً ؛ فلما أمَضَّنى السَّغَبُ

... ؛ لم أرَ إلا جِهازَها عرَضاً

. ؛ أجُولُ فى بيعِه وأضْطَرِبُ

فجُلتُ فيهِ والنَّفْسُ كارهَةٌ

والعينُ عَبْرَى والقلبُ مُكتَئِبُ

؛ وما تجاوزْتُ إذ عبثْتُ بهِ

حَدَّ التَّراضى فيحدُث الغضَبُ

؛ فإنْ يكُن غاظَها توهُّمُها

. ؛ أنَّ بَنانى بالنَّظْمِ تكتسِبُ

أو أنَّنى إذ عزَمتُ خِطبَتَها

زخْرَفتُ قولى لينجَحَ الأرَبُ

فوالَّذى سارَتِ الرِّفاقُ إلى

. ؛ كعْبَتِهِ تستَحثُّها النُّجُبُ

ما المكْرُ بالمُحصَنـاتِ من خُلُقى

ولا شِعـارى التَّمـويهُ والـكذِبُ

؛ولا يَدى مُـذْ نـشأتُ نِيطَ بـها

.. ؛إلا مَواضـى اليَراعِ والكُتُـبُ

بل فِكْرَتـى تنظِمُ القَلائِدَ لا كفٌّ

فى ؛وشعرى المنظوم لا السُّحُبُ

... ؛فهَـذِهِ الحِرفَـةُ المُشـارُ إلـى

ما كُنتُ أحوى بهـا وأجتَلِبُ

فـأذَنْ لـشَرْحـى كـمـا أذِنـتَ لـها

ولا تُـراقِـبْ واحـكُمْ بـما يـجِبُ

﴾ . أهـ .



مَعْرَكَةُ
لُقْمَةِ العَيْشِ

أَشْهَرُ مَعْرَكَةٍ فِى العَصْرِ الحَدِيثِ تَنَاوَلَت هَذِهِ القَضِيَّة



۞ـ مَعْركَةُ لُقْمَةِ العَيْش
« قَضِيَّةُ الأَدِيبِ وَالمَال »



ـ زَكِي مُبَارَك ... وَمَعْرَكَةُ لُقْمَةِ العَيْش

.....

ـ أوَّلاً :

۞ـ زَكِي مُبَارَك ... تَرْجَمَتُهُ ؛ تَارِيخُه

.....

قَالَ خيرُ الدِّين بن محمود بن محمد بن عليّ بن فارس الزِّركليُّ الدمشقيُّ (ت 1396هـ) في « الأعلام » ؛ (جـ3/47ـ 48) :



زَكى مُبَارَك
« 1308 ـ 1371 هـ = 1891 ـ 1952 م »

زكى بن عبد السَّلام بن مُبَارَك .

أديبٌ ؛ من كُبَار الكُتَّاب المُعاصرين .

امتاز بأسلُوبٍ خاصٍّ فى كثيرٍ مما كتب .

وله شعرٌ ؛ فى بعضه جودة وتجديد .

وُلِدَ فى قرية (سنتريس) بِمُنوفيَّة مصر ؛ وتعلَّم فى الأزهر ؛ وأحرز لقب (دكتور) فى الآداب من الجامعة المصريَّة ؛ واطَّلع على الأدب الفرنسىِّ فى فرنسة ؛ واشتغل بالتدريس بمصر ؛ وانتُدِبَ للعمل مُدرِّساً فى بغداد ؛ وعاد إلى مصر ؛ فعُيِّنَ مُفتِّشاً بوزارة المعارف .

ونشر مُؤلَّفاته فى فتراتٍ مُختلفةٍ ؛ وكان فى أعوامه الأخيرة يُوالى نشر فصول من مُذكِّراته وذكرياته فى فُنُونٍ من الأدب والتاريخ الحديث تحت عنوان « الحديث ذو شجون » .

وأُصيبَ بصدمةٍ من عربة خيل ؛ أدَّت إلى ارتجاجٍ فى مُخِّهِ ؛ فلم يعش غير ساعات ؛ وكانت وفاته فى القاهرة ؛ ودُفِنَ فى سنتريس .

ـ له نحو ثلاثين كتاباً ؛ منها :

ـ « النثر الفنىُّ فى القرن الرابع » .

- «البدائع»: مقالات فى الأدب والإصلاح .
- «حُبُّ ابن أبى ربيعة وشعره» .
- التصوف الإسلاميُّ» .
- «ألحان الخلود»: ديوان شعره .
- «ليلى المريضة فى العراق»: ثلاثة أجزاء .
- «الأسمار والأحاديث» .
- «ذكريات باريس» .
- «الأخلاق عند الغزاليِّ» .
- «وحى بغداد» .
- «ملامح المُجتمع العراقيِّ» .
- «الموازنة بين الشعراء» .
- «عبقريَّة الشَّريف الرَّضِى»: جُزآن .
- «اللُّغة والدِّين فى حياة الاستقلال» .

ولفاضل خلف:

«زكى مبارك: فى سيرته وكُتُبه»

وورد اسمه على بعض كُتُبه: «محمد زكى مُبَارَك» .﴾ .

.....

❁ ـ فَائِدَة :

جَاءَ فى كتاب « المعارك الأدبيَّة » للأُستاذ أنور الجندى ؛ [صـ: 502 ـ 510] :

﴿

خم النُّوم

معركةٌ ساخرةٌ بين أحمد زكى باشا وزكى مُبَارك

هذه إحدى معارك المُجدِّدين والمُحافظين ؛ تنفرد بلونها الساخر ؛ هذا اللون الذى عُرِفَ به زكى باشا شيخ العروبة فى عديدٍ من مُساجلاته ؛ التى نورد منها نموذجاً آخر فى معركته مع محمد مسعود .

والحقُّ أن طريقة أحمد زكى باشا فى المجال ؛ هى جُزءٌ من تاريخ النقد العربىٍّ المعاصر ؛ فإن كُتَّابنا الذين عُرِفُوا بالنقد الساخر الملىء بالضربات

والطعنات ؛ هم عندنا أتباعٌ لمدرسة أحمد زكى باشا وتلاميذٌ له ؛ لاسيَّما وأن طه حُسين وزكى مُبَارك وغيرهم قد تلقوا عنه فى الجامعة ؛ ونظروا إلى كتاباته ومُساجلاته حول الحضارة الإسلاميَّة فى الصُّحُف .

وقد بدأت المُساجلة باعتراض أحمد زكى باشا على ما ذكره زكى مبارك من أن نهج البُردة التى حملت اسم الشيخ سليم البشرى : هى من كتابة ابنه الشيخ عبد العزيز البشرى .

وقد سخر زكى باشا من مبارك ؛ فوجَّه كتابه إلى الطفل الميمون نجل الدكتور زكى مبارك ؛ ذاكراً أن الابن يكتب بإمضاء أبيه ويُخطئ .

وتطوَّرت المساجلة ؛ فدخلت فى أساليب مُتعدِّدة وسُخريات مُختلفة .

.....

ـ إلى الطفل الميمون نجل الدكتور زكى مبارك :

أنت تكتب باسم أبيك ؛ فتارةً تُخطئ ؛ وتارةً تُصيب .

فأنت تزعم بالأمس فيما كتبته أنت بإمضاء أبيك :

أن الأستاذ الأخ شيخ المُحدِّثين وشيخ الأزهر المرحوم سليم البشرى قد رضىَ بالكذب وبالزُّور وبالبُهتان ؛ بأن يوضع اسمه على شرح نهج البُردة بأنه هو

ناسج بردته ؛ والحال ـ كما تزعم أنت وحدك !! ـ أن هذا الشرح مكتوب بقلم والده : فخر الكُتَّاب ؛ وإمام المُنشئين ؛ الكاتب الأبرع الأمجد ؛ الأُستاذ : عبد العزيز البشرى !! .

ولو أنك سألت أباك الدكتور زكى مبارك الصادق المصدوق ؟ ؛ لقال لك : إنك جرىءٌ على الحق !! ؛ وإنك مُستهترٌ بالتاريخ !!.

فإن أدَّبك أبوك بالأدب الذى أخذه هو عن أشياخه ـ ولى معهم سهمٌ ضئيلٌ ـ أيّام كانت العمامة البيضاء تُتوِّج رأسه المُبارك بالعلم ؛ وتُزيِّن مفرقه الحالى بالأدب ؛ ثم رجعت تطلب منِّى الإفادة بأن تجلس بين يدىَّ كمثل الطالب المُستفيد المُتأدِّب فى جلسته وفى عبارته ؛ فإنك تكون فى هذه الحالة ـ وهذه الحالة فقط ـ عليمٌ بالجواب ؛ وإلا فخيرٌ من مُجاوبتك السُّكُوت .

.....

ـ زكى مُبَارك :

إنى أعرف أنى أسرفت فى الثرثرة ؛ وملأت الدُّنيا كلاماً وضجيجاً ؛ وكان لابُدَّ أن يتقدَّم كاتبٌ جرىءٌ ؛ فيقول : اسكُت ؛ فقد أسرفت !! .
وكان ذلك الكاتب الجرىء هو العلاَّمة المُفَضَّل « أحمد زكى باشا » ؛ الذى لم يَعْدُ الصَّوَاب حين قال :

إن هُناك إنسانين : أولهما زكى مبارك ؛ وثانيهما نجل زكى مبارك .

وأنا واثقٌ أعرف هذا من نفسى ؛ فقد يتفق فى أحيانٍ قليلةٍ جداً أن أكتب فأُجيد ؛ ثم أكثر من الهدر واللغو والفضول حتى لأُحِبُّ أن أُزَيِّلَ مقالاتى بإمضاء أحد أبنائى .

ولكنى أُشفق أن أُحمِّلهُم تَبِعَة ما أكتب حين يفوتنى أن أوفق إلى القول الفصل والرأى الحصيف .

ـ ثم أشار إلى نهج البُردة ظهر مُنْذُ عشرين سنة ـ .

قال :

وَكُنَّا نسمع فى أندية الأدب أنه من وضع الأستاذ عبد العزيز البشرى ؛ لا من وضع أبيه المرحوم الشيخ سليم ؛ ثم اتفق لى أن أكتب ربيع **1925** م فى المُقطَّم عن قصيدة نهج البُردة ؛ وأشرت إلى كاتب ذلك الشرح ؛ فلم يعترض

أحدٌ على ذلك .

وقابلت شوقى وطه حُسين ؛ ثم نشرته فى كتاب « المُوازنة بين الشُّعراء » ؛ فلم يثُر زكى باشا ؛ ولم يغضب أحدٌ من مُؤرِّخى الأدب الحديث .

ثم قال :

لَمّا ظهر خطاب زكى باشا ؛ رأيته عنيفاً جدّاً ؛ وأشار بعض الأصدقاء بأن أقابله بخطابٍ أقسى وأعنف ؛ ولكننى تذكّرت أن زكى باشا كان من أوائل الأساتذة الذين تولوا التدريس بالجامعة ؛ وتذكّرت أن زكى باشا شيخٌ كبيرٌ ؛ ومن حقّه أن يلهو بالإساءة إلى أبنائه الأوفياء ؛ ثم تذكّرت أخيراً أن الواجب يقضى بأن أشتغل بتحقيق هذه الحالة تحقيقاً علميّاً بعيداً عن لغط القيل والقال .

ثم ذكر الدكتور مُبَارك أنه رجع إلى طه حُسين ؛ فقال له :

إنه لا موضع للشكّ فى أن يكتب المرحوم الشيخ سليم لك الشرح ؛ لأنه كان متفوّقاً جدّاً فى علم الحديث ؛ وكان يحفظ البُخَارىَّ متناً وسنداً .

ثم اتصلتُ بعبد العزيز البشرى ؛ فابتدرنى بكتابٍ أرق من أدبه الرائع ؛ وسألنى :

كيف أستكثر على أبيه أن يكون كاتباً مع أنه كان من كبار المُحَدِّثين ؟!!

وأحالنى على مقالات كتبها والده فى السنة الأولى من « المُؤيَّد » فى الرَّدِّ على الطويرانىِّ الشنقيطىِّ ؛ وقال : إن مقالاته تضعه فى الصف الأول من الكُتَّاب .

ثم قال مُبَارك :

وتلك بيانات رأينا أن نُقدِّمها فى نزاهةٍ إلى قُرَّاء « البلاغ » ؛ وفيها انتصارٌ لأُستاذنا المفضال أحمد زكى باشا ؛ ولا يضيرنا أن يُنصر حين يكون الحقُّ فى جانبه ؛ بل الشرف كل الشرف أن نعمل لانتصار الحقِّ ولو أدَّى ذلك إلى انهزامنا فى مُناظرةٍ أدبيَّةٍ .

ثم قال :

وبعد أن وصلتُ إلى هذه النُّقطة ؛ لقيت أديباً أزرق الناب من القروم الخناذيذ الذين شهدوا ذلك العهد ؛ فأكَّد أن زكى باشا لم يُوفَّق فى إثارة هذه المسألة ؛ وأنه كانت هناك ظُرُوفٌ سياسيَّةٌ دقيقةٌ قضت بتكليف الشيخ سليم البشرى بشرح نهج البُردة ؛ وأن الشيخ سليم لم يكُن منشرح الصدر لذلك ؛ وأن الشرح الأول وضع فى منزل شوقى بك بالمطريَّة بمعاونة الأُستاذ عبد العزيز ؛ وأن الشيخ سليم راجع الشرح ؛ وصادق عليه ؛ وتَوَّجَهُ باسمه .

ثم عاد زكى مُبارك مُعلِّقاً على قوله : « لطالما عارض الناس بُردة البوصيرىِّ فى القديم والحديث بمئات ومئات من المنظومات . » .

وقال :

واستكثر هذا الإغراق فى المُبالغة ؛ والكلام الفضفاض أن : مئات ومئات : تُوجب على الأقل خمسمائة قصيدة ؛ والصواب أنها تُوجب ستمائة ؛ لأن

أقل الجمع ثلاثة ؛ وطلبت من الباشا أن يدلنا على خمسين قصيدة لا خمسمائة ؛ فراح الباشا يُراوغ مُراوغةً علميَّةً اسمها في الفقه الفصيح « الهرب » ؛ واتهمنا بالغضِّ من قدره ؛ مع أننا من أعرف الناس بسعة اطِّلاعه !! .

وإن كُنَّا نُوافق خصومه فى بعض ما يأخذون عنه من : سُرعة الغضب ؛ ونقل المُناظرة من باب الجد إلى باب التنابُذ الذى يكرهه العُلماء !!.

وكان زكى باشا قد سأله عن بعض أبيات من الشعر ؟ ؛ ومن قائلها ؟ فَرَدَّ عليه وقال :

ولو استبحنا لأنفُسنا أن نسأله مثل هذا السؤال ؛ لأعجزناه ؛ وأعجزنا معه ألوفاً من القُرَّاء !!.

ثم وجَّه إليه ثلاثة اتهامات :

1ـ هل من الحقِّ أن بُردة البُوصيرىِّ عُورِضَت بمئات ومئات من المنظومات ؟!!

2ـ هل يليق بالعالم أن ينقل الجدل من ميدان إلى ميدان ؛ ليفر من الجواب ؟!!

3ـ هل من الحقِّ أن كل ما جيءَ به فى المدائح النبويَّة كان مُعارضاً للبوصيرىِّ ؛ وإن اختلف فى الوزن والقافية ؟!!

ثم ختم مقاله بقوله :

والنتيجة : أن سعادة زكى باشا قد انهزم فى هذه المعركة وإن لم يثُر منها نَقْعٌ ولم تتناثر أشلاء ؛ فلسنا بحمد الله ممن يسترون ضعفهم بالطعن والسِّباب ؛ وإنما بالحُجَّة الساطعة التى تدفع رأى المُكابرين .

.....

ـ أحمد زكى باشا : خم النوم ـ صح النوم :

كان من حُسْنِ ظَنِّى بك أن أتخَيَّل أن ابنك هو الذى كان فى حاجةٍ إلى تأديبك ؛ فإذا بك أنت !! ؛ أو أنت إيَّاه !!.

امتد بك النوم فى هذا الشتاء سبع ليالى ؛ إلى أن تمخضت أنت بعد السبوع بمقال الأمس فى أربعة أعمدة ونصف عمود فى ((البلاغ)) .

وليس من الطريف سوى أنك وأنت نائم قد حلمت بأنهم قتلوك مراراً وأنهم أماتوك تكراراً !! ؛ ولكن الغير كان يخرجك كما كان دائباً على التجرُّد عنك لتُواظب الرَّجع إلى الدُّنيا وإسعادنا بذلك الثغر البسَّام ؛ فالحمد لله على السَّلامة يا دكتور مبارك !! .

ثم قال فى الرَّدِّ على ما ذكره زكى مبارك فى مقالة سنة **1925**م :

هل تتصور أننى مُوكَّلٌ بإدحاض كل بطولةٍ تصدر هنا ؟!! ؛ أم أن الوحى

يأتيني بما يظهر من التلافيق هناك ؟!!

يمينا بالله لولا الدكتور أحمد بك عيسى لما كنت قرأت كلماتك الجافة الجامحة عن أُستاذك الذى ربَّاك وأحسن تأديبك فى الجامعة أيَّام كنت أنت مُتوَّجاً بالعمامة النَّاصعة البياض !!.

فيا رحمة الله على تلك العمامة وما كان تحتها من أدب ؟!! ؛ ويا خيبة الأمل فيما آلت إليه فى صورة البرنيطة المُطربشة ثم الطربوش المُبرنط ؟!!

أما الدلال يا دكتور !! ؛ وأما التجنِّى يا مُبَارك !! ؛ فإن كان يوسف الجديد المُتقمِّص فى ثياب الأُستاذ الدكتور زكى مبارك ابن قرية سنتريس قد سحر بهما بنات باريس !! ؛ فهذا السحر خيالٌ باطلٌ فى نظر غوانى المغانى بشارع عماد الدِّين !!.

ثم ذكر قصة تأديبية لأُستاذه « منصور أحمد »: الذي ذهب إلى باريس ؛ وكان زكى باشا طالباً بالمدرسة التجهيزيَّة بدرب الجماميز « وقد صادفته العناية المقلوبة ؛ فذهب إلى باريس ؛ وعاد مثل ما قيل عن زميله الصعيدىّ: جاموسة طماوى تضرب بالفرنساوى .

وكان يتشدَّق باسم فلان ويشيد باسم فلان .

وفى أثناء دروسه على الأوكسجين وحمض الكربونيك يتمخَّض بالكلام عن غرام نساء باريس به وبجماله ؛ واحدة واحدة وسرباً سرباً وأفواجاً أفواجاً .

فما كان من التلميذ الخبيث (أحمد زكى) إلا أن قال له ذات يوم : يا دكتور !! ماعندكش مراية ؟!!) .

فانهال عليه بالسَّبِّ والشتم !!.

... ؛ أما إذا سكت التلاميذ ؛ واستمرأ الأستاذ ((د . م)) هذا النوع من الغطرسة الكذَّابة والعجرفة الفارغة : فإنهم يكونون مُسيئين إلى أنفُسهم وإلى أمَّتهم ؛ ويكون السكوت خيراً من الإجابة .

.....

ـ زكى مُبَارك : خم النوم باشا :

كُنَّا نظُنُّ أن الأدب البارع الذى يظهر فى مقالات شيخ العروبة فنٌّ جديدٌ رمته به أيَّام الشيخوخة !!.

ولكن يظهر أن هذا الأدب كان من صفاته لعهد الطفولة !! ؛ فقد حدَّثنا ـ حفظه الله ـ أنه استباح أن يقول لأستاذه فى المدرسة التجهيزية ((معندكش مراية)) ؛ ولم يكتف الباشا بهذا فى وصف أستاذه ؛ بل وصفه بأنه

«جاموسة طماوى تضرب بالفرنساوى » !! ؛ وهذا الرَّجُل الذى يكتب هذا القول ؛ هو نفسه الرَّجُل الذى قضى وقتاً طويلاً يدعونى فيه إلى أدب القول !!.

ومن كلماته يوم ذاك :

« لقد أفسدت السياسة أساليب النقد فى الأدب ؛ فلنكتب نحن الأدب بأدب» .

وقد عملت بنصيحته ؛ وتأدَّبت معه ؛ فاستأسد وكشَّر عن أنيابه !! ؛ وكان فى مقدورى أن أعامله بمثل ما عامله به الأُستاذ محمد مسعود ؛ ولكنى رفقت بشيخوخته ؛ وقدَّرت له ماضيه فى خدمة اللغة العربيَّة ؛ والله يشهد أنى عصيت جميع النَّاصحين ؛ فما رآنى أديبٌ إلا حذَّرنى عواقب مُلاينته ؛ وقد دعانى إلى مُهاجمته ناسٌ كرامٌ يعرفون طباعه ؛ فآثرت الرفق ؛ رعايةً للواجب واحتراماً لماضى «خم النوم»ـ حرسه الله ـ .

ثم أعاد زكى مبارك أسئلته إلى أحمد زكى باشا ؛ وقال :

هذه هى الأسئلة التى فَرَّ منها الباشا المفضال ؛ ليكتب فى شتمنا مقالين أطول من ليل الشتاء !!.

ونحن لا نزال نُحْسِنُ الظنَّ به ؛ ونرجو أن يُقلع عن شحطه ونطحه !!.

ليس بيننا وبين حضرة العلاّمة زكى باشا حقدٌ شخصىٌّ ؛ ولكنه مازحنا فمازحناه ؛ فإن عاد عُدنا ؛ وفى الكأس بقيَّةٌ كلها علقمٌ وصاب !!.

.....

ـ أحمد زكى باشا : يا دكتور زكى !! كلمةٌ أخيرةٌ :

ما بالُك تجحد فضل أُستاذيتى عليك وتُعاود فُحش القول وجفاء الطبع ؟!! ؛ وبماذا تُبيِّض وجهك عند الأُستاذين الطاهر والإسلامبولى بعد أن استغفرتنى فى دار مجلّة المعرفة قبل رَدِّك الأخير ؟!!

أفأنت حينما تُواجهنى يتغلّب عليك الأدب ويغلبك الحياء ؛ وإذا ما خلوت إلى نفسك جمح به القلم ذلك الجموح الذى طالما حاربته فيك ؟!!

ثم قال بعد أن تحدَّث عن معركته مع مسعود ومعركته مع مرقص باشا :
أعود للمُستنصر المُبَارك :
كُنْتُ أظُنُّهُ أديباً ؛ فإذا به لا يُريد إلا أن يكون « أُدباتيا » !!.
وكان من تعليمى إيَّاه أن يكون مُحقِّقاً ؛ فإذا به يبقى مُخرِّقاً !!.
إنه يزعم أننى صنَّفتُ كتاباً فى «الفُول النَّاشف» !! .
برضُه يا مُبَارك ؟!! تموت فى هذا القول !! ؛ ولا تصد عنه صدوداً بعد أن تطورت من العمامة إلى البرنيطة إلى الطربوش !!

ثم تنسب لى « الذهب الإبريز فى محاسن باريز» ؟!!.

ونسىَ أنه هو ابن سنتريس الذى عبدته أحاسن باريس ـ كما يقول ـ .

وينسب لى « التحفة البهيَّة فى الكبدة المشويَّة» ؟!!.

يا كبدى عليك يا مُبَارك حينما كنت تجرى ليلاً فى درب المشى وراء جابر الذى يبيع الكبدة وأنت لاتزال تحلم بها وتتصور أنها أكل الملوك !!.

ثم أشار إلى أن زكى مُبَارك وسَّطَ إليه « حسن القاياتى » ؛ وقال :

إننى لم أتشرَّف قط بأن أكون صديقاً للدكتور مبارك ؛ وغاية الأمر أننى عرفته تلميذاً نجيباً ؛ ثم صار اليوم إلى ما صار إليه من الجُمُوح ؛ فرددت عليه .

وبعد أن أوهمنى بالسُّكُوت ؛ أعاد الكرَّة !! ؛ فرجعت إليه ؛ ثم طغى فى الثالثة !! ؛ فكانت له منِّى هذه الكلمة وهى الأخيرة ؛ فإن التزم السكوت ورضىَ بحُكم الأُستاذ القاياتى ؛ وعاد إلى التأدُّب مع أُستاذه الذى له عليه فضل التربية والتثقيف ؛ فذلك ما كنت أعهد من كرم أخلاقه . » .

.....





.....

- ثَانِيَاً :

❁ - زَكِى مُبَارَك ... وَمَعْرَكَةُ لُقْمَةِ العَيْش

.....



- مَعْرَكَةُ لُقْمَةِ العَيْش

أضخم معركةٍ فى تاريخ الأدب العربىِّ المُعاصر بين زكى مُبارك وطه حُسين :
هذه أضخم معركةٍ أدبيَّةٍ دارت من جانبٍ واحدٍ بين زكى مبارك وطه حسين ؛ واستمرَّت مُنْذُ **1931**م إلى **1940** م ؛ على مراحل متعددة : منها الخصومة الفكرية ؛ ثم خصومة ((لقمة العيش)) : حين أقصى طه حسين زكى مبارك من الجامعة ؛ وأثار ذلك سلامة موسى وإبراهيم المازنىُّ ؛ ثم أصبحت خصومة حقيقية وصداقة تشوبها خصومة ؛ ممتدة كلما أنتج طه حسين شيئاً أو كتب عن شىءٍ .

وجُملة القول : أن زكى مبارك ظلَّ مشدود البصر إلى طه حسين طوال حياته ؛ منذ عرف الأزهر إلى الجامعة عام **1912** م ؛ وحين ترك الأزهر إلى الجامعة **1916** م ؛ ثم بعد ثورة **1919** م واتجاه زكى مبارك إلى الجامعة

نهائياً ؛ كاتصاله بطه حسين وعمله كسكرتير له ؛ ثم موقفه منه إبّان أزمة الشعر الجاهليّ ؛ وهو موقف يصفه زكى مبارك بأنه : الرجل الوحيد الذى وقف إلى جوار طه حسين ؛ ودافع عنه ؛ وكتب فى المقطم والأهرام يذود عنه خصومه ؛ إلى أن أمره طه بأن يصمت حتى تمر العاصفة بسلام .

ويحرز زكى مبارك الدكتوراه عن « الأخلاق عند الغزاليّ » ؛ ويهاجم الغزاليَّ صاحب « الإحياء » ؛ رغبةً فى خلق جو من الشُّهرة ؛ ثم يحاول أن يسافر إلى أوربا عن طريق الجامعة ؛ فإذا حِيلَ بينه وبين ذلك سافر عن طريق « جريدة البلاغ » ؛ ثم يرى رأياً فى النثر الفنىّ يخُالف رأى المُستشرقين ورأى طه حُسين ؛ ويقع الخلاف بينه وبين أساتذته فى السربون ؛ ويُصِرُّ على رأيه ويُسجِّله فى رسالة الدكتوراه « النثر الفنى » ؛ ثم يعود إلى مصر مُواصلاً الحملة على آراء مسيو مرسيه كبير المستشرقين فى السربون ؛ وهنا يصدر كتابه « النثر الفنىّ » ؛ فيلقاه الكُتَّاب بالنقد ؛ ويُساجلونه فى آرائه ؛ إلا أن الدكتور طه هو الذى يشير إليه إشارة عابرة بأنه : « كتاب من الكتب ؛ ألّفه كاتب من الكُتَّاب » ؛ ثم تقع المعركة بينهما ؛ ويخرج طه حسين من الجامعة فى إبَّان حُكم صدقى ؛ ويدافع مبارك عن طه ؛ ثم يتاح لزكى أن يعود إليها مُدرِّساً بكُليَّة الآداب ؛ ويتغير الجو السياسىُّ ؛ ويعود طه حسي ؛ ويرفض تجديد عقد زكى مبارك !! ؛ وَفَصَلَ طه حسين زكى مبارك من الجامعة !! ؛

فيُهاجم طه حسين هجوماً مُرّاً ؛ ويكتب تحت عنوان :

« لو جاع أولادى لشويت طه حسين وأطعمتهم لحمه » !!

وجاء فيها :

«لقد ظن طه حسين أنه انتزع اللقمة من يد أطفالى؟!! ؛ فليعلم حضرته أن أطفالى لو جاعوا : لشويت طه حسين وأطعمتهم لحمه ؛ ولكنهم لن يجوعوا ما دامت أرزاقهم بيد الله » .

وتستمر المعركة بينهما طويلة لا تنتهى ؛ ويصل فيها زكى مبارك إلى حدٍّ بعيدٍ من الإسفاف ؛ ويرى النُّقَّاد أن هذه المعركة : لها صلةٌ بالتغريب ؛ ونفوذ المستشرقين وآرائهم ؛ وتبعيَّة المثقفين الذين يتلقون دروسهم فى السربون فى ترويج آراء الغرب والإيمان بها !! ؛ ويقولون :

إن آراء طه حسين فى الشعر الجاهلىِّ كانت آراء مسيو مرسيه وغيره ؛ وأن زكى مبارك حين ناقض هذه الآراء : إنما أراد أن يتحرَّر من سلطان المستشرقين الفكرىِّ والتغريبىِّ ؛ ولذلك أغروا به طه حسين : الذى فصله من الجامعة ؛ وألجأه إلى العمل فى مجالٍ آخرٍ ؛ حتى يكون عبرةً لغيره !! .

ويرى بعض النُّقَّاد : أن « الكرامة » التى حاول زكى مبارك أن يحتفظ بها إزاء طه ؛ هى التى صنعت الخصومة ؛ ويرون أن زكى مبارك تحوَّل تحوُّلاً كبيراً بعد هذه المعركة ؛ فهاجم آراء المستشرقين التغريبيَّة ؛ وخالفهم ؛ وكشف عن تعمُّدهم فى خلق الشُّبهات ؛ ودعا إلى بعث أمجاد العرب وظاهر القوميَّة العربيَّة ؛ ودعا إلى التعليم فى الجامعة باللغة العربية .

وقال النُّقَّاد :

إن المستشرقين وأساتذة باريس وطه حسين : يرون أن زكى مبارك رَجُلٌ غير مصقولٍ ؛ وعاق : لأنه خان أمانته للتغريب والحضارة الغربية : رسالة الفكر الفرنسىِّ فى تسميم الفكر العربىِّ وهدمه والتقليل من شأنه ؛ وإثارة الشُّبهات حوله .

وترسم مجموعة مقالات زكى مبارك التى تضمُّها هذه المعركة : صورة رَجُلٍ طيِّب القلب ؛ كان يتطلَّع إلى أُستاذه فى وفاءٍ ؛ ولا يرى أن مُعارضة رأيه تُفسد ما بينهما من ود ؛ فإذا بطه حسين ينتقم منه انتقاماً عنيفاً يحُوِّله إلى إعصارٍ عاصفٍ ؛ يأكل الأخضر واليابس !! .

ويرى زكى مبارك أن كتابه « النثر الفنىّ » : هو نقطة الخلاف ؛ ولذلك يُعلن :

« أن الدكتو طه : علم اليقين أن كل نسخة تُوزَّع من كتاب (النثر الفنىّ) ؛ هى سهمٌ مسمومٌ يُصوَّب إلى صدره ؛ وهو لذلك يتجاهل اسم المؤلف واسم الكتاب » .

ويُشير إلى رأى طه حسين فيه حين يصفه بأنه أى زكى مبارك :

« الرجل الذى لا يخلو إلى قلمه إلا وعلى رأسه عفريت !! » .

يقول مبارك :

« تلك كلمتك ؛ وأنا عنها راض ؛ وبها مختال ؛ فما هو العفريت الذى يحتل رأسى حين أخلو إلى قلمى ؟!! ؛ إن كان ذلك فأنت تشهد لى بالعبقريَّة ؛ وهل تكون العبقريَّة إلا من نصيب من يخُاصم رَجُلاً مثلك فى سبيل الحق ؟!! ؛ وما هى المنفعة التى أرجوها من مخاصمتك وأنت رَجُلٌ يُضِرُّ وينفع ؟!! » .

ويستطيل زكى مبارك فى مُساجلاته ؛ ويقول لطه حسين :

« هل تذكر يا دكتور ما وقع فى نوفمبر سنة 1919م؟!!

هل تذكر ما وقع يوم غاب سكرتيرك ؛ وكنت وحدى الطالب الذى يفهم العبارة الفرنسيَّة لكتاب « نظام الأثينيين » لأرسطو ؟!!

هل تذكر أنك أعلنت سرورك بأن يكون فى طلبة الجامعة المصرية من يفهم أسرار اللغة الفرنسية ؟!! » .

ويستعلى فى مُناقشةٍ أُخرى ؛ فيقول :

« طلبته بالتليفون لأسأله عن معنى كلمة الزمالك وهو يقيم بالزمالك؟ ؛ فقال : لا أعرف يا دكتور زكى !! .

فقلتُ : إن الزمالك : جمع زُملك ؛ بضم الزاى ؛ وهى كلمةٌ ألبانيَّةٌ ؛ والأصل فيها : أن محمد على أسكن جُنده بتلك البقعة فى مواسم الاصطياف ؛ والزُّملك : هى الخيمة فى اللغة الألبانيَّة . » .

وقد هاجم زكى مبارك طه حسين فى أمرين هامين :

ـ الأول : رأيه فى أن الأدب العربىَّ يرجع إلى أصول فارسية ويونانية .

ـ الثانى : رأيه فى أن عقلية مصر عقلية يونانية .

ومع ذلك ؛ فإن زكى مبارك يبدو مُنصفاً لطه حسين مرَّتين :

ـ إبَّان أزمته الأولى من أجل كتاب « الشعر الجاهلىّ » .

ـ والمرة الثانية : عندما هوجم فى مارس 1932م ؛ ونُقِلَ من الجامعة إلى وزارة المعارف.

وقد كتب زكى مبارك يقول :

« وطه حسين هذا يزعم فريقٌ أنه مُلحدٌ ؛ ويزعم آخرون أنه يدعو إلى الفسق والمجُون ؛ وأُقسم بالله صادقاً : ما رأيت من هذا الرجل وقد صاحبته اثنى عشر عاماً : إلا القلب الطيِّب ؛ والأدب البارع ؛ والخُلق المتين !! » .

بدأت المعركة بينهما بصفةٍ جديَّةٍ :

عندما أُعيد زكى مبارك إلى الجامعة بعد إخراج طه حسين منها ؛ فلما عاد طه مرَّةً أخرى رفض تجديد عقده ؛ وقال : أنا لم أُستشر فى تعيينه ؛ فكيف أُستشار فى تجديد عقده ؟!!

وكان ذلك دافعاً له لكتابة مقالته النارية :

« طه حسين : بين البغى والعقوق »

والتى قال فيها :

« إن عودتى إلى الجامعة لا تدهش ؛ لأنى لم أعد إليها من عُرض الطريق ؛ فقد ذكّانى طه حسين للتدريس فى الجامعة مُنذ تسع سنين ؛ ثم اشتغلت بالتدريس إلى جواره ثلاثة أعوام » .

وقال : إن إرادةً فوق إرادة الدكتور طه هى التى أخرجته - أى مبارك - من الجامعة ؛ ثم عاتبه على أنه ذكر بأن عودة مبارك إلى الجامعة كانت مكرمة من « حلمى عيسى » .

وبعدُ ؛ فهذه فصول المعركة :

.....

1 ـ زكي مبارك ... طلائع المعركة:

مرَّت المُناقشات هادئة فى هذا الكتاب «النثر الفنىّ»؛ ولم تستمر إلا حين اتصلت برجُلين من كرام الرجال !!؛ هما: المسيو مرسيه؛ والدكتور طه حسين.

أما المسيو مرسيه: فعالمٌ واسع الاطلاع؛ وهو رأس المستشرقين الفرنسيين لهذا العهد؛ وكانت له آراء مُدوَّنة عن نشأة النثر الفنىّ عن العرب؛ وما كدت أصل إلى باريس حتى هممت بمهاجمته؛ فنصحنى المسيو ماسنيون وأفهمنى أنه رَجُلٌ صعب المراس؛ وأن منزلته فى المعهد العلمىّ عظيمة؛ وأن المستشرقين جميعاً يجُلُّونه أعظم الإجلال؛ ولكن كتب الله أن لا أنتصح برأس المسيو ماسنيون؛ فابتدأت رسالتى التى قدَّمتها للسوربون: بفصلين فى نقض آرائه من الأساس؛ فغضب الرجل وثار؛ وصمَّم على حذف الفصلين؛ وصممت على بقائهما: بحُجَّة أنهما العماد الذى تنهض عليه نظريتى فى نشأة النثر الفنىّ.

وكأنما عَزَّ عليه أن أهاجمه فى عُقر داره؛ فمضى يُعادينى عداءً خفيًّا؛ كانت له آثارٌ بشعةٌ لا أتذكرها إلا انتقضت رُعباً من عجز الرجال عن ضبط النفس؛ وقُدرتهم على تقويض دعائم الإنصاف !!.

وقد قابلت خصومته بِلَدَدٍ أقسى وأعنف؛ ورأيت الحرص على آرائى أفضل من الحرص على رضاه؛ فأبقيت الفصلين الذين أغضباه؛ وانتهينا إلى عاقبةٍ

أفصح عنها المسيو ماسنيون كل الإفصاح حين لقيته فى باريس ؛ إذ قال : « إن المسيو مارسيه لا يُحِبُّك ؛ ولكنه لا يستطيع أن ينساك !! » .

أما الدكتور طه حسين : فما أدرى والله ما ذنبه حتى يُهاجهم أعنف الجهود فى هذا الكتاب !! ؛ إن هذا الرَّجُل تربطنى به أُلوفٌ من الذكريات ؛ يرجع بعضها إلى العهد الذى كنت فيه طالباً بالجامعة المصرية القديمة ؛ يوم كان يصطنع العدل الذى يلبس ثوب الظلم فى امتحان الطُّلاَّب ؛ فقد ساعد مرَّةً على إسقاطى فى امتحان (الجغرافيا ووصف الشعوب) !! ؛ وأسقطنى مرَّةً ثانيةً فى امتحان (تاريخ الشرق القديم) !! ؛ والسقوط فى الامتحان مما يحفظه الطالب المُخلص لأُستاذه المُنصف !! .

ويرجع بعض الذكريات إلى العهد الذى كنت فيه مُدرِّساً بالجامعة المصرية الجديدة ؛ حين كنت أحمل إليه على أكتافى أحجار الأساس لنرفع القواعد من كُليَّة الآداب .

وأدق ما يتصل بيننا من الذكريات : ما وقع فى ربيع سنة **1926** م : يوم ظهر كتاب « الشعر الجاهلىّ » ؛ وثارت الأُمَّة والحُكومة والبرلمان ؛ وكان أصدقاؤه وزملاؤه بين خائفٍ يترقَّب ؛ وحاسدٍ يتربَّص ؛ وكنت وحدى صديقه الذى لا يهاب ؛ وزميله الذى لا يخون .

ولكن حماستى للفكرة التى أُدافع عنها ؛ وَغَرَامُ الدكتور طه بنقضها فى رسائله وأحاديثه ومُحاضراته ؛ كان مما حملنى على مقاومته بعُنفٍ وقُوَّةٍ ؛ حتى ليحسب القارئ أن بيننا عداوة سقيت لأجلها القلم قطرات من السُّمِّ الزُّعاف ؛ حين عرضت لدحض آرائه من فصول هذا الكتاب !! .

اكتب هذا وقد شرَّق الدكتور طه وغرَّبت ؛ ولم يبق بيننا إلا أطيافٌ من الذكريات .

.....

2ـ طه حسين : النَّقد ؛ والطَّربوش ؛ وزُجاج النافذة :

ذكرت النقد والطربوش وزجاج النافذة ؛ واعتقدت أنا أو خُيِّلَ إليك أنى أعتقد ؛ واعتقدت أنت أو خُيِّلَ إلىَّ أنك اعتقدت ؛ واعتقد صديقى المازنىُّ أو خَيَّلَ إلى نفسه وإلينا أن يعتقد أنى قد أمتعت الرسالة وقُرَّاء الرسالة بفصلٍ قَيِّمٍ أو غير قَيِّمٍ : قوامه الحديث عن النقد والطربوش وزجاج النافذة .

وتسألنى : ما بال الأستاذ المازنىِّ يُقحم هنا إقحاماً ؟!! ؛ وما خطبه مع النقد والطربوش وزجاج النافذة ومرق الفول النابت وماء المخلل وما يتبع هذا كله من الأشياء والأحياء ؟!!

فأُجيبُك : بأن هذا السُّؤال لا ينبغى أن يُساق إلىَّ ؛ وإنما ينبغى أن يُساق إلى الأُستاذ المازنىِّ ؛ فهو الذى تحدَّث عن هذا كله .

فهل تدرى ماذا دفع الأستاذ المازنيُّ إلى أن يتحدَّث عن هذه الأشياء ؛ وعن هؤلاء الأشخاص ؛ فيُثيرني إلى أن أتحدث عنه وعنها وعنهم ؟

هو شيءٌ يسيرٌ جداً ؛ و أنه أديبٌ يقرأ في الكُتُب ؛ ويكتب في الصُّحف ؛ وينقُد الكُتَّاب والمُؤلِّفين .

وتتغير الأزمان ؛ وتتبدَّل ظروف الحياة ؛ ولكن هناك شيءٌ لا يتغير ولا يتبدَّل في حقيقة الأمر : وهو أن الأدب محنةٌ يُمتحن بها الأدباء .

وقد امتحن الله صديقنا المازنيَّ ؛ ووفَّر له من نقمة الأدب وبلائه حظّاً عظيماً ؛ فجعله شاعراً مُجيداً ؛ وكاتباً بارعاً ؛ لا يصدر كتابٌ إلا أراد الناس أن يعرفوا رأيه فيه وحُكمه عليه .

وكان صاحب الكتاب نفسه أحرص الناس وأشدَّهم طلباً له وإلحاحاً فيه ؛ والكتب تمطر على الأستاذ المازنيِّ ؛ ويمطر منها طلب النقد وطلب التقريظ ؛ والنقد والتقريظ يحتاجان إلى القراءة والدرس ؛ وإذن فالمازنيُّ المسكين مصروفٌ عن نفسه وعن فنِّه وعن كُتبه إلى هؤلاء الذين يكتبون !! .

ومن هُنا ؛ ومن جهات أُخرى : كان المازنيُّ شقيّاً بالأدب ؛ وإن كان الأدب سَعُدَ بالمازنيِّ ؛ وأيُّ شيءٍ أدلُّ على شقاء المازنيِّ بالأدب ؛ وسعادة الأدب بالمازنيِّ : أقوى من هذه القصة التى أُحدِّثك عنها الآن .

فقد أخرج « كاتبٌ من الكُتَّاب : كتاباً من الكُتُب » ؛ وأهداه إلى الأستاذ بالطبع ؛ وعرف الناس أن هذا الكتاب قد أُهْدِىَ إليه ؛ فأخذ الناس ينتظرون ؛ وأخذ صاحب الكتاب بنوعٍ خاصٍ ينتظر ؛ فلما طال الانتظار : كان الطلب ؛ ولما كان الطلب ولم يجد شيئاً : كان الإلحاح ؛ واضطر المازنىُّ أن يُذعن ؛ وَأُكْرِهَ المازنىُّ على أن يكتب ؛ ولكنه كان قد أرسل الكتاب إلى من يُجَلِّده ؛ فلما اشتد عليه الإلحاح : ذهب فى طلب الكتاب من المُجلِّد : فَدُفِعَ إلى رحلةٍ غريبةٍ !! ؛ وإلى استكشافٍ أغرب !! : دُفِعَ من هذه الأحياء المُتحضِّرة التى تتسع فيها الشوارع ؛ والتى لا تتغطى أرضها بالوحل : إلى أزقّةٍ ضيِّقةٍ مُلتويةٍ فاسدة الهواء ؛ تعيش فيها أجيالٌ من المردة والشياطين!! ؛ وفى هذه الأزقة عَرِفَ المازنىُّ الخوف والفَرَق!! ؛ ثم عرف قصة الرجل الذى يطلب كتاباً ؛ ففقد طربوشه وعاد صفر اليدين .

ولكنه السؤال الذى أحب أن أسأله هو : هل يظن المازنىُّ أنه أبرأ ذِمَّته أمام القُرَّاء وأمام المؤلف بهذا الفصل البديع الذى كتبه منذ أيام ؛ فحدثنا فيه عن النقد والطربوش وزجاج النافذة ؛ وعما تحمل الأرض من وحلٍ وما تمطر السماء من مرق ؟!!

وسؤال آخر أحب ألا يغضب صديقى المازنىُّ حين أسوقه إليه : ما باله يطغى على نفسه ويُسرف عليها فى الطُغيان ويُصوِّرُها هذا التصوير الذى لا

يُلائمها بحالٍ من الأحوال ؛ والذى لا نُحِبُّهُ له؟!! ؛ فهل من الحقِّ أنه هيَّابٌ إلى هذا الحد؟!! ؛ كلا!! ؛ ولكنه يُحِبُّ أن يعبث بنفسه ؛ فيُسرف فى العبث ؛ وأكبر الظن أننا إن حدَّثناه فى ذلك ؛ ضاق بنا وسخر ؛ وأخشىَ أن لا يكون لشىء من هذا كُلِّهِ أصلٌ ولا فرعٌ كما يقولون ؛ وأن يكون المازنىُّ قد أراد نقد الكتاب الذى طُلِبَ إليه نقده ؛ فمضى به الخيال ؛ ومضت به الدُّعابة بهذه الأزقَّة الضيِّقة المُلتوية : يبحث فيها عن الكتاب وصاحب الكتاب ؛ فلم تفد إلا أن فقد طربوشه ؛ وأضاع على صاحبه الشيخ زجاج نفاذته ؛ ولم يجن لنفسه ولا لصديقه المؤلف شيئاً !! ؛ وويلٌ للكُتَّاب والمُؤلِّفين من دُعابة المازنىِّ ومُجونه!! ؛ وويلٌ للكُتَّاب والمُؤلِّفين من ألغاز المازنىِّ ورموزه؟!! ؛ بل ويلٌ للمازنىِّ نفسه من طُغيان خياله وجُموحه؟!! ؛ فإن فى هذا الجسم النحيل الضئيل ؛ جسم هذا الرجل الهادئ الوديع : مارداً لا كالمردة!! ؛ وشيطاناً لا كالشياطين !!.

.....

3ـ من زكى مبارك إلى طه حُسين :

أنا أعرف الدكتور طه حسين ؛ أُقسم جهد اليمين ليمسخنَّ كتابى مسخاً !! ؛ وليمحونَّه من الوجود!! ؛ وليصيرنَّ اسم زكى مبارك مُرادفاً لاسم عيسى بن هشام!!.

اسمع ما يقول الدكتور طه حسين :

((أخرج كاتبٌ من الكُتَّاب : كتاباً من الكُتُب)) !! .

فمن هو الكاتب؟!! ؛ وما اسم ذلك الكتاب ؟!! ؛ لعلّكم فهمتم أن الرجل طوى اسم كتابى ؛ فاستطاع بذلك أن يمحونى ؛ وأن يجر على كتابى ذيل البستان !! .

ولم لا يفعل ذلك وهو يتوهَّم أنه يرفع أقواماً ويخفض آخرين ؟!! ؛ وأن المُؤلِّفين لا يُعرفون إلا إذا زكَّاهم وأثنى عليهم ؟!!

سألت جميع الناس أن ينقدوا كتابيى ((النثر الفنىّ))

لقد سألت فُلاناً وفُلاناً ؛ وكان الدكتور طه هو الرَّجُل الوحيد الذى لم أسأله على الإطلاق ؛ فكيف تخطيته مع أنه يكتب كل يوم ؟!!

تخطيته ؛ لأنه يقدر على كل شيءٍ إلا الإنصاف ؛ وهو لا يُنصف حين يُنصف إلا لحاجةٍ فى النفس !! ؛ وقد قطعت بينى وبينه الأسباب منذ اعتزمت كشف ما تورَّط فيه من الأخطاء ؛ والرجل لا يرضى إلا عمن يؤمنون بأن باطله أشرف من الحق ؛ وأن خطأه أفضل من الصواب !! .

يا دكتور طه !! :

أنا ما أسأت إليك !! ؛ بل أحسنت إليك بعض الإحسان حين دللت القُرَّاء على أنك لم تبتكر ما تورَّطت فيه من الأخطاء ؛ وإنما أخطأ جماعة

المستشرقين ؛ فتبعتهم بلا رويَّةٍ ؛ فكان عليهم إثم السُّنَّة السَّيِّئة ؛ وكان عليك إثم التقليد !! .

كنت أنتظر أن تفرح بكتابى ؛ لأنه كما تعلم جهد أعوامٍ طُوالٍ ؛ لكن خاب الظنُّ ؛ وعرفت أنك وسائر الناس تغضب وتحقد ؛ وكنت أرجو أن يكون عندك شىءٌ من تسامُح العُلماء !! .

تعال نتحاسب يا ناسى العهد !! ؛ ويا مُنكر الجميل !! ؛ لقد مرَّت أعوامٌ لم يكُن يذكرك فيها بخيرٍ أحدٌ غيرى!! ؛ هل كان فى أصحاب الأقلام من انبرى للدفاع عن طه حسين غير تلميذه وصديقه زكى مبارك؟!! ؛ لقد ذكرتك بالخير فى جميع مُؤلّفاتى !! ؛ فهل يضيع عندك كل هذا المعروف لأنى بدَّدت أوهامك فى كتاب « النثر الفنىّ » ؟!!

كان فى همِّى دائماً أن أحرص على واجبات المروءة ؛ وقد رأى الدكتور موقفى يوم أخرجه وزير المعارف من كُليَّة الآداب ؛ فقد دافعت عنه فى « البلاغ » دفاعاً ما كان ينتظره!! ؛ ولعلَّه قد دهش منه!! ؛ وكنت فى محضره ومغيبه من المُنافحين عنه ؛ لأن المروءة كانت تُطالبنى بذلك... ؛ أفيعجز الدكتور وهو أكبر منِّى سنَّاً وأرفع صوتاً عن مُقابلة المروءة بالمروءة ؟!!.

لقد كان يجب أن يكون الضمير العلميُّ أقوى من أن تُؤثِّر فيه الأحقاد اليوميَّة !! ؛ وكان يجب أن يكون العلماء أرفع من أن يخضعوا للأهواء والشهوات !! ؛ وكان الدكتور طه أولى الناس وأجدرهم بأن يتخلَّق بالخُلق الجميل !!.

.....

4. زكى مُبارك :

« طه حُسين : بين البغى والعُقُوق »

لقد ذهبت أنت فأتممت دراستك فى باريس ؛ وذهبت أنا فأتممت دراستى فى باريس ؛ فهل تعلم ما الفرق بينى وبينك؟!!.

اسمع أيها الصديق القديم البالى !! :

ذهبتَ على نفقة الجامعة ؛ ومضيت أنا مُتوكِّلاً على الله ؛ فأنفقتُ ما ادَّخرت من عرق الجبين .

واتصلتَ أنت بالمسيو كازانوفا : ففرض عليك آراءه فرضاً ؛ ولم تكن رسالتك عن ابن خلدون إلا نسخة من آراء ذلك الأستاذ .

اتصلتُ أنا بالمسيو مرسيه : ففرضت عليه آرائى فرضاً ؛ واتصلت بيننا وبينه الخصومة ؛ فآذانى إيذاءً شديداً !! ؛ ولكن قناتى ظلَّت صلبةً ؛ واستطعت أن أُقَوِّض كبرياءه فى عُقر بيته وفوق كرسى السربون !!.

ولم تمر هذه المعركة بلا غنيمة ؛ وقد وقف المسيو ماسنيون يوم أديت امتحان الدكتوراه ؛ وقال :

« إننى حين أقرأ أبحاث طه حسين أقول : هذه بضاعتنا رُدَّت إلينا ؛ وحين أقرأ أبحاث زكى مبارك أشعر بأننى أواجه شخصيَّةً جديدةً » .

فإن كُنتَ فى ريبٍ من ذلك ؛ فاسأل من حضروا امتحانى فى السربون ؛ وكانوا مئات ؛ وفيهم مدير البعثة المصرية فى باريس .

لقد اشتغلت أنا بالصحافة ؛ واشتغلت أنت بالصحافة ؛ وإليك الفرق بين الشخصيتين :

كنت أنا رئيساً لتحرير « جريدة الأفكار » ؛ وكانت تُدافع عن مبادئ الحزب الوطنىِّ ؛ وكان يُشرف عليها عبد اللطيف بك الصوفانى ؛ فكنا نختلف ونختصم كل صباحٍ ؛ لأنى كنت آبى أن أكتب غير ما أراه من التعليقات السياسيَّة .

وأنت اليوم رئيس تحرير جريدة وفديَّة ؛ فهل تدرى ماذا تصنع؟!!

تدخل إلى مكتبك ؛ فلا تكتب سطراً قبل أن تتصل تليفونيًّاً بهذا أو ذاك لتتلقى الوحى ؛ ثم تكتب ما يُلقى عليك وكأنك الببغاء !! .

اشتغلت أنت بالتأليف ؛ واشتغلت أنا بالتأليف ؛ وإليك الفرق :

مضيت أنت فانتهبت آراء المستشرقين ؛ وتوغَّلت فسرقت حُجج المُبشِّرين ؛ وكان نصيبك ذلك التقرير الذى دمغتك به النيابة العموميَّة ؛ وأنت تعلم أن ليس لك رأىٌ واحدٌ وصلت إليه بعد جهدٍ وبحثٍ !!.

واشتغلت أنا بالتأليف : فكانت آرائى مُبتكرة ؛ ولم يستطع أحدٌ أن يتهمنى بالسرقة من فُلانٍ أو فُلانٍ كما اتهموك بالسرقة من جميع الناس .

ومُؤلَّفاتك تموت يوم تولد ؛ ولك أن تسأل لجنة التأليف لتخبرك أن كتاب « الأدب الجاهلىّ » لم يُبع منه شىءٌ بعد النُّسخ التى فرضتها أنت على طلبة كُليَّة الآداب !!.

ثم رأيت مائدة الوفد أشهى من غيرها وأمتع : فذهبت وقدَّمت إليها نفسك ؛ وهدَّدت الدكتور بكشف أسرار الدستوريين .

كنت لوحة إعلانات لا تذيع الرأى إلا لتغيظ الجمهور ؛ لتصبح حديث الناس فى الأندية والمُجتمعات !!.

أعلنت بعد إخراج « الشعر الجاهلىّ » نداءً قُلتَ فيه :

« أشهد أنى أؤمن بالله وملائكته وكُتبه ورُسله واليوم الآخر » .

أنت تؤمن بالله وكتبه يا دكتور طه وأنت تُكذِّب التوارة والقرآن اعتماداً على رأىٍ خاطئٍ سرقته من أحد المُبشِّرين ؟!!

أنت لم تترك حزباً إلا خدمته ؛ ولا جريدةً حُكوميَّةً إلا تودَّدت إليها بعددٍ

عديدٍ من الرسائل الطُّوال !!.

.....

5ـ زكى مُبارك :

الجديد فى دم الأديب

سترون أن أبلغهم أثراً فى نفس الجماهير؛ وأقدرهم على أسر القلوب؛ وغزو العقول؛ واحتلال النُّفوس: هُم الأُدباء الذين ابتلتهم الحياة بصُنُوفٍ من الأرزاء؛ وعرفوا كيف تقسو الحياة؛ وكيف تلين؛ أولئك هم الذين يكتبون وفى كُلِّ حرفٍ سِرٌّ ظاهرٌ أو غرضٌ دفين .

أما الأُدباء المُدلَّلون الذين حبتهم الدنيا بألوان من الترف والنعيم: فهم ينظمون ويكتبون وكأنهم يلعبون؛ وليس للألاعيب فى عالم الأدب بقاء .

الحياة هى كتاب الأديب؛ ومن حظِّه أن يعرف البؤس والشقاء؛ وأن يُدرك كيف يكون الضجر والاكتئاب؛ وأن يشهد بعينيه كيف يرتفع السفلة والأغبياء؛ وكيف يطيش الحظ الأهوج فيظلل بجناحيه رءوس المُحَرِّرين من أهل الجاه المُزيَّف والمجد المكذوب .

والأديب الذى يتهيَّب الحياة ويخاف مجاهلها: هو أديبٌ رخوٌ ضعيف؛ ليس أهلاً لمجد القلم ولا شرف البيان .

الأدب الصادق ليس إلا حومة قتال ؛ ولكن أيُّ قتال؟!! : قتالٌ فى سبيل الحقِّ والخير والجمال .

والحياة لم تكن يوماً دار سلام ؛ وإنما السلام فى المقابر ؛ فمن أراد أن يستريح فليمُت ؛ أما الأحياء فقد كُتِبَ عليهم أن يُناضلوا ويُقاتلوا ويُصاولوا ما بقىَ فيهم عِرْقٌ ينبض وقلبٌ يثور ؛ فإن جنحوا للسلم فقد استسلموا إلى سكرات الموت وبئس المصير !!.

خذوا وحيكم من الحياة يا طُلاَّب الأدب ؛ وتذكَّروا دئماً أن وقود عقولكم وقلوبكم لا يكون : إلا من الألم ؛ ومن الصدق .

الأدب الصادق هو الذى يحمى صاحبه من بريق الزيف والبُهرج ؛ ويصونه من الخضوع لأرباب الألقاب ؛ وإن أديباً واحداً بهذه الخلال أجدى على الأدب من أُلوف الأدباء .

.....

6- أوَّلُ هجومٍ سافرٍ على طه حسين :

أما الأحقاد التى تتلظَّى فى صدر طه حُسين : فستقضى عليه شَرَّ قضاء ؛ وتُنكِّل به تنكيلاً ؛ ولن تدوم له أيَّام الطُّغيان ؛ ولن يبقى له فُلان وفُلان ؛ والكُرسىُّ الذى يجلس عليه فى الجامعة هو أقل ما أنتظره من الجزاء فى المستقبل القريب .

إن أعظم منصب فى الجامعة لا يُنيلنى من المجد ما أنالنى كتابُ « النثر الفنىّ » ؛ ستفنى أحجار الجامعة المصريَّة وتبيد ذكرياتها : ثم يبقى ذلك الكتاب على مَرِّ الزَّمان !!.

والذين يُحاربوننى : لم يطمعوا فى مُحاربتى إلا لظنِّهم أنى رَجُلٌ أعزل : لا أنحاز إلى حزبٍ من الأحزاب ؛ وليس لى فى الحكومة عمٌّ ولا خال !!.

ولكن خاب ظنُّهم ! ؛ فإن الحق أعزُّ وأقوى ؛ وسيرون كيف أُزلزل أرواحهم ؛ وكيف أملأ قلوبهم بالرُّعب ؛ وكيف أُريهم عواقب ما يصنعون !!.

إن النصر سيكون حليف من يصلون النهار بالليل فى تثقيف عقولهم ؛ أما الثرثرة الفارغة التى يعتصم بها طه حُسين : فلن يكون لها فى عالم الجِدِّ بقاء !!.

.....

7ـ زكى مُبارك :

كيف هاجمتُ طه حُسين

1ـ إنى بدأت أُناوش الدكتور طه حسين مُنذ سنين : حين تبيَّن أنه كالطبل الأجوف!! ؛ وأنه لا يعرف من تاريخ الأدب العربىِّ إلا قشور عديمة المحصول!! ؛ وكنت كُلّما هاجمته تخذَّل وضعُفَ وخشىَ عاقبة النِّضَال!!.

ثم اتفق أنى عُيِّنتُ فى الجامعة المصريَّة : فبدا له أن يتشجَّع ويُناوشنى ؛ ظنًّاً منه أنى أخاف المُناوشات احتفاظاً بمنصبى فى الجامعة ؛ ودفعاً لمغبَّات القتال !! ؛ فأمهلته قليلاً ؛ وتركته يصول فى مُناوشتى ويجول ؛ وكذلك أمليت له حتى جاءت الموقعة الحاسمة : يوم عُيِّنَ نجيب الهلالىُّ وزيراً للمعارف ؛ وكُنتُ أعرف الصلة التى بينه وبين نجيب الهلالىِّ ؛ وفى هذا ما فيه من المُحالفة بين رَجُلين لهما خصمٌ لا سند له بين الأحزاب ولا عمٌّ له فى الحكومة ولا خال !!.

في تلك الأيَّام : أراد طه حسين أن يناوشنى ؛ وكان يثق أني سأسكت فلا أُجيب ؛ ورأى فريقٌ من زُملائى فى الجامعة أن أتسامح مُراعاةً للظروف ؛ فأقسمت لأقدينَّ مشرع حياته !! ؛ ولأجعلنَّه مثلاً فى الآخرين ؛ وكذلك كتبت مقال : « طه حُسين : بين البغى والعُقُوق » ؛ الذى أبكى طه حسين بالدمع السخين!! ؛ وكان يظنُّ أنه لن يعرف البُكاء .

وعاد طه حسين إلى الجامعة فى زَفَّةٍ لم يُسمع بمثلها منذ كان يسكن فى كفر الطماعين ؛ وظنَّ الناس أنى سأُلاينه ؛ ولكن هيهات !! ؛ فقد تجاهلت عودته سبعة أيَّام ؛ إلى أن جمع بيننا مجلس قسم اللغة العربيَّة .

فى تلك الأثناء أراد الشيخ أمين الخولى أن يُصلح بيننا ؛ فعرض الفكرة على الدكتور طه ؛ فقبل ؛ وعرضها علىَّ ؛ فقبلت ؛ وكنت أرى أن الصُّلح خير ؛

وأن الزُّهد فيه بغىٌ وعُدوان .

وكنت أحسب أن الصُّلح لن يزيد عن المُصافحة وتبادل التحيَّات ؛ ولكنى فُوجئت مُفاجأةً لم تخطر على بال !! ؛ فإن الأستاذ أمين الخولى انتظر حتى اجتمع بعض الزملاء ؛ ثم نهض فقال : هذه أول جلسةٍ يحضرها الدكتور طه حسين بعد عودته ؛ وأنا أقترح أن تُلقى كلمة ترحيبٍ ؛ وأُفضِّل أن يُلقيها الدكتور زكى مبارك ؛ لأن بينهما أشياء يجب أن تزول .

وكان موقفاً فى غاية الحرج !! ؛ ولكنى تحفَّظت ؛ إذ كنت أعرف أن العداوة التى بينى وبين الدكتور طه يصعب أن تزول !! ؛ ومن الحزم أن لا أقول كلاماً ينطوى على تودُّدٍ أو ترفُّقٍ ؛ فوقفت ؛ وقُلت :

إنى أُرحِّبُ بعودة الدكتور طه ؛ وقد زاملته من قبل من ثلاث سنين ؛ وكنت من قبل ذلك من تلاميذه الأوفياء ؛ والذى وقع بينى وبينه لم يكن فيه شىءٌ جارحٌ إلا المقال الذى نشرته فى « البلاغ » ؛ وهو مقالٌ أعرف بأن فيه شيئاً من الشَّطط ؛ ولكنى لا أعتذر عنه ؛ لأنه من بعض ما علَّمنى ؛ ومن الخير أن نتناسى ما فات ؛ لأن مصلحة العمل تُوجب الوفاق .

وقد ابتسم الأساتذة حين ذكرت أن الشَّطط كان من بعض ما علَّمنى ؛ وعدوها خُطبةً لبقةً ؛ فيها ترضيةٌ ؛ وفيها احتراس .

وبعد أيَّام : دار طلبة الجامعة على الأساتذة يُطالبونهم بدفع قيمة الاشتراك في تكريم الدكتور طه ؛ وكانت خمسين قرشاً ؛ وهو مبلغٌ زهيدٌ ؛ ولكني رأيت من الأشرف أن لا أدفع خمسين مليماً في تكريم شخصٍ مثل طه حُسين !!.

فلما طالبوني بالاشتراك : أبيتُ ؛ وكانت حُجَّتي أني لا أُحِبُّ أن أهجو رجُلاً وأُكرمه في أسبوعٍ واحدٍ !! ؛ وكذلك عصمت نفسي من هذا التكريم !!.

وبعد شهرين من ذلك التاريخ : أقام طلبة قسم اللغة العربيَّة حفلاً لتكريم طه حُسين ؛ وجاء تلاميذي ؛ فرجوني أن أحضر ذلك الاحتفال ؛ ودُعِيتُ للخطابة ؛ فألقيت كلمةً حازمةً في المُوازنة بين أساتذة دار العلوم وأساتذة كُلِّيَّة الآداب ؛ وكان في تلك الكلمة درسٌ نافعٌ ؛ قُلتُ :

إني أُوجِّهُهُ إلى نفسي ؛ وإلى تلاميذي ؛ وإلى الدكتور طه إن شاء .

ومع ما في تلك الكلمة من إيذاء الدكتور طه ؛ فقد قابلها الطلبة بالتصفيق والإعجاب ؛ لأني ألقيتها في حزمٍ وإخلاص .

2ـ أما موقفي في جلسات قسم اللغة العربيَّة : فكان دائماً موقف المُعارضة الصريحة لنزعات طه حسين ؛ وكان لا يسلم منِّي إلا بأخذ الأصوات ؛ وكان أساتذة اللغة العربيَّة لا يرون فائدةً في مُعارضته !! ؛ إذ كانوا يعرفون أن كل شيءٍ مصيره إلى هواه ؛ بفضل الوسائل التي يعرفها الجميع !! .

3ـ لا أُنكر أنى أسرفت ؛ ولكن الأيَّام أرتنى أن الحزم كان أوجب ؛ ولولاه ما استطعت الآن أن أُناقش من يزعم أنى قابلت الدكتور طه حسين بالترحيب ؛ وأنه مع ذلك لم ينس ما كويت به جنبيه من قوارع التثريب ؛ ولم يغفر ما كشفت من سرقاته ؛ وكان الناس يحسبونه من المُبدعين !!.

وفى أوائل شهر مايو : دعانى الأُستاذ الدكتور منصور فهمى إلى مكتبه ؛ وقال : أرسلت إدارة الجامعة تسأل عن تجديد العقد ؛ والنظام يُوصى بأخذ رأى الدكتور طه حسين ؛ فاذهب يا بُنى ؛ وصفِّ ما بينك وبينه ؛ وسأحفظ الخطاب حتى يتم بينكما الصفاء .

فأجبت الدكتور منصور فهمى بما نصه :

« أنا على أتمِّ استعدادٍ لتصفية ما بينى وبين الدكتور طه ؛ ولكنى لا أفعل ذلك فى هذه الأيَّام ؛ ولو أنك اقترحت ذلك مُنذ شهرين لقبلت ؛ أما الآن فلا تسمح نفسى بِمُصافحة الدكتور طه ؛ وأنا أعلم أن لذلك دافعاً من الغرض ؛ ومع ذلك ما الذى يُزعجك يا سيِّدى العميد ؟!!

أتظنُّ أن الدكتور طه يتحيَّنُ هذه الفرصة ويتشفَّى منِّى ؟!! ؛ إنه أعقل من أن يقترف مثل هذا الانتقام المفضوح !! . » .

فابتسم الدكتور منصور ابتسامةً مُرَّةً !! ؛ وقال : أنت يا بُنى تُسرف فى حُسْنِ الظنِّ بالناس !!.

وفى المساء الذى احتفلنا فيه بتكريم لطفى بك فى فُندق ميناهاوس ؛ تلفَّتُ ؛ فرأيت الدكتور طه ؛ فصافحته ؛ وكان معه الدكتور حسن إبراهيم ؛ فوجَّه إليه الكلام قائلاً : الدكتور زكى تلميذك ؛ وهو يحِبُّك يا حضرة الأُستاذ .

فقُلتُ : أما إنى كنت تلميذ الدكتور ؛ فصحيح ؛ ولكنى لا أُحِبُّهُ ؛ وهو لا يستحق منِّى غير البُغض !!.

فتكلَّف الدكتور طه الابتسام ؛ وقال : ألا أستحق منك غير البُغض يا دكتور زكى ؟!!

فقُلتُ : أنت تعرف أن مودَّتنا كانت أطهر من الماء ؛ وتعرف كيف فتحت أُذنيك للدسَّاسين ؛ فأفسدوا ما كان بيننا إفساداً لا يُرجى له صلاح ؛ ومزيَّة زكى مبارك أنه لا يجُامل ولا يُصانع ؛ فاعرف الآن أن ما بيننا قد انقضى ؛ وأنك كُنت من الآثمين !!.

والقصة معروفة : فقد رفض طه حسين تجديد عقد الدكتور زكى مبارك ؛ وأخرجه من الجامعة ؛ وبدأت الحملة !!.

.....

8 ـ مقالات مجلة الصباح :

الذى بيننا لم يكن خلافاً فى الرأى ؛ وإنما هو قتالٌ عنيفٌ بين شخصين : فالدكتور طه يرى أننى كنت تلميذه ؛ ومن واجب التلميذ ـ فيما يزعم ـ أن لا

يخالف الأستاذ !!.

وأما أنا: فأرى الدكتور طه رَجُلاً قليل العلم والمعرفة بالأدب العربيِّ؛ وأراه استمرأ السطو على آراء المُستشرقين؛ وأراه في حياته العلميَّة نموذجاً للفوضى والقلق والاضطراب !!.

قد تقولون: وكيف سكت زكي مبارك عن نشر عيوب طه حسين وهو يصاحبه منذ خمسة عشر عاماً ؟!!

وأُجيب: بأن الدكتور طه ابتدأ التدريس في الجامعة المصريَّة قبل أن يقدم الدراسات الأدبية؛ فكان منذ سنين مستور العيوب؛ على أن الخواص يعرفون أنني بدأت أُعارضه منذ 1927 م؛ حين اطلعت على عجزه الفاضح؛ وعرفت أنه يعيش من سرقة آراء الأُدباء والعُلماء !!.

وأنتم تعرفون أني رَجُلٌ صريحٌ؛ لم تستطع الأيَّام أن تروضني على المُجاملة والمُداراة؛ فلم يكن بُدٌّ من أن يعرف الدكتور طه أنني لا أحترمه؛ ولا أحترم مسالكه الأدبيَّة؛ ولا أحترم تهافته الفاحش على موائد الأحزاب !!.

وكذلك هدته غريزته: إلى وجُوب مُحاربتي في عملي في الجامعة؛ وساعده على ذلك ناسٌ كُنتُ شَجَاً في حُلُوقهم؛ وكان هو في أنفسهم مثال الخادم الأمين !!.

فإذا كان الدكتور طه قد انتصر حين وجد من يساعدونه على إخراجى من الجامعة ؛ فليذكر وليذكر من عاونوه على شفاء صدره أن انتصارهم ليس إلا هزيمةً شنعاء ؛ وسوف يعلمون !!.

.....

9ـ مثالٌ من جهل طه حسين :

لقد انكشف أمر طه حسين منذ أصدرت كتاب ((النثر الفنىّ)) ؛ فقد بيَّنت أغلاطه وسرقاته ؛ وتحدَّيته أن يُدافع عن نفسه ؛ فتخاذلت قُواه ؛ ولم يملك الجواب ؛ وعرف الأدباء فى المشرق والمغرب أنه لا يملك شيئاً أصيلاً ؛ وأن مؤلَّفاته ليست إلا هلاهيل انتزعها من كلام الناس ؛ وأن ما يدَّعيه من الآراء ليس إلا صُوراً مُلفَّقةً انتزعها مما يقرأ ويسمع ؛ لأن قلمى ليس إلا محنة صبَّها الله على طه حسين !!.

ولعلَّه انتقامٌ من الله على طه حسين!! ؛ ولعلَّه انتقامٌ من الله صوَّبه إلى صدر ذلك الشخص الذى اجترأ على التوراة والقرآن ؛ واستطاع أن يقول فى وقاحةٍ !! :

((للتوارة أن تحدثنا ؛ وللقرآن أن يحدثنا)) . !!.

كأن العلم لا يكون إلا حيث تقع مساقط هواه!! ؛ أما التوراة والقرآن فهى ظنونٌ فى ظنِّه!! ؛ طه حسين جاهل!! ؛ سبحان الله!! ؛ وكيف يكون جاهلاً وهو رئيس قسم اللغة العربيَّة بالجامعة المصريَّة؟!! ؛ من الذى وضع طه حسين فى ذلك المنصب ؟!!.

إن الذى وضعه فيه هو لطفى السيِّد مدير الجامعة المصريَّة ؛ ولطفي السيد ليس حُجَّةً فى الأدب العربىِّ ؛ ولم ير فى حياته جامعةً أوروبيَّةً حتى يعرف كيف تكون الدراسات العليا؟!!.

طه حسين جاهل؟!! ؛ نعم ؛ طه حسين جاهل أشنع الجهل!!.

وإليكم اليوم مثال من جهله الميمون :

1ـ ألقى حضرته محاضرة فى الجامعة الأمريكيَّة عن شعر البُحترىِّ ؛ ونشرها فى جريدة « كوكب الشرق » .

فهل تُصدِّقون أنه وقع فى خمس غلطاتٍ جوهريَّةٍ فى مُحاضرةٍ واحدةٍ ... ؛ إلخ إلخ .

.....

2ـ وقال فى المقال الثانى :

إن مصر لا يسُرُّها أن يقوم مجدها الأدبىُّ على أساسٍ من خيوط العنكبوت ؛ وطه حسين أديبٌ مُزيَّفٌ ؛ ومن الواجب أن يسبق المصريون إلى كشف القناع

عن وجهه قبل أن يتقدَّم أُدباء الشرق فيعدونا بسيطرة هذا الجاهل على الحياة الأدبيَّة ؛ وهل خلت مصر من الرِّجَال حتى يكون طه حسين عنواناً على مجدها الأدبيِّ ؟!!

إنَّ هذا الرَّجُل لم يكن فى جميع أدوار حياته العلميَّة إلا مُرتزقاً يتلمَّس فُتات العُلماء كلما نصبوا موائدهم أو أوقدوا نارهم ؛ ولم يستطع حتى اليوم أن يواجه تلاميذه ببحثٍ أصيلٍ يُشعرهم بأنه من أهل الفكر والبيان !!.

إن كشف القناع عن معلومات طه حسين واجبٌ أدبيٌّ يقوم به أحرار الأدباء ؛ ولو كان طه حسين من الخاملين لأعفيت نفسى من تمزيق ما على وجهه من مختلف البراقع .

.....

3ـ وقال فى مقاله الثالث :

إنه فى عام 1932 م كُنتُ يومئذٍ على وفاقٍ مع الدكتور طه ؛ ولكنى كنت أُحِبُّ أن أداعبه بالنقد من حينٍ إلى حين ؛ لأنى كنت أعرف أنه فى حاجةٍ شديدةٍ إلى من يُذكِّره بالواجب ؛ وهو كما عرفته : رَجُلٌ قليل الاطلاع ؛ ولا يفهم الشعر إلا بعُنفٍ شديدٍ ؛ فلما سمعت محاضرته عن البُحتريِّ ؛ ورأيت ما تورَّط فيه من الأخطاء : لم أجد بُدّاً من تنبيهه إلى عواقب الكسل والتفريط ؛ وكتبت عموداً واحداً فى جريدة « البلاغ » تحت عنوان :

« الدكتور طه يُخطئ خمس مرَّات فقط فى مُحاضرةٍ واحدةٍ !! »

فلما ظهرت تلك الكلمة : انزعج الدكتور طه أشنع انزعاج!! ؛ وسارع أصدقاؤه ؛ فرجونى أن أكُفَّ عنه ؛ وأن أدع تقويمه إلى الأيَّام ؛ ولاسيَّما وهو رَجُلٌ أخرجه وزير المعارف من الجامعة ؛ وهو يحاول أن يكسب قوته ؛ وكشف أغلاطه فى جريدة « البلاغ » قد يصرف عنه طائفةً من القُرَّاء .

وعندئذٍ تبيَّنت أن من الذوق أن أترك طه حسين يُخطئ كيف يشاء ؛ إلى أن تصلح حاله ويستطيع النضال ؛ وذهبت إلى الجامعة الأمريكيَّة لأسمع محاضرته الثانية ؛ فلما انتهى من إلقاء الدرس ؛ نظرت : فرأيته قادماً ؛ فأسرعت إليه وحيَّيته ؛ فلما وضع يده فى يدى : شعرت بأنه يرتجف ارتجافاً عنيفاً ؛ وكاد يسقط من شِدَّة الاضطراب ؛ ولكنه تمالك نفسه ؛ وقال : أنت مخطئ ؛ قُلتُ : صدقت.

ولَمَّا خرج الدكتور طه : أقبل تلاميذى بالجامعة الأمريكيَّة ؛ وقالوا هاتفين : كيف تسكت عن مناقشة الدكتور طه وتعترف بأنك مخطئ وأنه مصيب؟!!

فقُلتُ : انتظروا حتى أشترى بخمسة تعريفة ذوق وأوزعه عليكم!! ؛ أتظنُّون أن أدبى يسمح لى بمُلاحاة طه حسين أمام الناس؟!! ؛ إن مكان ذلك فى جريدة « البلاغ » .

ثم علمت أن الدكتور طه راح يزهو ويختال ويقول : إنه فنَّد مزاعم زكى مُبارك على رءوس الأشهاد !!

إننى سكتُّ عنه يومئذٍ إيثاراً للترفُّق بِرَجُلٍ ضعيف ؛ أما اليوم : فهو بخيرٍ وعافيةٍ ؛ وكشف أغلاطه من الواجبات .

فليُجيبنا إن كان يملك الجواب !!.

.....

وقال زكى مبارك فى مقاله الرابع :

لقد درست طه حسين من جميع نواحيه : فوجدته قليل العلم جِداً ؛ ورأيته ضعيفاً أبشع الضعف فى فهم النُّصُوص !!.

وأوردت « الصباح » رسالةً بقلم أديبٍ ؛ قال فيها :

« قرأنا للدكتور طه بحوثاً فى الكتب المُنزَّلة عامة ؛ والقرآن المحفوظ خاصة ؛ ثم قرأنا أشياء ـ كأنها هى ـ للمستشرق الإنجليزيِّ (جرجس سال) ؛ وكتاب هذا المُستشرق مطبوع بعد ترجمته والتعليق عليه منذ ثلاثين عاما . » .

ـ لحظةٌ قصيرةٌ مع المُنصفين من قُرَّائى :

أُسارع فأُقرِّر : بأنَّ طه حُسين لم يكن يوماً من المُفكِّرين ؛ وإنما هو أديبٌ قليل الفكر ؛ قليل الاطلاع ؛ نشأ فى أوقاتٍ لم يكن يعرف الناس فيها غير

المُجادلات السياسيَّة ؛ وكان النقد فيها قليلاً ؛ فتظاهر بالعلم ؛ فظنَّهُ القُرَّاء من العُلماء !!.

لم يقرأ فى حياته كتاباً كاملاً ؛ وإنما قرأ فقرات من هُنا ومن هُناك !! ؛ وأخذ يشطح ذات اليمين وذات الشمال !! ؛ إلى أن اتصل بالمرحوم ثروت باشا ؛ فوضعه فى الجامعة المصريَّة !!.

ظلَّ طول عامين ظِلاً من الظلال فى عالم السياسة ؛ ولم يترك حزباً إلا خدمه ؛ ودبَّج فى تقريظه ألواناً من الرسائل الطوال !!.

والاتجاه السياسىُّ صُورةٌ من الاتجاه العقلىِّ ؛ والرجل الذى يتردَّد بين المذاهب السياسيَّة : لا يبعد أن يعيش فريسة الحيرة بين المذاهب الأدبيَّة !!.

وقد اتفق للرجل الصالح جِداً طه حسين !! : أن يخدم قبل الحرب ثلاثة أحزاب !! ؛ وأن يخدم بعد الحرب أربعة أحزاب !! ؛ وحظُّه من الثبات في المذاهب الأدبيَّة يُشبه حظه في الثبات على المذاهب السياسيَّة : تردُّدٌ هنا ؛ وحيرةٌ هُناك !!.

وقد بذل الدكتور طه جهوداً عنيفةً فى إخفاء حقيقته الأدبيَّة ؛ علَّهُ يستر ما ظهر عنه في حياته السياسيَّة!! ؛ ولكن هيهات !! ؛ فلن ينفع الكتمان !!.

إن الدكتور طه مُقلِّدٌ في كُلِّ شيء ؛ حتى لتراه يهز كتفيه على الطريقة الفرنسيَّة!!.

خصومتى للدكتور طه ستعود عليه بأجزل النفع ؛ فأنا واثقٌ أنه سيُحضّر دروسه بعد اليوم ؛ وسيرى قلمى مُصوَّباً فوق رأسه فى اليقظه والمنام ؛ فلا يستسلم للجهل أو التفريط .

كيف ينظر الأحفاد إلى تاريخ الجامعة المصريَّة حين يعرفون أن أكبر أستاذٍ فيها لم تقُم أُستاذيته إلا بفضل انتهاب آثار المُستشرقين ؟!!.

.....

- النقل من المستشرقين :

كتب الدكتور طه فى جريدة « السياسة » ؛ فقال :

ولكن شجرت بين الفريقين اليمانيين والقيسيين معركة « مرجرات » ؛

ومرجرات : كلمة لا يعرفها العرب ؛ إنما هو مرج راهط .

وكتبت مجلة الجامعة الإسلاميَّة بحلب - عدد **13** أغسطس سنة **1934** م - مقالاً ردَّت فيه على مقالةٍ نشرها طه حسين فى جريدة « السياسة » يوم **22** فبراير ؛ عن : الحياة العربيَّة ؛ وأثرها فى الشعر أيام بنى أُميَّة .

المعركة إذن : مرج راهط ؛ ولكن الدكتور طه نقل كلمتها ؛ بل سرقها : من أحد المُستشرقين ؛ ولم يفطن إلى الأصل العربىِّ لهذه الكلمة ؛ فجاءت أعجميَّة !!.

إنى أُنفق على الحبر والورق ما لا يستطيع طه حسين إنفاقه على الطعام والشراب ؛ وإن صفحةً واحدةً من كتاب «النثر الفنىّ» تساوى كُلَّ ما كتبه طه حسين فى عمره الطويل !!... ؛ ولا تظنُّوا أنى أُبالى طُغيان تلك الشخصيات الضعيفة التى لا تنهض بلا عونٍ ولا سِناد !!.

.....

ـ القديم والجديد :

نحن نعلم أنه ما من أحدٍ من الغُلاة فى التشيُّع للقديم يقول بأن كُلَّ قديمٍ على عِلاَّته مُفضَّلٌ على كُلِّ جديدٍ ؛ ولو كملت محاسن القديم وأربى عليها بفضلٍ من محاسن الجديد .

كذلك نعلم أن المُتشيِّعين للجديد لا يقولون أن كُلَّ ما يُكتب اليوم أجمل وأبلغ مما كُتِبَ فى العهد الذى نُسمِّيه قديماً .

إن شرط الأديب عندى : أن يكون مطبوعاً على القول ؛ أى غير مُقلِّدٍ فى معناه ولفظه ؛ وأن يكون له هيبةٌ فى نفسه وعقله ؛ وليس لسانه فحسب .

.....

ـ إن أطفالى لو جاعوا : لشويت طه حسين وأطعمتهم من لحمه !!

قالت مجلة «الصباح» :

يعرف القُرَّاء حديث طه حسين وزكى مُبارك ؛ وكيف أن الأول اجترأ على الثانى ؛ فحاربه فى أدبه ؛ فلم يُفلح ؛ فحاربه فى رزقه ؛ فأفلح ؛ لأن العيش أراد أن يكون زكى مُبارك مُعيداً ؛ وأن يكون طه حسين كبيراً من أساتذة الجامعة ؛ فيكون للأول الغلبة على الثانى !!.

ودارت رحى الحرب فى وجود الصُّحُف ؛ فتكلَّم زكى وحده ؛ فلم يجد أنصاراً ؛ وسكت طه ؛ وتكلَّم أنصاره !! ؛ حتى تحرَّك إبراهيم المازنىُّ ؛ فقال ما قال ؛ إلى أن قال كلمة سَبٍّ هىَ من جوامع الكلم ؛ قال :

« وإنى لأُحدِّث نفسى أحياناً بأنى لو كُنتُ أقول الشعر فى هذه الأيَّام : لرثيت طه حسين !! ؛ فإنه يخُيَّلَ إلىَّ أنه قد مات طه حسين الذى عرفته وأحببته وأكبرته !! ؛ وجاء غيره الذى أُنكره !!. » .

حين يقول المازنىُّ ـ وهو من خُلصاء طه ـ ذلك ؛ فقد حكم فى القضيَّة ؛ وانتصر زكى مُبارك .

.....

ـ إلى الدكتور طه حُسين من المازنىِّ : أما عتابك يا أخى !! ؛ فنعام عين ؛ وما قصَّرت لبُخْلٍ فىَّ ؛ أو تعالٍ منِّى ؛ أو قلَّة إدراكٍ للواجب نحو الزُّملاء

والأصدقاء ؛ ولا لأنى نسيتك ؛ أو أنى أرى أن أُهملك ؛ أو أتكلَّف الإغضاء عنك ؛ فما كان هذا قط ؛ ولن يكون فى
طباعى .

ولكن أمرين حرمانى من أن أفوز برضى الصديق وارتياح الزميل :

ـ أما الأول : فهو أنّى أرانى كُلَّما كبرت ؛ صَغُرْتُ فى نفسى ؛ نعم : زادت معارفى ؛ وكثرت تجاربى ؛ وعظمت إحاطتى ؛ ورحب أفقى ؛ ولكن كنت ـ ومازلت ـ أمرأً دأبه أن يُدير عينيه فى نفسه ؛ والشاهد : أنى مُغرىً بحساب نفسى .

ـ أما الأمر الثانى : فذاك أنّى أرى الدكتور طه قد خرج من زُمرتنا معشر الأُدباء الأحرار ؛ ودخل فى زُمرة المُلقَّبين وذوى الجاه والسطوة والسُّلطان !!. ولست أعنى أنه اكتسب لقباً جديداً ؛ فما حدث له شىءٌ من ذلك ؛ ولكنى أعنى : أنه محشورٌ ـ بكُرهه أو رضاه ـ فى هذه الزُّمرة ؛ وأنا أكرهها ؛ ولا أُطيقها أو أحتملها !! ؛ لما يلوت من سخافة أخلاق أهلها ؛ وما عرفت رَجُلاً علت به الألقاب أو المناصب : إلا رأيته يشيل فى ميزانى ؛ وإلا وجدتنى أتقيه وأنبذه .

ألفيتنى أشعر أن ما بينى وبينك من قرابة الأدب ونسبه : يكاد ينقصم على الأيام !! ؛ والأدب يُنكر الأرستقراطيَّة ولا يعرفها ؛ ولست أُصانعك

أو أتملقك ؛ فما تملك لى نفعاً أو ضراً !! ؛ فإن أمرى بيد الله ثم بيدى .

وَيَعَزُّ علىَّ يا صاحبى أن أقول :

إنى أراهم عدوك ببعض ما فيهم !! ؛ فما كدت ترجع إلى الجامعة حتى صببت نقمتك على الدكتور زكى مُبارك : تلميذك القديم ؛ الذى كان من حَقِّكَ أن تفرح به !! ؛ ولكنَّك قطعت عيشه !! ؛ وحرمته وظيفته الصغيرة فى الجامعة!! ؛ لأنك صرت ذا سُلطانٍ وأصبح بقاؤه وطرده فى يديك !! ؛ ووسعك أن تُعاقبه على تسحبه عليك !! .

وقد كُنتُ أُصدِّقُ أنك تفعل كُلَّ شيءٍ إلا هذا ؟!! ؛ فلمَّا كان منك ما كان من زكى مُبارك : صُعِقْتُ !! ؛ ولا أزال من هذا كالمضروب على أُمِّ رأسه !! .

وَأُقْسِمُ لقد فجعتنى ؛ ودفعتنى إلى الكُفْرِ بالخير فى هذه الدنيا !! .

وَأُقْسِمُ مَرَّةً أُخرى : أنك المسئول ؛ لا عمَّا أصاب زكى مُبارك أو يصيبه ؛ فعسى أن يكون الأمر أهون مما أظن ؛ بل عمَّا أصابنى أنا فى نفسى من التحول !! ؛ وما اضطرم فيها من الثورة !! .

إنك إذن من أصحاب السُّلطان يا صاحبى !! ؛ وممَّن يملكون أن يقطعوا أرزاق العباد أو يصلوها !! ؛ فلست اليوم بالأديب الذى عرفته وأحببته وأجللته وحدَّثتُ للناس عن رُجُولته وَمُرُوءته وَحُسْنِ شمائله !! ؛ وإنما أنت رَجُلٌ

يُدنى ويُقصى !! ؛ ويرزق ويحُرم !! ؛ ويُطعم العيال أو يجُيعهم !! ؛ ويضرب اليد التى ترتفع باللُّقمة إلى الفمِ فيُطيرها ويُوقعها على التُّراب لتلتقطها الكلاب والقطط ؛ ويأباها على أخيه الإنسان !! .

وإنى لأُحدِّث نفسى أحياناً بأنى لو كنت أقول الشعر فى هذه الأيَّام : لرثيت طه حُسين!! ؛ فإنه يُخَيَّلُ إلىَّ أنه قد مات طه الذى عرفته وأحببته وأكبرته ؛ وجاء غيره الذى أُنكره ؟!! .

.....

- زكى مُبارك :

- هل مات طه حُسَيْن

شُغلت الأنديَّة الأدبيَّة بالنِّضال المُمتع أو الخطاب النَّفيس الذى وجَّهه الأُستاذ إبراهيم المازنىُّ إلى الدكتور طه حُسَيْن (1).

(1) - رَدَّدَ زكى مُبارك كلمة المازنىِّ : « وإنى لأُحدِّث نفسى أحياناً بأنى لو كُنْتُ أقول الشعر فى هذه الأيَّام : لرثيت طه حسين !! ؛ فإنه يُخَيَّل إلىَّ أنه قد مات طه الذى عرفته وأحببته وأكبرته !! ؛ وجاء غيره الذى أُنكره !! . » .

ثُمَّ قال :

فإن كان المازنىُّ يودُّ أن ينظم قصيدةً فى رثاء الدكتور طه حسين ؛ فأنا - والله - أولى منه بتأدية هذا الواجب !! ؛ فقد كان لى صديقٌ اسمه طه حُسين : صاحبته عشر سنين ؛ وكان كما وصفه الأستاذ المازنىُّ : حلو الشمائل ؛ دَمِثَ الطِّباع ؛ ثم ضيَّعته الأيَّام !! .

وأُقسمُ ما تذكَّرت طه حُسين القديم : إلا تشوَّقت إليه !! ؛ فقد كان - رحمه الله - مَثَلَ المُرُوءة والوفاء ؛ أما طه حسين الجديد : فهو لا يرعى العهد ولا يحفظ الجميل !! . [أنور الجندى] .

ومن النَّادر أن يخرج الأُستاذ المازنىُّ من صومعة السُّخريَّة بالحياة والأحياء ليكتب مثل هذا الخطاب !! ؛ وأغلب الظنِّ أن الدكتور طه حُسَيْن لم يكن ينتظر ذلك الذى صَبَّ على رأسه صاحب « خيوط العنكبوت » !! ؛ ولكن الدكتور طه حُسَيْن يُعانى فى أعوامه الأخيرة أزمةً رُوحِيَّةً لم يشهد مثلها من قبل !! ؛ فقد تفرَّق عنه أصحابه جميعاً !! ؛ ولم يبق حوله غير المُرائين المشغفين الذين يَعَزُّ عليهم أن يتركوه للوحدة والاكتئاب !! ؛ وهو يحُاول اليوم رأب ما صدعته الأثرة والغفلة عن عواقب الإجحاف !! ؛ وسبيله إلى ذلك أن يتخذ محطَّة الإذاعة مَطِيَّةً لوصف المُؤلَّفات الجديدة على طريقة « شوبش يا حبايب » !! .

إنه لا يُسرف فى المدح حُبّاً فى تشجيع المؤلفين ؛ ولكن يُريد أن يمدحهم جميعاً ليُؤلِّف منهم جمعيَّةً أدبيَّةً يُقارع بها خصمه الذى يعرفون !! .
ولكن رأسه انبطح حين اصطدم بالصخرة المازنيَّة !! ؛ وانكشف للناس عواره حين أراد التقرُّب من صاحب « حصاد الهشيم » !! .

.....

ـ من المازنىِّ إلى طه حُسين :

لما كتبت أُعاتب الدكتور طه حسين فى فصل الدكتور زكى مُبارك من الجامعة ؛ وأقول :

إن الدكتور طه أصبح ممن يملكون إشباع البطون وإجاعتها ؛ وأنه صار يضرب اللقمة التى ترتفع بها ليد إلى الفم ويُطيرها فتسقط على الأرض فيعثر بها الكلاب ويحرمها الإنسان !! . :

لما قُلْتُ هذا : لم أكن أعنى أنّى أخشى على الدكتور زكى مُبارك وأولاده الجوع من أجل أنه حُرِمَ وظيفةً صغيرةً فى الجامعة ؛ ومعاذ الله أن يخطر لى على بالٍ !! ؛ لا لأن الأُدباء لا يتفق أن يعدموا القوت إلى أكثر من جاع منهم فى حياته ؛ بل لأنّى أعلم أن الدكتور زكى مُبارك رَجُلٌ كُفءٌ للحياة ؛ قادرٌ على الاضطلاع بأعبائها ؛ وأنه أزكى وأعظم رَجُولةً من أن يُبالى كيف يكسب رزقه مادامت وسيلة الكسب مشروعة لا عيب فيها ولا دَنَسَ يعلق بها .

وقد أعجبني من الدُّكتور زكى مُبارك قوله : أنه لو خاف الجوع على عياله لشوى لحم الدكتور طه وأطعم عياله !! .

وليس الذي أعجبنى أنه مُستعدٌّ لِشَىٍّ لحم الدكتور طه !! ؛ كلا !! ؛ ولو أنه هَمَّ بذلك لَكُنْتُ أول من يُقاتله عليه ويحمى طه منه ؛ وإنما الذى أعجبنى هذه الفُحُولة الساذجة التى لم تُفسدها باريس !! .

.....

ـ زكى مبارك يُواصل حملته :

1ـ يا دكتور طه !! ؛ تذكَّر أن الدُّنيا تغرب ؛ وأن انتهاب آراء الناس لا يُغنى ولا يُفيد ؛ وتذكَّر أنك تتكلَّم باسم الجامعة ؛ وهى تُوجب على مثلك أن يدرس ويبحث ؛ ولا تقنع منه بالطواف حول ما كتب الناقدون عن المتنبى !!. لقد أثبتَّ آراء الباحثين المصريين !! ؛ وسطوت على آراء المُستشرقين !! ؛ ثم مضيت فى تعثُّرٍ واضطرابٍ لا يليقان ممن يفهم الكلام عن المتنبى أىَّ تقديرٍ !! .

2ـ إنما نشاغب عمد النخبة القائلين من أدعياء البيان ؛ وأنا أسعى إلى غرض هو شغل الناس بالأدب وجعل الأفكار الأدبيَّة والاجتماعيَّة والفلسفيَّة ضرورةً عقليَّةً لا يستغنى عنها أحد المُثقَّفين .

إن شُهرة كُتَّابنا لا ترجع فى الأغلب إلى الناحية العقليَّة ؛ وإنما ترجع إلى ما يتَّصل بها من الأحداث السياسيَّة ؛ وكذلك نهضة الأدب متصلة بالنهضة السياسيَّة أوثق اتصال .

أنا لا يُرضينى الإنصاف ؛ لأن الظُّلم أشعل قريحتى !! ؛ ولو كُنْتُ لقيت العدل فى حياتى : لعشت مُنزوياً فى كُليَّة الآداب ؛ أُحقِّق الخلاف بين ابن جنِّى وابن خروف .

3ـ إن ما بينى وبين الدكتور طه لا يصرفنى عن التنويه بكتاب « على هامش السيرة » ؛ هذا الكتاب النفيس ؛ فإننى أُحِبُّ أعدائى ؛ وأتمنى لهم طيب
الأُحدوثة وبُعْدَ الصيت .

4 ـ هاجم زكى مُبارك مُؤلِّف كتاب « المجمل » ؛ وقال :

إن الدكتور طه حُسين لا يعرف عقليَّة التلاميذ فى المدارس الثانوية ؛ وأن عمله فى التدريس لا يزيد عن إلقاء المُحاضرات فى كُليَّة الآداب ؛ أما أحمد الإسكندرىُّ : فهو باحثٌ مِفضال ؛ ولكن ترك المدارس الثانوية مُنذ ثلاثين عاماً ؛ وأما عبد العزيز البشرى : فهو كاتبٌ بليغٌ ؛ ولكن لم يدخل فى حياته مدرسةً أميريَّةً ؛ ولا يعرف كيف يُخاطب التلاميذ .

وأحمد ضيف : لم يشتغل بالتدريس فى غير الجامعة ودار العلوم .

وأحمد أمين : لا يعرف المدارس الثانويَّة إلا بمقدار ما يعرفها عبد العزيز البشرى .

وعلى الجارم : أديبٌ وشاعرٌ ؛ ولكن صلته بالتعليم الثانوىٌ وقفت عند التفتيش ؛ والمُفتِّش يتوهَّم أنه يعرف المدارس .

.....

ـ إلى الدكتور طه حُسين بك من الدكتور زكى مُبارك :

1ـ يظهر أن المقادير لا تُريد أن أسكت عنك أو تسكت عنِّى !! ؛ وفى ذلك الخير كل الخير لو تعرف وأعرف ؟!! ؛ وهل ارتفع العقل إلا بفضل الخلاف ؟!! ؛ وهل يتصور الناس وجوداً للحيويَّة التشريعيَّة لو لم يثر الخلاف بين الشافعيَّة والحنفيَّة ؟!! ؛ وهل تأصَّلت مُشكلات النحو والصرف إلا بفضل الجدال بين البصريين والكوفيين ؟!! ؛ وهل تفوق العقل المصرىُّ فى العصر الحديث إلا بسبب النزاع حول القديم والجديد ؛ والصراع حول المذاهب الاجتماعيَّة والأحزاب السياسيَّة ؟!!

إن بداوة الطبع التى كثر الكلام فى ذمِّها وتجريحه : لم تكن من المثالب إلا فى كلام الشعوبيَّة ؛ وهم قومٌ أرادوا الغضَّ من شمائل العربيَّة ؛ ولولا ذلك الهجوم لبقيت من المحامد ؛ فكيف تُنكر على رَجُلٍ مثلى أن يظلَّ بدوىَّ الطبع فى زمنٍ توارت فيه الصراحة ؛ وكثر فيه تنميق الأحاديث ؟!!

لابُدَّ من خلافٍ بينى وبينك : لتجد الأبحاث الأدبيَّة والفلسفيَّة وقوداً يحيا به اللهب المُقدَّس فى حياة العقل والوجدان .

فإذا ضاق صدرك : فهذه الحقيقة ؛ واكتفيت بمحاورة الرَّجُل اللطيف الذى يقول :

إن الصحراء تشكو الظمأ ؛ وإن البحر يشكو الرِّيَّ ؛ وإن الخير فى امتزاج البحر بالصحراء .

إن كان ذلك ما يُرضيك : فشرِّق فى مُحاورته وغرِّب كيف شئت وكيف شاء .

2ـ يا دكتور طه !! ؛ ما سبب الخصومة بينى وبينك ؟!!

مُنذ أكثر من سبعة أعوام ألقيتَ مُحاضرةً فى الجامعة الأمريكيَّة عن البُحترىِّ ؛ وسجَّلتها جريدة « كوكب الشرق » ؛ وشاء : « العفريت الذى يحتلُّ رأسى حين أخلو إلى قلمى » : أن أنشر فى جريدة « البلاغ » مقالاً عنوانه :

« الدكتور طه حُسين : يغلط خمس مرَّات فقط فى مُحاضرةٍ واحدةٍ !! »

ثم لقيتنى بعد ذلك فى الجامعة الأمريكيَّة ؛ وجادلتنى فى تلك الأغلاط ؛ فأعلنت أنى أخطأت ؛ وكان ذلك لأن الجمهور قد أحاط بنا من كل جانبٍ ليرى كيف أدفع هجومك ؛ وما كان يجوز لى أن أصنع غير الذى صنعت ؛ لأن أدبى لا يسمح لى بِمُجادلتك أمام الناس ؛ ولأن وجهك يشفع لك ؛ فهو وجهٌ لا يلقاه الرَّجُلُ الحُرُّ بغير الإعزاز والتبجيل .

فما الذى صنعت أنت فى تصحيح الأغلاط التى أخذتها عليك ؟!! ؛ مضيت فنشرت مُحاضرتك عن البُحترىِّ فى كتابك « حديث النثر والشعر » ؛ وأبقيت تلك الأغلاط !! .

أستغفر الله !! ؛ بل تفضَّلت فشكلت الكلمات المغلوطة لتقول : إنك لا تعبأ بأىِّ نقدٍ يُوجَّه إليك !!

3ـ ثم ماذا ؟!!

ثم حدث فى صيف عام 1929م : أن أنكرتَ علىَّ أن أتخذ شواهد لتطور النثر الفنىِّ من رسائل عبد الحميد بن يحيى ؛ وقُلتَ :

إن عبد الحميد بن يحيى شخصيَّةٌ خرافيَّةٌ كشخصيَّة امرئ القيس ؛ وكان ذلك بمسمعٍ من شابَّين واعيين ؛ هُما : محمد مندور ؛ وعلى حافظ ؛ وكانت حُجَّتك أن عبد الحميد بن يحيى لم يرد اسمه فى مؤلفات الجاحظ ؛ فرجعت إليك بعد أيَّامٍ وأخبرتك أن الجاحظ تكلَّم عن عبد الحميد بن يحيى مرَّات كثيرة. !! ؛ وأن مُؤلَّفات الجاحظ تعرف رُجُلين : أحدهما عبد الحميد الأكبر ؛ والثانى عبد الحميد الأصغر !!.

فلم تُجِب بحرفٍ واحدٍ !!.

ثم ألقيتَ وأنا فى باريس مُحاضرةً قُلت فيها :

إن عبد الحميد بن يحيى أخذ أشياء من أدب اليونان .

وفاتك أن تنُصَّ على اسم الرَّجُل الذى أقنعك بأنه لم يكن شخصيَّةً خُرافيَّةً !!.

وقد حملنى العفريت الذى يحتلُّ رأسى حين أخلو إلى قلمى : على أن أُسجِّل هذه القصة فى أحد هوامش كتاب « النثر الفنىّ » ؛ فكانت فُرصةً اغتنمها صديقك الأُستاذ أحمد أمين ؛ ليقول فى مقالٍ كتبه فى مجلَّة « الرسالة » :

إن زكى مُبارك يعوزه الذوق فى بعض الأحيان .

4ـ أنت تعرف أنّى لم أنل ألقاب الجامعة المصريَّة بلا جهادٍ ؛ وأنت نفسك أسقطتنى فى امتحان الليسانس مرّتين ؛ واشتركت فى امتحان الدكتوراه الذى أدَّيته أول مرَّةٍ ؛ مع أنك لم تكن عضواً فى لجنة الامتحان !!.

وكان لخصومتك الصُّوريَّة تأثيرٌ فى الدكتوراه التى ظفرتُ بها للمرة الثالثة ؛ فلم أصل إليها إلا بعد جهاد سبع سنين !!.

5 ـ هل تذكر يا دكتور ما وقع فى نوفمبر 1919م ؟!!:

هل تذكر ما وقع يوم غاب سكرتيرك ؛ وكنت وحدى الطالب الذى يفهم العبارة الفرنسيَّة لكتاب الأثينيين لأرسطو ؟!!

هل تذكر أنك أعلنت سرورك بأن يكون فى طلبة الجامعة المصريَّة من يفهم أسرار اللغة الفرنسيَّة ؟!!

فمن يبلغك أن الشاب العربىَّ أدخل السرور على قلبك فى 1919 م ؛ هو الكهل الذى تُنكره سنة 1940م؟!!

أنا أعرف ما تكره منِّى ؛ أنت تكره الكبرياء !!

وكيف أتواضع وقد أعاننى الله على بناء نفسى ؟!!
وكيف وقد أقمت الدليل على أن الشباب المصرىَّ خليقٌ بعظمة الاعتماد على النفس؟!!
وهل رأيت رَجُلاً قبلى أتمَّ دراسته فى أوربا وهو مُثقلٌ بتكاليف الأهل والأبناء ؟!!
هل رأيت رَجُلاً قبلى يهتزُّ بأوطار الشباب ؛ وهو مُثخنٌ بجراح الزمان بعد الأربعين ؟!!
وهل رأيت رَجُلاً قبلى يُؤلِّف الكُتُب الجيِّدة فى البواخر والقطارات والسيارات ؟!!
ومن يُصدِّق أنى أُنفق فى سبيل الورق والمِدَاد أضعاف ما ينفق بعض الناس فى سبيل الطعام والشراب ؟!!

.....

ـ أحمد الله إليك «من مُبارك إلى طه»:

فى شهر يوليو **1928** م: تلقيت وأنا فى باريس خطاباً من الدكتور طه حُسين ؛ جاءت فيه عبارة:

«أحمد الله إليك»

فالتفت ذهنى إلى هذه العبارة ؛ لأنها لم تكن من العبارات المألوفة فى رسائله إلىَّ !!.

وصحَّ عندى بعد التأمُّل أن الدكتور قد يكون مشغولاً بمراجعات متصلة بالسيرة النبويَّة ؛ لأن عبارة : ((أحمد الله إليك)) : تكثر فى الرسائل المأثورة عن عصر النبوة وعصر الخُلفاء .

وبعد أعوامٍ أخرج الدكتور طه كتابه ((على هامش السيرة)) : فكتبتُ فى جريدة ((البلاغ)) ؛ فقلتُ :

إن الدكتور طه يُجيد أعظم الإجادة حين يتروى فى التأليف ؛ وكتابه الجديد أثرٌ من آثاره الجيِّدة فى ترويته ؛ فهو مشغولٌ بموضوعه مُنذ 1928 م ؛ وإن لم يقل ذلك ؛ فقد كتب إلىَّ خطاباً فى يوليه من تلك السنة يقول : ((أحمد الله إليك)) .

وقال الدكتور طه :

إنه اختراعٌ من اختراعات زكى مُبارك فى الأسماء والأحاديث !!.

وهذا نص الخطاب كما رواه زكى مبارك :

((أحمد الله إليك على ما أنت فيه من رضا بالإقامة فى باريس ؛ وأتمنَّى لك المزيد من هذا الرِّضا ؛ كما أتمنَّى أن تنتفع بأيَّامك فى فرنسا إلى أبعد حدٍّ مُمكنٍ .

وتقبَّل من السيِّدة ومنِّى تحيَّةً خالصةً وشُكراً جميلاً » .

وسرد زكى مبارك نص خطابٍ آخرٍ وجده فى أوراقه ؛ جاء فيه :

« لست أدرى كيف أشكر لك عنايتك بفلسفة ابن خلدون ؛ وأنا مُقتنعٌ فيما بينى وبين نفسى بأنها لا تستحق هذه العناية ؛ ومع ذلك فسأشترى (المقطم) مُنذ اليوم لأقرأ ما تكتب ؛ لأنك أنت الذى ستكتبه ؛ لا لأنى أنا موضوعه .
وكل ما أرجوه لك أن تصدر فيما تكتبه عن الحُريَّة الصادقة القاسية ؛ لا عن الإخاء والمودة اللذين يدفعان فى كثيرٍ من الأحيان إلى شىءٍ من الرِّفق الذى لا يخلو من إثم ؛ وأنا أُعيذ أصدقائى من أن يتورَّطوا من أجلى فى إثم الإسراف فى البِرِّ ؛ كما أكره أن يتورَّطوا فى إثم العقوق » .
وتاريخ هذا الخطاب أغسطس **1925**م .
فإن قيل :
وكيف أمكن بعد ذلك الوداد الوثيق أن تفسد العلائق بينى وبين الدكتور طه حُسين؟!!
فإنى أُجيب : بأن لله حكمةٌ فيما وقع بينى وبين الصديق .
لم يكن لى بُدٌّ من خُصومةٍ أتخذ منها فُرصةً لتوجيه الجمهور إلى الحقائق الأدبيَّة ؛ وكذلك خاصمت عدداً من رجال الأدب كان أظهرهم الدكتور طه حُسين .

.....

ـ الأيام : لطه حسين :

هذا الرَّجُلُ موهوبٌ بلا جدال ؛ ولكنه قليل الصبر على تكاليف المواهب ؛ ... ؛ ترجم لأبى العلاء : فأفلح ؛ ثم ترجم للمتنبى : فأخفق ؛ لأنه لم يصحب المتنبى بقدر ما صحب أبا العلاء .

وأخرج الجزء الأول من « الأيـَّام » : فكان أعجوبةً !! ؛ ثم فتر فى الجزء الثانى .

والجزء الأول من « هامش السيرة » : سِفْرٌ نفيسٌ ؛ أما الجزء الثانى فهو أيضاً : « سِفْرٌ نفيس » .

وكان أُستاذاً فى الجامعة المصريَّة القديمة ؛ أستاذاً عظيماً !! ؛ أُستاذاً يملك القُدرة على إسقاط زكى مُبارك فى امتحانات الليسانس مرَّتين !!.

أما فى الجامعة المصريَّة الجديدة : فهو أُستاذٌ هيوبٌ ؛ يستر كسله الجميل بالتغاضى عن ضعف الطُّلاَّب !!.

وأمره فى الصداقة أعجب من العجب !! : فهو يُؤاخيك ويُصافيك إلى أن تظن أنه قطعةٌ من قلبك ؛ ثم يتحول فى مثل ومضة البرق إلى عدوٍّ مُبينٍ !! .

وهو على الرَّغم من ضعفه فى الاضطلاع بتكاليف المواهب : رَجُلٌ جَذَّابٌ ؛ لأنه معسول الحديث ؛ ولأنه قد يصدق فى الحُبِّ وفى البُغض ؛ إلا أنه تهديه حاسة النفع إلى أن يُعادى من يُعادى ؛ ويُصادق من يُصادق ؛ كالذى صنع فى طوافه بأركان الأحزاب !!.

ولشعوره بأن لسانه مصدر قُوَّةٍ : يُلِحُّ فى الحديث ؛ وفى الإملاء : إلحاحاً يترك سامعيه وقارئيه على أهبة الاقتناع بما يُملى وبما يقول .

وللدكتور طه أسلوبان : أسلوبٌ حين يُملى ؛ وأسلوبٌ حين ينظم :

- أما أسلوبه حين يُملى : فلا يخلو من ركاكةٍ واضطرابٍ ؛ لأنه رهينٌ بما فى الإملاء من سُرعةٍ وإبطاء .

إن لنشر كتاب « الأيَّام » تاريخٌ هو تاريخٌ مجهولٌ ؛ ولأنه يصور كيف رجع الدكتور طه إلى ألفاف ماضيه لينشر منه صفحات تسير مسير الأمثال من حيث لا يقصد ولا يُريد .

فى مطلع الرَّبيع من سنة **1927** م : ثار الأزهريون ؛ وتبعهم فريقٌ من النُّوَّاب على الدكتور طه حُسين ؛ لآرائه فى « الشعر الجاهلىّ » ؛ واشتدت الثورة ؛ ثم

رحل إلى فرنسا مع الصيف ليتناسى كُرُوبه الداجية فى رُبوعها .

وهُناك خطر له أن يُملى أشياء بعيدةً كُلَّ البُعْدِ عن: الشعر الجاهليّ ؛ والأزهر ؛ والدِّين .

... ؛ وفى صباح يومٍ من أيَّام الخريف فى سنة 1926 م: عرفت من الدكتور طه أنه كتب مُذكَّراته عن حداثته ؛ وأنه قدَّمها للأُستاذ عبد الحميد العبَّادى ليطمئن إلى أنها مما تجوز إذاعته بين الناس .

وفى صباح يومٍ آخرٍ حضر الأُستاذ العبَّادى ومعه أُصول المُذكَّرات ؛ وهو يقترح أن تُحذف الفقرة الخاصة بالضريرة نفيسة ؛ فلم ير الدكتور طه أن تُحذف .

وفى ليلةٍ شاتيةٍ جلسنا نتجاذب أطراف الحديث ؛ فسألته عن موضوع تلك المُذكَّرات ؛ فوقف وقفة الخطيب المكروب ؛ وقصَّ علىَّ قصة يوم بدا له أن ينقل اللقمة إلى فيه بيديه الاثنين ؛ وكيف أضحك إخوته ؛ وبكت أُمُّهُ ؛ وانزعج أبوه ؛ فعرفتُ أن المذكرات سيكون لها فى تاريخ الأدب مكان .

يزيد من طرافة هذه الاعترافات: أن بعضها معيب ؛ فصُدُورها من رَجُلٍ مثل طه حسين: يشهد بأنه فنَّانٌ يُقيم فنَّهُ على قواعد من الصراحة والصدق ؛ وأن طه حسين قد التزم الصدق التزاماً فى كتاب « الأيَّام » .

لعلى أُريد القول بأن طه حُسين من أساتذة الأخلاق ؛ فهو يقصد إلى إفهام الشباب بأن العظيم لم ينشأ عظيماً ؛ وإنما هو عظيمٌ بفضل الصبر على متاعب الجهاد .

لعلى أُريد القول : بأن طه حسين أراد مُحاكاة جان جاك روسو وأناطول فرانس .

.....

19ـ ((الحب الضائع)) :

هو كتابٌ يُصور العواطف الطبيعيَّة فى الريف الفرنسىِّ لعهد الحرب الماضية ؛ والكتاب ليس بجديدٍ : لا فى الرُّوح ؛ ولا فى الأُسلوب ؛ فله أمثالٌ تُعَدُّ بالعشرات أو بالمئات ؛ ومع ذلك فلن يقول الفرنسيُّون حين يُترجم إلى لغتهم هذه بضاعتنا رُدَّت إلينا ؛ لأن طه حسين حين يقتبس لا يفوته أن يُضفى ثوب الابتكار على الاقتباس .

تلك الصفحة تقيس ما يقع فيه الدكتور طه من وقتٍ إلى وقتٍ ؛ فهو يقطع ما بينه وبين أصدقاءٍ لا يجود بأمثالهم الزَّمان !! ؛ وهو قد يصل أقواماً لا يَمُتُّون إلى رُوحه بسببٍ قريبٍ أو بعيدٍ !! ؛ ولعلَّه أكثر الناس ابتلاءً بالُمخادعين والُمرائين !! ؛ لأنهم أحرص على مُراعاة الظواهر من الُمصافين والُموافين ؛ والكاذب يسبق الصادق إلى امتلاك القلوب الخواضع لخوادع الوداد .

وهُنـاك صـفحةٌ عجيبـةٌ تُـذكِّر بـأدب أبـى حيَّـان التوحيـديٍّ فـى تشـريح العواطف ؛ وهى الصفحة الخاصة بالشوائب التى تُفسِّر الـوداد ؛ ومن تلـك الصفحة تعرف كيف جاز أن يتعرَّض الدكتور طه حسين لتقلُّبات فى المودات والصداقات ؛ يستفظعها من لا يعرف ما فُطِرَ عليه من توهُّج الإحساس .

.....

20ـ طه حُسين وإمارة الشِّعر :

إن الدكتور طه حسين ((مسيو)) بالفعل : فلُغته ولُغة زوجته وأبنائه هى اللغة الفرنسيَّة ؛ ولكنه برغم ذلك من أعاظم الرِّجال فى اللُّغة والـدِّين ؛ ولو كـان الأمر بيدى لقتلت الدكتور طه حسين !! ؛ ولو كان الأمر بيده لقتلنى !! ؛ فقد تحاربنا سنتين : وأردت أن أقتلـه فيهـا فمـا اسـتطعت ؛ وأراد أن يقتلنـى فمـا استطاع .

نحن يا سيِّدى الدُّكتور لم نُخلق للموت ؛ وإنما للحياة والمجد ؛ فمن واجبك أن تكُفَّ شرَّك عنِّى لأكُفَّ شرِّى عنك ؛ وأنا على الشَّرِّ أقدر منك .

أشعتَ أن إمارة الشعر بعد شوقى قد انتقلت إلى العراق ؟!!

أخطأتَ يا سيِّدى الدكتور !! ؛ إن الشعر لمصر حتى آخر الزمان ؛ أنت نفسك حاولت أن تُكفِّر عن ذنبك ؛ فخلعت إمارة الشعر على الأُستاذ العقَّاد ؛ وهو أديبٌ فاضلٌ ؛ بدليل أنك أهديت أحد كُتبك إليه ؛ ولكنه شاعرٌ صغيرٌ بالقياس إلى العبقريَّة المصريَّة !! .

العقَّاد فى الشعر ؛ كالزيَّات فى النثر : كلاهما يأخذ قُوَّته من الانفعال ؛ وهذا لا يمنع من الاعتراف بأنهما أديا خدمات عظيمة للحياة الأدبيَّة .

.....

21ـ زكى مبارك :

ـ عدوى طه حسين

نشرت الهلال مبحثاً من فصلين :

1ـ صديقى طه حسين الدكتور : أميرٌ بقطر .

2ـ وكتب زكى مبارك : عدوى طه حسين :

إنه عدوٌّ عزيز !! ؛ إى واللهِ ؛ فما أذكر أنى عاديت إنساناً أُحِبُّهُ قبل الدكتور طه حسين ؛ والعداوة والحُبُّ يجتمعان فى القلب الواحد : وإن عَجِبَ من ذلك من لا يفقهون ؛ وآية الصدق فى هذه القضيَّة : أنى لم أتورَّط فى عداوة الدكتور طه حسين إلا مُنذ أشفقت عليه ؛ فقد ابتدأ هذا الرَّجُل حياته الأدبيَّة

بدايةً حسنةً ؛ ولكنه لم يستطع الصبر على مكاره الجد ؛ ولم تقو نفسه على مُعالجة البحث العميق ؛ وعندئذٍ عرفت أن الرَّجُلَ سيضيع نصيبه من الخلود ؛ وَعَزَّ عليَّ ذلك !! ؛ فأردت أن يبقى اسمه فى الدُّنيا بعد أن تبيد ملايين الأسماء ؛ ولا يبقى إلا من أشار إليهم صاحب « النثر الفنيّ » .

وكان الدكتور طه فى بداية هذه العداوة يظنُّها جمرةً سريعة الخمود ؛ ولكنها تضرَّمت ؛ واستطارت أقباسها من المشرق والمغرب ؛ ولم يبق إنسانٌ يقرأ ويفهم : إلا عرف أن فى الدُّنيا رَجُلاً اسمه طه حسين ؛ وصار لا يدخل فى محفل ؛ ولا يتكلَّم فى مُجتمع ؛ ولا نشر مقالاً فى جريدة ؛ إلا قال الناس :

هذا هو الرجل الذى رأينا اسمه فى مُؤلَّفات زكى مُبارك

والدكتور طه : رَجُلٌ فيه شىءٌ من الذكاء ؛ وقد هداه ذكاؤه إلى هذه الحقيقة ؛ فاندفع يُعادينى بلا ترفُّقٍ : ليتم له من نباهة الذكر ما يُريد .

ولكن هل يستحق الدكتور طه أن يشغل رَجُلاً مثلى ؟

هذا هو السُّؤال .

وأُجيب : بأنه يستحق ذلك الاستحقاق ؛ فما يُنكر أحدٌ أن لهذا الرَّجُل شخصيَّةً قويَّةً ؛ وأنه استطاع أن يكون غرضاً ترميه الأقلام ؛ وهذا دليلٌ على ماله من وجودٍ ملحوظ .

ومن مظاهر القُوَّة فى هذا الرَّجُل : أنه تماسك فى أزمات كثيرة ؛ وأنه عرف كيف يُقارع الأحداث والخطوب ؛ حتى أصبح رَجُلاً يُحسب له حساب .

ومن مظاهر القُوَّة أيضاً فى هذا الرَّجُل : أنه حلو المودَّة ؛ مُرُّ العداوة ؛ يضرُّ وينفع ؛ وبعض الناس تغلب عليهم التفاهة فلا ينفعون ولا يضرُّون .

ولا يُمكن أن نعرف قيمة الدكتور طه : إلا إن نظرنا فى مهارته الأدبيَّة ؛ وبيان ذلك : أن هذا الرَّجُل قليل المحصول ؛ ولعلِّى لم أر فى حياتى رَجُلاً قليل العلم مع الصيت البعيد ؛ كما رأيت طه حسين !! ؛ ومع قلَّة محصوله العلمىِّ نراه يتكلَّم كلام المُحقِّقين ؛ ويمضى : فيبنى ويهدم ؛ ويُبرم وينقض ؛ كأنه عالمٌ مُحقِّقٌ أخذ بنواحى المعارف الإنسانيَّة فى القديم والحديث ؛ وهذا لا يقع إلا من رَجُلٍ وصل فى المهارة إلى أبعد حدودٍ .

يُضاف إلى ذلك كله : لسانٌ يحكى ملاسة المرمر ؛ وليونة الماء !! ؛ فإذا سمعت طه حسين وهو يُحاضر : شعرت بأنك أمام إنسانٍ يملك ناصية الحديث ؛ وليس ذلك بالقليل .

ولكن للشخصيَّة العلميَّة شىءٌ غير ذلك ؛ فالدكتور طه الذى : يضرُّ وينفع ؛ ويُبرم وينقض ؛ ويُحدِّث فيُحسن الحديث : هذا الرَّجُل قد انهزم فى الميادين العلميَّة ؛ ولم يظفر من المجد الأدبىِّ بأيسر نصيب !! .

وأعيذكم أن تُفتنوا بأنَّه ألَّف أقصوصة اسمها « الأيام » ؛ نشرها الهلال ؛ ثم تُرجمت إلى الإنجليزيَّة والرُّوسيَّة ؛ فإن تأليف الأقاصيص ليس من الفنون العالميَّة ؛ وإنما هو فنٌّ يُمثِّلُ سذاجة الإنسان الأول يوم كان يملأ الدنيا أساطير وأحاديث .

وهل رأيتم فى الدنيا كلها رَجُلاً يرأس كُليَّة آداب ؛ ثم يقف مجده عند الأقاصيص ؟!!

انظروا ما وقع للدكتور طه يوم قرَّر المُشاركة فى تأليف كتاب « فجر الإسلام » ؛ فقد كانت النيَّة أن يُؤلِّف فى الناحية الأدبيَّة ؛ أتعرفون ما وقع ؟!!

كانت النتيجة أن نشر أحمد أمين أربعة مجُلَّدات ؛ وطه حسين ساكتٌ يترقَّب !!

وكيف تفسِّرُون ذلك السكوت ؟!!

إنه تفسيرٌ سهلٌ ؛ وهو يتلخَّص فى أن طه حسين لا يحُسن الكتابة العلميَّة !! وإنما يحُسن تلخيص الأقاصيص !! .

وهُناك جانبٌ آخرٌ من ضعف هذا الرَّجُل : وهو حرمانه من حاسة العدل !! ؛ فما أعرف أن هذا الرَّجُل استطاع أن يقهر أهواءه وهو يُعامل الناس ؛ وقد اتفق أن يصطنع النقد الأدبىَّ حيناً من الزَّمان ؛ فكانت أحكامه كلُّها وليدة الهوى والغرض !! ؛ ولم يستطع أن يكشف للناس عن موهبةٍ

مستورةٍ أو نُبوغٍ مكنون !! .

ولو سُئِلَ طه حسين عمَّا صنع فى النقد الأدبىِّ ؟ : لعجز عن الجواب !! ؛ وهل من النَّزاهة أن يقصر مُحاضراته فى الرَّاديو على ما أخرجته لجنة النشر والتأليف ؟!!

إن طه حُسين تسامى إلى منزلةٍ أدبيَّةٍ عاليةٍ يوم سعى إلى الظفر بعمادة كُليَّة الآداب ؛ ولكن هل استطاع أن يخلق لتلك الكلية نصيراً واحداً ؟!! ؛ هل استطاع أن يخرج من عمره كله بكتابٍ جيِّدٍ يُضيفه إلى منازل البَاحِثِين من عُمداء الكُليَّات ؟!!

وليته اكتفى بهذه المزايا العظيمة من الضعف !! ؛ بل رأيناه يتكلَّم عن البُحتريِّ : فيقع فى أغلاط !! ؛ فلمَّا نبَّهناه ؛ أصرَّ واستكبر !! ؛ ونشر المُحاضرة فى كتاب !! ؛ وشكَّل الأغلاط ليدُلَّنا على أنه لا يهتم بالنقد ؛ ولا يحسب للحقِّ أيَّ حساب ؟!!

وقد ظنَّ من لا يفهمون أننا نعنى شخصه حين نُجادله ؛ وهيهات أن يكون الأمر كذلك !!

إنما يُهِمُّنا أن نُحاسب من يشغل أكبر المناصب الأدبيَّة حين يُسيطر على كُليَّة الآداب ؛ ولا يُرضينا من عادة مثل هذا الرجل إلا أن يكون باحثاً نرى فى

وجهه وجه برونو ودى لا كروا ـ من الذين تولّوا كُليَّة الآداب جامعة باريس ـ .

نحن قومٌ غلبتنا الأقدار فى الميادين السياسيَّة ؛ فمن العيب أن نرضى بمثل ذلك الحظِّ فى الميادين العلميَّة !! .

وإذا قيل : إن الإنجليز غلبونا فى السياسة ؛ فلا يصح أن يُقال : إن العجز غلبنا فى العُلُوم والآداب !! .(1) .



(1) ـ انظر : ((المعارك الأدبية)) ؛ (ص : 670 ـ ...) .

الـبَابُ الثَّالِث :

.....

۞ - السَّحَابُ الأَحْمَر

« جَدَلِيَّةُ الآمَالِ السَّوْدَاء ... !!
العِشْقُ وَالهَوَى فِى حَيَاةِ رُهْبَانِ الأَدَب »



الـبَابُ الثَّالِث :

.....

۞ـ السَّحَـابُ الأَحْـمَر

« جَدَلِيَّةُ الآمَالِ السَّـوْدَاء ... !!
العِشْـقُ وَالـهَوَى فِى حَيَاةِ رُهْبَانِ الأَدَب »



۞ـ تـَعَارِيـف

الحُـبُّ لا تُحِيطُ بِهِ التَّعَارِيفُ وَلا يُدْرِكُهُ أَو يَنَالُهُ تَشْبِيهٌ أَو وَصْف ؛ إِلاَّ أَنَّهُ عِنْدِى حَالَةٌ مِن حَالاتِ السُّرُورِ المَمْزُوجِ بِالخَشْيَةِ وَالخَوْف !!.

وَيَقِينِى الَّذِى لا يُخَالِجُهُ وَلا يَنْتَابُهُ شَكٌّ ؛ أَنَّ الحُبَّ قَرِينُ الجُنُون !! ... ؛ قَلْبٌ لا يَهْـدَأُ ؛ وَنَفْسٌ لا تَعْـرِفُ السُّـكُون ؛ وَعَقْلٌ كَالَّـذِى تَتَخَبَّطُـهُ الشَّـيَاطِينُ مِـن المَـس ؛ وَدَمٌ يَغْلِـى كَمَـا يَغْلِـى المِرْجَـلُ ؛ وَعُيُونٌ كَأَنَّهَـا الجَمْـر!!... ؛ كُـلُّ هَذَا وَالحَالُ قَائِمَة ؛ وَالأَمْرُ مَا بِهِ مِن سُوء ؛ وَسَمَاءُ العِشْقِ لا تُخَالِطُهَا غُيُوم... ؛ فَكَيْفَ إِذَا مَا هَجَمَت رِيَاحُ الحُزْنِ وَأَعَاصِيرُ الـهُمُوم؟!!.

الحُبُّ كَأْسٌ مُلِئَت بِالمَرَارَةِ وَالنَّكَد ؛ وَرِحْلَةٌ مَا بِهَا سِوَى طُولِ الحَسَرَاتِ وَالكَمَد !!.

مَن كَانَ لَم يَدْرِ مَا حُبٌّ وَصَفْتُ لَهُ

إِن كَانَ فِى غَفْلَةٍ ؛ أَو كَانَ لَم يَجِدِ

الحُبُّ أَوَّلُهُ عَذْبٌ ؛ وَآخِرُهُ......

. ؛ مِثْلُ الحَزَازَةِ بَيْنَ القَلْبِ وَالكَبِدِ

الهَوَى هُوَ الهَوانُ الصُّرَاح ؛ وَالبَلاءُ المُتَاح ؛ لأَنَّهُ يُهِينُ الكَرِيم ؛ وَيُذِلُّ العَزِيز ؛ وَيُدَلِّهُ العَاقِل ؛ وَيَحُطُّ مَنْزِلَةَ الشَّرِيف.

سُئِلَت أَعْرَابِيَّةٌ عَن الهَوَى ؛ فَقَالَت : الهَوَى هُوَ الهَوَانُ ؛ وَإِنَّمَا غُلِطَ بِاسْمِهِ ؛ وَاشْتُقَّ مِن طَبْعِهِ ؛ وَلَن يَعْرِفَ مَا أَقُول ؛ إِلاَّ مَن أَبْكَتْهُ المَنَازِلُ وَالطُّلُول. وَأَنْشَأَت تَقُول :

لَيْتَ الهَوَى لِذَوِى الهَوَى لَم يُخْلَقِ

... ؛ بَلْ لَيْتَ قَلْبِى بِالهَوَى لَم يَعْلَقِ.

إِنَّ الَّذِى عَلِقَ الهَوَى بِفُؤَادِهِ.....

...... ؛ كَمُنَوَّطٍ دُونَ السَّمَاءِ مُعَلَّقِ.

لا يَستَطِيعُ نُزُولَهُ لِشَقَائِهِ........

.... ؛ لَكِن إِلَيْهِ كُلُّ هَمٍّ يَرتَقِى.

إِنَّ الهَوَى لَهُوَ الهَوَانُ بِعَيْنِهِ.....

.. ؛ مَا ذَاقَ طَعْمَ الذُّلِّ مَن لَم يَعْشَقِ.



۞. حَقَائِق

.....

مَا هُوَ مَعْنَى الحَيَاةِ إِذَا مَا أَصْبَحَ المَرْءُ بِلا آمَالٍ تَشُدُّهُ نَحْوَ الرَّغْبَةِ فِى مُوَاصَلَةِ جِهَادِهِ عَلَى دَرْبِ رِحْلَتِهِ ؟!.

مَا هُوَ مَعْنَى العُمُرِ إِذَا مَا غَدَا الفَتَى بِلا رَجَاءٍ يَدْفَعُهُ إِلَى السَّيْرِ عَلَى طَرِيقِ النِّضَالِ وَالكِفَاحِ بُغْيَةَ تَحْقِيقِ الحُلْمِ النَّبِيل ؟!.

كَم تَعِبَت الخُطُوَاتُ مِن فَرْطِ السَّعْى !! ؛ وَكَم أُجْهِدَ الجَسَدُ مِن قَسْوَةِ مَا حُمِّل !!.

ثُمَّ... !! ؛ عُدْنَا ؛ وَلَكِن... !!عُدْنَا بِمَاذَا ؟! ؛ وَرَجَعْتُ ثَانِيَةً !! ؛ وَرَجَعْتُ ثَانِيَةً وَلَكِن يَا تُرَى ؟! ؛ كَيْفَ الرُّجُوع ؟! ؛ كَيْفَ الرُّجُوعُ وَكَيْفَ كَانَ إِيَابِى ؟!.

قَد عُدتُ لَم أَجْنِ أَحْلامِى وَلا فَرَحِى
لَم يَبْقَ مِن بَعْدِ تَرْحَالِى سِوَى شَبَحِى
... ؛ عَصْرُ المَرَائِى قَد وَلَّى ؛ وَهَاأَنَذَا
.... : أُنْشُودَةُ الثُّكْلِ مِن قِيثَارَةِ الجُرْحِ
وَحْدِى صُلِبْتُ ... ؛ بِلا جُرْمٍ أَتَيْتُ بِهِ
. ؛ لَم يُجْدِ عِنْدَهُمُ قَوْلِى وَلا شَرْحِى

... ؛ وَحْدِي قُبِرْتُ بِلا دَمْعٍ وَلا كَفَنٍ
...... ؛ وَمَرَّ قَوْمِي بِلا شَجَنٍ وَلا تَرَحٍ
وَحْدِي نُسِيتُ ؛ أَنَا وَحْدِي ؛ وَكَم سَخِرَت
بِي الحَيَاةُ .... ؛ وَغُلَّ العَزْمُ فِي مَرَحٍ
.. ؛ وَحَطَّمَت سَيْفَ آمَالِي بِلا سَبَبٍ
..... ؛ وَغَادَرَتْنِي بِلا حِصْنٍ وَلا صَرْحٍ
.....



شُهَدَاءُ العِشْق

لِلكَاتِب

مُحَمَّد مَحْمُود دَحْرُوج

الشَّهِير بِـ: نِزَار شَاهِين



تنبيه

كِتَـابٌ قَـدْ حَـوَى دُرَراً

بِعَيْنِ الحُسْـنِ [مَنْظُـورَهْ] .

لِـهَـذَا قُـلْـتُ تَنْبِيهَـاً :

[سِهَـامُ الغَضْبِ مَحْظُورَهْ] . (1) . .

أَبُـو نِـزَار المِصْـرِيّ .



(1) ـ ما بين المُعقّفات من كلمات ؛ إنما هي من كيسي : [أَبُو نِـزَار].

بسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ؛

وَصَلَّى اللهُ عَلَى محمَّدٍ وَعَلَي أَبَوَيْهِ

إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل ؛ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً



إِهْـدَاء

. .



أَقُـولُ لَـمَّا رَأَيْـتُ الـحُـبَّ مُدْرَكَهُ
صَعْبٌ وَفِي القَلْبِ أَشْوَاقٌ تُحَرِّكُـهُ
يَا سَاكِنِينَ بِأَعْلَـى الـدَّارِ مَنْـزِلَةً
وَقَـدْ تَـوَعَّـرَ مَرْبَـاهُ وَمَسْـلَكُـهُ
كَيْـفَ السَّبِيلُ لِمِثْلِي أَنْ يَزُورَكُمُ
وَقَـدْ حَلَلْتُـم مَـكَانًا لَيْسَ أُدْرِكُهُ
نَبَّهْتُمُ القَلْبَ كَي يَهْوَى فَحِينَ جَلَى
لِقَـائِكُـم غِبْتُـمُ وَالـوَجْدُ يُنْهِكُهُ
فَـإِن ظَهَرْتُم فَبُـرْءُ القَلْبِ مُتَّجَـهٌ
أَمَّـا احْتِجَابُكُـمُ عَنْـهُ سَيُـهْـلِـكُهُ
إِذَا بَكَى بِدُمُوعِ الهَجْرِ خَلْفَ جَوَى
فَلَيْسَ غَيْرَ ابْتِسَامِ الوَصْلِ يُضْحِكُهُ
لِمْ تَسْتَجِيزُونَ التَّحَاشِي عَلَى شَغَفِي

بِكُم وَإِخْلاصِ حُبٍّ لَسْتُ أَشْرُكُهُ
إِنْ عَاقَنِى عَن دُخُولِى دَارِكُم جَسَدِى
فَـهَا أَنَـا عِنْدَ بَـابِ الـدَّارِ أَتْرُكُـهُ

.....

مَـازِلْتُ أُمَنِّى نَفْسِى بِالْمُحَال !!... ؛ ابْنَةُ حَارَتِى !!... ؛ وَجَارَتِى !!... ؛ وَمَن أَستَعْذِبُ قَوْلِى بِشَأْنِهَا حِينَ أَقُولُ: حَبِيبَتِى !!... ؛ مَا نَظَرْتُ إِلَيْكِ إِلاَّ وَأَيْقَنْتُ أَنَّ الحَيَاةَ غَاضِبَةٌ عَلَىَّ إِذ حَرَمَتْنِى مِنْكَ يَا بَـدْرَ سَمَاءِ حَارَتِنَا !!... ؛ أُحِبُّكَ حَتَّى الثُّمَالَة !!... ؛ أَعْشَقُكِ إِلَى النِّهَايَة !!... ؛ سَأَظَلُّ مُؤمِناً بِشَىْءٍ وَاحِدٍ !! ... ؛ اسْمُهُ الغَيَابُ فِى طَيْفَكِ عِشْقاً !!.

إِلَى قِـدِّيسَةِ الحَـىِّ القَـدِيـم

إِلَى !!...:

هِنـد جَمَـال

أُهْـدِى هَـذَا الكِتَـاب

مُحَمَّـد مَحْمُـود دَحـرُوج



ـ تَصْدِير



تَذَكَّــرَ نَجْــدَاً وَالــحَدِيــثُ شُجُونُ
نُجَــنُّ اشْتِيَاقــاً وَالــجُنُونُ فُنُونُ
وَأَصْبَحَ فِى شُغْلٍ مِنَ الوَجْدِ شَاغِلٌ
جُنُــونٌ لَعَمْــرِى ذَا الغَرَامِ جُنُونُ
وَمَا خَطَرَاتُ الشَّوْقِ إِلا وَسَــاوِسٌ
تُحَرِكْــنَ قَلْبَــاً هُنَّ فِيهِ سُكُونُ
هَوَى النَّفْسُ فِيهَا جَوْهَــرٌ تَسْتَثِيــرُهُ
كَأَثْــرِ اليَمَــانِى أَخْلَصَتْــهُ قُنُونُ
فَيَأْتِــى عَلَى الأَجْسَامِ أَنْفُسَهَا كَمَا
تَآكَــلَ مِن حَــدٍّ السُّيوفِ جُفُونُ
وَقَدْ كَانَ قَبْلَ البَيْنِ جَلْدَاً فَقَدْ وَهَت
قُوَاهُ وَبَاتَــت فِى القَنَــاةِ وُهُــونُ

🙞ـ كَلِمَةٌ قُبَيْلَ الشُّرُوع :

بسم الله الرحمن الرحيم



أنَا عِنْدَ أهْلِ الإلْحَادِ مُتَدَيِّنٌ مُتَزَمِّتٌ !!... ؛ وَعِنْدَ أصْحَابِ دَرْبِ الإيمَانِ وَالتَّقْوَى زِنْدِيقٌ مُتَهَتِّكٌ !!... ؛ عِلَّةُ ذَلِكَ عِنْدَ المُؤْمِنِينَ هِيَ أنِّي مُولَعٌ بِالسَّيْرِ عَلَى دَرْبِ أهْلِ الهَوَى !!... ؛ وَحُجَّةُ الكَافِرِينَ فِي اتِّهَامِي بِالتَّشَدُّدِ أنَّنِي لا أعْرِفُ الحُبَّ سِوَى أنَّهُ حَالَةٌ مِنَ الجُنُونِ العَاطِفِيِّ المُؤَيَّدِ بِالسَّتْرِ وَالعَفَاف !! ... ؛ وَأنَا أقُولُ لأُولَئِكَ وَلِهَؤُلاء : سَأبْقَى كَذَلِكَ حَتَّى أظْفَرَ بِضَالَّتِي الَّتِي أنْشُدُهَا وَأبْغِيهَا !!... ؛ لَن يَعْرِفَ الجَفَاءُ طَرِيقَهُ إلَى قَلْبِي !!... ؛ وَلَن يُدْرِكَ الانْحِلالُ حَظّاً مِن عَقْلِي !!... ؛ أنَا ابْنُ نَفْسِي ... ؛ لِي نَهْجِي وَشِرْعَتِي وَفَلْسَفَتِي ... ؛ وَكَمَا يُقَال : لا جِدَالَ فِي مُعْتَقَد .

﴿ كَانَ اللهُ فِي عَوْنِ أهْلِ الهَوَى ﴾



الجَالِسُ هُنَاكَ فِى مَدِينَةِ الرِّيَاض

مُحَمَّد مَحْمُود دَخْرُوج

﴿ 2012 / 12 / 10 ﴾



شُهَدَاءُ العِشْق

﴿ - المَأمُونُ يَسْأَلُ مَا هُوَ العِشْق - ﴾

أبو العالية الشامىُّ ؛ قال : سأل أمير المؤمنين المأمون يحيى بن أكثم عن العشق ما هو؟ .

فقال : هو سوانح تسنح للمرء ؛ فيهتم بها قلبه ؛ وتؤثرها نفسه .

قال : فقال له ثمامة : اسكُت يا يحيى !! ؛ إنما عليك أن تجُيب فى مسألة طلاقٍ أو محُرِمٍ صاد ظبياً أو قتل نملةً ؛ فأما هذه فمسائلنا نحن !! .

فقال له المأمُون : قل يا ثمامة : ما العشق ؟ .

فقال ثمامة : العشق جليسٌ ممُتع ؛ وأليفٌ مُؤنس ؛ وصاحبٌ مَلِكٌ ؛ مسالكه لطيفة ؛ ومذاهبه غامضة ؛ وأحكامه جائرة ؛ ملك الأبدان وأرواحها ؛

والقُلُوب وخواطرها ؛ والعُيُون ونواظرها ؛ والعُقُول وآراءها ؛ وأُعْطِيَ عَنَانَ طاعتها ؛ وقود تصرُّفها ؛ توارى عن الأبصار مدخله ؛ وعميَ فى القُلُوب مسلكه !! .

فقال له المأمون : أحسنت والله يا ثُمامة !! ؛ وأمر له بألف دينار .

- العِشْقُ دَاءُ أَهْلِ الظُّرْف -

علىُّ بن عبد الله القُمِىُّ ؛ قال : قال لى عبد الله بن جعفر المدينىُّ : قُلْتُ لأبى زُهير المدينىِّ : ما العشق ؟ .

قال : الجُنُون والذُّل ؛ وهو داء أهل الظُّرف .

- العِشْقُ أَوَّلُهُ لَعِب ؛ وآخِرُهُ عَطَب !! -

المُظَفَّر بن يحيى ؛ قال : قال بعض الفلاسفة : لم أر حَقًّا أشبه بباطل ؛ ولا باطلاً أشبه بحقٍّ ؛ من العشق ؛ هزله جد ؛ وجده هزل ؛ وأوله لعب ؛ وآخره عطب!! .

- ذُنُوبُ اضْطِرَار -

يحيى بن مُعاذ ؛ قال : لو كان إلىَّ من الأمر شىءٌ ؛ ما عذَّبْتُ العُشَّاق ؛ لأن ذُنُوبهم ذُنُوب اضطرار لا ذُنُوب اختيار !! .

ـ المَجْنُونُ الشَّاعِر ـ

أبو عليٍّ الحسن بن صالح ؛ قال : قال مُساور الورَّاق : قُلْتُ لمجنونٍ كان عندنا ؛ وكان شاعراً ؛ ويُقال إن عقله ذهب لفقد ابنة عمٍّ كانت له ؛ فَقُلْتُ له يوماً : أجز هذا البيت :

وَمَا الحُبُّ إلاَّ شُعْلَةٌ قَدَحَتْ بِهَا
عُيُونُ المَهَا بِاللَّحْظِ بَيْنَ الجَوَانِح .

قال : فقال على المكان :

وَنَارُ الهَوَى تَخْفَى ؛ وَفِى القَلْبِ فِعْلُهَا
كَفِعْلِ الَّذِى جَادَت بِهِ كَفُّ قَادِحٍ . !! .

ـ الجَنَّةُ لِمَن عَشِقَ وَعَفَّ ـ

أبو عبد الله إبراهيم بن مُحَمَّد بن عرفة النَّحويُّ ـ المُلَقَّب بِنِفْطَوَيْه ـ ؛ قال : دخلتُ على محمد بن داود الأصبهانيِّ فى مرضه الذى مات فيه ؛ فقُلتُ له : كيف تجدك ؟! ؛ فقال : حُبُّ من تعلم أورثنى ما ترى !! .

فقُلتُ : ما منعك عن الاستمتاع به مع القُدرة عليه ؟!! .

فقال: الاستمتاع على وجهين؛ أحدهما النَّظر المُباح؛ والثانى اللذة المحظورة؛ فأما النَّظر المُباح فأورثنى ما ترى؛ وأما اللذة المحظورة فإنه منعنى منها ما حدَّثنى أبى؛ قال: حدَّثنا سُوَيْدُ بن سعيد؛ قال: حدَّثنا علىُّ بن مُسْهِر؛ عن أبى يحيى القتَّات؛ عن مُجاهد؛ عن ابْنِ عبَّاس؛ عن النَّبىِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم - أنه قال: ﴿ مَن عَشِقَ؛ وَكَتَمَ؛ وَعَفَّ؛ وَصَبَرَ؛ غَفَرَ اللهُ لَهُ؛ وَأَدْخَلَهُ الجَنَّة. ﴾.(1).

ثم أنشدنا لنفسه:.

(1) – قال العلاَّمةُ صِدِّيق حسن خان فى أوائل رسالته ((نَشْوة السَّكْران)) بتحقيقى -: ((عن ابن عبَّاس - رفعه - ؛ قال: ﴿ من عشق؛ فعف؛ فمات؛ دخل الجنة ﴾. زاد الخطيب عنه: ﴿ فظفر ﴾؛ ثم أبدل قوله: ﴿ دخل الجنة ﴾ بقوله: ﴿ مات شهيداً وفى أخرى: ﴿ وكتم ﴾. والحديث بسائر ما ذُكِرَ صَحَّحَهُ مُغْلَطَاى؛ وأعلَّهُ البيهقىُّ والجرجانىُّ والحاكمُ فى التاريخ؛ بضعف سُويد وتفرُّده به.

ورواه ابن الجوزىُّ مرفوعاً.

وأبو محمد بن الحسين موقوفاً.

وأخرجه الخطيب عن عائشة مرفوعاً - أيضاً -. وَضَعَّفَهُ الحافظ ابن القَيِّم فى((الهَدْى)) بجميع طُرقه؛ وأظنُّ أنه الصواب - وإن تضمَّنه الأكابر فى أشعارهم -)). أ هـ.

قَالَ نِزَار شَاهِين: انْظُر الكَلامَ عَلَى هَذَا الحَدِيث بِتَوَسُّعٍ فِى ثَنَايَا تَحْقِيقِى لِكِتَاب ((نَشْوَة السَّكْرَان)).

انْظُرْ إِلَى السِّحْرِ يجْرِى فِى لَوَاحِظِهِ
وَانْظُرْ إِلَى دَعَجٍ فِى طَرْفِهِ السَّاجِى.
وَانْظُرْ إِلَى شَعَرَاتٍ فَوْقَ عَارِضِهِ
كَأَنَّهُنَّ نِمَالٌ دَبٌّ فِى عَاجٍ .

وأنشدنا لنفسه :

مَا لَهُم أَنْكَرُوا سَوَاداً بِخَدِّيـ
ـهِ ؛ وَلا يُنْكِرُونَ وَرْدَ الغُصُونِ؟!.
إِنْ يَكُنْ عَيْبُ خَدِّهِ بُدَدَ الشَّعْـ
ـرِ ؛ فَعَيْبُ العُيُونِ شَعْرُ الجُفُونِ !! .

فقُلتُ له : نفيت القياس فى الفقه ؛ وأثبتَّهُ فى الشِّعْر؟!.

فقال : غلبة الهوى ؛ وملكة النُّفُوس ؛ دعتا إليه!! .

قال : ومات فى ليلته ؛ أو فى اليوم الثانى!! .

....

- العِشْقُ جُنُون -

أبو بكر بن المَرْزُبَان ؛ قال : قال سُقراط الحكيم : العشق جُنُون ؛ وهو ألوان ؛ كما أن الجُنُون ألوان!! .

....

- العَاشِقُ التَّقِيُّ -

عليُّ بن عاصم ؛ قال : قال لى رَجُلٌ من أهل الكُوفة من بعض إخوانى : ألا أُريك فتىً عاشقاً؟ .

قُلْتُ : بلى واللهِ !! ؛ فإنى أسمع الناس يُنكرون العشق وذهاب العقل فيه ؛ وإنى لأُحِبُّ رُؤيته ؛ فَعِدْنِى يوماً أجئ معك فيه.

قال : فوعدته يوماً ؛ فمضينا ؛ فأنشأ صاحبى يُحَدِّثنى عن نُسُكِهِ وعبادته وما كان فيه من الاجتهاد !! ؛ قُلْتُ : وبمن هو مُتعلِّق؟! ؛ قال : بجاريةٍ لبعض أهله كان يختلف إليهم ؛ فوقعت فى نفسه ؛ فسألهم أن يبيعوها منه ؛ فأبوا ؛ وبذل لهم جميع ماله ؛ وهو سبعمائة دينار ؛ فأبوا عليه ضِرَاراً وَحَسَداً أن يكون مثلها فى مِلْكِهِ ؛ فلمَّا أبوا عليه ؛ بعثت إليه الجارية ؛ وكانت تُحبُّهُ حُبّاً شَدِيداً :

مُرنى بأمرك ؛ فَوَاللهِ لأُطيعنَّكَ ولأنتهينَّ إلى أمرك فى كُلِّ ما أمرتنى به؟!

فأرسل إليها : عَلَيْكَ بطاعةِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ؛ فَإِنَّ عليها المُعَوَّلُ والسُّكُون إليها ؛ وبطاعة من يملكُ رِقَّك ؛ فإنها مضمُومةٌ إلى طاعة ربِّك - عَزَّوَجَلَّ - ؛

وَدَعِى الفِكْرَ فى أمرى ؛ لَعَلَّ الله - عَزَّوَجَلَّ - أن يجعل لنا فرجاً يوماً من الدَّهْر ؛ فَوَاللهِ ما كُنْتُ بالذى تطيب نفسى بنيل شىءٍ أُحِبُّهُ أبداً فى مِلكى ؛ فَأمنعه ؛ أمد يدى إليه حراماً بغير ثمن ؛ ولكن أستعينُ باللهِ على أمرى ؛ فليكُن هذا آخر مُرْسَلَكِ إلىَّ ؛ ولا تعُودى ؛ فإنِّى أكره واللهِ أن يرانى اللهُ تعالى وأنا فى قبضته مُلتمساً أمراً يكرهه منِّى ؛ فعليك بتقوى الله ؛ فإنها عِصْمَةٌ لأهل طاعته ؛ وفيها سُلُوٌّعن معصيته .

قال : ثم لزم الاجتهاد الشَّديد ؛ ولبس الشَّعَرَ وتوحَّد ؛ فكان لا يدخل منزله إلا من ليلٍ إلى ليل ؛ وهو مع ذلك مشغول القلب بذكرها ما يكاد يفارقه ؛ فوالله ما زال الأمر به حتى قطعه !! ؛ فهو الآن ذاهب العقل وَالِهٌ فى منزله !! .

قال : ثم صرنا إلى الباب ؛ واستأذنا ؛ فأُذن لنا.

قال : فدخلت إلى دارٍ قوراء سريَّة ؛ وإذا أنا بشابٍّ فى وسط الدَّار على حصيرٍ مُتَّزِرٍ بإزارٍ ومُرتدٍ بآخر.

قال : فسلمنا عليه ؛ فلم يرد علينا السَّلام !! ؛ فجلسنا إلى جنبه ؛ وإذا هو من أجمل من رأيت وجهاً !! ؛ وهو مُطرقٌ ينكت فى الأرض ؛ ثم ينظر إلى ساعده ؛ ثم يتنفَّس الصُّعداءحتى أقول قد خرجت نفسه!! ؛ وهو مع ذلك كَالخَلالِ من شِدَّةِ الضُّرِّ الذى به!! .

قال : فالتفت ؛ فإذا بوردة حمراء مشدودة فى عَضُدِه !! .

قال : فقُلتُ لصاحبي : ما هذه ؟! ؛ فوالله ما رأيت العام ورداً قبل هذه ؟!.
فقال : أظنُّ فُلانة ـ وسمَّاها ـ بعثت بها إليه ؛ فلما سمَّاها رفع رأسه ؛ فنظر إلينا ؛ ثم قال :

جَعَلْتُ مِن وَرْدَتِهَا
تَمِيمَةً فِي عَضُدِي .
أَشُمُّهَا مِن حُبِّهَا
إِذَا عَلانِي كَمَدِي .
فَمَن رَأَى مِثْلِي فَتَىً
بِالحُزْنِ أَضْحَى مُرْتَدِي .
أَسْقَمَهُ الحُبُّ ؛ فَقَد
صَارَ حَلِيفَ الأَوَدِ .
... وَصَارَ سَهْوَاً دَهْرُهُ
......مُقَارِنَاً لِلْكَمَدِ .

قال : ثم أطرق ؛ فقُلتُ : السَّاعة واللهِ يموت !! .
قال : وورد عليَّ من أمره ما لم أتمالك ؛ وقُمتُ أَجُرُّ ردائي ؛ فَوَاللهِ ما بلغتُ الباب حتى سمعت الصُّراخ !! ؛ فقُلتُ : ما هذا ؟! ؛ فقالُوا : ماتَ واللهِ!! .
قال عليٌّ : فقُلتُ : واللهِ لا أبرح حتى أشهده .

قال : وتسامع النَّاس ؛ فجاؤوا بطبيبٍ ؛ فقال : خُذوا فى أمر صاحبكم فقد مضى لسبيله.

فغسَّلوهُ وكفَّنوهُ ودفنوهُ ؛ وانصرف الناس.

فقال لى صاحبى : امض بنا ! ؛ فقُلتُ : امضِ أنت ؛ فإنى أُريدُ الجُلُوس هَاهُنا ساعة ؛ فمضى ؛ فما زلتُ أبكى وأعتبر به ؛ وأذكر أهل محبَّة الله - عَزَّوَجَلَّ - وما هم فيه !! .

قال : فبينا أنا على ذلك ؛ إذا أنا بجاريةٍ قد أقبلت كأنها مَهَاة ؛ وهى تُكثر الالتفات !! ؛ فقالت لى : يا هذا ! أين دُفِنَ هذا الفتى ؟! ؛ قال علىٌّ : فرأيتُ وجهاً ما رأيت قبله مثله !! ؛ فأومأتُ إلى قبره.

قال : فذهبت إليه ؛ فَوَاللهِ ما تركت على القبر كثير تُرابٍ إلا ألقته على رأسها وجعلت تتمرَّغ فيه ؛ حتى ظننت أنها ستموت !! ؛ فما كان بأسرع من أن طلع قومٌ يسعون حتى جاؤوا إليها ؛ فأخذوها ؛ وجعلوا يضربُونها ؛ فقُمتُ إليهم ؛ فقُلتُ : رفقاً بها يرحمكم الله !! ؛ فقالت : دعهم أيُّهَا الرَّجُل يبلغوا هِمَّتهم ؛ فَوَاللهِ لا انتفعوا بى بعده أيَّام حياتى ؛ فليصنعوا بى ما شاؤوا !! .

قال علىٌّ : فإذا هى التى كان يحبُّها الفتى !! ؛ فانصرفت وتركتها!! .

....

مَجْنُونُ دَيْرِ هِرَقْل

عبد الله بن عبد العزيز السَّامِرِىُّ ؛ قال : مررتُ بدير هرقل أنا وصديقٌ لى ؛ فقال لى : هل لك أن تدخل فترى من فيه من مِلاَحِ المجانين ؟! ؛ قُلتُ : ذاك إليك.

فدخلنا ؛ فإذا بشابٍّ حسن الوجه ؛ مُرَجَّل الشَّعْر ؛ مكحول العين ؛ أَزَجّ الحواجب ؛ كأن شعر أجفانه قوادم النُّسُور!! ؛ وعليه طلاوة تعلوها حلاوة !! مشدودٌ بسلسلةٍ إلى جدار !! ؛ فلما بَصُرَ بنا ؛ قال : مرحباً بالوفد ! ؛ قرَّب الله ما نأى منكما ؛ بأبى أنتما ! .

قُلنا : وأنتَ ؛ فأمتع الله الخاصة والعامة بقُربك ؛ وآنس جماعة ذوى المُروءة بشخصك ؛ وجعلنا وسائر من يُحِبُّك فداءك !.

فقال : أحسن الله عن جميل القول جزاءكما ؛ وتولَّى عنِّى مكافأتكما !! .

قُلنا : وما تصنع فى هذا المكان الذى أنت لغيره أهل ؟!.

فقال :

اللهُ يَعْلَمُ أنَّنِى كَمِدُ
لا أستَطِيعُ أَبُثُّ مَا أجِدُ .
نَفْسَانِ لِى ؛ نَفْسٌ تَضَمَّنَهَا
بَلَدٌ ؛ وأُخْرَى حَازَهَا بَلَدُ .

أَمَّا المُقِيمَةُ لَيْسَ يَنْفَعُهَا
صَبْرٌ؛ وَلَيْسَ يقُرْبِهَا جَلَدُ .
وَأَظُنُّ غَائِبَتِي كَشَاهِدَتِي
بِمَكَانِهَا تَجِدُ الَّذِي أَجِدُ .

ثم التفت إلينا؛ فقال: أحسنتُ ؟ ؛ قُلنا: نعم ! ؛ ثم ولينا؛ فقال: بأبى أنتم ! ؛ ما أسرع مَلَلِكُم؟! ؛ باللهِ أعيرونى أفهامكم وأذهانكم ؟!.

قُلنا: هات ! .

فقال:

لَمَّا أَنَاخُوا قُبَيْلَ الصُّبْحِ عِيسَهُمُ
وَرَحَّلُوهَا؛ فَسَارَت بِالهَوَى الإِبِلُ .
وَقَلَّبَتْ من خِلالِ السِّجْفِ نَاظِرَهَا
تَرْنُو إِلَيَّ وَدَمْعُ العَيْنِ مُنْهَمِلُ .
فَوَدَّعَتْ بِبَنَانٍ عَقْدُهَا عَنَمٌ..... ؛
نَادَيْتُ لا حَمَلَتْ رِجْلاكَ يَا جَمَلُ !! .
وَيْلِي مِنَ البَيْنِ ! مَاذَا حَلَّ بِي وَبِهَا ؟! ؛
يَا نَازِحَ الدَّارِ حَلَّ البَيْنُ وَارْتَحَلُوا !! .

يَا رَاحِلَ العِيسِ عَرِّجْ كَى أُوَدِّعَهَا
يَا رَاحِلَ العِيسِ فِى تَرْحَالِكَ الأَجَلُ !! .
إِنِّى عَلَى العَهْدِ لَم أَنْقُض مَوَدَّتَكُم
فَلَيْتَ شِعْرِى !! وَطَالَ العَهْدُ ؛ مَا فَعَلُوا ؟!.

فقُلنا ـ ولم نعلم بحقيقة ما وصف ؛ مُجُونـاً مِنَّا ـ : ماتوا !! ؛ فقال : أقسمت عليكم !! ماتوا؟! ؛ فقُلنا لننظر ما يصنع : نعم ؛ ماتوا !! ؛ قال : إنِّى واللهِ مَيِّتٌ فى إثرهم !! .

ثم جذب نفسه فى السِّلسلة جذبةً دُلِعَ منها لسانه ؛ وندرت لها عيناه ؛ وانبعثت شفتاه بالدماء!! ؛ فتلبَّط ساعةً ؛ ثُمَّ مات !! .

فلا أنسى نَدامتنا على ما صنعنا !! .

....

- هِنْدُ المُحَرَّمَة -

عن ابن سيرين ؛ قال : قال عبد الله بن عجلان النَّهدىُّ فى الجاهليَّة :

أَلا إِنَّ هِنْداً أَصْبَحَت مِنْكَ مَحْرَماً
وَأَصْبَحْتَ مِن أَدْنَى حُمُوَّتِهَا حَمَى .
وَأَصْبَحْتَ كَالمَقْمُورِ جَفْنَ سِلاحِهِ
يُقَلِّبُ بِالكَفَّيْنِ قَوْسَاً وَأَسْهُمَا .

وَمَدَّ بها صوته حتى مات !! .

....

ـ المَجْنُونُ الشَّاعِر ـ

أبـوالعبَّاس المُبَرِّد ؛ قال : خرجت أنا وجماعةٌ من أصحابى مع المأمون ؛ فلما قرُبنا من نحو الرَّقَّة ؛ فإذا نحن بديرٍ كبيرٍ ؛ فأقبل إليَّ بعـض أصـحابى ؛ فقال : مِل بنا إلى هذا الدير لننظر مـن فيـه ونحمـد الله سُبْحَانَهُ علـى مـا رزقنـا مـن السَّلامة.

فلما دخلنا إلى الدير ؛ رأينا مجانين مَغْلُولِين ؛ وهم فى نهايـة القـذارة !! ؛ فـإذا منهم شَابٌّ عليه بَقِيَّة ثيابٍ ناعمةٍ ؛ فلما بَصُرَ بنا ؛ قال : من أين أنتم يا فتيان ؛ حياكم الله؟!.

فقُلنا : نحن من العراق .

فقال : يا !! بأبى العراق وأهلها !! بالله أنشدونى أو أنشدكم؟.

فقال المُبَرِّد : والله إنَّ الشِّعْرَ من هذا لطريف !! ؛ فقُلنا : أنشدنا !! .

فأنشأ يقول :

اللهُ يَعْلَـمُ أَنَّـنِى كَمِــدُ
لا أَستَطِيعُ أَبُثُّ مَا أَجِدُ .

نَفْسَانِ لِى ؛ نَفْسٌ تَضَمَّنَهَا
بَلَدٌ ؛ وَأُخْرَى حَازَهَا بَلَدُ .
أَمَّا المُقِيمَةُ لَيْسَ يَنْفَعُهَا
صَبْرٌ ؛ وَلَيْسَ يقُرْبِهَا جَلَدُ .
وَأَظُنُّ غَائِبَتِى كَشَاهِدَتِى
بِمَكَانِهَا تَجِدُ الَّذِى أَجِدُ .

قال المُبَرِّد : إِنَّ هذا لطريفٌ واللهِ !! زدنا !! .

فأنشأ يقول :

لَمَّا أَنَاخُوا قُبَيْلَ الصُّبْحِ عِيسَهُمُ
وَرَحَّلُوهَا ؛ فَسَارَت بِالهَوَى الإِبِلُ .
وَقَلَّبَتْ من خِلالِ السِّجْفِ نَاظِرَهَا
تَرْنُو إِلَىَّ وَدَمْعُ العَيْنِ مُنْهَمِلُ .
فَوَدَّعَتْ بِبَنَانٍ عَقْدُهَا عَنَمٌ..... ؛
نَادَيْتُ لا حَمَلَتْ رِجْلاكَ يَا جَمَلُ !! .
وَيْلِى مِنَ البَيْنِ ! مَاذَا حَلَّ بِى وَبِهَا ؟! ؛
يَا نَازِحَ الدَّارِ حَلَّ البَيْنُ وَارْتَحَلُوا !! .

يَا رَاحِلَ العِيسِ عَرِّجْ كَى أُوَدِّعَهَا
يَا رَاحِلَ العِيسِ فِى تَرْحَالِكَ الأَجَلُ !! .
إِنِّى عَلَى العَهْدِ لَم أَنْقُض مَوَدَّتَكُم
فَلَيْتَ شِعْرِى !! وَطَالَ العَهْدُ ؛ مَا فَعَلُوا ؟!.

فقال رجلٌ من البُغَضَاءِ الذين معى : ماتوا !! ؛ قال : إذن فأموت !! ؛ فقال له : إن شئت .

قال : فتمطَّى واستند إلى السَّارية التى كان مشدوداً فيها ؛ فما بَرِحْنَا حتى دفنَّاه !! .

....

- قَبْرُ النَّدِيم -

عُبَيْدُ النِّعالىُّ - غُلام أبى الهُذَيْل - ؛ قال : انصرفتُ من جنازةٍ من مسجد الرِّضىِّ فى وقت الهاجرة ؛ فلمَّا دخلت سكك البصرة ؛ اشتد علىَّ الحرُّ ؛ فتوخَّيتُ سكَّةً ظليلةً ؛ فاضطجعت على باب دار ؛ فسمعت ترنُّماً يجذب القلب !! ؛ فطرقت الباب واستسقيتُ ماءً ؛ فإذا فتىً اجتهرنى جماله ! إلاَّ أن أثر العِلَّة والسُّقم عليه بَيِّنٌ ؛ فأدخلنى إلى خيشٍ نظيفٍ وفرشٍ سرىٍّ ؛ فلمَّا اطمأننتُ ؛ خرج الفتى ومعه وصيفةٌ معها طستٌ وماءٌ ومنديل ؛ فغسلت رجلى وأخذت ردائى ونعلى وانصرفتْ ؛ فلبثتُ يسيراً ؛ فإذا جاريةٌ أُخرى

وقد جاءت بطستٍ وماءٍ ؛ فقُلتُ : قد غسلت يدى !! ؛ فقالت : إنما غسلت رجليك !! ؛ فاغسل الآن يديك للغداء ؛ وإذا الفتى قد أقبل ضاحكاً ليُؤنسنى ؛ وأنا أعرف العَبْرَة فى عينيه !! ؛ وَأُتِىَ بالطعام فأقبل يأكل ؛ وهو فى ذلك يُبسطنى .

فلما انقضى أكلنا ؛ أُتينا بشرابٍ ؛ فشرب قَدَحاً وشربتُ آخر ؛ ثُمَّ زَفَرَ زَفْرَةً ظننت أن أعضاءه قد نُقِضَت !! ؛ وقال لى : يا أخى !! إن لى نديماً ؛ فقُم بنا إليه !! ؛ فقُمتُ ؛ وتقدَّمنى ؛ ودخل مجلساً ؛ فإذا قبرٌ عليه ثوبٌ أخضر ؛ وفى البيت رمل مصبوب !! ؛ فقعد على الرَّمْل ؛ وطرح لى مُصلى ؛ فقُلت : واللهِ لا قعدتُ إلاَّ كما تقعد !! ؛ وأقبل يُرَدِّدُ العَبَرَات ؛ ثم شرب كأساً وشربتُ ؛ وأنشأ يقول :

أَطَأُ التُّرَابَ ؛ وَأَنْتَ رَهْنُ حُفَيْرَةٍ
هَالَتْ يَدَاىَ عَلَى صَدَاكَ تُرَابَهَا .
إِنِّى لأَعْذِرُ مَنْ مَشَى إِن لَم أَطَأْ
بِجُفُونِ عَيْنِى مَا حَيِيتُ جَنَابَهَا .
لَو أنَّ جَمْرَ جَوَانِحِى مُتَلَبِّسٌ
بِالنَّارِ أَطْفَأَ حَرَّهَا وأذابَهَا .

ثم أكَبَّ على القبر مَغشيَّاً عليه !! ؛ فجاءه غُلامٌ بماءٍ ؛ فصبَّهُ على وجهه ؛ فأفاق ؛ فشرب ؛ ثم أنشأ يقول :

اليَوْمَ ثَابَ لِيَ السُّرُورُ لأَنَّنِى
أَيْقَنْتُ أنِّى عَاجِلاً بِكَ لاحِقُ .
فَغَداً أُقَاسِمُكَ البِلَى ؛ وَيَسُوقُنِى
طَوْعَاً إِلَيْكَ ؛ مِنَ المَنِيَّةِ ؛ سَائِقُ .

ثم قال لى : قد وجبت حقِّى عليك ؛ فاحضرغداً جنازتى !! ؛ قُلْتُ : يُطيلُ الله عُمُرَك !! ؛ قال : إنِّى ميِّتٌ لا محالة . !! .

فدعوت له بالبقاء ؛ فقال : لقد عققتنى !! ؛ ألا قُلت :

جَاوِرِ خَلِيلَكَ مُسْعَداً فِى رَمْسِهِ
كَيمَا يَنَالُكَ فِى البِلَى مَا نَالَهُ . !!.

فانصرفت ؛ وطالت علىَّ ليلتي !! ؛ وغدوت ؛ فإذا هو قد مات !! .

....

- مَوْتُ عُرْوة بْنِ حِزَام -

عن النُّعمان بن بشير بن سعد الأنصاريّ ؛ قال : وليت صدقات بنى عُذرة ؛ قال : فَدُفِعْتُ إلى فتىً تحت ثوب ؛ فكشفت عنه ؛ فإذا رَجُلٌ لم يبق منه إلاَّ

رأسه !! ؛ فقلت : ما بك ؟! ؛ فقال :

كَأَنَّ قَطَاةً عُلِّقَتْ بِجَنَاحِهَا

عَلَى كَبِدِي مِن شِدَّةِ الخَفَقَان !! .

جَعَلْتُ لِعَرَّافِ اليَمَامَةِ حُكْمَهُ

وَعَرَّافِ نَجْدٍ إِنْ هُمَا شَفَيَانِي !! .

ثم تنفَّسَ حتى ملأ منه الثوب الذى كان فيه ؛ ثم خمد ؛ فإذا هو قد مات !! . فأُصلح من شأنه ؛ وصلَّيتُ عليه ؛ فقيل لى : أتدري من هذا ؟! ؛ هذا عروة ابن حزام !! .

....

- لَيْلَى العَامِرِيَّةُ وَمَجْنُونُهَا -

قال الهيثمُ بن عدى : حدَّثنا عُثمان بن عمارة ؛ عن أشياخهم من بنى مُرَّة ؛ قال : رحل رَجُلٌ مِنَّا إلى ناحية الشام مما يلى تيماء والشَّرَاة فى طلب بُغْيَةٍ له ؛ فإذا هو بخيمةٍ قد رُفعت له ؛ وقد أصابه مطر ؛ فعدل إليها ؛ فتنحنح ؛ فإذا امرأةٌ قد كلَّمتهُ ؛ فقالت له : انزل ؛ فنزل ؛ وراحت إبلهم وغنمهم ؛ فإذا أمرٌ عظيمٌ وإذا رعاةٌ كثيرٌ !! ؛ فقالت لبعض العبيد : سلوا هذا الرَّجُل من أين أقبل ؟ ؛ فقُلتُ : من ناحية اليمامة ونجد ؛ فقالت : أيُّ بلاد نجدٍ وَطِئْت ؟ ؛ قُلتُ : كلها ؛ قالت : بمن نزلت هُنا ؟ ؛ قُلتُ : ببنى عامرٍ ؛ فتنفَّست

الصُّعداء !! ؛ وقالت : بأيِّ بنى عامر ؟! ؛ فقُلتُ : ببنى الحريش ؛ فاستعبرت !! ؛ ثم قالت : هل سمعت بذكر فتى يُقال له قيس ويُلقَّب بالمجنون ؟! ؛ فقُلتُ : إى والله !! ؛ ونزلت بأبيه ؛ وأتيته حتى نظرت إليه يهيم فى تلك الفيافى ويكون مع الوحش لا يعقل ولا يفهم إلاَّ أن تُذكر له ليلى فيبكى ويُنشد أشعاراً يقولها فيها !! .

قال : فرفعت السِّتْرَ بينى وبينها ؛ فإذا شُقَّةُ قمرٍ لم تر عينى مثلها !! ؛ فبكت وانتحبت حتى ظننت واللهِ أن قلبها قد انصدع !! ؛ فقُلتُ لها : أيتُها المرأة !! اتقى الله !! ؛ فواللهِ ما قُلتُ بأساً !! .

فمكثت طويلاً على تلك الحال من البُكى والنَّحيب !! ؛ ثم قالت :

أَلا لَيْتَ شِعْرِى ؛ وَالخُطُوبُ كَثِيرَةٌ
مَتَى رَحْلُ قَيْسٍ مُسْتَقِلٌّ فَرَاجِعُ ؟!
بِنَفْسِىَ مَن لا يَسْتَقِلُّ بِرَحْلِهِ
وَمَن هُوَ إِن لَم يَحْفَظِ اللهُ ضَائِعُ !!

ثم بكت حتى غُشِىَ عليها !! ؛ فلمَّا أفاقت ؛ قُلتُ : من أنت بالله ؟! ؛ قالت : أنا ليلى المشؤومة عليه !! غير المُساعدة له !! .

فما رأيت مثل حُزنها ووجدها !! ؛ فمضيت وتركتها !! .

....

- الرَّشِيد وَالجَارِيَة -

إسحاق بن إبراهيم ؛ عن أبيه ؛ قال : قالَ لى زلزل ـ وكان اسمه منصور ـ : عندي جارية من صالحها ؛ ومن صفتها ؛ قد علَّمتنى الغناء ؛ فكُنتُ أشتهى أن أراها فاستحى أسأله ؛ فلما تُوفِّى زلزل بلغنى أن ورثته يعرضون الجارية ؛ فصرت إليهم ؛ فأخرجوها ؛ فإذا جاريةٌ كاد الغزال أن يكونها لولا ما تمَّ منها ونقص منه !! ؛ قال : قُلتُ لها : غَنِّى صوتا ! ؛ فجيء بالعود فوضع فى حِجْرِهَا ؛ فاندفعت تُغنِّى وتقول ؛ وعيناها تذرفان :

أَقْفَـرَ مِـن أوْتَـارِهِ العُـودُ
فَالعُـودُ لِلإقْفَـارِ مَعْمُـودُ .
وَأَوْحَشَ المِزْمَارُ مِن صَوْتِهِ
فَمَـا لَهُ بَعْـدَكَ تَغْـرِيدُ .
مَن لِلـمَزَامِيرِ وَسُمَّاعِهَا
وَعَامِرُ اللَّـذَّاتِ مَفْقُـودُ !؟ .
وَالخَمْرُ تَبْكِى فِى أَبَارِيقِهَا
وَالقَيْنَةُ الخَمْصَانَةُ الرُّودُ !! .

ثم شهقت شهقةً ظننت أن نفسها قد خرجت !! ؛ فركبت من ساعتى ؛ فدخلت على أمير المؤمنين ؛ فأخبرته بخبر الجارية وما سمعت منها ؛ فأمر

بإحضارها ؛ فلمَّا دخلت عليه ؛ قال لها : غنِّى الصوت الذى غنيْت به إبراهيم ! ؛ فغنَّت وجعلت تُريد البُكى فيمنعها إجلال أمير المؤمنين ؛ فرحمها وأُعجب بها ؛ فقال : أتحبِّين أن أشتريك ؟! ؛ فقالت : يا سيِّدى !! أما إذ خيَّرتنى فقد وجب نُصحك علىَّ ؛ والله لا يشترينى أحدٌ بعد زلزلٍ فينتفع بى !! ؛ فقال : يا إبراهيم !! أتعلم بالعراق جاريةً جمعت ما جمعت هذه ؟! ؛ إن وجدت فاشترها بشطر مالى !! ؛ فقُلتُ : لا والله يا أمير المؤمنين !! ولا على وجه الأرض !! .

فأمر بشرائها ؛ وأعتقها ؛ وأجرى عليها رزقاً .

....

- العُيُونُ الدُّعْج -

التوزىُّ ؛ قال : سمعت أبا عُبيدة يقول : قال رَجُلٌ من بنى فزارة لِرَجُلٍ من عُذرة : تَعُدُّون موتكم من الحُبِّ مزية !! ؛ وإنما ذلك من ضعف البنية ؛ ووهن العقيدة ؛ وضيق الرَّويَّة !! .

فقال العُذرىُّ : أما لو أنكم رأيتم المحاجر البُلج ؛ ترشق بالأعين الدُّعج ؛ من فوقها الحواجب الزُّج ؛ والشفاه السُّمر ؛ تفترعن الثنايا الغُر ؛ كأنها سرد الدُّر ؛ لجعلتموها اللات والعزى ؛ ودفعتم الإسلام وراء ظهوركم !! .

....

- غَلِيلٌ وَدُمُوع -

ابن حبيب المذكر ؛ قال : دخلت دار المرضى بنيسابور ؛ فرأيت شابًّا من أبناء النِّعَم يُقال له أبو صادق السكريُّ ؛ مشدوداً ؛ وهو يجلب ويصيح !! ؛ فلمَّا بَصُرَ بى ؛ قال : أتروى من الشِّعر شيئاً ؟ ؛ قُلتُ : نعم !! ؛ قال : من شعر من ؟ ؛ قُلتُ : من شعر من شئت ؛ قال : من شعر البُحتريِّ ؟ ؛ قُلتُ : أيَّ قصيدة تريد ؟! ؛ فقال :

أَلَمْعُ بَرْقٍ سَرَى أم ضَوْءُ مِصبَاحِ
أَمِ ابْتِسَامَتُهَا بِالمَنظَرِ الضَّاحِى ؟!

فأنشدته القصيدة ؛ فقال : فأنشدك قصيدة ؟ ؛ قلت : نعم ! ؛ فأخذ فى إنشاد قصيدته :

أَقْصِرَا !! ؛ إِنَّ شَأْنِىَ الإِقْصَارُ   وَأَقِـلاَّ لا يَنْفَـعُ الإِكْـثَـارُ !! .

حتى بلغ قوله :

إِن جَرَى بَيْنَنَا وَبَيْنَكِ عَتْبٌ
أَو تَنَاءَت مِنَّا وَمِنْكِ الدِّيَارُ .
فَالغَلِيلُ الَّذِى عَهِدتِ مُقِيمٌ
وَالدُّمُوعُ الَّتِى شَهِدتِ غِزَارُ .

فقفز ؛ وجعل يرقص فى قيدهِ ويصيح ؛ إلى أن سقط مغشيًّا عليه !! .

....

- عبد الله بن جعفر وجاريته -

عن محمد بن سيرين ؛ قال : نظر عبد الله بن جعفر إلى جاريةٍ له كان يحُبُّها حُبّاً شديداً وهى تُلاحظ مولاه !! ؛ فسألها : باللهِ هل تحُبِّين فُلاناً ؟! ؛ فقالت : أعيذك بالله يا سيِّدى !! ؛ قال : فسألها : باللهِ لا تكتُمينى ذلك !! ؛ فسكتت ؛ فأعتقها ؛ ودعاه فزوَّجها إيَّاه .

قال : ثم إن نفسه تتبَّعتها ؛ فدعا مولاه ؛ فقال : أتنزل عنها ولك عشرة آلاف درهم ؟ ؛ قال : لا واللهِ !! ؛ ولا مائة ألف درهم !! ؛ قال : بارك الله لك فيها !! .

قال : فأعرض عنها ؛ قال : فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً حتى مات مولاه ؛ وتزوَّجها ابن جعفر بعد ذلك .

قال ابن حُسين : فذكرت هذا الحديث لأبى ياسين الرَّقىِّ ؛ فحدَّثنى عن بعض أصحابه : أن عبد الله بن جعفر لما دخلت عليه أنشأ يقول :

رَضِيتُ بحُكْمِ اللهِ فِى كُلِّ أمْـرِهِ
وَسَلَّمْـتُ أمْرَ اللهِ فِىَّ كَمَا مَضَى .
بَـلانِى وَأبْـلانِى بِحُـبٍّ دَنِيَّـةٍ
وَصَبَّرَنى حَتَّى امَّحَى الحُبُّ فَانْقَضَى .

لَعَمْرِيَ !! مَا حُبِّى بِحُبِّ مَلالَةٍ
وَلا كَانَ وُدِّى زَائِلاً فَتَنَقَّضَا .
وَلَكِنَّ حُبِّى مَعْهُ دَلٌّ يَزِينُهُ
وَيُعْرِضُ أَحْيَانَاً إِذَا الحُبُّ أَعْرَضَا .

....

- صريعا الحب -

أبو بكر بن دُرَيْد ؛ قال : أخبرنا عبد الرحمن ؛ عن عَمِّه ؛ عن يونس ؛ قال : انصرفت من الحجِّ ؛ فمررت بماوية ؛ وكان لى فيها صديقٌ من بنى عامر بن صعصعة ؛ فصرت إليه مُسلِّماً ؛ فأنزلنى ؛ فبينا أنا عنده ونحن قاعدان بفنائه ؛ إذا نساءٌ مُستبشرات ؛ وَهُنَّ يقُلن : تكلَّم تكلَّم !! ؛ فقُلتُ : ما هذا ؟! ؛ فقالُوا : فتىً مِنَّا كان يعشق ابنة عَمٍّ له ؛ فَزُوِّجَت ؛ وَحُملت إلى ناحية الحجاز ؛ فإنه لعلى فراشه منذ حَوْلٍ ما تكلَّم ولا أكل !! ؛ إلا أن يُؤتى بما يأكله ويشربه !! ؛ فقُلتُ : أُحِبُّ أن أراه !! ؛ فقام ؛ وقُمتُ معه ؛ فمشينا غير بعيد ؛ وإذا بفتىً مُضطجع بفناء بيتٍ من تلك البيوت ؛ لم يبق منه إلاَّ خيال !! ؛ فأكبَّ الشَّيْخُ عليه يسأله ؛ وَأُمُّهُ واقفةٌ ؛ فقالت : يا مالك !! هذا عَمُّك أبو فلان يعودك ؛ ففتح عينيه ؛ وأنشأ يقول :

لِيَبْكِنِى اليَوْمَ أَهْلُ الوُدِّ وَالشَّفَقِ
لَم يَبْقَ مِن مُهْجَتِى إلاَّ شَفَا رَمَقِ !! .
اليَوْمَ آخِرُ عَهْدِى بِالحَيَاةِ ؛ فَقَد
أُطْلِقْتُ مِن رِبْقَةِ الأَحْزَانِ وَالقَلَقِ !! .

ثم تنفّس الصُّعداء ؛ فإذا هو ميِّتٌ !! ؛ فقام الشيخ ؛ وقُمت فانصرفت إلى خبائه ؛ فإذا جاريةٌ بَضَّةٌ تبكلا وتتفجّع !! ؛ فقال الشيخ : ما يُبكيك ؟! ؛ فأنشأت تقول :

ألا أُبكّى لِصَبٍّ شَفَّ مُهْجَتَهُ
طُولُ السَّقَامِ وَأَضْنَى جِسْمَهُ الكَمَدُ ؟! .

يَا لَيْتَ مَن خَلَّفَ القَلْبَ الهَيُومَ بِهِ
عِنْدِى فَأَشْكُو إِلَيْهِ بَعْضَ مَا أَجِدُ !!
أَنَشْرُ تُرْبِكَ أَسْرَى لِى النَّسِيمُ بِهِ
أم أَنْتَ حَيْثُ يُنَاطُ السَّحْرُ والكَبِدُ ؟!

ثم انثنت على كبدها ؛ وشهقت ؛ فإذا هي ميّتة !! .

قال يونس : فقُمت من عند الشيخ وأنا وقيذ !! (1) .

---

(1) ـ وقيذ : إذا كَانَ شَدِيد العِلّة ؛ وَقد وقذته العِلّة وَالْعِبَادَة : إذا نهكته .

....

- السُّلُّ داء الحب -

محمد بن جعفر بن زُبَيْر ؛ قال : سمعت رَجُلاً من بنى عُذرة عند عُروة بن الزُّبير يحُدِّثُهُ ؛ فقال عروة : يا هذا ! بحقٍّ أقُول لكم !! إنَّكم أرقُّ الناس قُلُوباً !! ؛ فقال : نعم !! واللهِ لقد تركت بالحيِّ ثلاثين قد خامرهم السُّل ؛ وما بهم داءٌ إلا الحُب !! .

....

- مجنون وعليلة -

أبو الحُسَيْن عليُّ بن الحُسين الصُّوفيُّ المعروف برباح ؛ قال : حدَّثنى بعض أصدقائى أنه دخل إلى بعض المَارَسْتَانَات ببغداد ؛ فرأى شابًّا حسن الوجه ؛ نظيف الثياب ؛ جالساً على حصير نظيف ؛ وعن يساره مخدَّة نظيفة ؛ وفى يده مروحة ؛ وإلى جانبه كوز فيه ماء !! ؛ فسلَّمت عليه ؛ فَرَدَّ السَّلامَ أحسن رَدٍّ ؛ فقُلتُ له : هل لك من حاجة؟! ؛ فقال : نعم !! أُريد قرصين وعليهما فالوذج؟ ؛ فمضيت فجئته بذلك ؛ وجلست مُقابله حتَّى أكل ؛ ثُمَّ قُلتُ له : أبقىَ لك حاجة؟ ؛ فقال : نعم ! ؛ ولا أظنّك تقدر عليها؟! ؛ فقُلتُ : اذكرها ؛ فلعلَّ الله أن يُيَسِّرِهَا ؟! ؛ فقال : تمضى إلى نهر الدجاج درب أحمد الدهقان ؛ إلى دارٍ على باب زُقاق الغفلة ؛ فاطرق الباب وقُل : إن فلاناً قال لى :

مُرْ بِالحَبِيبِ وَقُلْ لهُ : مَجْنُونُكُم مَن ذَا يُحِلُّهُ؟!

قال : فمضيت ؛ وسألت عن الدرب والزُّقاق ؛ فَدُللت عليه ؛ فطرقت الباب ؛ فخرجت إليَّ عجوزٌ ؛ فأبلغتها الرِّسالة ؛ فدخلت وغابت عنِّى ساعة ؛ ثم خرجت فقالت :

ارْجِعْ إِلَيْهِ وقُل لَهُ : عَلِيلُكُم مَن ذَا أَعَلَّهُ؟!

فرجعت إلى الفتى ؛ فأخبرته بالجواب ؛ فشهق شهقةً ؛ فمات !! ؛ وعُدت إلى القوم أُخبرهم بذلك ؛ فوجدت الصُّراخ فى الدَّار ؛ وقد ماتت الجارية!! .

....

- الحُبُّ للحبيب الأول -

أبو محمد الرقاقىُّ ؛ قال : خرج أبو حمزة يُشَيِّع بعض الغُزاة ؛ وكان راكباً ؛ فسمع قائلاً يقول :

نَقِّلْ فُؤادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الهَوَى
مَا الحُبُّ إلاَّ للحَبِيبِ الأَوَّلِ .

فسقط حتى خشينا عليه!! .

....

سواجع وهواتف

مسجع بن نبهان ؛ قال : حدَّثنى رَجُلٌ من بنى الصيداء من أهل الصَّريم ؛ قال : كُنتُ أهوى جاريةً من باهلة ؛ وكان قومها قد أخافونى وأخذوا علىَّ المسالك ؛ فخرجت ذات يوم ؛ فإذا حمامات يسجعن على أفنان أيكات مُتناوحاتٍ فى سرارة وادٍ ؛ فاستفزَّنى من الشَّوق ما لم أعقل معه بشىءٍ!! ؛ فركبت وأنا أقول :

دَعَتْ فَوقَ أَغْصَانٍ مِنَ الأَيْكِ مُوهِنَاً
.... مُطَوَّقَةٌ وَرْقَاءُ فِى إِثْرِ آلِفِ .
فَهَاجَت عَقَابِيلَ الهَوَى إذ تَرَنَّمَت
وَشَبَّتْ ضِرَامَ الشَّوْقِ بَينَ الشَّرَاسِفِ .

لكنى خرجتُ ؛ فآوانى الليلُ إلى حىٍّ ؛ فخفت أن يكونوا من قومها ؛ فبتُّ فى القَفْرِ ؛ فلمَّا هدأت الرِّجْلُ ؛ إذا قائلٌ يقول :

تَمَتَّع مِن شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ
فَمَا بَعْدَ العَشِيَّةِ مِن عَرَارِ!! .

فتألَّمتُ من ذلك!! ؛ ثم غلبتنى عيناى ؛ فإذا آخرٌ يقول :

وَلا شَىْءَ بَعْدَ اليَوْمِ إلاَّ تَعِلَّةً
مِنَ الطَّيْفِ أو تَلْقَى بِهَا مَنْزِلاً قَفْرًا !! .

فزادنى ذلك قَلَقاً !! ؛ ثم نمتُ ؛ فإذا ثالثٌ يقول :

لَن يَلْبَثَ القُرَنَاءُ أن يَتَفَرَّقُوا

لَيْلٌ يَكِرُّ عَلَيهِمُ وَنَهَارُ!! .

فقمتُ !! ؛ فغيَّرت وركبت مُتنكِّباً عن الطريق ؛ فلمَّا برق الفجر ؛ إذا راعٍ مع الشُّروق قد سَرَّحَ غنمه وهو يتمثل :

كَفَى بِاللَّيَالِي مُخْلِفَاتٍ لِجِدَّةٍ

وَبِالمَوْتِ قَطَّاعاً حِبَالَ القَرَائِنِ !! .

فأظلمت عليَّ الأرض !! ؛ فتأملته فعرفته ؛ فقُلتُ : فُلان؟! ؛ قال : فُلان ؛ قُلتُ : ما وراءك ؟! ؛ قال : ضاجعت واللهِ رَمْلَةَ الثَّرى! ؛ فما لبثت أن سقطتُ عن بعيرى ؛ فما أفقت حتى حميت الشمس عليَّ ؛ وقد عقل الغلام ناقتى وقد مضى ؛ فكررت إلى أهلى ؛ وأنشأت أقول :

يَا رَاعِيَ الضَّأْنِ !! قَد أَبْقَيْتَ لِي كَمَداً

يَبْقَى وَيُتْلِفُنِى ؛ يَا رَاعِيَ الضَّانِ !!

نَعَيْتَ نَفْسِي إِلَى نَفْسِي ؛ فَكَيْفَ إِذَن

أَبْقَى !! وَنَفْسِيَ فِي أَثْنَاءِ أَكْفَانِي؟!

لَو كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَسْأَرْتَ فِي كَبِدِي

بَكَيْتَ مِمَّا تَرَاهُ اليَوْمَ أَبْكَانِي!! .

....

- من الحب اليائس إلى التعبُّد -

أحمد بن سعيد العابد ؛ عن أبيه ؛ قال : كان عندنا بالكوفة شابٌّ يتعبَّد مُلازماً للمسجد الجامع ؛ لا يكاد يخلو منه ؛ وكان حسن الوجه ؛ حسن القامة ؛ حسن السَّمْت ؛ فنظرت إليه امرأةٌ ذات جمال وعقل ؛ فَشُغِفَت به ؛ وطال ذلك عليها ؛ فلمَّا كان ذات يوم ؛ وقفت له على طريقه وهو يُريد المسجد ؛ فقالت له : يا فتى !! اسمع مِنِّى كلمات أُكلِّمك بها ثم اعمل ما شئت؟! ؛ فمضى ولم يُكلِّمها ؛ ثُمَّ وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يُريد منزله ؛ فقالت له : يا فتى !! اسمع كلمات أُكلِّمك بها؟! ؛ فأطرق!! ؛ فقال لها : هذا موقف تُهمة ؛ وأنا أكره أن أكون للتُّهمة موضعاً !! ؛ فقالت له : واللهِ ما وقفت موقفى هذا جهالةً منِّى بأمرك ؛ ولكن معاذ الله أن يتشوَّف العباد إلى مثل هذا مِنِّى ؛ والذى حملنى على أن لقيتك فى هذا الأمر بنفسى ؛ معرفتى أنَّ القليل من هذا عند الناس كثير ؛ وأنتم معاشر العُبَّاد فى مثال القوارير!! ؛ أدنى شىء يعيبه ؛ وجُملة ما أُكلِّمك به أن جوارحى كُلُّها مشغولةٌ بك ؛ فاللهَ اللهَ فى أمرى وأمرك!! .

قال : فمضى الشَّابُّ إلى منزله ؛ وأراد أن يُصَلِّى فلم يعقل كيف يُصَلِّى!! ؛ فأخذ قِرطاساً وكتب كتاباً ؛ ثم خرج من منزله ؛ فإذا بالمرأة واقفةٌ فى

موضعها !! ؛ فألقى إليها الكتاب ؛ ورجع إلى منزله!! .

وكان في الكتاب :

((بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

اعلمي أَيَّتُها المرأة !! أنَّ الله ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ إذا عُصِيَ حَلُم ؛ فإذا عاود العبد المعصية ستر ؛ فإذا لبس لها ملابسها غضب الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لنفسه غضبةً تضيق منها السَّموات والأرضون والجبال والشجر والدواب !! ؛ فمن ذا الذي يُطيق غضبه؟! ؛ فإن كان ما ذكرت باطلاً ؛ فإنِّي أُذكِّرُكِ يوماً تكون السَّماء كالمُهل ؛ وتصير الجبال كالعِهن ؛ وتجثو الأُمم لصولة الجبَّار العظيم !! .
وإنِّي واللهِ قد ضَعُفْتُ عن إصلاح نفسي ؛ فكيف بصلاح غيري ؟! .
وإن كان ما ذكرت حقّاً ؛ فإني أَدُلُّكِ على طبيبٍ ؛ هو وليُّ الكُلُوم المُمْرَضَة والأوجاع المُرْمِضَة ؛ ذلك اللهُ رَبُّ العالمين!! ؛ فاقصديه على صدق المسألة ؛ فإني مُتشاغلٌ عنك بقوله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : ﴿ وَأَنْذِرْهُم يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ القُلُوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ كَاظِمِين ؛ مَا للظَّالِمِينَ مِن حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاع ۞ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُور ۞ والله يقضي بالحق ﴾ ؛(1) ؛ فأين المهربُ من هذه الآية ؟! .)) .

(1) ـ [سُورَة غَافِر/ الآيَات : 18 ـ 20] .

ثم جاءت بعد ذلك بأيَّامٍ ؛ فوقفت له على طريقه !! ؛ فلما رآها من بعيدٍ أراد الرُّجُوع إلى منزله لئلا يراها ؛ فقالت : يا فتى !! لا ترجع؟! فلا كان المُلتقى بعد هذا أبداً إلاَّ بين يدى الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ !! ؛ وبكت بُكاءً كثيراً !! ؛ ثم قالت : أسأل الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ الذى بيده مفاتيح قلبك أن يُسَهِّلَ ما قد عَسُرَ من أمرك !! ؛ ثم تبعته فقالت : أُمنن علىَّ بموعظةٍ أحملها عنك ؛ وأوصنى بوصيَّةٍ أعمل عليها؟! ؛ فقال لها الفتى : أُوصيك بحفظ نفسك من نفسك ؛ وَأُذَكِّرُكِ قوله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾. .(1) .

قال : فأطرقت !! ؛ وبكت بُكاءً أشدَّ من بُكائها الأوَّل !! ؛ ثم أفاقت ؛ فقالت : والله ما حملت أُنثى ولا وضعت إنساً كمثلك فى مِصْرِى وأحيائى!! ؛ وذكرت أبياتاً آخرها :

لأَلْبسَنَّ لِهَذَا الأَمْرِ مِدْرَعَةً

وَلا رَكَنْتُ إِلى لَذَّاتِ دُنْيَايَا .

ثم لزمت بيتها فأخذت بالعبادة !! .

قال : فكانت إذا أجهدها الأمر تدعو بكتابه فتضعه على عينيها !! ؛ فيُقال لها : وهل يُغنى هذا شيئاً ؟! ؛ فتقُول : وهل لى دواءٌ غيره ؟! .

.(1) ـ [سُورَة الأَنْعَام / الآيَة : 60] .

وكان إذا جَنَّ عليها الليل قامت إلى محرابها ؛ فإذا صلَّت ؛ قالت :

يَا وَارِثَ الأَرْضِ هَبْ لِى مِنْكَ مَغْفِرَةً
وَحُلَّ عَنِّى هَوَى ذَا الهَاجِرِ الدَّانِى !!.
وَانْظُرْ إِلَى خَلَّتِى ؛ يَا مُشْتَكَى حَزَنِى
بِنَظْرَةٍ مِنْكَ تَجْلُو كُلَّ أَحْزَانِى !! .

فلم تزل على ذلك حتى ماتت كَمَدَاً !! .

وكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكى عليها !! ؛ فَيُقال له : مِمَّ بكاؤك ؛ وأنت قد أيستها ؟! ؛ فيقُول : إنِّى ذُقت طعمها منِّى فى أوَّل أمرها ؛ وجعلت قطعها ذخيرةً لى عند الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ؛ وإنى لأستحيى من الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أن أسترد ذخيرةً ذخرتها عنده !! .

وفى بعض الرِّوايات : ثُمَّ إنَّ الجارية لم تلبث أن بُليت ببليَّةٍ فى جسمها ؛ فكان الطبيب يقطع من لحمها أرطالاً !! ؛ ولأنه قد عرف حديثها مع الفتى ؛ فكان إذا أراد أن يقطع لحمها يُحدِّثها بحديث الفتى !! ؛ فما كانت تجد لقطع لحمها ألماً ولا كانت تتأوَّه !! ؛ فإذا سكت عن ذكره تأوَّهت !! ؛ ولم تزل كذلك حتى ماتت كَمَدَاً !! .

....

- آه من البين -

سهلان القاضى ؛ قال : بينا أنا مارٌ فى طُرقات جبل شورى ؛ وقد مرَّت علىَّ قافلةٌ عظيمةٌ ؛ إذا نحن بشابٍ على الطريق ذاهب العقل ؛ مَدْهُوش ؛ عُريان ؛ وبين يديه خِلْقَان ممُزَّقات !! ؛ فقال لى : أين رأيت القافلة ؟! ؛ قُلتُ : فى موضع كذا ؛ فقال : آهٍ من البَيْن !! آهٍ من البَيْن !! آهٍ من دواعى الحَيْن !! ؛ فقُلتُ : وما دهاك ؟! ؛ فقال :

شَيَّعتُهُم مَن حَيْثُ لَم يَعْلَمُوا
وَرُحتُ ؛ وَالقَلْبُ بِهِم مُغْرَمُ !!
سَـألْتُـهُـم تَـسْلِـيـمَـةً مِـنْـهُـمُ
عَلَىَّ إِذ بَانُـوا ؛ فَـمَـا سَـلَّـمُـوا !!
سَـارُوا ؛ وَلَـم يَـرثُـوا لِمُسْتَهْتِرٍ
وَلَـم يُبَـالُـوا قَـلْـبَ مَـن تَـيَّـمُـوا !!
وَاستَحسَنُوا ظُلْمِى ؛ فَمِن أَجْلِهِم
أَحَـبَّ قَـلْبِـى كُـلَّ مَـن يَظْـلِـمُ !!

....

وفاء زوجة

عن مُصعب بن عبد الله الزُّبيريّ ؛ قال : تزوَّج مالك بن عمرو الغسانيُّ بابنة عَمٍّ النُّعمان بن بشير ؛ فَشُغِفَ كُلٌّ واحدٍ منهما بصاحبه ؛ وكان مالك شُجاعاً ؛ فاشترطت عليه أن لا يُقاتل إذا لقىَ شفقةً عليه وضنَّاً به ؛ وإنَّه غزا حيَّاً من لخم ؛ فباشر القتال ؛ فأصابته جِرَاح !! ؛ فقال وهو مُثقلٌ منها :

أَلا لَيْتَ شِعْرِى عَن غَزَالٍ تَرَكْتُهُ
إِذَا مَا أَتَاهُ مَصْرَعِى كَيْفَ يَصْنَعُ ؟!
فَلَوْ أَنَّنِى كُنْتُ الْمُؤخَّرَ بَعْدَهُ
لَمَا بَرِحَتْ نَفْسِى عَلَيْهِ تَطَلَّعُ !!

وإنه مكث يوماً وليلةً ثم مات من جراحه !! ؛ فلمَّا وصل خبره إلى زوجته بكتهُ سَنَةً ؛ ثم اُعتُقِل لسانها فامتنعت من الكلام !! ؛ وكثر خُطَّابُها ؛ فقال عُمومتها وولاة أمرها : نُزوِّجها لعلَّ لسانها ينطلق ويذهب حزنها فإنما هى من النِّساء ؛ فزوَّجوها بعض أبناء المُلوك ؛ فساق إليها ألف بعيرٍ !! ؛ فلمَّا كان فى الليلة التى أُهديت إليه فيها ؛ قامت على باب القُبَّة ؛ ثم قالت :

يَقُولُ رِجَالٌ : زَوِّجُوهَا لَعَلَّهَا
تَقَرُّ وَتَرْضَى بَعْدَهُ بِخَلِيلٍ !!

فَأَخْفَيْتُ فِي النَّفْسِ الَّتِي لَيْسَ بَعْدَهَا
رَجَاءٌ لَهُم ؛ وَالصِّدقُ أَفْضَلُ قِيلِ !!
وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكاً
أَقَامَ ؛ وَنَادَى صَحْبَهُ بِرَحِيلِ !!
وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكاً
ضَرُوبٌ بِنَصْلِ السَّيْفِ غَيْرُ نَكُولِ !!
وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكاً
خَفِيفٌ عَلَى الأَحْدَاثِ غَيْرُ ثَقِيلِ !!
وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكاً
صَرُومٌ كَمَاضِي الشَّفْرَتَيْنِ صَقِيلِ !!

فلما فرغت من الشِّعْرِ ؛ شهقت شهقةً فماتت !! .

....

- جميل والبنات العذريات -

قال هشام بن محمد : سمعتُ رَجُلاً من بني عُذرة يُحدِّث ؛ قال : لمَّا عَلِقَ جميل بُثينة وجعل ينسب بها ؛ استعدى عليه أهلها ربعيَّ بن دجاجة - وهو يومئذٍ أمير تيماء - ؛ قال : فخرج جميل هارباً حتى انتهى إلى رَجُلٍ من عُذرة بأقصى بلادهم - وكان سيِّداً - ؛ فاستجار به ؛ وكان للرَّجُلِ سبع بنات ؛ فلمَّا رأى

جميلاً ؛ رغب فيه وأراد أن يُزوِّجه ليسلو عن بُثينة ؛ فقال لبناته : البسن أحسن ثيابكنَّ وتحلين بأحسن حليكن ؛ وتعرضن له ؛ فلعلَّ عينه أن تقع على إحداكنَّ فأزوجه .

قال : وكان جميل إذا أراد الحاجة أبعد فى المذهب ؛ فإذا أقبل رفعن جانب الخباء ؛ فإذا رآهُنَّ صرف وجهه .

قال : ففعلن ذلك مراراً ؛ فعرف جميل ما أراد به الشَّيْخُ ؛ فأنشأ يقول :

حَلَفْتُ لِكَيْمَا تَعْلَمِينِى صَادِقاً
وَلَلصِّدْقُ خَيْرٌ فِى الأُمُورِ وَأَنْجَحُ .
لَتَكْلِيمُ يَوْمٍ وَاحِدٍ مِن بُثَيْنَةٍ
وَرُؤْيَتُهَا عِنْدِى أَلَذُّ وَأَمْلَحُ .

مِنَ الدَّهْرِ لَو أَخْلُو بِكُنَّ ؛ وَإِنَّمَا
أُعَالِجُ قَلْبَاً طَامِحَاً حَيْثُ يَطْمَحُ .

فقال الشَّيْخُ : أرخين عليكُنَّ الخباء ؛ فوالله لا يُفلح هذا أبداً !! .

....

- الظريفة العاشقة -

عبَّاسُ بْنُ عُبَيْد ؛ قال : كان بالمدينة جاريةٌ ظريفةٌ حاذقةٌ بالغناء ؛ فهويت فتىً مـن قُريشٍ ؛ فكانـت لا تُفارقـه ولا يُفارقها ؛ فملَّهـا الفتى ؛ وتزايـدت هـى فى محبَّته وَأَسِفَت ؛ فغارت ؛ فَوَلِهَت ؛ وجعل مولاها لا يعبأ بـذلك ولا يـرقُّ لشكواها ؛ وتفاقم الأمر بها حتى هامت على وجهها !! ؛ ومزَّقت ثيابها !! ؛ وضربت من لقيها !! ؛ فلمَّا رأى مولاها ذلك عالجها فلم ينجع فيها العلاج !! وكانت تدور بالليل فى السُّكك مع الأدب والظُّرف !! .

قال : فلقيها مولاها ذات يوم فى الطريق ومعه أصحاب له ؛ فجعلت تبكى وتقول :

الحُـبُّ أَوَّلُ مَا يَكُـونُ لجَـاجَـةً
يَأْتِى بِـهِ وَتَسُـوقُـهُ الأَقْـدَارُ .
حَتَّى إِذَا اقْتَحَمَ الفَتَى لُجَجَ الهَوَى
جَـاءَتْ أُمُـورٌ لا تُـطَاقُ كِـبَارُ !! .

قال : فما بقىَ أحدٌ إلا رحمها !! ؛ فقال لها مولاها : يا فُلانة !! امضى معنا إلى البيت؟! ؛ فأبت ؛ وقالت :

شَغَلَ الحُلَى أَهْلَهُ أن يُعَارَا .

قال : وذكر بعض من رآها ليلةً وقد لقيتها مجنونةٌ أُخرى ؛ فقالت لها : فُلانةُ ؟! كيف أنت ؟! ؛ فقالت : كما لا أُحب !! ؛ فكيف أنت من وَلَهكِ وَحُبِّك ؟! ؛ قالت : على ما لم يزل يتزايد بى على مَرِّ الأيَّام !! ؛ قالت لها : فغنِّ بصوتٍ من أصواتك فإنى قريبةُ الشَّبَهِ بك !! ؛ فأخذت قصبةً تُوقع بها وغنَّت :

يَا مَـن شَـكَا أَلَمَاً لِلحُـبِّ شَبَّهَهُ
بِالنَّارِ فِى القَلْبِ مِن حُزْنٍ وَتَذْكَارِ !!
إِنِّى لأُعْـظِـمُ مَـا بِى أن أُشَـبِّـهَهُ
شَيْئَاً يُقَـاسُ إِلَى مِـثْلٍ وَمِـقْـدَارِ !!
لَـوْ أَنَّ قَلْـبِىَ فِى نَـارٍ لأَحْـرَقَـهَا
لأَنَّ أَحْـزَانَـهُ أَذْكَى مِـنَ الـنَّـارِ !!

ثم مضت !! .

....

ـ عاشق يموت كتماناً ـ

مالك بن سعيد ؛ قال : حدَّثنى مشيخةٌ من خُزاعة أنه كان عندهم بالطائف جاريةٌ مُتعبِّدةٌ ذات يسارٍ وورع ؛ وكانت لها أُمٌّ أشدُّ عبادةً منها ؛ وكانت

مشهورة بالعبادة ؛ وكانتا قليلتى المُخالطة للنَّاس ؛ وكانت لهما بضاعة مع رَجُلٍ من أهل الطائف ؛ فكان يُبضعها لهما ؛ فما رزقهُنَّ اللهُ من شىءٍ أتاهُنَّ به .

قال : وبعث يوماً ابنه - وكان فتىً جميلاً مُسرفاً على نفسه - إليهنَّ ببعض حوائجهن ؛ فقرع الباب ؛ فقالت أُمُّهَا : من هذا ؟ ؛ قال : أنا ابن فُلان ؛ قالت : ادخُل ! ؛ فدخل وابنتها فى بيتٍ ؛ ولم تعلم بدُخُول الفتى ؛ فلمَّا قعد معها خرجت ابنتُها وهى تظُنُّ أنه بعض نسائهن ؛ حتى جلست بين يديه ؛ فلمَّا نظرت إليه قامت مُبادرةً فخرجت ؛ ونظر إليها فإذا هى من أجمل العرب !! .

قال : ووقع حُبُّها فى قلبه !! ؛ فخرج من عندها وما يدرى أين يسلك ؟! ؛ فأتى أباه فأخبره برسالتهن ؛ وجعل الفتى ينحَلُ ويذوب جسمه !! ؛ وتغيَّر عمَّا كان عليه !! ؛ ولزم الوحدة والفكر !! ؛ وجعل النَّاسُ يظُنُّون أن الذى به من عبادةٍ قد لزمها ؛ حتى سقط على فراشه !! .

فلمَّا رآه أبوه على تلك الحال !! ؛ دعا له الأطباء والمُعالجين ؛ فجعلوا ينظرون إليه ؛ فكلٌّ يصف له دواء ويقول به داء لا يقوله صاحبه !! ؛ والفتى مع ذلك ساكتٌ لا يتكلَّم !! ؛ حتَّى إذا طالت علَّته واشتد عليه الأمر ؛ دعا أبوه فتياناً من الحىِّ وإخوانه الذين كانوا له أُنساً ؛ فقال لهم : اخلُوا به وسلُوه عن عِلَّتهِ لعلَّهُ يُخبركم ببعض ما يجده !! ؛ فأتوه فكلَّموهُ وسألوه ؟! ؛ فقال : واللهِ ما بى

عِلَّةٌ أعرفها فأُبيِّنها لكم وأُخبركم بما أجد منها !! ؛ فأقلوا الكلام .

وكان الفتى فَطِناً ذا عقل ؛ فلمَّا طال به الوَجْدُ ؛ دعا امرأةً من بعض أهله ؛ فخلا بها ؛ وقال : إنِّى مُلقٍ إليكِ حديثاً ما ألقيته إليكِ إلا عند الإياس من نفسى ؛ فإن ضمنتِ لى كتمانه أخبرتك ؟! ؛ وَإِلاَّ صبرت حتَّى يحكم الله فى أمرى ما يحب ؟! ؛ وَبَعْدُ ؛ فوالله ما أخبرت به أحداً قبلك ؛ ولئن كتمتِ علىَّ لا أُخبر به أحداً بعدك ؛ وإن هذا البلاء الذى أرى بى لا شَكَّ قاتلى !! ؛ وإنه يجب علىَّ فى محبَّتى له أن أكون لمن أُحِبُّ صائناً وعليه مُشفقاً من تَزَيُّدِ النَّاس وإكثارهم حتى يصير الصغير كبيراً والكبير عندهم الباقى ذكره أبداً !! ؛ الله الله فى أمرى !! ؛ واجعليه مُحْرَزاً فى صدرك ؛ فإن فعلت فلك حُسْنُ المكافأة ؛ وإن أبيتِ فالله يُحسنُ لك الشُّكر ؟! .

فقالت له المرأة : قُل يا بُنى ما بدا لك ؟! ؛ فواللهِ ما أجد فى الدُّنيا أحداً أحبُّ بقاءه غيرك !! ؛ وكيف لى أن يكون عندى بعض دوائك ؟! ؛ فواللهِ لأكتُمنَّ أمرك ما بقيت أيَّام الدُّنيا !! .

فقال لها : إنَّ من قصَّتى كذا وكذا !! ؛ فقالت له : يا بُنى !! ؛ أفلا أخبرتنا ؟! ؛ فوالله ما رأيت كلمةً أسكن بمجامع القلب فلا تفارقه أبداً من كلمة مُحبٍّ عَاشِقٍ أخبر من يُحبُّه أنه له وَامِق !! ؛ فتلك الكلمة تزرع فى قُلُوب ذوى الألباب شجراً لا تُدرك أُصُوله !! ؛ فقال لها : ومن لى بها ؟! وكيف السَّبيل

إليها وقد بلغك حالها وقصَّتها وشدَّة اجتهادها وعبادتها ؟! ؛ فقالت له: يا بُنى !! ؛ علىَّ أن آتيك بما تُسرُّ به !!.

قال: فلبست ثوبها وأتت منزل الجارية ؛ فدخلت فسلَّمت على أُمِّها وحادثتها ساعةً ؛ فسألتها أُمُّها عن حاله وعن وجعه ؟! ؛ فقالت: واللهِ لقد رأيتُ الأوجاع والآلام ؛ فما رأيت وجعاً قط كوجعه !! ؛ وإن وجعه يزيد فى كُلِّ يومٍ وألمه يترقَّى !! ؛ وهو فى ذلك صابرٌ غير شَاكٍ ؛ لا يفقد من جوارحه شيئاً ولا من عقله !!.

فقالت أُمُّها: أفلا تدعون له الأطباء ؟! ؛ قالت: بلى واللهِ ؛ فما وقع أحدٌ منهم على دائه ولا يفقه دواءه !!.

ثم قامت فدخلت على الجارية فى بيتها الذى كانت تتعبَّد فيه ؛ فسلَّمت عليها ؛ وحادثتها ساعةً ؛ وقد كان وقع إلى الجارية خبره ؛ فعلمت أن ذلك من أجلها ؛ فقالت لها المرأة: يا بُنيَّة !! أبليت شبابك وأفنيت أيَّامك على هذه الحال التى أنت عليها ؟! ؛ قالت: يا عمَّتاه !! أيَّةُ حال سُوءٍ ترينى عليها ؟! ؛ قالت: لا يا بُنيَّة !! ؛ ولكن مثلك يفرح فى الدُّنيا ويلذُّ فيها ببعض ما أحلَّ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لك غير تاركةٍ لطاعة ربِّك ولا مُفارقةٍ لخدمته ؛ فيجمع الله لك بذلك الدَّارين جميعاً ؛ فواللهِ ما حرَّم الله - عَزَّ وَجَلَّ - على عباده ما أحلَّ لهم !!.

فقالت: يا عمَّتاه !! أو هذه الدار دار بقاء لا انقطاع لها ولا فناء فتكون الجوارح قد وثقت بذلك؛ فتجعل لله تعالى منظر همِّها وللدنيا شطرها؛ فَتَعُدُّ الجوارح إذن التعب راحةً والكدَّ سلامةً ؟! ؛ أم هذه الدار دار فناءٍ وتلك دار بقاءٍ ومُكافأة؛ والعمل على حسب ذلك ؟! .

قالت: يا بُنيَّة !! لا !! ؛ ولكن الدُّنيا دار فناء وانقطاع وليست بباقية على أحدٍ ولا دائمة له؛ ولكن قد جعل الله تعالى لعباده فيها ساعات صدقة منه على النُّفوس تنال فيها ما أحلَّ لها من مخافة الشِّدَّة عليها !! .

فقالت الجارية: صدقتِ يا عمَّتاه !! ؛ ولكن لله عبادٌ قد علموا وَصَحَّ في همِّهم شيءٌ من ذُخْرٍ ذخروه عنده؛ فجعلوا هذا الشُّكر الذي جعله ذخيرة عنده؛ إذ لم تكن الدُّنيا كاملة لهم؛ ولا هم متنقصون شيئاً قدَّموه لأنفسهم؛ وسكنت نفوسهم ورضيت منهم بالصبر على الطاعة لتنال جملة الكرامة؛ وإن كلامك ليدُلُّني على أن تحته عِلَّة؛ وهو الذي حملك على مُناظرتك لي على مثل هذا ؟! ؛ وقد كُنتُ أظُنُّ قبل اليوم فيك أنك تأمرين بالحرص على طاعة الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ والخدمة له والتقرُّب إليه بالأعمال الزَّكيَّة التي تُبلغ رضاه وترفع عنده !! ؛ فقد أصبحت مُتغيِّرة عن ذلك العهد الذي كُنتُ أعهدك عليه ؟! ؛ فأخبريني بما عندك وأوضحي لي ما في نفسك؛ فإن يكن

لك جوابٌ أعتبتك ؛ وإن يكن فيه حظٌ تابعتك ؛ وإن يكن أمراً بعيداً من الله تعالى وعظتك !؟

قالت : يا بُنَيَّة !! فأنا مُخبرتك به ؛ والذى منعنى من إلقائه إليك هَيْبَتُك ؛ إذ بسطتنى وعلمتِ أن عندى خيراً وأمرتنى بإلقائه ؛ فإن من قِصَّة فُلان كذا وكذا !!

قالت : قد ظننتُ ذلك !! ؛ فأبلغيه منِّى السَّلام ؛ وقولى :

« أى أخاه !! إنِّى واللهِ قد وهبت نفسى لمليكٍ يُكافئ من أقرضه بالعطايا الجزيلة ؛ ويُعين من انقطع إليه وخدمه بالهمم الرَّفيعة ؛ وليس إلى الرُّجُوع بعد الهبة سبيل ؛ فتوسَّل إلى مولاك ومولاى بمحابِّه ؛ واضرع إليه فى غُفران ما قدَّمت يداك من عملٍ لم تهبه فيه ولم يرضه ؛ فهو أوَّل ما يجب عليك أن تسأله ؛ وأوَّل ما يجب علىَّ أن أعظك به ؛ فإذا خدمته بقدر ما عصيته طاب لك الفراغ من سُؤال شهوات القُلُوب وخطرات الصُّدور ؛ فإنه لا يحسُن بعبدٍ كان لمولاه عاصياً وعن أمره مُولِّياً ناسياً أن ينسى ذُنُوبه والاعتذار منها ؛ وَلا يُلزم نفسه مسألة الحوائج ؛ لعلَّها داعية له إلى الفتنة ؛ إن لم يتداركه الله تعالى بكرمه ؛ فاستنقذ نفسك يا أخى من مُهلكات الذُّنوب ؛ فإن له فضلاً وسع كُلَّ شىءٍ ؛ ولست مُؤيستك من فضله إن رآك مُتبتِّلاً إليه وممَّا قدَّمت يداك مُعتذراً أن يمنَّ بى عليك ؛ فإنه الملك الذى يجود على من ولَّى عنه بكرمه ؛

فكيف من أقبل إليه ؟! ؛ فلا يُشَكُّ أنه إذا جاد على من ولّى عنه يكون لمن أطاعه مُكرماً وإليه وقت النَّدامة مُسرعاً !! ؛ وما أبقيتُ لك حُجَّةً تحتج بها ؛ فليكن ما أخبرتك به نُصْبَ عينك ؛ ولا تُرادِّنى فى المسألة ؛ فلا أُجيبك !! ؛ والسلام .)) .

قال : فقامت المرأة من عندها ؛ فأتته ؛ فأخبرته بمقالتها ؛ فبكى بُكاءً شديداً ؛ فقالت له العجوز : واللهِ يا بُنىَّ ما رأيت امرأةً خوفُ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فى صدرها مثل هذه المرأة !! ؛ فاعمل بما أمرتك به ؛ فقد واللهِ بالغت فى النَّصيحة وأحسنت الموعظة !! ؛ فلا تُلق نفسك فى مُهلكات الأمُور ؛ فتندم حيث لا تُغنى النَّدامة !! ؛ ولو علمتُ يا بُنىَّ أن حيلةً تنفذ غير الذى دعتك إليه لاحتلتها ؛ ولكان عندى من ذلك ما أرجو أن تحتاله ؛ ولكنِّى رأيت الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قد جعلتهُ نُصْبَ عينيها ؛ فهى إليه ناظرة ؛ ومن جعل الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ نُصْبَ عينيه لَهَا عن زينة الحياة الدُّنيا ورفعتها ؛ واشتغل بما قد جعله نُصْبَ عينيه .

وجعل يبكى ويقول : كيف لى بالبُلُوغ إلى ما دعت إليه ؟! ومتى يكون آخر المُدَّة التى نلتقى فيها ؟!

قال : فاشتدَّ وجعه ذلك ؛ وحال عن ذوى العُقُول !! ؛ فلمَّا نظر القوم إليه فى تلك الحال ؛ وجعل لا يقره قرار ؛ حبسوه فى بيتٍ وأوثقوه !! ؛ وتوهَّم القوم أن الذى به من عشقٍ ؛ فكان رُبَّما أفلت ؛ فيخرج من منزله ؛ فيجتمع عليه الصبيان ؛ فيقولون له : مُت عشقاً !! ؛ مُت عشقاً !! ؛ فكان يقول :

أأفْشِى إِلَيْكُم بَعْضَ مَا قَـد يَهِيجُنِى
أم الصَّبْرُ أوْلَى بِالفَتَى عِنْدَمَا يَلْقَى ؟!
أأوعَـدُ وَعْـداً مَالَهُ الـدَّهْـرَ آخِـرٌ
وَأُومَـرُ بِالتَّقْـوَى ؛ وَمَن لِيَ بِالتَّقْـوَى ؟!
سَـلامٌ عَلَى مَن لا أُسَمِّـيهِ بِاسْمِهِ
وَلَـوْ صِرْتُ مِثْلَ الطَّيْرِ فِى قَفَصٍ مُلْقَى !!
ألا أَيُّهَا الصِّـبْيَـانُ لَـو ذُقْـتُمُ الهَوَى
لأَيْقَـنْـتُمُ أنِّـى مُحَـدِّثُكُم حَـقَّا
أُحِـبُّكُمُ مِـن حُـبِّـهَا ؛ وَأَرَاكُـمُ
تَقُـولُـونَ لِى : مُـتْ يَا شُجَاعُ بِهَا عِشْقَا !!
فَلَم تُنصِفُـونِى !! لا !! وَلا هِيَ أَنْصَفَتْ !!
فَرِفْقَـاً رُوَيْدَاً وَيْحَكُم بِالفَتَـى رِفْـقَا !!

فلمَّا صَحَّ ذلك عند أهله وعلموا أنه عاشقٌ جعلوا يسألونه عن أمره ؛ فكان لا يُجيبهم !! ؛ وكتمت العجوز قصَّته !! ؛ فأخذوه فحبسوه فى بيتٍ ؛ فلم يزل فيه حتى مات !! ـ رحمه الله ـ !! .

....

ـ رأي سقراط في العشق ـ

أبو بكر بن المرزبان ؛ قال : قال سُقراط : العشق جُنُون ؛ وهو ألوان ؛ كما أن الجنون ألوان .

....

ـ مجنون المربد ـ

عن محمد بن أبى نصر الأزدىِّ ؛ قال : رأيت بالبصرة مجنوناً قاعداً على ظهر الطريق بالمربد ؛ فكُلَّما مَرَّ به ركبٌ قال :

ألا أيُّهَا الرَّكْبُ اليَمَانُونَ عَرِّجُوا
عَلَيْنَا ؛ فَقَد أمْسِى هَوَانَا يَمَانِيَا .
نُسَائِلُكُم : هَل سَالَ نُعْمَانُ بَعْدَنَا
... ؛ فَحَبٌ إِلَيْنَا بَطْنُ نُعْمَانَ وَادِيَا .

قال : فسألتُ عنه ؛ فقيل : هذا رَجُلٌ من أهل البصرة ؛ كانت له ابنة عَم ؛ وكان يحبُّها ؛ فتزوَّجها رَجُلٌ من أهل الطائف ؛ فنقلها ؛ فتولّه عليها!!! .

....

- إبراهيم بن المهدي والشعر -

الحُسين بن إسحاق ؛ قال : حدَّثني خالد ؛ قال : لما بُويع لإبراهيم بن المهدىٌ بالخلافة ؛ طلبنى ؛ وقد كان يعرفنى ؛ وقد كُنتُ مُتَّصِلاً ببعض أسبابه ؛ فأُدخلت إليه ؛ فقال : انشدنى يا خالد شيئاً من شعرك ! ؛ فقُلتُ : يا أمير المؤمنين ! ليس من الشّعر الذى قال فيه رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ : ﴿ إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لحِكَماً ﴾ .(1) ؛ وإنما أمزح وأهزل ؛ قال : لا تقل هذا !! هات انشدنى !!

فأنشدته :

عِش فَحُبِّيكَ سَرِيعاً قَاتِلِى..... ؛
وَالضَّنَى إِن لَم تَصِلْنِى وَاصِلِى .

.(1) ـ حديثٌ صحيحٌ :

أخرجهُ البُخاريُّ (رقم : 6145) ؛ من حديثِ أُبَيِّ بْنِ كَعْب ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ قُلْتُ : وأخرجهُ أبو داود (رقم : 5010) ؛ وابنُ ماجه (رقم : 3755) .

ظَفِرَ الشَّوْقُ بِقَلبٍ دَنِفٍ..........

.... ؛ فِيكَ وَالسُّقْمُ بِجِسْمٍ نَاحِلِ .

فَهُمَا بَيْنَ اكْتِئَابٍ وَضَنَىً..........

...... ؛ تَرَكَانِي كَالقَضِيبِ الذَّابِلِ .

قال : فاستملح ذلك ووصلنى .

....

- راكب القصبة -

حمزة بن أبى سلالة الشاعر ؛ قال : دخلت بغداد فى بعض السنين ؛ فبينا أنا مارٌّ فى الجُنينة ؛ إذا أنا مارٌّ برَجُلٍ عليه مبطنة نظيفة ؛ وعلى رأسه قلنسوة سوداء ؛ وهو راكبٌ قصبة والصبيان يصيحون خلفه : يا خالد !! يا بارد !! ؛ فإذا أذوه حمل بالقصبة عليهم ؛ فلم أزل أطردهم عنه حتى تفرَّقوا ؛ وأدخلته بُستاناً هناك ؛ فجلس واستراح ؛ واشتريت له رُطباً ؛ فأكل ؛ واستنشدته ؛ فأنشدنى :

.... قَد حَازَ قَلْبِي فَصَارَ يَمْلُكُهُ.

.... ؛ فَكَيْفَ أَسْلُو وَكَيْفَ أَتْرُكُهُ ؟!

رَطِيبُ جِسْمٍ كَالمَاءِ تَحْسَبُهُ.........

.... ؛ يَخْطُرُ فِي القَلْبِ مِنْهُ مَسْلَكُهُ !!

يَكَادُ يجَرِى مِنَ القَمِيصِ مِنَ النَّعْ

مَةِ......... ؛لَوْلا القَمِيصُ يُمْسِكُهُ !!

فاستزدته ؛ فقال : ولا حرف !!

....

- الأمين وحبُّه للشعر -

أبو نُواس ؛ قال : دخلت على الأمين أمير المؤمنين وهو قاعد فى قُبَّةٍ له ومعه جارية لم أر قط أحسن منها !!

قال : وإذا على جبين الجارية مكتوبٌ بالغالية مما عُمِلَ فى طار : الله !! ؛ وعلى رأسها إكليل ؛ وفى حِجْرِهَا عُود ؛ وإذا على الإكليل مكتوب :

وَاللهِ يَا طَرْفِىَ الجَانِى عَلَى كَبِدِى

.... ؛ لأُطْفِئَنَّ بِدَمْعِى لَوْعَةَ الحَزَنِ !!

بِاللهِ تَطْمَعُ أن أبْلَى هَوىً وَجَوىً

وَأَنْتَ تَلْتَذُّ طِيبَ العَيْشِ والوَسَنِ ؟!

وإذا على العود مكتوب :

يَا أَيُّهَا الزَّاعِمُ الَّذِى زَعَمَا... ؛

أنَّ الهَوَى لَيْسَ يُورِثُ السُّقْمَا .

لَو أنَّ مَا بِى بِكَ الغَدَاةَ لَمَا.......

.... ؛لُمْتَ مُحِبًّا إِذَا شَكَا أَلَمَا .

قال : وبين أيديهما صينيَّة ذهب ؛ قال : وإذا على الصينيَّة مكتوب :

لا شَىْءَ أَحْسَنُ مِن أَيَّامِ مَجْلِسِنَا

إِذ نَجْعَلُ الرُّسْلَ فِى مَا بَيْنَنَا الحِدَقَا !!

وَإِذَا حَوَاجِبُنَا تَقْضِى حَوَائِجَنَا

وَشَكْلُنَا فِى الهَوَى نَلْقَاهُ مُتَّفِقَا !!

لَيْتَ الوُشَاةَ بِنَا وَالحَاسِدِينَ لَنَا

فِى لُجَّةِ البَحْرِ مَاتُوا كُلُّهُم غَرَقَا !!

أو لَيْتَ مَن عَابَنَا أو ذَمَّ مَجْلِسَنَا

شُبَّت عَلَيْهِ ضِرَامُ النَّارِ فَاحْتَرَقَا !!

وإذا على المَغْسَلِ مكتوب :

لَو كَانَ يَدْرِى مَالِكٌ مَا الَّذِى

أَلْقَى مِنَ الأَحْزَانِ وَالكَرْبِ .

وَمَا أُلاقِى مِن أَلِيمِ الهَوَى

عَذَّبَ أَهْلَ النَّارِ بِالحُبِّ .

قال فملأ الكأس وأعطاني ؛ وإذا على الكأس مكتوب :

الحَمْدُ للهِ عَلَى مَا قَضَى..... ؛

قَد كَانَ ذَا فِى القَدَرِ السَّابِقِ .

مَا تَحمِلُ الأَرْضُ عَلَى ظَهْرِهَا

أَشْقَى وَلا أَوْثَقَ مِن عَاشِقِ .

فَبَيْنَمَا يَمْشِى عَلَى مَرْمَرٍ.......

...... ؛ إِذَا بِهِ يَسْقُطُ مِن حَالِقِ .

قال : فشربت الكأس وناولته ؛ فحيَّانى بتُفَّاحة وَأُتْرُجَّة ؛ وإذا على التفاحة مكتوب بالذَّهب :

تُفَّاحَةٌ تَأْكُلُ تُفَّاحَةً...... ؛

يَا لَيْتَنِى كُنْتُ الَّتِى تُؤْكَلُ !!

فَأَلْثُمُ الثَّغْرَ إِذَا عَضَّنِى.. ؛

بِعِلَّةِ الأَكْلِ.. ؛ وَلا أُوكَلُ !!

قال : وإذا على الأُتْرُجَّة مكتوب :

يَا لَكِ أُتْرُجَّةٌ مُطَيَّبَةٌ.......... ؛

تُوقِدُ نَارَ الهَوَى عَلَى كَبِدى !!

لَو أنَّ أُتْرُجَّةً بَكَتْ لَبَكَت......

لِرَحْمَتِى .. ؛ هَـٰذِهِ الَّتِى بِيَـدى !!

....

⚜ - عمر وابن الشيخ الأنصارى - ⚜

الليث ؛ قال : قال عُمر بن الخطَّاب : لا أُهدر دم أحدٍ من المسلمين ؛ وإنه أُتىَ يوماً بفتىً أمْرَد قد وُجِدَ قتيلاً مُلقىً على وجه الطريق !! ؛ فسأل عمر عن أمره واجتهد فلم يقف له على خبرٍ ولم يعرف له قاتل !! ؛ فشقَّ ذلك عليه !! وقال : اللَّهُمَّ أظفرنى بقاتله !! .

حتَّى إذا كان رأس الحَوْلِ أو قريباً من ذلك وُجِدَ صبىٌّ مَولودٌ مُلقىً بموضع القتيل ؛ فأُتىَ به عُمر - رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ - ؛ فقال : ظفرتُ بدم المقتول إن شاء الله ؛ فدفع الصبىَّ إلى امرأةٍ ؛ وقال لها : قُومى بشأنه ؛ وخُذى مِنَّا نفقته ؛ وانظرى من يأخذه منك ؛ فإذا وجدت امرأةً تقبله وتضمُّهُ إلى صدرها ؛ فأعلمينى بمكانها .

فلما شَبَّ الصبىُّ وطاب ؛ جاءت جاريةٌ ؛ فقالت للمرأة : إن سيِّدتى بعثتنى إليك لتبعثى بالصبىِّ لتراه - والمرأة معها - ؛ حتَّى دخلت على سيِّدتها ؛ فلمَّا رأته أخذته فقبَّلتهُ وضمَّتهُ إليها ؛ وإذا هى بنت شيخٍ من الأنصار من أصحاب النَّبىِّ - ﷺ - ؛ فأخبرت عُمر خبر المرأة ؛ فاشتمل عمر على سيفه ؛ ثم أقبل إلى منزلها ؛ فوجد أباها مُتَّكِئاً على باب داره ؛ فقال : يا أبا فُلان !! ما فعلت

ابنتك فلانة ؟! ؛ قال : يا أمير المؤمنين ؛ جزاها الله خيراً ؛ هى من أعرف الناس بحقِّ الله تعالى وحقِّ أبيها ؛ مع حُسْنِ صلاتها وصيامها والقيام بدينها ؛ فقال عمر : قد أحببتُ أن أدخل عليها فأزيدها رغبةً فى الخير وأحُثُّها على ذلك ؛ فقال الشيخ : جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين ! ؛ فقال له : امكُث مكانك حتى أرجع إليك .

فاستأذن عمر عليها ؛ فلما دخل أمر عُمر كل من كان عندها بالخروج ؛ فخرجوا عنها وبقيت هى وعمر فى البيت ليس معهما أحد ؛ فكشف عمر عن السيف ؛ فقال : لتصدُقنِّى !! ـ وكان عُمر لا يكذب ـ ؛ فقالت : على رسلك يا أمير المؤمنين !! على الخبير وقعت ؛ فوالله لأصدُقنَّ :

إن عجوزاً كانت تدخل علىَّ ؛ فاتخذتها أُمّاً ؛ وكانت تقوم من أمرى بما تقوم به الوالدة ؛ وكنت لها بمنزلة البنت ؛ فأمضت بذلك حيناً ؛ ثم إنها قالت : يا بُنيَّة !! إنه قد عرض لى سفر ؛ ولى بنتٌ فى موضعٍ أتخوَّف عليها فيه أن تضيع !! ؛ وقد أحببتُ أن أضُمَّها إليك حتى أرجع من سفرى ؛ فعمدت إلى ابنٍ كان لها ؛ شاب أمرد ؛ فهيأته كهيأة الجارية وأتتنى به ؛ وأنا لا أشُكُّ أنه جارية ؛ فكان يرى منِّى ما ترى الجاريةُ من الجارية ؛ حتَّى اغتفلنى يوماً وأنا نائمة ؛ فما شعرت حتى علانى وخالطنى !! ؛ فمددت يدى إلى شفرةٍ كانت إلى جنبى فقتلته ؛ ثم أمرتُ به فأُلقىَ حيث رأيتَ ؛ فاشتملت منه على هذا

الصبى ؛ فلما وضعته ألقيته فى موضع أبيه ؛ فهذا والله خبرهما على ما أعلمتك.

فقال لها عمر: صدقتِ بارك الله فيك !! ؛ثم أوصاها ووعظها ودعا لها ؛ وخرج من عندها ؛ وقال لأبيها: بارك الله فى ابنتك ؛ فَنِعْمَ الابنة ابنتك !! ؛ وقد وعظتها وأمرتها ؛ فقال له الشيخ: وصلك الله يا أمير المؤمنين ؛ وجزاك خيراً عن رعيتك . !! .

....

- الحسناء المهجورة -

عن محمد بن قيس العبدىّ ؛ قال: إنى لبالمزدلفة بين النائم واليقظان ؛ إذ سمعت بُكاءً مُتتابعاً ونفساً عالياً ؛ فاتبعت الصوت ؛ فإذا أنا بجاريةٍ كأنها الشمس حُسناً !! ؛ ومعها عجوز ؛ فلطئتُ بالأرض لأنظر إليها وأُمتِّع عينى بحسنها !! ؛ فسمعتها تقول:

دَعَوْتُكَ يَا مَوْلاىَ سِراًّ وَجَهْرَةً....... ؛
دُعَاءَ ضَعِيفِ القَلْبِ عَن مَحْمَلِ الحُبِّ .
بُلِيتُ بِقَاسِى القَلْبِ لا يَعْرِفُ الهوَى
.... ؛ وَأَقْتَلُ خَلْقِ اللهِ لِلهَائِمِ الصَّبِّ !!

فَإِن كُنْتَ لَم تَقْضِ المَوَدَّةَ بَيْنَنَا..........

.......؛ فَلا تخْلُ مِن حُبٍّ لَهُ أَبَدَاً قَلْبِى !!

رَضِيتُ بِهَذَا فِى الحَيَاةِ...... ؛ فَإِن أَمُت

.... ؛ فَحَسْبِى ثَوَابَاً فِى المَعَادِ بِهِ حَسْبِى !!

وجعلت تُردِّد هذه الأبيات وتبكى !! ؛ فقُمتُ إليها ؛ فقُلتُ: بنفسى أنت !! ؛ مع هذا الوجه يمتنع عليك من تريدينه ؟! ؛ قالت: نعم !! ؛ واللهِ وفى قلبه أكثر مما فى قلبى !! ؛ فقُلتُ: إلى كم هذا البُكاء ؟! ؛ قالت: أبداً ؛ أو يصير الدَّمع دَمَاً وتتلف نفسى غَمَّاً !! ؛ فقُلتُ لها: إن هذه لآخر ليلةٍ من ليالى الحج ؛ فلو سألت الله التَّوبة مما أنت فيه رجوت أن يذهب حُبُّهُ من قلبك ؟! ؛ فقالت: يا هذا !! عليك بنفسك فى طلب رغبتك ؛ فإنى قد قدَّمتُ رغبتى إلى من ليس يجهل بُغيتى !! .

وحوَّلت وجهها عنِّى ؛ وأقبلت على بُكائها وشِعرها ؛ ولم يعمل فيها قولى وعظتى !! .

....

- يخصي المغني -

عن حمَّاد الراوية ؛ قال: حدَّثنى بعض خدم سُليمان بن عبد الرحمن ؛ قال:

خرج سليمان بن عبد الملك يُريد بيت المقدس ؛ وكان أغير قُريش وأسرعها طيرةً ؛ فنزل منزلاً من غور البلقاء بديرٍ لبعض الرُّهبان ؛ فحفَّ بالدير أهل العسكر ؛ وكان فى من خرج معه رَجُلٌ من كلب يُقال له سنان ؛ وكان فارساً ومُغنياً محُسناً وشُجاعاً ؛ وبغيرة سُليمان عبد الملك عارفاً ؛ ولم يك يُسمع له صوتٌ فى عسكره ؛ فزاره فى تلك الليلة فتيةٌ من أهله ؛ فعشَّاهم وسقاهم ؛ فأخذ فيهم الشَّراب ؛ فقالوا : يا سنان!! ما أكرمتنا بشىءٍ إن لم تُسمعنا صوتك ؛ فترنَّم فغنَّاهم ؛ فقال :

مَحْجُوبَةٌ سَمِعَت صَوْتِى فَأَرَّقَهَا
مِن آخِرِ اللَّيْلِ لَمَّا بَلَّهَا السَّحَرُ .
تَثْنِى عَلَى فَخْذِهَا مُثْنَى مُعَصْفَرَةً
وَالحَلْىُ مِنْهَا عَلَى لَبَّاتِهَا حَصِرُ .
لَم يَحْجُبِ الصَّوْتَ أَحْرَاسٌ وَلا غَلَقٌ
فَدَمْعُهَا لِطُرُوقِ الصَّوْتِ مُنْحَدِرُ .
فِى لَيْلَةِ النِّصْفِ مَا يَدْرِى مُضَاجِعُهَا
.... ؛ أَوَجْهُهَا عِنْدَهُ أَبْهَى أَمِ القَمَرُ ؟!
لَو خُلِّيَت لَمَشَت نَحْوِى عَلَى قَدَمٍ
..... ؛ تَكَادُ مِن رِقَّةٍ لِلمَشْىِ تَنْفَطِرُ !!

فلما سمع سُليمان الصوت قام فَزِعَاً يتفهَّم ما سمع !! ؛ وكان معه جاريته عوان ؛ ولم يكن لها نظيرٌ فى زمانها فى الجمال والتَّمام والحذق بالغناء ؛ وكان يحبُّها ؛ فلما فهم الصوت ارتعدت فرائصه غيرةً ؛ ثم أقبل نحو عوان وهى خلف سِتْرٍ ؛ فكشف السِّتْرَ رُويداً لينظر أنائمة هى أم مستيقظة ؛ فوجدها مُستيقظة ؛ وهى صفة الأبيات : عليها مُعصفرة ؛ وحليها على لبَّاتها !! ؛ فلمَّا أحسَّت به ؛ وعلمت بأنه قد علم بأنها مستيقظة ؛ قالت : يا أمير المؤمنين !! قاتل الله الشاعر حيث يقول :

أَلا رُبَّ صَوْتٍ جَاءَنِى مِن مُشَوَّهٍ
قَبِيحِ المُحَيَّا وَاضِعِ الأَبِ وَالجَدِّ .
قَصِيرِ نِجَادِ السَّيْفِ جَعْدٍ بَنَانُهُ
.. ؛ إِلَى أَمَةٍ يُعْزَى مَعَاً وَإِلَى عَبْدِ .

فسكن من غضبه قليلاً ؛ ثم قال لها : فقد راعك صوته على ذلك ؟! ؛ فقالت : يا أمير المؤمنين !! صادف منِّى استيقاظاً ؛ فقال : ويحك يا عوان !! كأنه والله يراك وينعتك فى غنائه فى هذه الليلة !! ؛ والله لأُقطعنَّه أطباقاً كائناً ما كان !! .

ثم بعث في طلبه ؛ فبعثت عوان خادماً إليه سرًّا ؛ وقالت له : إن أدركته فحذرته ؛ فأنت حُرٌّ ولك دِيَتَهُ ؛ فخرج سُليمان حتى وقف على باب الدير ؛ فسبقت رُسُلُ سُليمان ؛ فأتوا به إلى سليمان مربوطاً حتَّى وقفوه بين يديه ؛ فقال له : من أنت ؟! ؛ قال : أنا سنان الكلبيُّ فارسك يا أمير المؤمنين ؛ فأنشأ سليمان يقول :

تَثْكَلُ فِى الثَّكْلَى سِنَانًا أُمُّهُ
...... كَانَ لَهَا رَيحَانَةً تَشُمُّهُ
...... وَخَالُهُ يَثْكَلُهُ وَعَمُّهُ
...... ذُو سَفَهٍ هَنَاتُهُ تَعُمُّهُ

فقال سنان : يا أمير المؤمنين :

استَبْقِنِى إِلَى الصَّبَاحِ اعْتَذِرْ
إِنَّ لِسَانِى بِالشَّرَابِ مُنكَسِرْ
فَارِسُكَ الكَلْبِىُّ فِى يَوْمِ نُكُرْ
فَإِنْ يَكُنْ أَذْنَبَ ذَنْبَاً أَوْ عَثَرْ
فَالسَّيِّدُ العَافِى أَحَقُّ مَن غَفَرْ

فقال سُليمان : أعليَّ تجترئ يا سنان ؟! أما إني لا أقتلك ؛ ولكني سأُنكِّل بك نكالاً يؤنبك من تفحُّلك !! .

فأمر به فخُصي ؛ فُسمِّي ذلك الدير« دير الخصيان »!! .

....

- ابنة أبي ربيعة وأبو مسهر -

قال حمّاد الرّاوية : أتيت مكّة ؛ فجلست فى حلقةٍ فيها عُمر بن أبى ربيعة ؛ فتذاكروا العُذريين وعشقهم وصبابتهم ؛ فقال عُمر : أُحدّثكم عن بعض ذلك :

إنه كان لى خليلٌ من عُذرة ؛ وكان مُستهتراً بحديث النِّساء ؛ يُشبِّبُ بهنّ وينشد فيهنّ ؛ على أنه لا عاهرُ الخَلّة ولا سريع السّلوة ؛ وكان يُوافى الموسم كُلَّ سنة ؛ فإذا أبطأ تُرجمت له الأخبار ؛ وتوكفت له السفار ؛ حتّى يقدم .

وإنه راث عنّى ذات سنة خبره ؛ وقدم وفد عُذرة ؛ فأتيت القوم أنشد عن صاحبى ؛ فغذا غلامٌ قد تنفّسَ الصُّعَدَاء ؛ ثُمّ قال : عن أبى المسهر تسأل ؟ ؛ قلتُ : عنه نشدت وإيّاه أردت ؛ قال : هيهات !! أصبح واللهِ أبو مسهر لا مُؤيساً منه فيُهمل ؛ ولا مَرجوّاً فيُعلّل !! ؛ أصبح والله كما قال :

لَعَمْرُكَ مَا حُبِّى لأَسْمَاءَ تَارِكِى
صَحِيحَاً ؛ وَلا أَقْضِى بِهِ فَأَمُوتُ !!

قُلتُ : وما الذى به ؟! ؛ قال : به مثل الذى بك ؛ من طُول تَهكُّمكما فى الضّلال ؛ وجرّكما أذيال الخسار ؛ كأن لم تسمعا بجنّةٍ ولا نار ؟!

قُلتُ : من أنت منه يا ابن أخى ؟! ؛ قال : أنا أخُوه .

قُلتُ: واللهِ ما يمنعك من أن تركب طريق أخيك التى ركبها، وتسلك مسلكه الذى سلك؛ إلا لأنك وأخاك كالوشى والبجادن؛ لا يرقعك ولا ترقعه؛ ثم انطلقت وأنا أقول:

أَرَائِحَةٌ حُجَّاجُ عُذْرَةَ رَوْحَةً....... ؛
وَلَمَّا يَرُح فِى القَوْمِ جَعْدُ بْنُ مَهجَعِ ؟!
خَلَيلَيْنِ نَشْكُو مَا نُلاقِى مِنَ الهَوَى
فَتَىً مَا أَقُل يَسْمَع وَإِن قَالَ أَسْمَعِ .
فَلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ خِلاً......... ؛ فَإِنَّنِى
سَأَلْقَى كَمَا لاقَيْتَ فِى الحُبِّ مَصْرَعَى !!

فلمَّا حججت ؛ وقفت فى الموضع الذى كنت أنا وهو نقف فيه بعرفات؛ وإذا أنا براكبٍ قد أقبل حتى وقف؛ وقد تغيَّر لونه وساءت هيئته؛ فما عرفته إلاَّ بناقته !!؛ فأقبل حتى خالف بين عُنق ناقتى وناقته؛ ثم اعتنقنى وجعل يبكى !!؛ فقُلتُ: ما الذى دهاك وما غالك ؟!؛ فقال: برَّح العذل وطول المطل؛ ثم أنشأ يقول:

لَئِنْ كَانَت عَدِيلَةُ ذَاتُ بَثٍّ
لَقَد عَلِمَت بِأَنَّ الحُبَّ دَاءُ

أَلَم تَنْظُر إِلَى تَغْيِيرِ جِسْمِى
.... ؛ وَأَنِّى لا يُزَايِلُنِى البُكَاءُ ؟!
وَأَنِّى لَو تَكَلَّفْتُ الَّذِى بِى ؛
لَعَفَّى الكَلْمُ وَانْكَشَفَ الغِطَاءُ !!
وَإِنَّ مَعَاشِرِى وَرِجَالَ قَوْمِى ؛
حُتُوفُهُمُ الصَّبَابَةُ وَاللِّقَاءُ !!
إِذَا العُذرِىُّ مَاتَ بِحَتْفِ أَنْفٍ
؛ فَذَاكَ العَبْدُ يَبْكِيهِ الرِّشَاءُ !!

فقُلتُ : يا أبا مُسهر !! إنها ساعةٌ عظيمةٌ ؛ وإنك فى جَمْعٍ من أقطار الأرض ؛ لو دعوت كنت قَميناً أن تظفر بحاجتك ؛ وأن تُنصر على عَدوّك !! .

قال : فجعل يدعو ؛ حتّى إذا تدلّت الشمس للغُرُوبِ وَهَمَّ الناس بأن يُفيضوا سمعته يُهمهم ؛ فأصخت له مُستمعاً ؛ فإذا هو يقول :

...... يَا رَبُّ كُلِّ غَدْوَةٍ وَرَوْحَهْ
مِن مُحْرِمٍ يَشْكُو الضُّحَى وَلَوْحَهْ
أَنْتَ حَسِيبُ الخَطبِ يَوْمَ الدَّوْحَهْ

فقُلتُ له : وما يوم الدوحة ؟! ؛ قال : سأخبرك إن شاء الله !! إنى امرؤٌ ذو مالٍ كثيرٍ من نَعَمٍ وشاء ؛ وإنى خشيت على مالى التلف ؛ فأتيت أخوالى من كلبٍ ؛ فأوسعوا لى عن صدر المجلس وسقونى بجمة البئر ؛ فكانوا خير

أخوال ؛ حتى هممت بمُواقعة إبل لى بماءٍ يُقال له ((الخرزات)) ؛ فركبت وتعلّقتُ معى شراباً كان أهداه إلىَّ بعضُ الكلبيين ؛ وانطلقت ؛ حتى إذا كنت بين الحيِّ ومرعى النَّعَم ؛ وَرُفعت لى دوحةٌ عظيمةٌ ؛ فقلتُ: لو نزلت تحت هذه الشجرة وتروَّحتُ مُبْرِداً ؟! ؛ فنزلت ؛ فشددت فرسى بغُصنٍ من أغصانها ؛ ثم جلست تحتها ؛ فإذا بغُبارٍ قد سطع ؛ فتبينت ؛ فبدت لى شخوصٌ ثلاثة ؛ فإذا رجلٌ يطرد مسحلاً وأتاناً ؛ فلما قرب منِّى إذا عليه درعٌ أصفر وعمامةُ خَزٍّ سوداء ؛ وإذا هو تنال فُرُوع شعره كتفيه !! ؛ فقُلتُ فى نفسى : غلامٌ حديث عهدٍ بعُرسٍ فأعجلته لذَّة الصيد فنسى ثوبه وأخذ ثوب امرأته ؛ فما لبث أن لحق بالمسحل فصرعه ؛ ثم ثنى طعنة الأتان فصرعها ؛ ثم أقبل وهو يقول :

نَطْعَنُهُم سُلْكَى وَمَخْلُوجَةً

كَرَّكَ لأْمَيْنِ عَلَى نَابِلِ

فقُلتُ : إنك قد تعبت وأتعبت ؛ فلو نزلت ؟! ؛ فثنى رجله ؛ فنزل ؛ فشدَّ فرسه بغُصنٍ من أغصان الشجرة ؛ ثم أقبل حتى جلس قريباً منِّى ؛ فجعل يحُدِّثنى حديثاً ذكرت به قول الشاعر :

وَإِنَّ حَدِيثاً مِنْكِ ؛ لَو تَبْذُلِينَهُ

جَنَى النَّحْلِ فِى أَلْبَانِ عَوْدٍ مَطَافِلِ

قال : فبينا هو كذلك ؛ إذ حكّ بالسّوط على ثنيّته ؛ فرأيت واللهِ يا ابن أبى ربيعة ظلّ السوط بينهما ؛ فما ملكت نفسى أن قبضت على السوط ؛ فقُلتُ : مَه !! ؛ فقال : ولم ؟! ؛ قُلتُ : إنى أخاف أن تكسرهما فإنهما رقيقتان ؛ قال : هما عذبتان ؛ ثم رفع عقيرته فجعل يُغنِّى :

.... إِذَا قَبَّلَ الإِنْسَانُ آخَرَ يَشْتَهِى
ثَنَايَاهُ لَم يَأثَمْ وَكَانَ لَهُ أَجْرَا
فَإِن زَادَ زَادَ اللهُ فِى حَسَنَاتِهِ ؛
مَثَاقِيلَ يَمحُو اللهُ عَنْهُ بِهَا الوِزْرَا

ثم قال لى : ما هذا الذى تعلّقت فى سرجك ؟ ؛ قُلتُ : شرابٌ أهداه إلىّ بعض أهلى ؛ فهل لك فيه ؟ ؛ قال : وما أكرهه ؛ فأتيته به ؛ فوضعه بينى وبينه ؛ فلمّا شرب منه شيئاً نظرتُ إلى عينيه كأنهما عينا مَهَاة قد أضلّت ولداً أو ذَعَرَهَا قانص !! ؛ فعلم أين نظرى ؛ فرفع عقيرته يُغنى :

إِنَّ العُيُونَ الَّتِى فِى طَرْفِهَا حَوَرٌ
.... ؛ قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَم يُحيِينَ قَتْلانَا !!
يَصْرَعْنَ ذَا اللُّبِّ حَتَّى لا حِرَاكَ بِهِ
..... ؛ وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللهِ أَرْكَانَا !!

فقُلتُ له: من أين لك هذا الشعر ؟! ؛ قال: وقع رَجُلٌ مِنَّا باليمامة وأنشدنيه .
ثُمَّ قُمتُ لأُصلح شيئاً من أمر فرسى ؛ فرجعت وقد جرَّ العِمامة عن رأسه ؛ وإذا غلامٌ كأنَّه الدينار المنقوش !! ؛ فقُلتُ: سُبْحَانَك !! اللَّهُمَّ ما أعظم قُدرتك وأحسن صنعتك !! .
قال: كيف قُلْتُ ذاك ؟! ؛ قلتُ: مما رَاعَنِى من نُورك وبهرنى من جمالك !! ؛
قال: وما الذى يروعك من رزق الدَّواب وحبيس التُّراب ؛ ثم لا تدرى أينعم بعد ذلك أم ييأس ؟! .
ثم قام إلى فرسه ؛ فلمَّا أقبل برقت لى بارقة الدِّرع ؛ فإذا ثدىٌ كأنه حُق ؟! ؛ قلتُ: نشدتك الله !! أامرأة ؟! ؛ قال: إى واللهِ ؛ امرأةٌ تكره العُهْرَ وتُحبُّ الغزل ؛ قُلتُ: واللهِ وإنَّا كذلك !! .
قال: فجلست تُحدِّثنى ؛ ما أفقد من أُنسها ؛ حتَّى مالت على الدوحة سُكراً ؛ واستحسنتُ واللهِ يا ابن أبى ربيعة الغدرَ وَزُيِّنَ فى عينى !! ؛ ثُمَّ إن الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ عصمنى بِمَنِّهِ ؛ فجلست ؛ فما لبثت أن انتبهت مذعورة ؛ فلاثت عمامتها برأسها ؛ وأخذت الرُّمح ؛ وجالت فى متن فرسها ؛ فقلت: أما تزودينى منكِ زاداً ؟! .
فأعطتنى ثيابها ؛ فشممت منها كالنَّبات المطور ؛ ثُمَّ قُلتُ: أين الموعد ؟! ؛

فقالت : إن لى أخوة شرسين وأباً غيوراً ؛ والله لأن أسُرَّكَ أحبُّ إلىَّ من أن أضُرَّك .

قال : ثم مضت ؛ فكان آخر العهد بها إلى يومى هذا ؛ فهى والله التى بلغت بى ما تراه من هذا المبلغ وأحلتنى هذا المحِل !! .

قُلتُ : وأنت والله يا أبا مُسهر ما استُحسن الغدر إلا بك ؛ فإذا قد اخضلت لحيته بدموعه !! .

قُلتُ : والله ما قُلتُ لك ذلك إلاَّ مازحاً ؛ وداخلتنى له رِقَّةٌ !! .

فلمَّا انقضى الموسم ؛ شددت على ناقتى ؛ وشدَّ على ناقته ؛ وحملت غُلاماً لى على بعير ؛ وحملت عليه قُبَّةَ أدم خضراء كانت لأبى ربيعة ؛ وأخذت معى ألف دينار وَمِطْرَفِ خَزٍّ .

ثم خرجت حتى أتينا كلباً ؛ فإذا الشيخ فى نادى قومه ؛ فأتيته ؛ فسلَّمتُ عليه ؛ فقال : وعليك السَّلام ؛ من أنت ؟! ؛ قُلتُ : عُمر بن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومىُّ ؛ قال : المعروف غير المجهول !! ؛ فما الذي جاء بك ؟! .

فقُلتُ : جئتُ خاطباً ؛ قال : أنت الكفؤ لا يُرغب عن حسبه ؛ والرَّجُل لا يُردُّ عن حاجته .

قُلتُ : إنى لم آتك فى نفسى ؛ وإن كُنتَ موضع الرغبة ؛ ولكنى أتيتكم لابن أختكم العُذرىّ .

قال: واللهِ إنه لكفيء الحسب ؛ كريم المنصب ؛ غير أن بناتى لم يقعن إلاّ فى الحىِّ من قريش !! .

قال: فعرف الجزع من ذلك فى وجهى ؛ فقال: أما إنى لم أصنع بك شيئاً لم أصنعه بغيرك ؛ أُخيِّرُها ما اختارت .

قال: قُلتُ له: والله ما أنصفتنى !! ؛ قال: وكيف ذاك ؟! ؛ قال: كُنت تختار لغيرى ؛ ووليت الخيار لى غيرك ؟! .

فأومأ إلىَّ صاحبى أن دعه يُخيِّرها ؛ قُلتُ: خيِّرها .

فأرسل إليها أن من الأمر كذا وكذا ؛ فارتإى رأيك .

قال: فأرسلت إليه: ما كُنتُ أستبدُّ برأيٍ دُون القُرشيّ ؛ أما الخيار فخيارى ما اختار.

قال: قد صيَّرت الأمر إليك !! .

فحمدت الله تعالى ؛ وصلّيْتُ على نبيِّه ؛ وَقُلْتُ:

قد زوجتها الجعد بن مهجع ؛ وأصدقتها هذه الألف دينار ؛ وجعلت تكرمتها العبد والقُبَّة.

وكسوت الشيخ المطرف ؛ فقبَّلهُ وَسُرَّ به ؛ وسألته أن يبنى بها من ليلته ؛ فأجابنى إلى ذلك ؛ وضُربت القُبَّة وسط الحىِّ ؛ وأُهديت إليه ليلاً ؛ وبتُّ عند الشيخ خير مبيتٍ. فلما أصبحت غدوت ؛ فقُمتُ بباب القُبَّة ؛ فخرج إلىَّ وقد

تبيَّن الجذل فى وجهه !! ؛ فقُلتُ له : كيف كنتَ بعدى؟! وكيف هى بعدك؟! . فقال : أبدت لى كثيراً مما أخفت يوم رأيتها ؛ فقُلتُ : ما حملكِ على ذلك ؟ ؛ فأنشأت تقول :

كَتَمْتُ الهَوَى إنِّى رَأَيْتُكَ جَازِعاً
فَقُلْتُ فَتَىً بَعْضَ الصَّدِيقِ يُرِيدُ
وَإِن تَطْرَحَنِّى أَوْ تَقُولَ : فَتِيَّةٌ......
...... ؛ يُضِرُّ بِهَا بَرْحُ الهَوَى فَتَعُودُ
فَوَرَّيْتُ عَمَّا بِى وَفِى الكَبِدِ الحَشَا
مِنَ الوَجْدِ بَرْحٌ فَاعْلَمَنَّ شَدِيدُ

قال : فقُلتُ : أقم على أهلك !! ؛ بارك الله لك !!

وانطلقت إلى أهلى وأنا أقول :

كَفَيْتُ أَخِى العُذْرِىَّ مَا كَانَ نَابَهُ
..... ؛ وَمِثْلِى لأَثْقَالِ النَّوَائِبِ أَحْمَلُ
أَمَا اسْتَحْسَنَت مِنِّى المَكَارِمُ وَالعُلَى
؛ إِذَا اطُّرِحَت ؛ أَنِّى أَقُولُ وَأَفْعَلُ



تَمَّت رِسَالَة

«شُهَدَاءُ العِشْق»



كَلِمَاتٌ فِى مَوْسِمِ الخَرِيف

لِلكَاتِبِ الأدِيبِ الشَّاعِر

مُحَمَّد مَحْمُود دَخرُوج

ـ الشَّهِير بِـ : ((نِزَار شَاهِين)) ـ

كَلِمَاتٌ فِي مَوْسِمِ الخَرِيف

رَسَائلُ الحُبِّ الَّتِي دَبَّجَهَا الكَاتِبُ الشَّاب فِي زَمَنِ العِشْقِ وَالهَوَى

ـ «كُتِبَت هَـذِهِ الـرَّسَائِلُ فِي زَمَنِ البَرَاءَةِ وَالأَمَل... ؛ وَاليَوْم!!... ؛ مَضَى كُلُّ شَيْءٍ ؛ فَأَمَامَ رِيَاحِ الخَرِيف ؛ ضَاعَت كُلُّ الأَمَانِي ؛ وَضَلَّت سَائِرُ الآمَالِ فِي أَرْضِ التِّيهِ وَالضَّيَاع!!... ؛ وَمَا بَقِيَ مِن ذَلِك المَاضِي البَعِيد!! ... ؛ سِوَى هَذِهِ الكَلِمَات !!.»..

ـ أَدِيبُ بِلادِ الشَّمَال ـ

لِلكَاتِبِ الأَدِيبِ الشَّاعِر

مُحَمَّد مَحْمُود دَحْرُوج

ـ الشَّهِير بِـ: «نِـزَار شَاهِين» ـ



كَلِمَاتٌ فِي مَوْسِمِ الخَرِيف

تنبيه

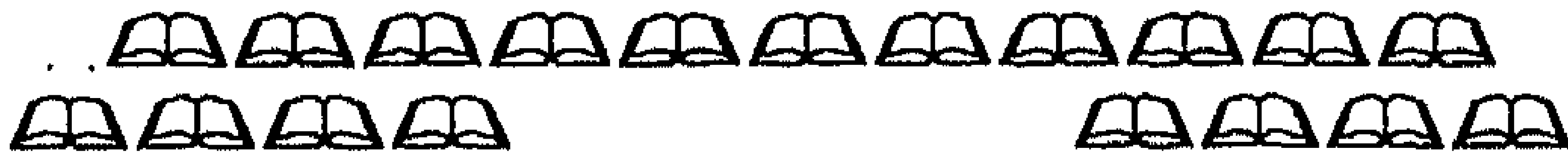
كِتَابٌ قَدْ حَوَى دُرَراً

بِعَيْنِ الحُسْنِ [مَنْظُورَهْ] .

لِهَذَا قُلْتُ تَنْبِيهَاً :

[سِهَامُ الغَصْبِ مَحْظُورَهْ] . (1) . .

أَبُو نِزَار المِصْرِيّ .



1ـ ما بين المعقفات من كلمات ؛ إنما هى من كيسى. [أَبُو نِزَار] .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ؛

وَصَلَّى اللهُ عَلَى محمَّدٍ وَعَلَي أَبَوَيْهِ

إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل ؛ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً



✽ - إِهْـدَاء

وَهَكَذَا عَادَت لَيالِي الشِّتَاء ؛ عَادَت بِظَلامِهَا ؛ وَصَمْتِهَا ؛ وَرَهْبَتِهَا !.
يُبْغِضُهَا النَّاس ؛ وَلَكِنِّي أَعْشَقُهَا ! ؛ نَعَم ؛ فَفِي وَسْطِ هَـذَا الصَّمْتِ المُوحِشِ الكَئِيب ؛ أَجْلِسُ فِي حُجْرَتِي وَسْطَ السُّكُونِ المُطْبِقِ القَاتِلِ! ؛ أَجْلِسُ فِي وِحْدَةٍ كَوِحْدَةِ الرُّهْبَان ! ؛ وَيَذْهَبُ عَقْلِي بَعِيداً ! ؛ يَذْهَبُ إِلَى عَالَمِ ذَلِكَ المَاضِي الَّذِي كَان ؛ يَوْمَ أَن كَانَ الرَّاهِبُ هُوَ ذَلِكَ الفَتَى الطَّمُوح ! ؛ صَاحِبِ الآمَالِ العِرَاض!.
وَأَعُودُ مِن رِحْلَةِ الخَيَالِ ! ؛ لأَجِدَ رُوحِي مُحَاطَةً بِبَشَاعَةِ ظَلامِ الحَاضِرِ!.
وَلَئِن وَلَّى الظَّلامُ وَغَاب ؛ فَمَا نَدْرِي حَقِيقَةَ مَا تُكِنُّهُ وَتَحْجُبُهُ ضَمَائِرُ المَجْهُول!؟.

وَيَقُولُ دَارِي مَن يَقُولُ ؛ وَأَعْبُدِي!
مَهْ ! ؛ فَالعَبِيدُ لِرَبِّنَا وَالدَّارُ.
يَا إِنْسَ ؛ كَم يَرِدُ الحَيَاةَ مَعَاشِرٌ ؛
وَيَكُونُ مِن تَلَفٍ لَهُم إِصْدَارُ!.

أَتَرُومُ مِن زَمَنٍ وَفَاءً مُرْضِياً؟!

إِنَّ الزَّمَانَ ؛ كَأَهْلِهِ ؛ غَدَّارُ.

تَقِفُونَ ؛ وَالفُلْكُ المُسَخَّرُ دَائِرٌ

وَتُقَدِّرُونَ ؛ فَتَضْحَكُ الأَقْدَارُ.

إِلَى أَمْسِيَ الذَّاهِبِ !... وَإِلَى عُمُرِي الَّذِي وَلَّى !

أُهْدِي هَذَا الكِتَاب ! ... مُحَمَّد مَحْمُود.



- تَصْدِير :

بَكَيْتُ فَلامُونِى وَمَا حِيلَتِى إِذَا
بَكَيْتُ وَفِى قَلْبِى شُجُونِى وآلامِى .
عَلامَ تَلُومُونَ الجَرِيحَ عَلَى البُكَا
أَمَا كَانَ أَحْرَى أن تَلُومُوا يَدَ الرَّامِى؟.
نَشَأْتُ فَلَم أنْعَم بِصَدْرٍ يَضُمُّنِى
إِلَيْهِ .. فَضَمَّتْنِى مَرَاضِعُ أَسْقَامِى .
كَأنِّىَ لَم أُخْلَق لِنُعْمَاىَ ؛ إِنَّمَا
خُلِقْتُ لأَحْيَا بَاكِيًا طُولَ أَيَّامِى .
حَيَاتِىَ إِعْصَارٌ عَنِيفٌ وَمِحْنَةٌ
وَعَصْفٌ مِنَ البَلْوَى يُعَكِّرُ أَحْلاَمِى .
هُنَا فِى فُؤَادِى آهَةٌ كَم حَبَسْتُهَا
هُنَا فِى طَرِيقِى يُطْبِقُ الهَوْلُ قُدَّامِى!!.

عَبْدُ العَلِيم عِيسَى



✤ - مَدْخَل :

رَمَتْنِى بَنَاتُ الدَّهْرِ مِن حَيْثُ لا أَرَى

.. ؛ فَكَيْفَ بِمَن يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامِ؟!.

.... ؛ فَلَو أَنَّهَا نَبْلٌ إِذاً لاَتَّقَيْتُهَا

.... ؛ وَلَكِنَّمَا أُرْمَى بِغَيْرِ سِهَامِ!!.

وَأَفْنَى وَمَا أُفْنِى مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً

وَلَم يُغْنِ مَا أَفْنَيْتُ سَلْكَ نِظَامِ!!.

... ؛ وَأَهْلَكَنِى تَأْمِيلُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ

..... ؛ وَتَأْمِيلُ عَامٍ بَعْدَ ذَاكَ وَعَامِ!!.



- مُفْتَتَح :

جَنَت عَلَيَّ اللَّيَالِي غَيْرُ ظَالِمَةٍ

إنِّي لأَهْلٌ لِمَا أَلْقَاهُ مِن زَمَنِي.

فَمَا لَمَحْتُ مِن الآمَالِ بَارِقَةً

إلاَّ بَنَيْتُ عَلَى أَجْوَازِهَا سَكَنِي.

وَمَا رَأَيْتُ مِن الأَخْطَارِ عَادِيَةً

إلاَّ تَقَحَّمْتُ مَا تَجْتَازُ مِن فِتَنٍ!!.

زَكِي مُبَارَك



كَلِمَاتٌ فِى مَوْسِمِ الخَرِيف

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الحُبُّ !!... ؛ مَعْنىً كُنْتُ أَجْهَلُهُ !!... ؛ ثُمَّ عَرِفْتُهُ !!... ؛ ثُمَّ أَحْبَبْتُهُ ؛ إِذْ مَلَكَ عَلَىَّ حَيَاتِى وَمَشَاعِرِى !!... ؛ وَاليَوْم !!... ؛ مَا عُدْتُ أُبْغِضُ فِى الحَيَاةِ شَيْئًا كَبُغْضِى إِيَّاه !!.

...

رِحْلَةٌ مَا تَزَالُ آثَارُ تَجَارِبِهَا تَنْهَشُ فِى وِجْدَانِى ؛ وَتَسْرِى كَالسُّمِّ فِى دَمِى ؛ وَتَعْمَلُ فِى عَقْلِى عَمَلَ الصَّهْبَاءِ فِى الأَعْضَاء !!.

أَذْكُرُ أَيَّامَهَا ؛ فَأَشْعُرُ بِسُكُونِ النَّفْسِ وَبِحَسْرَةِ الرُّوحِ فِى آن !! ؛ نَعَم !! ؛ أَحُنُّ إِلَى بَعْضِ ذَلِكَ الَّذِى كَان ؛ وَأَلْعَنُ بَعْضَ هَذِهِ التَّجَارِبِ الَّتِى أَكَلَت عُمُرِى وَزَهْرَةَ شَبَابِى!!.

...

هُنَا فِي الشَّمَال ؛ كَانَت رِحْلَتِي مَعَ هَـذَا الغَرِيـبِ المَرْهُوب ؛ وَهُنَـا ؛ وَفِي هَـذِهِ الأَرْضِ الكَرِيهَـةِ البَغِيضَـةِ !! ؛ قَتَلَـتْ هَـذِهِ الرَّغْبَـةَ وَمَحَوتُهَـا مِـن قَلْبِـي إِلَـى النِّهَايَة!!.

...

وَهَا أَنَا اليَوْم ؛ أَجْلِسُ فِي عُزْلَتِي ؛ أَنْسُجُ قَصَائِدِي وَأَشْعَارِي ؛ كَي أُخَفِّفَ بِهَا مِن أَثَرِ تِلْكَ اللَّوْعَةِ الَّتِي أَجِدُهَا بِكَيَانِي ؛ وَكَي أُزِيلَ بِهَا تِلْكَ الغُيُومِ الَّتِي حَجَبَت عَن عُيُونِي نُورَ الحَيَاة !!.

نَعَم !!... ؛ فَلَوْ لَم نَعِش بَعْضَ الأَحَايِينِ فِي ظِلِّ الصَّمْتِ وَهَدْأَةِ النَّفْسِ لَقَتَلْنَا أَنْفُسَنَا !!... ؛ فَإِنَّ لِلكِتَابَةِ أَوْقَاتٌ تَكَادُ فِيهَا النَّفْسُ أَن تَزْهَقَ ؛ وَتَغْدُو كَجَمْرَةٍ مُشْتَعِلَةٍ لا تُطِيقُ وَلا تُطَاق!!.

...

لَعَمْرِي لَقَدْ وَلَّى زَمَنٌ مَا عَرِفْنَا بِهِ غَيْرَ الحُبِّ وَالأَمَل ؛ وَتَاللهِ إِنَّنَا لَنَحْيَا اليَوْمَ وَمَا عَادَ لَنَا غَيْرَ الشِّعْرِ وَالذِّكْرَى الَّتِي مَا تَبَقَّى لِهَذَا العُمُرِ الذَّابِلِ سِوَاهَا!!.

...

فِي العِقْدِ الثَّالِثِ مِن حَيَاتِي ؛ وَفِي العِشْرِينَاتِ مِن تَارِيخِ وُجُودِي فِي هَذَا الزَّمَن ؛ كُنْتُ أَنْسُجُ قَصَائِدَ الآمَالِ النَّبِيلَةِ ؛ وَأُدَبِّجُ أَشْعَارَ العِشْقِ وَالهَوَى.

وَهَا أَنَا اليَوْمَ ؛ وَأَنَا وَاقِفٌ عَلَى أَعْتَابِ الثَّلاثِين ؛ مَا عِنْدِى غَيْرَ قَصَائِدِ الكَمَد !! ؛ وَأَشْعَارِ الأَلَم!! ؛ وَأَبْيَاتِ الحَيَارَى!!.

...

لَقَدْ أَصْبَحَ دَيْدَنِى ؛ وَغَدَت أَحَبُّ طُقُوسِى وَحَالاتِى ؛ أَن أَجْلِسَ فِى عُزْلَتِى المَعْهُودَةِ المَأْلُوفَةِ ؛ فِى جَوْفِ هَذَا اللَّيْل !!... ؛ لَيْلُ الشِّتَاءِ الصَّامِتِ الحَزِين!! ... ؛ لَيْلٌ كَئِيبٌ !!... ؛ سَمَاؤهُ بِلا نُجُوم !!... ؛ نَسَمَاتُهُ رُسُلُ أَفْكَارِ القِدِّيسِينَ وَالرُّهْبَان !!... ؛ حَيْثُ تَتَلاشَى عُقُولُ أَبْنَاءِ الحَيَاة ؛ وَتَأْتِى نُفُوسُ أَبْنَاءِ السَّمَاء!!... ؛ أَجْلِسُ فِى عُزْلَتِى هَذِهِ!!... ؛ لأُغَنِّى أَعْظَمَ قَصَائِدِى :

عِنْدَمَا نَجْلِس سَوِيًّا !!.(1).

«عِنْدَمَا نَجْلِس سَوِيًّا!!.

لا تُحَاوِلْ أَن تُدِيرَ الكَأْسَ أَو تَرْعَى النُّجُوم !!.

بَل تَعَالَ نَسْتَقِى!!... ؛ عِبْرَةَ الأَزْمَانِ فِى لَحْنِ الكُلُوم.

---

(1) - عَن هَذِهِ القَصِيدَةِ وَوَزْنِهَا وَالمَذْهَبِ الَّذِى تَنْتَمِى إِلَيْهِ ؛ انْظُر كِتَابَنَا : « النَّقْدُ الأَدَبِىُّ : أُصُولُهُ وَمَنَابِعُه... مَدَارِسُهُ وَمَذَاهِبُه : دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ نَقْدِيَّةٌ مَنْهَجِيَّةٌ... وَرُؤْيَةٌ تَأْصِيلِيَّة إِبْدَاعِيَّة ». مِن مَنْشُورَات دَار أَطْلَس بِالقَاهِرَة ..

قُلْتُ : وَهَذِهِ القَصِيدَةِ هِىَ مِن قَصَائِدِ دِيوَانِىَ المَوْسُومُ بِعُنْوَانِ هَذِهِ القَصِيدَة.

مَا تَزَالُ الأَدْمُعُ الحَيْرَى تُنَادِى... فِى فُتَاتِ العُمْرِ وَيْلِى... !!
دَائِمَاً تَبْقَى مَشَاهِدُكَ القَدِيمَةُ تَرْتَسِم... فَوْقَ البَقَايَا مِن تُرَاثٍ مُنْهَدِمٍ!!.
عِنْدَمَا نجْلِس سَوِيًّا!!.
عِنْدَمَا نجْلِس سَوِيًّا!!.
لا تَرُم أن تَشْغَلَ النَّفْسَ الشَّقِيَّةَ عَمَّا كَانَ فِى مَاضِى
العُمُر !!... بَل إِلَى ذِكْرَى الأُلَى عَبَرُوا...وَمِنْهُم كَانَ
فِى أَمْسٍ!!... ؛ وَمَر.
دَعْنَا مِن دَمْعٍ...يَهُزُّ لَوَاعِجَ الحَسَرَاتِ...يُوقِظُهَا...ثُمَّ
يُلْقِيهَا...لِغَفْوَةٍ...فِى قَعْرِ ذَاتِى...!!
دَعْنِى أَخِيطُ الحُزْنَ ثَوْبَاً...فَالثَّوْبُ بَعْضُ مَلامِحِ خَرْسَاءَ
لا تَدْرِى لأَىِّ جِنَايَةٍ...وَأُزَيِّنُ الثَّوْبَ الكَئِيبَ بِكَسْرَةٍ ...
فِى نَبْرَتِى.
إِن كُنْتَ تَدْرِى أَنَّ نِسْيَانِى محُال...فَاسْأَلِ الدُّنْيَا تُعِد لِى
بَعْضَ أَيَّامٍ تَوَلَّت !!... ؛ مِن سَوَالِفِ رِحْلَتِى؟!.
عِنْدَمَا نجْلِس سَوِيًّا!!.
لا تَقُل إِنَّ الأَمَانِى فِى حَيَاتِى قَد تَكُون!!...بَل قُل بُعَيْدَ

الحُزْنِ وَاليَأْسِ المُعَتَّقِ فِى زُجَاجَاتِ الأَسَى !!...لَم يَبْقَ
غَيْرَ المَوْتِ أو دَرْبٍ شَقِىٍّ ظِلُّهُ !!... ؛ ظِلُّ التَّعَاسَةِ وَالجُنُون !!.
لا تَقُل أَقْدَارُنَا شَاءَت وَأُرْغِمْنَا وَمَدَّ القَهْرُ أَلْوِيَةً وَأَعْلامَاً
مِنَ الحِرْمَانِ وَالعَسْفِ المَهُول!!.
لا تَقُل شَيْئَاً !!... بَل دَعْنَا لِلذِّكْرَى... فَحَيَاتُنَا وَقَفَت هُنَا!!
... ؛ فَانْظُر بِعَيْنَيْكِ فِى ذُهُول!!.
وَاصْمُت فَلَن يجْدِى... وَعَن قُرْبٍ فَإِنَّ الرُّوحَ لَن تَبْقَى...!!
كَأَزْهَارٍ تَرَجَّت أن يَغِيضَ الدَّمْعُ كَى تحْيَا وَلَكِن مَا عَسَى؟!!...
فَإِذَا أَتَت رِيحُ الخَرِيفِ فَلَن تَرَى... ؟!! ؛ غَيْرَ التَّلاشِى وَالذُّبُول!!.
دَعْنِى فَإِنِّى؟!!... لَسْتُ أَدْرِى مَا أَقُول؟!!.
لا تَقُل شَيْئَاً!!... قُل إِنَّ عُمْرَ الحُلْمِ قَد وَلَّى... وَانْظُر
لِسُخْرِيَةِ الزَّمَن... عِشْنَا عَلَى دَرْبِ الأَمَل... عِشْنَا وَلَم
نحْقِد وَلَم نحْسُد وَلَم نَبْغِ... عِشْنَا وَهَاكَ جَزَاؤنَا... أن نحْيَا
فِى وَادِى المِحَن؟!!.
إِنَّ البَرَاءَةَ فِى زَمَانِ المُومِسَاتِ جَرِيمَةٌ
إِنَّ الخِيَانَةَ وَالنَّذَالَةَ وَالمجُونَ عَطِيَّةٌ
وَلِذَاكَ صِرْنَا ... لا نَرَى غَيْرَ اكْتِسَابِ هَزَائِمٍ... وَخَسَارَةٍ

فِى كُلِّ عَاطِفَةٍ تَمُورُ بِذَاتِنَا !!.
فَاصْمُت رَجَاءً... فَالصَّمْتُ أَدْوِيَةُ الحَيَارَى... وَالصَّمْتُ
لِلغُرَبَاءِ فِى الدُّنْيَا !!... هُوَ الثَّوْبُ المُعَارَا.
وَغَدَاً سَتَعْرِفُ سِرَّ زُهْدِى فِى تَرَاتِيلِ انْبِعَاثَاتِ
الحُلُم... وَغَدَاً سَتَعْرِفُ لِمْ عُزُوفِى عَن شِكَايَاتِ الكَلِم
... إِى قَدْ يَكُون !! ... إِى قَد تَرَانِى وَاقِفَاً يَوْمَاً أُغَنِّى !!
... وَسْطَ رُهْبَانِ الأَلَم!!.
لا تَسْأَلَن عَنِّى المَدَى... اسْأَل وَقُل مَن ذَا الَّذِى أَبْقَاكَ
مُنْتَظِرَاً لِسَاعَاتِ الرَّدَى؟!!.
قَد صِرْتُ لا أَفْرَق مِنَ الأَنْيَابِ إِن ظَهَرَت بِأَفْوَاهِ المَلائِكِ
وَالرُّسُل !! ... بَل صِرْتُ أَدْهَشُ إِن رَأَيْتُ الذِّيبَ لايَلْوِى
وَلا يَعْبَا ... وَيَغْفِرُ لِلحَمَل!!.
إِى أَنَا هَذَا الَّذِى!!.
أَنَا مَن دَخَلْتُ كَنَائِسَ الرُّهْبَانِ أَدْيَرَةَ اليَهُود
... وَأَمَامَ نِيرَانِ المَجُوسِ رَأَيْتَنِى... أَدْعُو وَأَنْتَظِرُ
انْتِصَارَ الظَّفْرِ فِى يَوْمِ الأَمَل!!.
أَنَا مَن تَرَكْتُ المَجْدَ كَى أَحْيَا أُغَنِّى... فِى رَتَابَةَ

وَسْطَ سَاعَاتِ المَلَل!!.

إِى أنَا هَذَا الّذِى!!.

عِنْدَمَا نجلِس سَوِيًّا !!...لا تحَاوِل لا ترُم... لَن أَبُوحَ بِسِرِّىَ المَكْتُومُ فِى لَهَبِ القَصَائِدِ وَالكَلِم.

أنَا أَحْيَا كَالأَحْرَارِ لَو أبْصَرْتنِى... لَكِنَّ جَوْهَرَ ذَاتِىَ المَكْلُومُ يَصْرُخُ مِن إِسَارِالرِّقِّ فِى جَوْفِ العَبِيد !!... أنَا مَن أُعَانِى بِكُلِّ دَرْبٍ مِن دُرُوبِ خُطَاىَ لَكِن ذِلّتِى !! ... تَفْنَى وَيُبْعِدُهَا شَيَاطِينٌ تَعِيشُ بِدَاخِلِى !!... لا تَعْرِفُ الأَغْلالَ !!...

أو أسْرَ القُيُود.

إِى أنَا هَذَا الّذِى !!.

أَبَرَاءَةُ القَدِّيسِ فِى عَيْنَىَّ أم تُبْصِر بِهَا !!... سَهْمَ الدَّعَارَةِ وَالوَقَاحَةِ وَالمجُون ؟!!.

أنَظَرْتَ فِى عَيْنِى وَجَدتَ النُّبْلَ وَالإِيمَانَ وَالتَّقْوَى ؟!! ... أم أنَّهَا دَوْمَاً سَتَبْقَى... لا تَشِى إِلاَّ بِأفْكَارٍ رَدِيئَةَ صَاغَهَا زَمَنٌ خَؤون ؟!!.

إِن كُنْتَ تَبْحَثُ عَن حَقِيقَةِ كُنْهِ وِجْدَانِى وَذَاتِى ؟... فَغَدَاً

سَتَعْرِفُ يَوْمَ يُخْبِرُكَ الرَّدَى... وَغَداً سَتَعْرِفُ إِن طَرَحتُوا النَّارَ فِى جَسَدِى !!... وَبَعثَرتُم رُفَاتِى.
وَأَرَاكَ تَرْغَبُ فِى مَزِيدٍ مِن كَلامٍ جَاءَ مِن وَادِى العَدَم !! ... وَأَظُنُّ عَقْلَكَ يَنتَظِر نُطقِى بِأَبْيَاتِ الحَيَارَى أو عِبَارَاتِ الوَهَم ؟!!.
أنَا مَن نَشَأْتُ بِدَيْرِ رُهْبَانٍ أرَادُوا أن أكُونَ مِثْلَهُم فِى نَزْعِ أرْدِيَةِ الطَّهَارَةِ وَالعفَاف... إِى عَلَّمُونِى أن أكُونَ أمَامَهُم يَوْمَ اغْتِصَابِ بَكَارَةِ الأفْكَارِ فِى زَمَنِ الرَّدَاءَةِ وَالجَرِيمَةِ وَالجَفَاف!!.
إِى أنَا هَذَا الَّذِى!!.
أنَا مَن نَشَأْتُ بِبُغْضِ كُفَّارِ العَقَائِدِ وَالرِّسَالاتِ البَعِيدَةِ فِى الزَّمَان ... وَنَشَأْتُ أرْهَبُهُم وَأخْشَى السَّيْرَ قُرْبَ حُصُونِهِم ... وَبِفَجْأَةٍ ؟!!... وَبِلَحْظَةِ اليَأْسِ الجَبَان؟!!...
ألْفَيْتُ نَفْسِى سَائِراً قُرْبَ القِلاعِ المُفْزِعَة؟!!... وَادْهَش وَلا تَسْأَل !! ... فَبِقَلْبِ قَلْعَتِهِم رَأَيْتُ النُّورَ يَسْرِى فِى العُقُولِ المُبْدِعَة؟!!.
هُم عَلَّمُونِى أن تَعِيشَ بِوَسْطِ أعْمَاقِ الظَّلام

إِرَادَتِى... أن أُبَقِّى النُّورَ فِى رُوحِى !!...إِذَا مَا اللَّيْلُ بَدَّدَ بِالتَّعَاسَةِ قُوَّتِى!!.

عِنْدَمَا نَجْلِس سَوِيًّا !!

لا تَقُل ....: لِمْ أَظَلَّتْكَ الغَمَامَةُ لا تُرِيدُكَ أن تَرَى دِينَاً وَلا بَشَرَاً وَلا نُورَا ؟!! ... أنَا لا أُجِيبُ لأَنَّنِى ... جَذْلانُ وَسْطَ الحِيرَةِ الثَّكْلَى ... وَسْطَ لَيْلٍ عَابِسٍ...لا يُبَشِّرُ بِالصَّبَاح ... إِى أنَا رَاضٍ ... بِانْعِزَالِ النَّفْسِ لا تُبْصِر سِوى شَوْكِ الجِرَاح !!.

وَحَقِيقَةُ الدُّنْيَا بِعَيْنِى كَرِيهَةٌ ... فَلأَنَّنِى ... فَلأَنَّنِى أَبْغَضتُ مَن كَانُوا وَمَن وَقَفُوا وَمَن يَأْتُوا !!.

وَحَقِيقَةُ الدُّنْيَا بِعَيْنِى كَرِيهَةٌ... فَلأَنَّنِى... فَلأَنَّنِى ... مَا كُنْتَ يَسُوعَاً وَلا القِدِّيسَ فِى اليَوْمِ الوَجِيع !!... بَل كُنْتُ كَالرَّائِى المَنَايَا بِعَيْنِهِ !!... فَأَرَدتُ مَوْتَاً لِلجَمِيع !!.)).



...

مَا هُوَ مَعْنَى الحَيَاةِ إِذَا مَا أَصْبَحَ المَرْءُ بِلا آمَالٍ تَشُدُّهُ نَحْوَ الرَّغْبَةِ فِى مُوَاصَلَةِ جِهَادِهِ عَلَى دَرْبِ رِحْلَتِهِ ؟!.

مَا هُوَ مَعْنَى العُمْرِ إِذَا مَا غَدَا الفَتَى بِلا رَجَاءٍ يَدْفَعُهُ إِلَى السَّيْرِ عَلَى طَرِيقِ النِّضَالِ وَالكِفَاحِ بُغْيَةَ تَحْقِيقِ الحُلْمِ النَّبِيل ؟!.

كَم تَعِبَت الخُطُوَاتُ مِن فَرْطِ السَّعْى !! ؛ وَكَم أُجْهِدَ الجَسَدُ مِن قَسْوَةِ مَا حُمِّل !!.

ثُمَّ... !! ؛ عُدْنَا ؛ وَلَكِن... !!عُدْنَا بِمَاذَا ؟! ؛ وَرَجَعْتُ ثَانِيَةً !! ؛ وَرَجَعْتُ ثَانِيَةً وَلَكِن يَا تُرَى ؟! ؛ كَيْفَ الرُّجُوع ؟! ؛ كَيْفَ الرُّجُوعُ وَكَيْفَ كَانَ إِيَابِى ؟!.

إِى هَكَذَا !!

« وَرَجَعْتُ لا أَلْوِى عَلَى شَىْءٍ !! ... ؛ وَرَجَعْتُ لا أَلْوِى عَلَى شَىْءٍ سَيَغْدُو بَعْدَ تَجْرِبَةٍ بِطَعْمِ العَلْقَمِ القَتَّالِ بَعْدَ العَيْشِ فِى ظِلِّ البَرَاءَةِ وَالمُرُوءَةِ وَالوَفَاء !!.

وَخَرَجْتُ مَهْزُوماً !! ... ؛ وَخَرَجْتُ مَهْزُوماً فَلا أُبْصِر بِهَذَا الدَّرْبِ غَيْرَ الصَّمْتِ مِن كَنْزِ التَّعَاسَةِ وَالشَّقَاء !!.

إِى عُدتُ !! ... ؛ إِى عُدتُ مِلءُ حَقَائِبِى أَشْيَاءَ لَم تَحْمِل سِوَى مَعْنَى المَرَارَةِ وَالغَبْن !!.

إِى عُدتُ !!... ؛ إِى عُدتُ خَامَرَ مَنْطِقِى المَهْزُومُ يَأسٌ لا يُعَرْبِدُ

مَعْ سِوَى رَجُلٍ ضَلِيلٍ !!... تَاهَ فِي وَادِي المِحَن !!.

إِي هَكَذَا !! ... ؛ إِي هَكَذَا !! ... ؛ وَانْتَهَت كُلُّ الأَمَانِي ... ؛ هَكَذَا !! ... ؛ هَكَذَا عَادَت قَوَافِلُ رِحْلَتِي وَالزَّادُ عَالنُّوقِ الجَرِيحَةِ طَعْمُهُ كَاللَّفْظِ أَجْوفَ قَد خَلَت مِنْهُ المَعَانِي.

عُدْنَا !! ... ؛ عُدْنَا بِرَكْبٍ لَم يَرَ نُوراً وَلا أَمَلاً وَلا نَصْرًا.

عُدْنَا ؟!! ... ؛ عُدْنَا بِغُرَّةٍ سُوِّدَت أَلَماً وَأَوْجَاعاً وَقَهْرًا.

عُدْنَا ؟!! ... ؛ عُدْنَا بِذُلِّ القَتْلِ وَالتَّشْرِيدِ وَالأَسْرِ المُبَدِّدِ كُلَّ أَفْكَارِ العُقُولِ الحَالِمَه !!.

عُدْنَا ؟!! ... ؛ عُدْنَا بِخَيْلٍ مُثْخَنَه !!... ؛ عُدْنَا بِأَسْيَافٍ كَأَشْبَاهِ السُّيُوفِ مُحَطَّمَه !! ... ؛ عُدْنَا بِنَفْسٍ نَادِمَه!!... ؛ عُدْنَا عَلَى خَوْفٍ وَرُعْبٍ !!... فِي لَيَالٍ مُعْتِمَه!!.

يَا صَوْتِيَ المَكْبُوتُ أَسْفَارِي لَئِن حُرِقَت وَلَم تُقْرَأْ فَإِنَّ العَيْبَ فِي زَمَنٍ عَقِيم !!.

يَا أُغْنِيَاتَ الحُرِّ أَشْعَارِي... ؛ لَئِن وُئِدَت وَلَم تُسْمَعْ فَإِنَّ العُذْرَ حَقّاً أَنَّنِي ؟! ... ؛ قَد جِئْتُ مِن عَصْرٍ قَدِيم !!.

هَاذِي بِضَاعَتُكُم وَتِلْكَ بِضَاعَتِي !! ... ؛ أَمَّا بِضَاعَتُكُم فَمَوْلُودٌ أَتَى مِن قَلْبِ مَعْرَكَةِ السِّفَاح ؛ وَبِضَاعَتِي مَحْضُ انْتِصَارَاتِ السِّنِينِ الخَالِيَه ؛ ...

أَجَبَرْتُمُوهَا؟!... ؛ أَجَبَرْتُمُوهَا بَعْدَ خِزْيِكُمُ اللَّعِينُ لِئَن تَعِيشَ بِجَوْفِ كَهْفِ الغَضْبَةِ الثَّكْلَى !!... عَلَى أَرْضِ الجِرَاحِ !!.
يَا لَيْتَنِي !!... ؛يَا لَيْتَنِي حُفِّظْتُ مِن صِغَرِي أَنَاجِيلَ الخِيَانَةِ
أو تَرَاتِيلَ اجْتِثَاثِ الطُّهْرِ وَالإِيمَانِ مِن كُلِّ النُّفُوسِ!!.
يَا سَيِّدِي !!... ؛يَا سَيِّدِي أَنَا إِن أَرَى خَيْراً بِيَوْمٍ مِن بَشَرٍ ؟!... ؛
فَحَقِيقَةُ الرُّؤْيَا ادِّعَاءَاتٌ مُدَجَّلَةٌ !!... تُزَيِّنُهَا طُقُوس!!.
إِن الأُلَى رَحَلُوا لَئِن عَادُوا تَمَنَّوْا أَن يَعِيشُوا فِي صَوَامِعَ أَو قُبُورٍ؟!!.
فَالحَقُّ فِي زَمَنِي سَيَغْدُو لا مَحَالَةَ بَيْنَ نَابِ الذِّئْبِ ثُمَّ وَلِيمَةً لِلبُومِ وَالغِرْبَانِ مِن بَعْدِ النُّسُورِ.
هَاذِي حَقِيقَةُ عَصْرِنَا !!... ؛هَاذِي حَقِيقَةُ عَصْرِنَا ؛وَالوَيْلُ كُلُّ الوَيْلِ إِن تَفْطِن !!... وَخَامَرَ نَوْمَكَ المَكْرُوبُ يَوْماً !!... أَن تَثُور!!.)).(1)..

ثُمَّ !!... ؛وَعَادَ الشَّاعِرُ البَائِس !!... ؛عَادَ بَعْدَ رِحْلَةٍ شَاقَّةٍ !!... ؛قَد أَضْنَت الرُّوحَ وَالنَّفْسَ وَالجَسَد !!... ؛عَادَ وَهُوَ مَا يَحْمِلُ مَعَهُ غَيْرَ قَوْلِ القَائِل :

(1) - هَذِهِ هِيَ قَصِيدَة ((وَرَجَعْتُ لا أَلْوِي عَلَى شَيْءٍ)) ؛وَهِيَ مِن قَصَائِدِ دِيوَانِي الَّذِي أَشَرْتُ سَلَفاً.

أَبْلَيْتُ جِسْمِي مِن بَعدِ جِدَّتِهِ

... ؛فَمَا تَكَادُ العُيُونُ تُبْصِرُهُ.

.... ؛كَأَنَّهُ رَسْمُ مَنْزِلٍ خَلِقٍ

تَعْرِفُهُ العَيْنُ!! .... ؛ثُمَّ تُنْكِرُهُ.

ثُمَّ !!... ؛وَرِحْلَةٌ أُخْرَى !!... ؛وَلَكِنَّهَا الرِّحْلَةُ الَّتِي جَنَت المَأْسَاةَ الحَقِيقِيَّة؟! ... ؛ إِنَّهَا رِحْلَةُ العِشْقِ وَالهَوَى!!.

الحُزْنُ الغَاضِبُ العَاجِز!!... ؛الأَلَمُ المُوجِعُ القَاتِل!!... ؛الصَّمْتُ الثَّائِرُ الحَائِر!! ... ؛ثُمَّ ؛ثُمَّ كَانَ العَوْدُ ؛ وَلَكِنَّهُ العَوْدُ الَّذِي لا يُحْمَدُ؟!... ؛رَجَعْتُ وَأَنَا لا أَعْرِفُ مَن أَنَا !! ... ؛مَا كَانَ فَمِي يَقْدِرُ عَلَى غَيْرِ تَرْدِيدِ هَذَا الشِّعْرِ القَلِقِ المُضَطَّرِب !! :

وَرُوِّعْتُ حَتَّى مَا أُرَاعُ مِنَ النَّوَى

.... ؛وَإِن بَانَ جِيرَانٌ عَلَيَّ كِرَامُ.

فَقَد جَعَلَت نَفْسِي عَلَى النَّأْي تَنْطَوِي

.. ؛وَعَيْنِي عَلَى فَقْدِ الحَبِيبِ تَنَامُ.

...

وَبَعْدُ ؟!... ؛ قَالُوا وَقَالُوا !!... ؛ قَالوا وَلَكِن لا جَوَاب !!... ؛ قَالُوا وَقَد خُنِقَت بِفَاهِي كُلُّ هَاتِيكِ الرُّدُود !!... ؛ اليَوْمَ مَاتَت كُلُّهَا !!... ؛ وَأَنَا الَّذِي كَانَت كُلَيْمَاتِي تَرِنُّ كَمَا يَصِيحُ الفَارِسُ المِغْوَارُ فِي أَرْضِ الطِّعَان !!.

نَعَم !!... ؛ هَكَذَا كَان !!... ؛ وَكَذَلِكَ صَار!!.

« قَالُوا بِأَنِّي قَد أَعِيش!!.

قَالُوا بِأَنِّي قَد أَعِيش؟!.

قُلْتُ الحَيَاةُ عَلَى ضِفَافِ النَّهْرِ دُونَ الشُّرْبِ مِنْهُ مَرِيرَةٌ !!... ؛ وَإِلَى مَتَى يُجْدِي البَقَاءُ وَمَا عَرِفْتُ بِعُمْرِيَ المَسْمُومِ غَيْرَ العَيْشِ فِي زَمَنِ الخَرِيف !!.

قَالُوا بِأَنِّي قَد أَعِيش؟!.

قُلْتُ اسْأَل المَاضِي يُجِب !!... ؛ أَنَّ المُحَالَ هُوَ الدِمَالُ الجُرْحِ فِي زَمَنِ الأَسَى !! ... ؛ مِن بَعْدِ أَن صَاحَ العَلِيلُ مِنَ انْهِيَارِ الحُلْمِ وَاشْتَطَّ النَّزِيف !!.

قَالُوا بِأَنِّي قَد أَكُون!!.

قَالُوا بِأَنِّي قَد أَكُون؟!.

قُلْتُ البُطُولَةَ بَعْدَ عُمْرٍ قَد مَضَى !!... ؛ هِيَ مَحْضُ سُخْرِيَةٍ وَتَضْلِيلٍ وَزَيْف !!.

إِى مَا عَسَى ؟!!... ؛إِى مَا عَسَى ؟!!... ؛إِى مَا عَسَى يَأْتِى وَمَا أَبْصَرْتُ غَيْرَ الحُزْنِ مَقْرُونَاً بِخَوْف !!.

وَإِذَا الحَيَاةُ تَبَسَّمَت مِن بَعْدِ أن قُبِرَت أَمَانِىَّ القَدِيمَةُ إِنَّنِى غِرٌّ !!... ؛إِنَّنِى غِرٌّ إِذَا أَوْهَمْتُ نَفَسْى بِالسَّعَادَةِ بَعْدَ أن خَذَلَتْنِى أَقْلامِى !!... ؛وَخَطَّت مَصْرَعَ الآيَاتِ فِى دَيْرِ الأَمَل !!.

وَإِذَا الحَيَاةُ رَأَيْتُهَا جَادَت بِبَعْضِ فُتَاتِهَا مِن بَعْدِ أن مَاتَت مَشَاعِرُنَا بِوَادِ التِّيهِ وَاليَأْسِ المُعَرْبِدِ إِنَّهَا مَلْهَاةُ مِن دُنْيَا رَدِيئَةَ قَد أَتَت !!... ؛ قَد أَتَت تَزْعُم سَتُبْرِىء كُلَّ أَدْوَاءِ الفُؤَادِ !!... ؛وَهِىْ بِمَاضِى العُمْرِ قَد زَرَعَت ثِمَارَ الهَمِّ وَالأَشْجَانِ فِى أَرْضِ المَلَل !!.

قَالُوا فَإِنَّ الحُبَّ قَد يَأْتِى!!.

قَالُوا فَإِنَّ الحُبَّ قَد يَأْتِى؟!.

قُلْتُ انْتَظِر !!... ؛قُلْتُ انْتَظِر !!... ؛أَفَبَعْدَ تَجْرِبَتِى اللَّعِينَةِ قَد أَعُودُ لِكَى أَرَى وَجْهَ الكَآبَةِ وَالجُنُون !!.

قُلْتُ انْتَظِر !!... ؛قُلْتُ انْتَظِر !!... ؛فَالزَّعْمُ مَأْفُونٌ بِأَنَّ العِشْقَ قَد يُثْمِر بِأَرْضِ الفَاقَةِ الشَّوْهَاءِ فِى دَرْبِ الرَّدَى !!... ؛مِن بَعْدِ أن خَدَعَتْنِى الدُّنْيَا وَقَهَرَتْنِى السُّنُون !!.

الحُبُّ مَحْضُ كُلَيْمَةٍ !!... ؛ الحُبُّ مَحْضُ كُلَيْمَةٍ خَرْقَاءَ لا تَدْرِى لأَيَّةِ غَايَةٍ !!... ؛ وَالحَقُّ عِنْدِى أَنَّنَا نَسْعَى وَنَمْضِى فِى انْتِظَارِ الهَدْأَةِ العَصْمَاءِ فِى يَوْمِ المَنُون !!.

قَالُوا فَآمِن كَى تَعِيشَ بِرَاحَةٍ !!.

قُلْتُ الحَقِيقَةُ أَن ضَحِكْتُ وَهَزَّنِى وَجْدٌ عَظِيم !!... ؛ أَإِيمَانُ شَيْخٍ هَرْوَلَت قَدَمَاهُ نَحْوَ دَعَارَةٍ !!... ؛ إِى هَكَذَا؟!!... ؛ أَم يَا تُرَى؟!!... ؛ أَإِيمَانُ رَاهِبِنَا المُقَدَّسِ وَسْطَ صَوْمَعَةٍ يُرَتِّلُ فِى شَجَىً وَتَأَسُّفٍ !!... ؛ وَالرُّوحُ فِى ظُلَمٍ تُنَادِى وَتَرْتَجِى !!...عَوْدَ الَّذِى قَد كَانَ فِى زَمَنٍ قَدِيم؟!!.

قَالُوا لأَيَّةِ غَايَةٍ تَحْيَا؟!.

قَالُوا لأَيَّةِ غَايَةٍ تَحْيَا؟!.

فَارْأَفْ بِبَعْضِ بَقِيَّةٍ مِن رُوحِكَ الحَيْرَى !!... ؛ وَحُزْنُكَ مَعْ مُضِىِّ العُمْرِ وَالأَيَّامِ قَد يُمْحَى!!.

فَأَجَبْتُهُم : وَيْلَ الخَلِىِّ مِنَ الشَّجِىِّ فَإِنَّمَا؟!!... ؛ مَا الوَاقِفُونَ هُنَاكَ عَالشُّطْآنِ يَدْرُونَ ابْتِلاءَ مُعَذَّبٍ بِالنَّهْرِ وَسْطَ المَوْجِ وَالأَنْوَاءِ فِى اللَّيْلِ الكَئِيبِ؟!!.

خَلُّوا نَصَائِحَكُم!!... ؛ قُولُوا لِدُنْيَانَا تُسَالِمُنَا ؛ إِى لِمْ تُرَاوِدُنَا الرُّؤَى!!... ؛

إِى لِمْ تُلِمُّ بِسَاحَةِ المَفْؤودِ تِلْكَ الأُمْنِيَات؟!!... ؛تَأْتِى وَدَوْمَاً فِى الصَّبَاحِ؟!!... ؛تَزُولُ تَنْأَى تَبْتَعِد!!... ؛نَبْقَى حَيَارَى لأَنَّنَا عَجْزَى عَنِ التَّسَآلِ لِمْ كُلُّ الأَمَانِى تَقْتَرِب!!... ؛وَبِلَحْظَةٍ ؟!!... ؛ضَلَّ الرَّجَا !! ... ؛وكَأَنَّنِى دَوْمَاً أُغَنِّى !!... ؛مَا لَنَا عِنْدَ الأَمَانِى مِن نَصِيب؟!!.

أَنَا عِشْتُ فِى الزَّمَنِ العَتِيقِ أُحَارِبُ الصَّرَخَاتِ فِى صَمْتِ الجَرِيح.

أَنَا عِشْتُ أَدْفَعُ غُصَّتِى بِالشِّعْرِ وَالكَلِمَاتِ ... ؛وَالقَوْلِ الصَّرِيح.

خِلْتُ المُنَى يَوْمَاً سَتَأْتِى كَى تَقِفْ نَشْوَى تُنَادِى قُرْبَ أَبْوَابِى.

خِلْتُ الأَمَانِى تَسْأَمُ الصَّدَّ المُحَيِّرَ إِى وَتَأْتِى كَى تُدَاعِبُ مَيْتَ أَهْدَابِى.

وَخَرَجْتُ لِلدُّنْيَا لأَجْنِى ثِمَارَ أَقْدَامٍ تَهَاوَت !!... ؛فِى مَتَاهَاتِ العُمُر.

وَخَرَجْتُ كَى أَحْصُدْ جَنِىَّ السَّاعِدِ الهَشِّ الَّذِى قَد حُطِّمَت أَظْفَارُهُ أَيَّامَ أَنْقُشُ أُمْنِيَاتِى !!... ؛وَسْطَ أَكْبَادِ الصَّخَر.

وَخَرَجْتُ بِالعَيْنِ الكَلِيلَةِ لا أَكَادُ اليَوْمَ أَن أُبْصِرِ لِفَرْطِ تَرَقُّبَاتِ النَّصْرِ فِى يَوْمِ الظَّفَر.

وَخَرَجْتُ لِلدُّنْيَا أُغَنِّى لا أَرَى غَيْرَ انْتِصَارِ العَزْمِ فِى الزَّمَنِ العَسِر.

وَبُعَيْدَ هَذَا كُلُّهُ؟!!... ؛جَاءَت إِلَىَّ رِسَالَةٌ تُخْبِرِ بِأَنَّ النَّصْرَ فِى زَمَنِى مُحَال!!... ؛فَالسَّيْفُ أَصْدَأَهُ الزَّمَن!!... ؛وَلِوَاؤُكَ المِسْكِينُ مُزِّقَ مِن رِيَاحِ القَهْرِ فِى عَهْدِ الغَبَن!!... ؛وَالسَّهْمُ مِن فَرْطِ المَرَارَةِ قَد تَهَشَّمَ وَانْكَسَر!!.

هَاذِى حَقِيقَةُ قِصَّتِى!!... ؛تِلْكَ النِّهَايَةُ لا سَبِيلَ لِغَيْرِهَا... ؛وَجَزَاءُ دَرْبٍ لَم يَرَ غَيْرَ الخِتَامِ المُؤْسِفِ !! ... ؛هَاذِى حِكَايَةُ شَاعِرٍ خَاضَ الحَيَاةَ بِبَسْمَةٍ!! ... ؛ وبِآخِرِ التَّرْحَالِ قَد عَادَت قَوَافِلُهُ بِأَشْعَارٍ تُنَادِى فِى الفَضَاءِ الرَّحْبِ تُخْبِر!!... ؛هَاذِى حَقِيقَةُ مَوْقِفِى!!.)).(1).

...

مَاذَا يُرِيدُ فَتىً وَقَفَ عَلَى أَعْتَابِ الثَّلاثِينَ مِن عُمُرِهِ مِن هَذِهِ الدُّنْيَا؟!.

لَعَمْرِى ؛إنَّ هَذَا لَهُوَ اليَأْسُ الصُّرَاحُ الَّذِى لا مِرْيَةَ فِيه !!.

((دَقَّ نَاقُوسُ الخَطَر!!... ؛دَقَّ نَاقُوسُ الخَطَر!!... ؛وَالبَوْقُ أَعْلَنَ أَنَّ رِحْلَةَ عُمْرِىَ المَجْهُولِ بَاتَت تَحْتَضِر!!... ؛إن لَم يَجِيء مَوْتٌ فَمَوْتُ الأُمْنِيَاتِ هُوَ المَنِيَّةُ مَحْضَهَا ... ؛وَمَا يُجْدِى الرَّجَا... ؛حَتَّى وَإن طَالَ العُمُر؟!.

قَد كُنْتُ مِن زَمَنٍ أُرَانِى فَارِساً... ؛يَخْرُج بِجَوْفِ اللَّيْلِ لا يَعْبَا بِأَهْوَالِ القَدَر... ؛وَاليَوْمَ!!... ؛وَاليَوْمَ لا تَسْأَل عَنِ الأُقْصُوصَةِ الثَّكْلَى!!... ؛وُئِدَت بِهَاذِى الأَرْضِ كُلُّ مَطَامِحِى!!... ؛وَاحْتَرَقَت القِيَمُ الرَّزِينَةُ بَعْدَ

---

(1) - قَصِيدَة :((قَالُوا بِأَنِّى قَد أَعِيش !!.)) ؛هِىَ مِن قَصَائِدِ دِيْوَانِى الَّذِى قَد أَشَرْتُ إِلَيْهِ فِيمَا سَلَف.

أَن دُفِنَت بِهَاذِى البِيدِ (1) كُلُّ مَشَاعِرِى!!... ؛ وَاليَوْمَ أَحْيَا!!... ؛ بَعْضُ ذِكْرَى حَيَّرَت!!... ؛ أَبْكَت!!... ؛ وَخَاتِمَةُ الرِّوَايَةِ !!... ؛ مُدْيَةُ جَازِرٍ!!.

دَقَّ نَاقُوسُ الضَّيَاعِ!!... ؛ دَقَّ نَاقُوسُ الضَّيَاعِ!!... ؛ وَمِدَادِى الحَيْرَانُ أَعْلَنَ عَن حَرِيقِ طُرُوسِيَ الحَيْرَى!!... ؛ وَتَحْطِيمِ اليَرَاعِ !!... ؛ قَدَمَاىَ مِن فَرْطِ الخُطَى فَوْقَ الدُّرُوبِ المُوعِرَة ... ؛ عَجَزَت وَقَالَت لِلْمُسَافِرِ لَن تَصِلَ!!... ؛ فَخُطُوبُ دَهْرِكَ أَخْبَرَت قَالَت بِأَنَّ مَكَانَكَ الأَبَدِيَّ فِى دُنْيَا المَخَاوِفِ وَالهُمُومِ!! ... ؛ ضَلَّت خُطَاكَ بِأَرْضٍ مَهْلَكَةٍ!!... ؛ وَسْطَ أَعْيُنَ لا تَرَى غَيْرَ الوجُومِ!! ... ؛ وَلِذَاكَ؟!!... ؛ وَلِذَاكَ لَن تَعْرِف هُنَا مَعْنَى الوُصُولِ أَو الرُّجُوعِ!! ... ؛ فَمَصِيرُكَ الحَتْمِيُّ أَن تَبْقَى بِدَرْبِ القَهْرِ لا تَدْرِى سِوَى مَعْنَى السَّكِينَةِ وَالخُضُوعِ !!.

فَاصْمُت فَإِنَّ سَوَالِفَ الأَحْلامِ لَن تَرْجِعَ!!... ؛ وَاصْمُت فَإِنَّ الصَّوْتَ مَخْذُولٌ !! ... ؛ فَمَن بِالكَوْنِ قَد يَدْرِى؟!!

... ؛ وَمَن بِالكَوْنِ قَد يَسْمَعُ؟!!.)). (2).

---

(1) - البَيْدَاء : الصَّحْرَاءُ الَّتِى لا زَرْعَ فِيهَا وَلا مَطَر ؛ (ج) : البِيد .

(2) - قَصِيدَة ((دَقَّ نَاقُوسُ الخَطَر!!)) ؛ هِيَ مِن قَصَائِدِى الَّتِى اشْتَمَلَ عَلَيْهَا دِيوَانِى الَّذِى وَسَمْتُهُ سَلَفاً.

...

وَهَكَذَا !! ... ؛ هَكَذَا الدُّنْيَا !! ... ؛ تُعَلِّمُنَا أنَّ المَرْءَ يَجِبُ أن يَحْيَا وَحْدَهُ ؛ وَأن يَرْكَنَ إِلى عُزْلَتِهِ وَإِن كَانَ مُحَاطاً بِغَيْرِهِ مِن أَبْنَاءِ هَذِهِ الحَيَاة ... ؛ كُنْتُ أُحَاوِلُ وَأُجَاهِدُ كى أُثْبِتَ لِنَفْسِى غَيْرَ هَذِهِ الحَقِيقَة ؛ وَلَكِن تَأبَى الأَيَّامُ إِلاَّ أن تَعُودَ بِى إِلى الإِيمَانِ بِعَقِيدَتِى الَّتِى مَا أَظُنُّ أنَّنِى سَأَتَخَلَّى عَنْهَا بَعْدَ اليَوْم !! ... ؛ ألا وَهِيَ !!... :

«سَأَحْيَا وَحْدِى !!... ؛ غَيْرُ عَابِئٍ بِمَا كَانَ وَلا مَا يَكُون ».



يَا ظَامِئَ العَيْنِ مِن جُوعٍ وَمِن ظَمَإٍ
مَاذَا بَقَاؤُكَ ؟! وَالإِخْلاصُ قَتَّالُ !.
هَذَا المُشَعَّثُ ذُو الأَحْلامِ...صُحْبَتُهُ
هَمٌّ ؛ وَخَوْفٌ ؛ وَحِرْمَانٌ ؛ وَإِقْلالُ .
يَعِيشُ فِى الأَرْضِ جُثْمَاناً وَنَاظِرَةً
وَرُوحُهُ لِلعَوَالِى الشُّمِّ تَحْتَالُ .
قَدْ نَابَذَ الزَّمَنَ العَاتِى فَنَابَذَهُ
تَصَاوَلا ... وَكِلا القِرْنَيْنِ صَوَّالُ!.

وَعَاشَ فِي وِحْدَةِ الرُّهْبَانِ مُعْتَزِلاً
لَهُ رَفِيقَانِ........ آلامٌ وَأَوْجَالُ .
هَمَاهِمٌ ؛ وَمُنَى نَفْسٍ ؛ وَتَمْتَمَةٌ
وَلَوْعَةٌ ؛ كَبَنَاتِ السُّحْبِ تَنْثَالُ .
مَا انْفَكَّ يُرْسِلُ مِنْ نَفْسٍ مُعَذَّبَةٍ
نَاراً تَؤُجُّ... لَهَا فِي الجَوِّ إِشْعَالُ .
لَهَا نَقِيضٌ ؛ وَتَرْجِيعٌ ؛ وَغَمْغَمَةٌ
كَأَنَّمَا لاقَتِ الأَبْطَالَ أَبْطَالُ .
يُثِيرُ حَوْلَكَ ذُعْراً لا يُنَهْنِهُهُ
خَوْفُ الحَيَاةِ ؛ وَلا تَنْهَاهُ آمَالُ .
بَيْنَا تَرَاهُ عَلَيْهَا سَاكِناً.. قَلِقاً
كَأَنْ بِهِ رَبَضَت فِي الأَرْضِ أَغْلالُ .
إِذَا السَّمَاءُ قَدْ انْشَقَّت بِصَاعَقَةٍ
رَعْدٌ ؛ وَبَرْقٌ ؛ وَتَخْطِيفٌ ؛ وَإِذهَالُ !...(1).

...

قَالَهُ بِلِسَانِهِ ؛ وَقَيَّدَهُ بِبَنَانِهِ

---

(1) - القصيدة لأبي فهر محمود محمد شاكر - رحمه الله تعالى - .

مُحَمَّد مَحْمُود دَخْرُوج
الشَّهِير بـ: « نِـزَار المِصْرِى »
ـ عَفَا اللهُ عَنْهُ بِمَنِّهِ وكَرَمِـهِ ـ
مَدِينَةِ الرِّيَاض ؛ بِشَمَالِ الدِّيَارِ المِصْرِيَّة
وَكَانَ الفَرَاغ فِى ـ [23/ 11/2011م] ـ



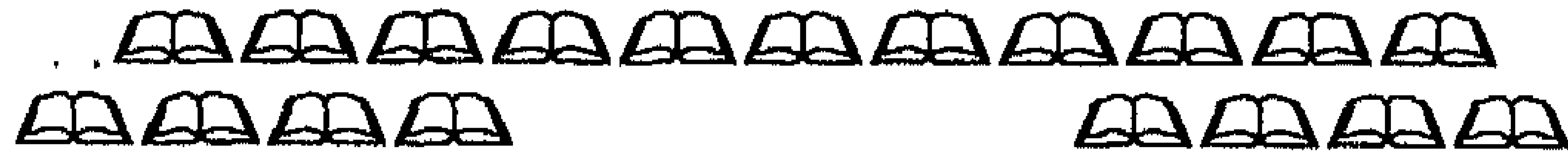
كَلِمَاتٌ فِى مَوْسِمِ الخَرِيف

الحَمَامَةُ اليَتِيمَة

ـ أَوَّلُ أُنْثَى عَلَى الأَرْضِ أَثَارَ جَمَالُهَا مَشَاعِرَ الفَتَى الصَّغِير !!.

ـ سَأَلْتُ عَمَّا أَحُسُّ بِهِ ؟!!... ؛ فَقِيل : هَذَا شَىْءٌ !! اسْمُهُ الحُب !!.

أُكَاتِمُ وَجْدِي وَمَا يَنْكَتِمْ
فَمَن لَو شَكَيْتُ إِلَيْهِ رَحِمْ.
وَإِنِّي عَلَى حُسْنِ ظَنِّي بِهِ
لأَحْذَرُ إِن بُحْتُ أَن يَحْتَشِمْ.
وَقَد عَلِمَ النَّاسُ أَنِّي لَهُ
مُحِبٌّ وَأَحْسَبُهُ قَد عَلِمْ.



ـ الرِّسَالَةُ الأُولَى

...

ـ [15/12/1997م]

...

أُخْبِرْتُ أَنَّكِ تُسْأَلِينَ دَوْماً عَن سَبَبِ سَيْرِي فِي ذَاتِ الطَّرِيقِ الَّتِي تَسِيرِينَ فِيهَا بُعَيْدَ خُرُوجِنَا مِن دُرُوسِنَا ؛ مَعَ أَنَّ لِي أَكْثَرَ مِن طَرِيقٍ يُؤَدِّي إِلَى بَيْتِي وَدَارِي؟!.

وَأَنَا أُجِيبُ مَعَ كَوْنِي لَسْتُ مُضْطَّراً إِلَى ذَلِك !!.

أنَا أعْشَقُ السَّيْرَ وَحْدِى ؛ هَذِهِ وَاحِدَة ؛ وَكَذَلِكَ فَأنَا مَا أحِبُّ السَّيْرَ مَعَ الرِّفَاقِ بَعْدَ انْتِهَائِنَا مِنَ الدَّرْسِ ؛ فَإنَّ أحَادِيثَهُم دَائِمَاً لا تَرُوقُنِى وَلا تَشْغَلُنِى... ؛ هَذِهِ الثَّانِيَة ؛ ثُمَّ... ؛ سَائِرُ الطُّرُقِ عَقِبَ خُرُوجِنَا ؛ مَا مِنْهَا مِن طَرِيقٍ إلاَّ وَبَعْضُهُم يَتَّخِذُهُ مَسْلَكَاً وَدَرْبَاً لَهُ ؛ فَمَا يَبْقَى لِى غَيْرَ هَذَا الطَّرِيق!!... ؛ وَمَن عَجَبٍ أنَّكِ تُحِبِّينَ السَّيْرَ وَحْدَكِ أيْضَاً ؛ فَمَا تَجِدِينَ غَيْرَ هَذَا الطَّرِيق!!.

هَذَا هُوَ كُلُّ مَا فِى المَسْألَة!!.

وَمَا أدْرِى؟!... ؛ لِمَا لا تَسْلُكِينَ غَيْرَهُ مَا دُمْتِ تَشْعُرِينَ بِضِيقٍ مِن كَلامِهِن؟!.

مَا كُنْتُ مُضْطَرَّاً لِكِتَابَةِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ ؛ وَلَكِنِّى أحْبَبْتُ أن أوضِّحَ أمْرَاً أبْهِمَ عَلَيْكِ ؛ وَجَهِلَهُ الرِّفَاق.

وَكَتَب

مَن لَم يَأتِ إلاَّ مِن أجْلِ العِلْم

-((مُحَمَّد مَحْمُود))-



ـ الرِّسَالَةُ الثَّانِيَة

ـ [4/1/ 1998م]

...

شُكْرَاً لأنَّكِ أثْنَيْتِ عَلَى شَخْصِى بِالجِدِّ وَالاجْتِهَادِ أَمَامَ أُسْتَاذِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وَأَمَامَ بَعْضِ مَن يَحْضُرُونَ مَعَنَا دُرُوسَهَا !!... ؛ وَإِن كُنْتُ لا أُنْكِرُ أنَّ الحَيَاءَ قَد غَلَبَنِى لِكَوْنِى كُنْتُ مُتَوَاجِداً بَيْنَ الرِّفَاقِ فِى حِينِهَا !!... ؛ بَل لَقَد كَانَ خَجَلِى عَظِيمَاً بَالِغَاً حِينَمَا شَهِدتِ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ الغَالِيَةِ وَأنْتِ تَنْظُرِينَ إِلَىَّ !!.

وَعُذْرَاً لأنِّى مَا شَكَرْتُكِ عَلَى ذَلِكَ فِى سَاعَتِهَا لأنَّنِى كُنْتُ عَاجِزَاً عَن الكَلام!!.

نَعَم ... ؛ فَلَقَد كَانَ مِنَ الغَرِيبِ حَقَّاً أنَّنِى مَا سَمِعْتُ صَوْتَكِ أبَدَاً ؛ وَلَمَّا أرَادَ القَدَرُ أن تَنْطِقِى فِى حُضُورِى ... ؛ جَاءَ كَلامُكِ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ ... ؛ فَأخَذَنِى مَا أَخَذَنِى ؛ وَغَرِقْتُ فِى صَمْتٍ حَائِرٍ... ؛ لا أعْرِفُ بِمَا أنْطِق !!... ؛ وَلا أدْرِى مَا أقُول.

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ ؛ فَشُكْرَاً عَلَى هَذِهِ الكَلِمَاتِ اللَّطِيفَة.

ـ((مُحَمَّد مَحْمُود))ـ



...

ـ ثُمَّ...؟!!.

وَهَكَذَا مَضَت الأَيَّامُ ... ؛ وَرَحَلَت الفَتَاةُ ... ؛ وَبَقِىَ حَدِيثُ حُبِّى لَهَا مَحْضُ مُدَاعَبَةٍ يُدَاعِبُنِى بِهَا بَعْضُ مَن يَعْرِفُونَ حَالِى مَعَ هَذِهِ الفَتَاة.

وَفِى عَامِ [1999م] تَزَوَّجَت هَذِهِ الفَتَاة ؛ وَكَانَت يَوْمَئِذٍ فِى السَّادِسَةِ عَشْرَةَ مِن عُمُرِهَا ؛ وَكَانَ زَوْجُهَا فِى حَوَالِى الثَّلاثِينَ ؛ وَأَذْكُرُ أَنَّنِى ذَهَبْتُ لِرُؤْيَتِهَا فِى يَوْمِ زِينَتِهَا ؛ وَوَقَفْتُ سَاعَةً ثُمَّ عُدتُ إِلَى بَلْدَتِى مَهْمُوماً حَزِيناً.

وَفِى أَوَاخِرِ عَامِ [2001م] ؛ جَاءَت الفَتَاةُ مِن قَرْيَتِهَا لِشِرَاءِ بَعْضِ حَاجِيَاتِهَا ؛ وَكَانَ مِن غَرَائِبِ الاتِّفَاق ... ؛ أَنَّهَا جَاءَت لِلشِّرَاءِ مِنَ امْرَأَةٍ كُنْتُ وَاقِفاً أُحَادِثُهَا فِى هَذِهِ السَّاعَة !!... ؛ وَقَد جَاءَت إِلَى المَوْضِعِ ؛ فَسَلَّمَت ؛ ثُمَّ أَخَذَت فِى شَأْنِهَا ؛ وَبَيْنَمَا كَانَت تَفْعَلُ ذَلِكَ سَأَلْتُهَا : أَأَنْجَبْتِى ؛ أَم لَيْسَ بَعْدُ؟ ... ؛ فَقَالَت : نَعَم ؛ قَدْ كَان ... ؛ ثُمَّ جَاءَت لِتَدْفَعَ ثَمَنَ مَا أَخَذَتْهُ ؛ فَأَلْحَحْتُ عَلَيْهَا فِى القِيَامِ بِهَذَا ؛ وَلَكِنَّهَا أَبَت بِلُغَتِهَا الهَادِئَةِ اللَّطِيفَةِ الوَدِيعَةِ ؛ ثُمَّ شَكَرَتْنِى وَانْصَرَفَت ... ؛ وَمَا كَانَ هُنَاكَ مَجَالٌ لأَىِّ حَدِيثٍ فِى مِثْلِ هَذَا المَوْقِفِ ؛ فَقَد جَاءَت مِن قَرْيَتِهَا بِصُحْبَةِ أُمِّ زَوْجِهَا ... ؛ وَأَذْكُرُ أَنَّ البَائِعَةَ كَانَت فِى دَهَشٍ لَطِيفٍ أَثْنَاءَ إِلْحَاحِى عَلَيْهَا فِى دَفْعِ النُّقُود !!... ؛ فَقَد كَانَت تَعْرِفُ

مَا كَانَ يِقَلْبِى لِهَذِهِ الفَتَاة ... ؛ وَانْصَرَفَت فِى النِّهَايَةِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهَا وَهِىَ مُوَلِّيَةٌ وَعَلَى وَجْهِى آثَارُ تَذَكُّرٍ بَاسِمٍ !!.

وَفِى عَام [2007م] وَبَيْنَمَا كُنْتُ ذَاهِبًا لِزِيَارَةِ أَحَدِ أَصْحَابِنَا فِى بَلْدَةٍ مُجَاوِرَةٍ لَنَا - وَهِىَ مَوْطِنُ هَذِهِ الفَتَاة - ؛ فَإِذَا بِى أَرَاهَا - أَطَالَ اللهُ أَيَّامَ دَهْرِهَا - وَاقِفَةً عِنْدَ امْرَأَةٍ تَشْتَرِى ذَاتَ الشَّىْءِ الَّذِى قَدِمَت لِشِرَاءِهِ مِن عِنْدِنَا مُنْذُ سَنَوَات !! - وَهَذَا أَيْضًا مِن غَرَائِبِ الاتِّفَاق!! - ... ؛ وَعَلِمَ اللهُ مَا تَعَمَّدتُ!!... ؛ وَلَكِنِّى عَرَّجْتُ عَلَى هَذِهِ المَرْأَةِ لِشِرَاءِ شَىْءٍ لا أَذْكُرُهُ الآن ... ؛ فَلَمَّا أَلْقَيْتُ السَّلام ؛ رَحَّبَت الفَتَاةُ تَرْحِيبًا بَالِغًا ؛ وَقَالَت لِلْمَرْأَةِ بِنَبْرَتِهَا الطَّيِّبَةِ الحَانِيَة : أَمَا تَعْرِفِينَ هَذَا؟!... ؛ إِنَّهُ ابْنُ عَمَّتِى فُلانَة ؟! - وَكَانَت أُمِّى رَحِمَهَا اللهُ وَطَيَّبَ ثَرَاهَا قَدْ أَخْبَرَتْنِى بِهَذِهِ الصِّلَةِ ؛ وَذَلِكَ بَعْدَ أَن قَامَ صَاحِبِى « عَبْدُالله إِبْرَاهِيم عَدَوى » بِإِشَاعَةِ خَبَرِ حُبِّى لِهَذِهِ الفَتَاةِ وَفَضِيحَتِى عَلَى الوَجْهِ الَّذِى لَيْسَ وَرَاءَهُ مِن سَبِيل !!.

أَقُول : وَلَمَّا ابْتَغتُ مَا أُرِيد ـ أى شَرِيتُهُ ـ ؛ أَلَحَّت الفَتَاةُ مِن أَجْلِ إِعْرَاضِى عَن إِعْطَاءِ المَرْأَةِ مَالَهَا ... ؛ وَمَا أَشْبَهَ اليَوْمَ بِالبَارِحَة !! ـ وَهَذَا أَيْضاً كَانَ مِن غَيْرِمَا تَذَكُّرٍ مِنْهَا لِلْمَوْقِفِ الَّذِى ذَكَرْتُهُ قَبْلُ ؛ وَهَذَا أَيْضاً مِن غَرَائِبِ الاتِّفَاق!!...(1).

(1) - أَقُول : ذِكْرُ بَعْضِ الأَسْمَاءِ الَّتِى لا يَعْرِفُهَا القُرَّاء ؛ وَلا يَعْرِفُهَا سِوَى الكَاتِب ؛ قَد تُسْتَنْكَرُ عِنْدَ بَعْضِ النَّاس ؛ وَلَكِنِّى أُنَبِّهُ عَلَى أَنَّ هَذَا الأَمْرَ لا يَصْنَعُهُ الكَاتِبُ إِلاَّ لِسَبَبٍ مِنَ اثْنَيْن :

الأَوَّلُ : أَنَّ هَذِهِ الأَسْمَاء ؛ هِيَ لِوجُوهٍ ظَهَرَت فِى حَيَاةِ الكَاتِب ؛ وَشَغَلَت زَمَنَاً مِن تَارِيخِهِ ؛ فَإِذَا ذُكِرَ ذَلِكَ فِى أَعْمَالِ التَّرْجَمَةِ الذَّاتِيَةِ كَكِتَابِنَا هَذَا ؛ فَلا بَأْسَ مِن ذَلِك.

الثَّانِى : أَنَّهُ مِن بَابَةِ تَأْلِيفِ القُلُوب ؛ وَقَد فَعَلَ هَذَا غَيْرُ وَاحِدٍ ؛ وَلَقَد تَأَمَّلْتُ هَذِهِ المَسْأَلَة ؛ فَوَجَدتُ أَنَّ النَّاسَ تَسْتَنْكِرُ ذَلِكَ مِنَ المغْمُورِ الخَامِل ؛ وَأَمَّا إِذَا مَا أَتَى هَذَا مِنَ المَشْهُورِ النَّابِهِ فَلا غَضَاضَةَ وَلا ضَيْر؟!!.

عَلَى أَنِّى مَا أَذْكُرُ ((عبدالله إبراهيم عدوى)) ؛ إِلاَّ وَأَضْحَك !!... ؛ فَهُوَ أَحَدُ العُزَّابِ الثَّلاثَةِ الَّذِينَ يَقِفُونَ عَلَى أَعْتَابِ الثَّلاثِين بِهَذِهِ البَلْدَةِ ؛ فَهُوَ يَقْطُنُ أَوَّلِهَا ؛ وَصَاحِبُنَا ((صَبْرِى صَلاح جاب الله)) يَسْكُنُ فِى آخِرِهَا ؛ وَمُحَمَّد مَحْمُود دَحْرُوج يُقِيمُ فِى الحَارَةِ العَتِيقَةِ فِى وَسَطِ البَلْدَة ؛ وَلَقَد صَدَقْتُ حِينَ قُلْتُ يَوْمَاً : ((لِكُلِّ أُضْحُوكَةٍ سِر.)).

حَنَـان ...!!

وَجْـهٌ !!... ؛ سَيَسْكُـنُ بِقَلْبِى حَتَّـى النِّهَـايَـة !!.
وَصَـوْتٌ!!... ؛ سَيَعِيشُ صَـدَاهُ بِـدَرْبِ رِحْلَتِى
إِلَى يَـوْمِ خَاتِمَتِى!!.
ذَكَـرْتُـكِ بَيْنَ ثَنَايَا السُّطُورِ
وَأَضْـمَرْتُ قَلْبِى بَيْنَ الكَلِـمْ.
وَلَسْتُ أَبُـوحُ بِـمَا قَـد كَتَمْـتُ
وَلَوْ حَزَّ فِى النَّفْسِ حَـدُّ الأَلَمْ.
تُمَزِّقُنِى مَا حَيِيتُ المُنَى .....
..... ؛ فَأَرْقَعُ مَا مَزَّقَت بِالظُّلَمْ.
فَكَم كَتَمَ اللَّيْلُ مِن سِرِّنَـا ... ؛
وَفِى اللَّيْلِ أَسْـرَارُ مَـن قَـد كَتَمْ.
تَشَابَهَ فِى كَتْمِ مَا نَسْتَسِرُّ .... ؛
سَـوَادُ الـدُّجَى ؛ وَسَـوَادُ القَلَـمْ.(1).

(1) ـ مِن رَوَائِعِ العَلاَّمَةِ الأَدِيبِ مَحْمُود مُحَمَّد شَاكِر ـ رَحِمَهُ الله ـ .

ـ الرِّسَالَةُ الأُولَى

[التَّاسِعُ عَشَر مِن فِبْرَاير 2000م]

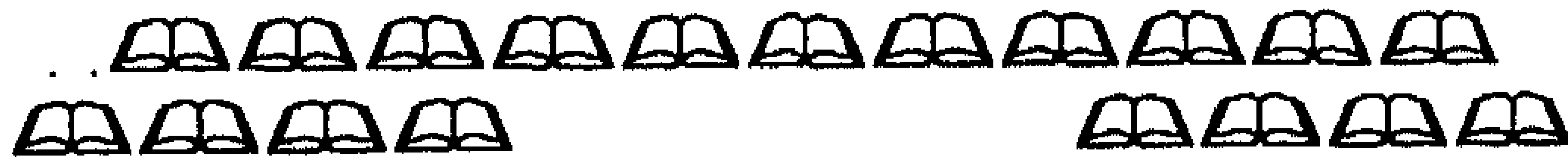
...

شَىْءٌ غَرِيبٌ حَقّاً !!... ؛ نَعَم ؛ ... ؛ شَىْءٌ غَرِيبٌ حَقّاً أن تَكُونَ بَيْنَنَا هَذِهِ الصِّلَةُ القَوِيَّةُ ؛ وَيَعْرِفُهَا الجَمِيعُ مِن أَبْنَاءِ أَبِى وَأُمِّى ؛ ثُمَّ أَبْقَى أَنَا جَاهِلٌ بِهَا طُوَالَ هَذَا الزَّمَن !!.

وَمَهْمَا يَكُن مِن أَمْرٍ ؛ فَإِنَّ سَعَادَتِى تَكَادُ أن تُعَانِقَ نُجُومَ السَّمَاء !!... ؛ وَمَا فِى هَذَا مِن عَجَبٍ ؛ فَإِنَّ الجَمَالَ وَالأَدَبَ وَالعَقْل ؛ كُلُّ هَذَا إِذَا اجْتَمَعَ فِى فَتَاةٍ ؛ ثُمَّ كَانَت تَرْبِطُنِى بِهَذِهِ الفَتَاةِ وَشِيجَةُ القَرَابَة ؛ ثُمَّ كَانَت هِىَ نَفْسُهَا تُحِبُّ صَدَاقَتِى وَمُؤَاخَاتِى ... ؛ فَتِلْكَ لَعَمْرِى هِىَ الصَّدَاقَةُ الَّتِى لا يُعْبَأُ عِنْدَ وُجُودِهَا بِصَدَاقَةِ المُلُوكِ وَسَلاطِينِ الأَرْض.

أَنَا أَعْلَمُ يَقِيناً أَنَّنِى سَعِيدٌ بِهَذِهِ المَودَّةِ وبِتِلْكَ الصَّدَاقَة ... ؛ وَأَسْأَلُ اللهَ أن يُرِيَكِ مِنِّى مَا يَجْعَلُكِ فِى اعْتِزَازٍ دَائِمٍ بِمَا بَيْنَنَا.

نِزَار المِصْرِى



ـ الرِّسَالَةُ الثَّانِيَة

[العَاشِرُ مِن إِبْرِيل 2000م]

...

صَدِيقَتِي الغَالِية :

لا أَسْتَطِيعُ أن أَصِفَ لَكِ عِظَمَ سَعَادَتِي بِتِلْكَ السُّوَيْعَةِ الَّتِي قَضَيْنَاهَا مَعَاً وَنَحْنُ نَسِيرُ فِي طُرُقَاتِ البَلْدَةِ وَدُرُوبِهَا !!... ؛ كُنْتُ أَسْمَعُ بَعْضَهُم يَقُولُ أَنَّ عُمْرَ الإِنْسَانِ وَزَمَنَهُ وَتَارِيخَهُ لَيْسَ هُوَ مَحْضُ تِلْكَ الأَيَّامِ وَالشُّهُورِ وَالسَّنَوَاتِ الَّتِي يَقْضِيهَا عَلَى هَذِهِ الأَرْض ؛ وَإِنَّمَا عُمْرُهُ الحَقِيقِيُّ هُوَ تِلْكَ اللَّحظَاتِ الَّتِي يَعِيشُهَا وَيَحْيَاهَا بَيْنَ جَنَبَاتِ أَوْدِيَةِ السَّعَادَةِ وَسُرُورِ الرُّوحِ وَالنَّفْس.

كُنْتُ أَسْمَعُ هَذِهِ المَقُولَة ؛ فَتَمرُّ مِن غَيْرِ مَا تَأَمُّلٍ أو نَظَر... ؛ وَأَمَّا اليَوْم !! ... ؛ فَقَد تَأَكَّدَت عِنْدِي حَقِيقَتُهَا ؛ وَعَلِمْتُ أَنَّهَا مِن كَلِمَاتِ الحُكَمَاء ؛ وَمِن حِكَمِ أَهْلِ العَقْلِ وَالفَهْمِ وَالتَّجَارِيب.

أَتَمَنَّى أن يَعَودَ هَذَا اليَوْم... ؛ وَإِن لَم يَكُن مَوْعِدٌ ؛ فَإِنَّ المُصَادَفَةَ القَدَرِيَّةَ أَحْلَى وَأَجْمَل.

فَإِلَى مِثْلِ هَذَا اليَوْم.

نِزَار المِصْرِي



- الرِّسَالَةُ الثَّالِثَة

[أُكْتُوبَر ؛ مِن عَام 2000م]

...

عُـذْراً !!... ؛ عُـذْراً لأنِّـى عَجَـزْتُ عَـنِ الإِتْيَـانِ وَالمَجَـىءِ لِلتَّهْنِئَـةِ فِـى يَـوْمِ خِطْبَتِك!!... ؛ شَغَلَتْنِى شَوَاغِل ؛ وَحَالَت دُونَ ذَلِكَ أُمُور.

أَخْبَرُونِى أَنَّكِ كُنْتِ تَشْعُرِينَ بِالسَّعَادَةِ الغَامِرَة !!... ؛ فَمُبَارَكَةٌ الخِطْبَةُ ؛ وَهَنِيئاً لَكِ يَا صَدِيقَتِى الحَبِيبَة.

أَتَمَنَّى لَكِ دَوَامَ مَا تُحِبِّين.

نِـزَار المِصْـرِى



ـ الرِّسَالَةُ الرَّابِعَة

[2000/12/5م]

...

وَصَلَتْنِى رِسَالَتُك... ؛ وَقَد سَعُدتُ كَثِيراً بِسُؤالَكِ عَن حَالِى ؟ ؛ وَكَيْفَ أنَا؟ ؛ وَلِمَاذَا لَم آتِ لِزِيَارَتِكُم؟.

وَأَقُول :

أَنَا بِخَيْرٍ ؛ وَحَيَاتِى تَمْضِى كَمَا أُرِيد ؛ وَمَا أَشْكُو مِن عَارِضٍ أو طَارِىءٍ.

وَأَمَا عَن زِيَارَتِكُم !!... ؛ فَأَنَا أَرْجُو ذَلِك ؛ وَلَكِنِّى مُكِبٌّ دَائِمَاً وَأَبَداً عَلَى كُتُبِى وَأَوْرَاقِى ؛ فَدِرَاسَتِى هِىَ أَهَمُّ مَا فِى حَيَاتِى ؛ وَأَنَا لا أُحِبُّ أن أَخْذُلَ أَبِى الَّذِى لا يَمَلُّ وَلا يَكَلُّ مِن مُحَادَثَتِى عَن أَمَلِهِ الَّذِى يُنِيطُهُ بِى.

هَذَا هُوَ كُلُّ مَا فِى الأَمْر... ؛ وَالسَّلام.

نِـزَار المِصْـرِى



ـ الرِّسَالَةُ الخَامِسَة

[مُنْتَصَف يَنَاير ؛ مِن عَام 2001م]

...

قَدْ كُنْتُ أشْعُرُ مِن أوَّلِ الأمْرِ أنَّ هُنَاكَ ثَمَّةُ خَطَأ !!... ؛ وَلَكِن !!... ؛ وَلَكِن مَا كَانَ لِى أبَدَاً أن أصَرِّحَ بِشَىْءٍ مِن ذَلِكَ الَّذِى أحُسُّ بِهِ ؛ ثُمَّ ؟!!... ؛ ثُمَّ هَا أنْتِ تَعُودِينَ فِى آخِرِ الأمْرِ لِتُخبِرِى أبِى بِأنَّكِ تَشْعُرِينَ بِالتَّعَاسَةِ وَالحَسْرَة !!. عَلَى كُلِّ حَال ؛ لَقَد عَرِفْتِ صَوَابَكِ مِن خَطَأك ؛ وَمَا عَلَيْنَا إِذَا غَفَرْنَا ذُنُوبَ مَن آمَنَ بَعْدَ كُفْرٍ.

صَدِيقَتِى الغَالِية !... ؛ ذَهَبَت الخِطْبَةُ تُطَارِدُهَا اللَّعَنَات... ؛ نَعَم... ؛ وَلَكِن قَد عَادَت الحَيَاةُ مِن جَدِيدٍ ؛ لِتَخْطُبَ وُدَّكِ بِأعْذَبِ الكَلِمَات ... ؛ وَبِأجْمَلِ البَسَمَات.

المُخْلِص

نِزَار المِصْرِى



ـ الرِّسَالَةُ السَّادِسَة

[مُنْتَصَف شَهْرِ مَارِس ؛ 2001م]

...

سَأَلْتِ يَا صَدِيقَتِي الغَالِيَةُ عَن مَعْنَى الحُبِّ وَالهَوَى ؟ ؛ وَعَن كُنْهِ العِشْقِ وَمَاهِيَّتِهِ؟.

وَمَعَ كَوْنِي لَسْتُ مِن أَصْحَابِ التَّجَارِبِ فِي هَذَا المَيْدَان ؛ إِلاَّ أَنَّنِي أَسْتَطِيعُ أن أَقُول :

الحُبُّ لا تُحِيطُ بِهِ التَّعَارِيفُ وَلا يُدْرِكُهُ أَو يَنَالُهُ تَشْبِيهٌ أَو وَصْف ؛ إِلاَّ أَنَّهُ عِنْدِي حَالَةٌ مِن حَالاتِ السُّرُورِ المَمْزُوجِ بِالخَشْيَةِ وَالخَوْف!!.

وَيَقِينِي الَّذِي لا يُخَالِجُهُ وَلا يَنْتَابُهُ شَكٌّ ؛ أَنَّ الحُبَّ قَرِينُ الجُنُون !! ... ؛ قَلْبٌ لا يَهْدَأُ ؛ وَنَفْسٌ لا تَعْرِفُ السُّكُون ؛ وَعَقْلٌ كَالَّذِي تَتَخَبَّطُهُ الشَّيَاطِينُ مِن المَس ؛ وَدَمٌ يَغْلِي كَمَا يَغْلِي المِرْجَلُ ؛ وَعُيُونٌ كَأَنَّهَا الجَمْر!!... ؛ كُلُّ هَذَا وَالحَالُ قَائِمَة ؛ وَالأَمْرُ مَا بِهِ مِن سُوء ؛ وَسَمَاءُ العِشْقِ لا تُخَالِطُهَا غُيُوم... ؛ فَكَيْفَ إِذَا مَا هَجَمَت رِيَاحُ الحُزْنِ وَأَعَاصِيرُ الهُمُوم؟!!.

اعْلَمِي يَا صَدِيقَتِي الغَالِيَة !! ... ؛ أَنَّ الحُبَّ كَأْسٌ مُلِئَت بِالمَرَارَةِ وَالنَّكَد ؛ وَرِحْلَةٌ مَا بِهَا سِوَى طُولِ الحَسَرَاتِ وَالكَمَد !!.

...

مَن كَانَ لَم يَدْرِ مَا حُبٌّ وَصَفْتُ لَهُ

إِن كَانَ فِي غَفْلَةٍ ؛ أَو كَانَ لَم يَجِدِ.

الحُبُّ أَوَّلُهُ عَذْبٌ ؛ وَآخِرُهُ......

. ؛ مِثْلُ الحَزَازَةِ بَيْنَ القَلْبِ وَالكَبِدِ.

...

وَاعْلَمِي أَنَّ الهَوَى عِنْدَهُم هُوَ الهَوانُ الصُّرَاح ؛ وَالبَلاءُ المُتَاح ؛ لأَنَّهُ يُهِينُ الكَرِيم ؛ وَيُذِلُّ العَزِيز ؛ وَيُدَلِّهُ العَاقِل ؛ وَيَحُطُّ مَنْزِلَةَ الشَّرِيف.

...

سُئِلَت أَعْرَابِيَّةٌ عَن الهَوَى ؛ فَقَالَت : الهَوَى هُوَ الهَوَانُ ؛ وَإِنَّمَا غُلِطَ بِاسْمِهِ ؛ وَاشْتُقَّ مِن طَبْعِهِ ؛ وَلَن يَعْرِفَ مَا أَقُول ؛ إِلاَّ مَن أَبْكَتْهُ المَنَازِلُ وَالطُّلُول.

وَأَنْشَأَت تَقُول :

لَيْتَ الهَوَى لِذَوِي الهَوَى لَم يُخْلَقِ

... ؛ بَلْ لَيْتَ قَلْبِي بِالهَوَى لَم يَعْلَقِ.

إِنَّ الَّذِي عَلِقَ الهَوَى بِفُؤَادِهِ.....

...... ؛ كَمُنَوَّطٍ دُونَ السَّمَاءِ مُعَلَّقِ.

لا يَسْتَطِيعُ نُزُولَهُ لِشَقَائِهِ.......

.... ؛ لَكِن إِلَيْهِ كُلُّ هَمٍّ يَرْتَقِي.

إِنَّ الهَوَى لَهُوَ الهَوَانُ بِعَيْنِهِ.....

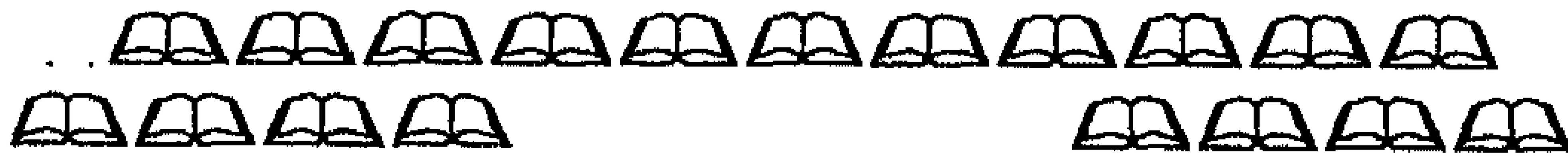
.. ؛مَا ذَاقَ طَعْمَ الذُّلِّ مَن لَم يَعْشَقِ.

...

وكَتَب

المُخْلِصُ لِهَذِهِ المَوَدَّةِ مَا طَالَت أَيَّامُ دَهْرِهِ

نِـزَار المِصْـرِى



ـ الرِّسَالَةُ السَّابِعَة

[الرَّابِعُ مِن شَهْرِ أُغسْطُس ؛ 2001م]

...

وَكُنْتُ أَرَى مِن وَجْهِ مَيَّةَ لمحَةً

. ؛ فَأُبرِقُ مَغْشِياً عَلَيَّ مَكَانِيَا.

وَأَسْمَعُ مِنْهَا لَفْظَةً فَكَأَنَّمَا .. ؛

يُصِيبُ بِهَا سَهْمٌ طَرِيقَ فُؤَادِيَا.

صَدِيقَتِي الغَالِيَة !!... ؛ إِنَّ المَرْءَ مِنَّا إِذَا عَشِقَ ؛ ثُمَّ تَأَمَّلَ ؛ فَعَلِمَ أَنَّهُ مِنَ المُحَالِ أن يُكْتَبَ لِعِشْقِهِ الحَيَاة ؛ أَجْبَرَ نَفْسَهُ عَلَى الصَّمْتِ وَكِتْمَانِ مَا يُعَانِي ؛ وَقَنِعَ بِالنَّظَرِ وَعَذْبِ الحَدِيث ؛ تَاللهِ مَا أَغْرَبَ الحُبَّ وَالهَوَى !!... ؛ يَجْعَلُ الحُرَّ أَسِيراً ؛ وَالبَلِيغَ عَيِيّاً ؛ وَالجَرِيءَ خَوَّاراً ضَعِيفاً... ؛ فَحَقّاً مَا أَغْرَبَهُ وَأَصْعَبَه!!.

أَحْبَبْتُ فَتَاةً مَا بَيْنِي وَبَيْنَهَا مِن تَكَلُّفٍ ؛ وَلَكِنِّي أَخْشَى مِن مَوْقِفٍ مَا أَحْمِلُ مِن وَرَاءِهِ غَيْرَ الخَجَلِ وَالحِيرَةِ وَالحَسْرَة !!.

أَحْبَبْتُ فَتَاةً يَعْشَقُهَا بَعْضُ أَهْلِي وَبَعْضُ قَرَابَتِي!!... ؛ وَهُم جَمِيعاً لَو أَرَادُوا الزَّوَاجَ فِي الصَّبَاحِ لَمَا مَنَعَهُم أَحَد ؛ أَمَّا أَنَا فَمَحْضُ طُوَيْلِبٍ يُعِدُّهُ وَالِدُهُ لِلْجَامِعَة ؛ مَا مِن خُصُومِي أَحَدٌ إِلاَّ وَهُوَ يَكْبُرُنِي بِمَا يُعَادِلُ نِصْفَ عُمُرِي!!

... ؛ فَلِهَذَا نَبَذْتُ الإِقْدَام... ؛ وَلُذْتُ بِالإِحْجَام!!... ؛ فَلِهَذَا أَعْرَضْتُ عَن البَوْح... ؛ وَصِرْتُ أَتَعَزَّى بِصَوْتِ كُلِّ طَائِرٍ فَقَدَ أَلِيفَهُ فَهُوَ يَنْدُبُهُ بِالبُكَاءِ وَالنَّوْح!!... ؛ عَقْلِي يُنَادِينِي تَصَبَّر وَعَمَّا قَرِيبٍ سَتُعْلِنُ أن قَد سَلَوْت ... ؛ وَقَلْبِي يَضْطَرِبُ بَيْنَ جَوَانِحِي وَيَصْرُخُ بَل هُوَ المَوْت !!.

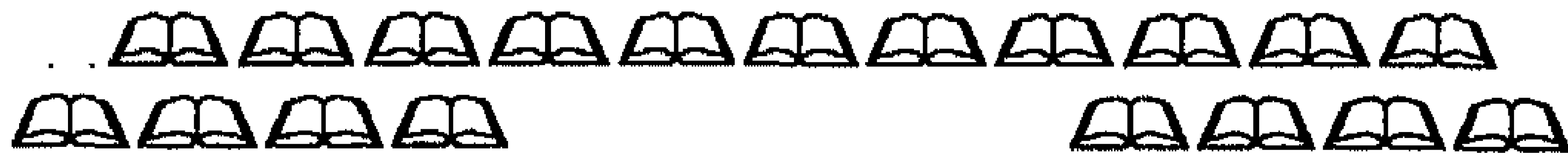
صَدِيقَتِي!!... ؛ هَذِهِ هِيَ مَشَاعِرِي نَحْوَ تِلْكَ الَّتِي أَهْوَاهَا!!!... ؛ خَصَصْتُكِ بِهَذِهِ الكَلِمَات ؛ لأَنَّكِ وَحْدَكِ مَن تَقْدِرُ عَلَى فَهْمِهَا ؛ وَمَا هُوَ المُرَادُ مِن وَرَاءِهَا !! .

وَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُول ؟!!.

وكَتَب

المُخْلِصُ لِهَذِهِ المَوَدَّةِ حَتَّى نِهَايَةِ عُمُرِه

نِـزَار المِصْـرِى



ـ الرِّسَالَةُ الثَّامِنَة

[الأَوَّلُ مِن شَهْرِ يَنَاير ؛ مِن عَام2001م]

...

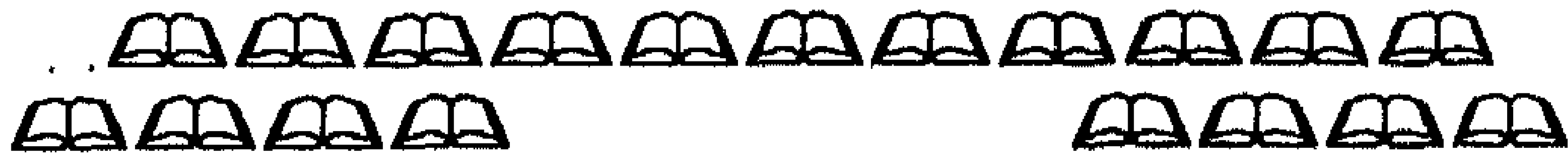
مَا كَانَ عَبَثَاً يَا صَدِيقَتِي الغَالِية ؛ وَلَسْتُ أَنَا مِن أَرْبَابِهِ !!... ؛ لَقَد كَانَت هَـذِهِ اللَّحَظَـاتِ الجَمِيلَـةِ بِتِلْـكَ اللَّيْلَـةِ الخَرِيفِيَّـةِ السَّـاحِرَةِ هِـيَ الَّتِـي دَفَعَتْنِـي إِلَى اخْتِلاسِ تِلْكَ القُبْلَةِ الصَّافِيَةِ البَرِيئَةِ... ؛ مَا زِلْتُ أَذْكُرُ تَعَجُّبَكِ الوَدِيعِ البَاسِمِ !!.

إِنَّ أَنْفَاسَكِ مَا تَـزَالُ تَجْرِي فِي دَمِي ؛ وَرِيقُكِ العَـذْبُ هَاهُنَـا فِي جَسَـدِي وَكِيَانِي !!.

عَجَزَت رَسَائِلِي عَن إِبْلاغِ مَسْأَلَتِي ؛ فَأَرَدْتُ مِن غَيْرِمَا وَعْيٍ أَن تَخْرُجَ قَضِيَّتِي مِن عَالَمِ المَشَاعِرِ لِتَتَجَسَّد فِي عَالَمِ الوَاقِعِ وَالحَقِيقَة.

لِهَذَا الَّذِي صَنَعْتُهُ دِلالَةٌ ؛ وَأَيَّاً كَانَ الأَثَر ؛ فَتِلْكَ لَعَمْرِي هِـيَ الـذِّكْرَى الَّتِـي سَتَبْقَى إِلَى الأَبَـد.

نِـزَار المِصْـرِي



ـ الرِّسَالَةُ التَّاسِعَة

[السَابِعُ مِن فِبْرَاير ؛ عَام2001م]

...

عَرِفْتُ بِهَا الأَشْجَانَ وَهِيَ خَلِيَّةٌ
مِنَ الحُبِّ لا وَصْلٌ لَدَيْهَا وَلا هَجْرُ.
أَرَاهَا فَأَطْوِى لِلنَّصِيحِ عَدَاوَةً . ؛
وَأَحْمَدُ عُقْبَى مَا جَنَى النَّظَرُ الشَّزْرُ.
شَكَوْتُ فَقَالُوا ضِقْتَ ذَرْعَاً بِحُبِّهَا !!
مَتَى تُمْلَكُ الشَّكْوَى إِذَا غُلِبَ الصَّبْرُ. ؟!.

...

وَصَلَتْنِى رِسَالَتُك !!... ؛ وَقَد فَهِمْتُ مُحْتَوَاهَا !!... ؛ نَعَم !!... ؛ نَعَم قَد جِئْتُ مُتَأَخِّرَاً !!... ؛ وَكَذَلِكَ فَلَو جِئْتُ مُبَادِرَاً ؛ لَكَانَ الأَمْرُ أَيْضَاً جِدُّ عَسِير !!.

سَأَكُونُ غَدَاً فِى حَفْلِ عُرْسُكِ بِلا رَيْب.

نِزَار المِصْرِى



ـ الرِّسَالَةُ العَاشِرَة

[مُنْتَصَف مَارِس ؛ عَام 2001م]

...

إِنَّ الَّذِينَ بِخَيْرٍ كُنْتَ تَذْكُرُهُم
هُم أَهْلَكُوكَ وَعَنْهُم كُنْتُ أَنْهَاكَا.
لا تَطْلُبَنَّ حَيَاةً عِنْدَ غَيْرِهُمُ ...
... ؛ فَلَيْسَ يُحْيِيكَ إِلاَّ مَن تَوَفَّاكَا.

...

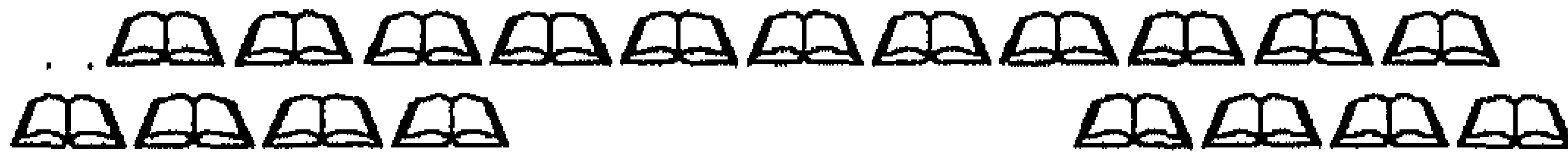
مَا زِلْتُ أَذْكُرُ هَذَا اليَوْم !!... ؛ يَوْمَ أَن رَحَلَت عُيُونُهَا !!... ؛ أَرَادَت أَن تَبْتَسِم !!... ؛ فَكَانَ تُعْسِى !!... ؛ أَرَادَت أَن تَحْيَا !!... ؛ فَكَانَ مَوْتِى!! ... ؛ ذَهَبَت لِلنَّعِيمِ وَالرَّخَاء !!... ؛ وَبَقِيتُ وَحْدِى أَجُولُ فِى مَدِينَةِ المَوَاجِع وَالشَّقَاء !!.

مَا زِلْتُ أَذْكُرُ تِلْكَ الدَّمْعَةِ الَّتِى جَادَت بِهَا عُيُونُهَا يَوْمَ وَدَاعِهَا !!... ؛ مَا زِلْتُ أَذْكُرُهَا !!.

وَمَا ذَرِفَت عَيْنَاكِ إِلاَّ لِتَضْرِبِى
بِسَهْمَيْكِ فِى أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ !!.

سَامَحَ اللهُ هَذَا القَلْب !!... ؛ غَفَرَ اللهُ لِمَن حَبَّبَ إِلَيَّ المَنِيَّةَ بَعْدَ أن ضَاعَت الأُمْنِيَة ! ... ؛ لَكِ السَّعَادَةُ يَا مَن أدْمَيْتِ الرُّوحَ وَالفُؤاد !!.

عَفَا اللهُ عَن لَيْلَى وَإِن سَفَكَت دَمِي
فَإِنِّي وَإِن لَم تُجْزِنِي غَيْرُ عَاتِبِ.
.... ؛ عَلَيْهَا وَلا مُبْدٍ لِلَيْلَى شِكَايَةً
وَقَد يُشْتَكَى المُشْكِي إلى كُلِّ صَاحِبِ.
يَقُولُونَ تُبْ عَن حُبِّ لَيْلَى وَذِكْرِهَا
وَمَا خِلْتُنِي عَن حُبِّ لَيْلَى بِتَائِبِ.



ـ كَلِمَةٌ إِلَيْهَا !!... ؛بَعْدَ أَكْثَرِ مِن عَشْرِ سَنَوَات !!.

[19/ 11/ 2011م]

...

لاَ أدْرِى لِمَا تَذَكَّرْتُكِ فِى هَذِهِ السَّاعَة ؟! ... ؛لَعَلَّ السَّبَبَ فِى ذَلِكَ هُوَ أَنَّنِى أَجْلِسُ فِى ذَاتِ المَكَانِ الَّذِى كُنْتُ أَجْلِسُ فِيهِ مُنْذُ عَشْرِ سَنَوَات !! ؛يَوْمَ أن كُنْتُ فِى التَّاسِعَةِ عَشْرَةَ مِن عُمْرِى ؛ وَكُنْتِ أَنْتِ فِى السَّابِعَةِ عَشْرَة !!.

مَازِلْتُ أذْكُرُ هَذَا اليَوْم !! ؛كَانَ يَوْمَ عُرْسِ أخِى ؛ وَكَانَ الجَمِيعُ يَعْمَلُونَ مَا يَسْتَوْجِبُهُ هَذَا اليَوْم ؛ بَيْنَمَا قَضَيْتُ أنَا هَذِهِ السَّاعَات؟! ... ؛ وَأنَا أتَأمَّلُ وَجْهَكِ البَرِىءِ الوَضَّاء!!.

يَا لَهُ مِن يَوْم !! ؛مَا كَانَ أحْلاهُ وَمَا أحْلاكِ !! ... ؛لَقَدْ كُنْتُ أنْظُرُ إِلَى عُيُونَكِ فَأشْعُرُ وَكَأنَّنِى تَائِهٌ... ؛ وَلَكِنِّى تَائِهٌ فِى عَالَمٍ عَذْبٍ جَمِيل!!.

كُنْتُ أُجْبَرُ فِى بَعْضِ الأحَايِينِ عَلَى النَّظَرِ بَعِيدَاً ؛ أو عَلَى الإِغْضَاءِ وَالإِطْرَاق !!... ؛ نَعَم ... ؛ فَلَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى عَلَى بَصَرِى كُلَّمَا نَظَرْتُ إِلَى ذَلِكَ النُّورِ الَّذِى يَصْدُرُ مِن ذَلِكَ الوَجْهِ وَمِن تِلْكَ العُيُونِ الَّتِى لَن أنْسَاهَا أَبَدَاً !!.

مَا كَانَ أَعْذَبَهُ مِن حَدِيث !! ؛ وَمَا كَانَ أَجْمَلَهُ مِن كَلام !! ؛ حَتَّى مِزَاحنَا !! ؛ مَا كَانَ يُشبَّهُ إلاَّ بِمِزَاحِ المَلائِكَةِ لَوْ كَانَت المَلائِكَةُ تَمْزَحُ!!.

...

مَا زِلتُ أَذْكُرُ هَذَا العَهْدَ الَّذِى مَضَى!! ؛ وَلَكِن؟! ؛ وَلَكِن مَا عَسَى أن يَصْنَعَ التَّذَكُّرُ؟!.

كُلُّ شَىءٍ لا يُفِيد !! ... ؛ كُلُّ أَمْرٍ لا يُجْدِى !! ... ؛ قَد مَضَى ذَلِكَ الَّذِى كَان !! ... ؛ وَالمَاضِى؟!... ؛ مِن المُحَالِ أَن يَعُود.

...

مَا تَنْقَضِى حَسْرَةٌ مِنِّى وَلا جَزَعُ !!
... ؛ إِذَا ذَكَرْتُ شَبَاباً لَيْسَ يَرْتَجِعُ.
مَا كُنْتُ أُوفِى شَبَابِى كُنْهَ غِرَّتِهِ
حَتَّى انْقَضَى ... ؛ فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ.
إِن كُنْتِ لَم تَطْعَمِى ثُكْلَ الشَّبَابِ وَلَم
تَشْجِى بِغُصَّتِهِ ... ؛ فَالعُذْرُ لا يَقَعُ.
أَبْكِى شَبَاباً سُلِبْنَاهُ وَكَانَ .... ؛ وَلاَ
تَفِى بِقِيمَتِهِ الدُّنْيَا !! ؛ وَمَا تَسَعُ !!.

...

إِلَى حَنَان !!

إِلَى تِلْكَ الذِّكْرَى الَّتِى كَانَت !!

مُحَمَّد مَحْمُود



ـ أَطْلالٌ !!... وَذِكْرَى !!

[الخَامِس عَشَر مِن دِيسَمبر؛

عَام2011م]

...

لِمَنْ دَارٌ... ؛ وَرَبْعٌ قَد تَعَفَّى

بِنَهْرِ الكَرْخِ مَهْجُورُ النَّوَاحِى؟! .

إِذَا مَا القَطْرُ حَلاَّهُ تَلاقَت

عَلَى أَطْلالِهِ أَيْدِى الرِّيَاحِ.

مَحَاهُ كُلُّ هَطَّالٍ مُلِحٍّ .....

؛ بِوَبْلٍ مِثْلِ أَفْوَاهِ الجِرَاحِ.

فَبَاتَ بِلَيْلٍ بَاكِيَةٍ ثَكُولٍ ؛

ضَرِيرِ النَّجْمِ مُتَّهَمِ الصَّبَاحِ !!.

...

مَاذَا أَقُول !!... ؛لَسْتُ أَدْرِى مَا أَقُول !؟.

آسِفٌ جِداً !! آسِفٌ جِداً أَيُّهَا العُمْرُ الذَّابِل !!.

...

وَبَعْدُ !! ؛فَإِلَى مَتَى!؟ ؛إِلَى مَتَى سَيَطُولُ هَذَا الأَمْر!؟ ؛فَالآمَالُ الَّتِى تَبْعَثُ عَلَى الصُّمُودِ وَالنِّضَالِ قَد تَولَّت !! ؛وَالكُرُوبُ والخُطُوبُ لَم تَزَل بِأَرْضِىَ لا تَرْغَبُ فِى ذَهَابٍ أَو مُهَادَنَةٍ !!.

فَلِمَاذَا!؟... ؛لِمَاذَا!؟... ؛لَسْتُ أَدْرِى!!.

...

أَيَا دَارُ حُبِّى !!... ؛صِرْتِ اليَوْمَ مَحْضُ أَطْلال !!... ؛وَأَنَا غَداً !!... ؛مَحْضُ ذِكْرَى !!.

هَذِهِ الكَعْبَةُ كُنَّا طَائِفِيهَا ......

..... ؛وَالمُصَلِّينَ صَبَاحاً وَمَسَاءَ.

كَم سَجَدْنَا وَعَبَدْنَا الحُسْنَ فِيهَا

..... ؛كَيْفَ بِاللهِ رَجَعْنَا غُرَبَاءَ.

دَارُ أَحْلامِى وَحُبِّى لَقِيتِنَا.....

فِى جُمُودٍ مِثْلَمَا تَلْقَى الجَدِيدْ.

أنكَرَتْنَا ؛ وَهِيَ كَانَت إن رَأَتْنَا
. ؛ يَضْحَكُ النُّورُ إِلَيْنَا مِن بَعِيدْ.
رَفْرَفَ القَلْبُ بِجَنْبِي كَالذَّبِيحْ
...... ؛ وَأَنَا أَهْتِفُ يَا قَلْبُ اتَّئِدْ.
فَيُجِيبُ الدَّمْعُ وَالمَاضِي الجَرِيحْ
.. ؛ لِمَ عُدْنَا ؛ لَيْتَ أنَّا لَم نَعُدْ !!.
لِمَ عُدْنَا ؟!!! أَولَم نَطْوِ الغَرَامْ
... ؛ وَفَرَغْنَا مِن حَنِينٍ وَأَلَمْ ؟!!.
...... وَرَضِينَا بِسُكُونٍ وَسَلامْ
.... وَانْتَهَيْنَا لِفَرَاغٍ كَالعَدَمْ.
أَيُّهَا الوَكْرُ إِذَا طَارَ الأَلِيفْ
لا يَرَى الآخَرُ مَعْنَىً لِلسَّمَاءْ.
وَيَرَى الأَيَّامَ صُفْرَاً كَالخَرِيفْ
نَائِحَاتٍ كَرِيَاحِ الصَّحْرَاءْ.
رُكْنِيَ الحَانِي وَمَغْنَايَ الشَّفِيقْ
وَظِلالُ الخُلْدِ لِلعَانِي الطَّلِيحْ.

.....عَلِمَ اللهُ لَقَد طَالَ الطَّرِيقْ

..... وَأَنَا جِئْتُكَ كَيمَا أَستَرِيحْ.

..... وَعَلَى بَابِكَ أُلْقِي جُعْبَتِي

كَغَرِيبٍ آبَ مِن وَادِي المِحَنْ.

.... فِيكَ كَفَّ اللهُ عَنِّي غُرْبَتِي

وَرَسَا رَحْلِي عَلَى أَرْضِ الوَطَنْ.

..... وَطَنِي أَنْتَ وَلَكِنِّي طَرِيدْ

أَبَدِيُّ النَّفْيِ فِي عَالَمِ بُؤْسِي.

... ؛ فَإِذَا عُدتُ فَلِلنَّجْوَى أَعُودْ

ثُمَّ أَمْضِي بَعْدَمَا أُفْرِغُ كَأْسِي.



رَامَا !!.(1).

كَلِمَاتٌ بَرِيئَةٌ فِى سَاعَةِ القَيْظِ فِى وَسَطِ النَّهَارِ!!... ؛ أَلْقَت بِهَا رِيَاحُ الخَرِيفِ؟!!... ؛ فِى زَوَايَا النِّسْيَان.

(1) - لَيْسَ هَذَا هُوَ اسْمُهَا الحَقِيقِى ؛ وَقَد أَعْرَضْتُ عَن ذِكْرِهِ ؛ لأَمْرَيْن :

- الأَوَّل : أَنَّ الحَارَةَ العَتِيقَة ؛ عَدَدُ فَتَيَاتِهَا قَلِيل ؛ وَالأَسْمَاءُ - وَالحَالَةُ هَذِهِ - لا تَتَشَابَه ؛ وَهُوَ لَيْسَ بِالمَشْهُور ؛ فَلَو وَقَعَ الكِتَابُ بِيَدِهَا ؛ عَلِمَت أَنَّهَا المُرَادَة ؛ وَهَذَا شَىْءٌ لاأُحِبُّ أَن يَكُون ؛ فَبَيْنِى وَبَيْنَهَا مَا يُشْبِهُ البُغْض ؛ فَلا أُحِبُّ أَن تَظُنَّ أَنَّنِى مَا ذَكَرْتُهَاإِلاَّ لِكَوْنِ القَلْبِ مَا يَزَالُ عَلَى حَالَتِهِ الأُولَى.

- الثَّانِى : أَنَّهُ قَد صَارَ بَيْنِى وَبَيْنَ عَشِيرَتِهَا - هَذَا إِن كَانَ لَهَا عَشِيرَة؟!! - أَمْرٌ حَمَلَهُم عَلَى كَرَاهِيَتِى أَشَدَّ الكُرْهِ وَأَعْظَمَه !! ؛ هَذَا رَغْمَ أَنَّنِى كُنْتُ صَاحِبَ الحَقّ ؛ وَإِن كُنْتُ أُعَاتِبُ نَفْسِى فِى بَعْضِ الأَحَايِين عَلَى أَنَّنِى أَخْرَجْتُ الأَمْرَ عَن إِطَارِهِ الَّذِى يَسْتَوْجِبُه !! ؛ وَلَكِن هَكَذَا كَان ؛ فَاللهُ المُسْتَعَان ؛ فَلَو وَقَفُوا هُنَا عَلَى حَقِيقَةِ المَسْأَلَة لَوَجَدْتُ نَفْسِى أَمَامَ قَضِيَّةٍ أُخْرَى؟!!.

وَرُوِّعْتُ حَتَّى مَا أُرَاعُ مِنَ النَّوَى

........؛ وَإِنْ بَانَ جِيرَانٌ عَلَيَّ كِرَامُ.

فَقَدْ جَعَلَت نَفْسِى عَلَى النَّأْى تَنْطَوِى

..؛ وَعَيْنِى عَلَى فَقْدِ الحَبِيبِ تَنَامُ.



ـ الرِّسَالَةُ الأُولَى

[2003/6/15م]

...

شُكْراً !!... ؛ لَقَد كَانَ هَذَا هُوَ ظَنِّي بِكِ ... ؛ طَلَبْتُ مِنْكِ أن تَنْتَظِرِي خَمْسَ سَنَوَاتٍ ... ؛ فَقُلْتِ : بَل أَنْتَظِرُ عَشْراً !!... ؛ جَمِيلٌ جَوَابُكِ !!... ؛ وَجَمِيلَةٌ مَشَاعِرُكِ !!.

جَارَتِي الحَبِيبَةُ !!... ؛ إِنَّ آمَالِي عَظِيمَةٌ ؛ وَنَفْسِي تَطْمَحُ إِلَى مَعَالِي الأُمُور ؛ وَسَبِيلِي إِلَى ذَلِكَ هُوَ العِلْم ؛ وَالعِلْمُ يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ مَدِيد ؛ وَجَهْدٍ جَهِيد ؛ فَإِن كُنْتِ صَادِقَةً حَقّاً ؛ فَمَا طَرِيقِي بِالسَّهْلِ وَلا اليَسِير.

لَقَد قَرَأْتُ كَلِمَةً لأَحَدِ الأُدَبَاء ؛ فَصَادَفَت مِنِّي قَبُولاً وَرِضَىً ؛ لإِيمَانِي بِصِدْقِهَا وَصَوَابِ مُحْتَوَاهَا.

قَالَ الرَّجُل :

« وَالاجْتِهَادُ فِيمَا يُكْسِبُ الْعِزَّ وَيَزِيدُ فِي النَّبَاهَةِ وَالْقَدْرِ رَاحَةُ الْعَاقِلِ ؛ وَالتَّوَانِي عَنْهُ عَادَةُ الْجَاهِلِ.

أَلا لا يَذُمُّ الدَّهْرَ مَنْ كَانَ عَاجِزاً
وَلا يَعْذِلُ الأَقْدَارَ مَنْ كَانَ وَانِيَا.

فَمَنْ لَمْ تُبَلِّغْهُ الْمَعَالِيَ نَفْسُهُ
فَغَيْرُ جَدِيرٍ أَنْ يَنَالَ الْمَعَالِيَا.

وَمَثَلُ الْعُلُوِّ فِي الْمَكَارِمِ مَثَلُ الصُّعُودِ فِي الثَّنَايَا وَالْقُلَلِ ؛ وَلا يَكُونُ إِلا بِشِقِّ النَّفْسِ ؛ وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَنْعَمُ فِي قَصْدِ الذُّرَى والتَّوقُّل فِي الغُرُفات العُلى ؛ فقد ظَنَّ بَاطِلاً وَتَوَهَّمَ مُحالاً.

وَرُتْبَةُ الأَدِيبِ مِن أَعْلَى الرُّتَبِ ؛ وَدَرَجَةُ الْعِلْمِ أَشْرَفُ الدَّرَجِ ؛ فَمَنْ أَرَادَ مُدَاوَلَتَهَا بِالدَّعَةِ وَطَلَبَ الْبُلُوغَ إِلَيْهَا بِالرَّاحَةِ ؛ كَانَ مَخْدُوعاً.

فَإِذا كُنْتَ أَيُّهَا الأَخُ تَرْغَبُ فِي سُمُوِّ الْقَدْرِ، وَنَبَاهَةِ الذِّكْرِ، وَارْتِفَاعِ الْمَنْزِلَةِ بَيْنَ الْخَلْقِ، وَتَلْتَمِسُ عِزّاً لا تَثْلِمُهُ اللَّيَالِي وَالأَيَّامُ، وَلا تَتَحَيَّفُهُ الدُّهُورُ وَالأَعْوَامُ، وَهَيْبَةً بِغَيْرِ سُلْطَانٍ، وَغِنًى بِلا مَال، ومَنَعَةً بِغَيْرِ سِلاحٍ، وَعَلاءً مِن غَيْرِ عَشِيرَةٍ، وَأَعْوَاناً بِغَيْرِ أَجْرٍ، وَجُنْداً بِلا دِيوَانٍ وَفَرْضٍ ؛ فَعَلَيْكَ بِالْعِلْمِ ؛ فَاطْلُبْهُ فِي مَظَانِّهِ ؛ تَأْتِكَ الْمَنَافِعُ عَفْواً ؛ وَتَلْقَ مَا يُعْتَمَدُ مِنْهَا صَفْواً ؛ وَاجْتَهِد فِي تَحْصِيلِهِ لَيَالِيَ قَلائِل ؛ ثُمَّ تَذَوَّق حَلاوَةَ الْكَرَامَةِ مُدَّةَ عُمُرِكَ ؛ وَتَمَتَّع بِلَذَّةِ الشَّرَفِ فِيهِ بَقِيَّةَ أَيَّامِكَ ؛ وَاسْتَبْقِ لِنَفْسِكَ الذِّكْرَ بِهِ بَعْدَ وَفَاتِكَ.

ولأمرٍ مَا ؛ اجْتَهَدَ فِيهِ طَائِفَةُ الْعُقَلاء ؛ وَتَنَافَسَ عَلَيْهِ الْحُكَمَاء ؛ وَتَحَاسَدَ فِيهِ الْفُضَلاء ؛ وَلا يَصْلُحُ الْحَسَدُ وَالْمَلَقُ فِي شَيْءٍ غَيْرَه .)).(1)..

.....

هَذَا هُوَ طَرِيقِي يَا عَزِيزَتِي ... ؛ وَمَعَكِ سَأُكْمِلُه ؛ وَمَا عَلَيْنَا مِمَّا قَد يَكُون ... ؛ فَالوَفَاءُ هُوَ شِعَارُ حَيَاتِنَا.

رَفِيقُ الدَّرْب

مُحَمَّد مَحْمُود



(1) ـ الكَلِمَةُ لأبِي هِلالِ العَسْكَرِيِّ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ .

- الرِّسَالَةُ الثَّانِيَة

[2003/8/1م]

...

أَلَم تَرَهَا لا يُبْعِدِ اللهُ دَارَهَا ... ؛

إِذَا مَرِحَت فِي صَوْتِهَا كَيْفَ تَصْنَعُ.

تَمُدُّ نِظَامَ القَوْلِ ثُمَّ تَرُدُّهُ ....

؛ إِلَى صَلْصَلٍ فِي حَلْقِهَا فَتُرَجِّعُ.

مَا أَجْمَلَ أَن يَسْتَيْقِظَ المَرْءُ عَلَى نَبْرَةِ هَذَا الضَّحِكِ البَدَوِيِّ الرَّنَّانِ الوَدِيع اللاهِي فِي عَالَمِهِ العُذْرِيِّ البَدِيع الحَالِم !!.

دَائِمًا مَا كُنْتُ أَقُولُ بِأَنَّكِ غَجَرِيَّةُ الصَّوْت !!... ؛ وَلَكِن لا بَأْسَ!! ... ؛ فَإِنَّ صَوْتَكِ هُوَ أَبْدَعُ مَا يَدْعُو الفَتَى إِلَى تَرْكِ النَّوْمِ وَاسْتِقْبَالِ النَّهَارِ بِسَعَادَةٍ وَابْتِهَاج !!.

غَرَائِبُكِ كَثِيرَةٌ !!... ؛ وَلَكِنَّهَا تَرُوقُنِي !!... ؛ مِن ذَلِكَ أَنَّكِ طُفُولِيَّةَ المَلامِح وَالقَسَمَات ... ؛ وَلَكِنَّكِ شَيْطَانِيَّةَ الأَرْكَانِ وَالجِهَات!!.

غَرِيبَةٌ أَنْتِ حَقًّا !!... ؛ وَلَكِن لا ضَيْر... ؛ فَتِلْكَ هِيَ الغَرَابَةُ الَّتِي أَعْشَقُهَا وَأَهْوَاهَا !.

مُحَمَّد مَحْمُود

ـ الرِّسَالَةُ الثَّالِثَة

[2003/12/10م]

...

قَلْبِي بِنَارِ الهَوَى مُعَذَّبْ
شَوْقاً إِلَى حَضْرَةِ المُهَذَّبْ.
شَوْقاً إِلَى مَاجِدٍ كَرِيمٍ
يَخْطُرُ لِي ذِكْرُهُ فَأطْرَبْ.

...

أتعَجِّلُ الأيَّام ... ؛ وَلَكِن للأيَّامِ قَاعِدَةٌ ؛ فَهِيَ لا تَتَأثَّرُ بِرَجَاءٍ أو وَعِيد !! ... ؛ وَلَكِن مَا أعْلَمُهُ يَقِيناً أنَّهَا سَتَمْضِي ؛ كَي تَأتِي بِمَا أشْتَهِي وَأُرِيد.
إنَّ ثِقَتِي فِي إخْلاصِكِ تُجَاوِزُ نُجُومَ السَّمَاء... ؛ وَكَذَلِكَ فَأنَا لا أهْدَأ وَلا أمَلُّ ... ؛ إنَّ تِلْكَ الأوْقَاتِ الَّتِي نَقْضِيهَا فِي الحَدِيثِ مَعَاً... ؛ هِيَ عِنْدِي وَقُودُ رُوحِي ... ؛ وَشَمْعَةُ هِمَّتِي وَإرَادَتِي تَكَادُ تَنْطَفِيء !!... ؛ فَإنِّي مَا ظَفِرْتُ بِكِ مُنْذُ أيَّام ... ؛ فَلِمَاذَا ؟!!... ؛ لِمَاذَا ؟!!.



ـ الرِّسَالَةُ الرَّابِعَة

[2004/2/19م]

...

كُلُّ شَىْءٍ مِنَ الحَبِيبِ مَلِيحُ
غَيْرَ أَنَّ الصُّدُودَ مِنْهُ قَبِيحُ.

...

كَأَنَّ السَّمَاءَ أَوْشَكَت أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْض ؟!!... ؛ كَأَنَّ الجَحِيمَ سُعِّرَت ؟!!.
مَا الَّذِى جَرَى ؟!!... ؛ مَا النَّكْبَةُ الَّتِى كَانَت سَتَحُل ؟!!.
مَا كَانَ هَذَا غَيْرُ مِزَاحٍ بَرِىء !!... ؛ فَلِمَاذَا هَذَا الخَوْفُ الَّذِى رَأَيتُهُ بِعَيْنَيْك؟!!! ... ؛ إِنَّ مَنْعَكِ إِيَّاىَ هَذِهِ القُبْلَةَ الَّتِى كُنْتُ أَبْغِيهَا لَن يُطِيلَ فِى عُمُرِكِ وَلَن يَقْهَرَ شَبَابِى !!.
وَمَهْمَا يَكُن مِن أَمْرٍ ؛ فَلِى مَذْهَبٌ ؛ وَلَكِ طَرِيقَة ... ؛ فَلا حُزْنَ وَلا غَضَب ؛ وَأَمَّا إِن أَبَيْتِ إِلاَّ المَلام !!... ؛ فَلا ضَيْر !!.

إِذَا لَم يَكُن فِى الحُبِّ سُخْطٌ وَلا رِضَا
فَأَيْنَ حَلاوَاتُ الرَّسَائِلِ وَالكُتْبِ ؟!!.



- الرِّسَالَةُ الخَامِسَة

[2004/6/1م]

نَعِبَ الغُرَابُ بِمَا كَرِهْـ
ـتُ وَلا إِزَالَةَ لِلقَدَرْ.
تَبْكِي وَأَنْـتَ قَتَلْتَهَا
فَاصْبِرْ وَإِلاَّ فَانْتَحِرْ!!.

...

هَكَذَا أَرَادَ أَهْلُكِ !!... ؛ أَرَادُوا أن يَتَبَدَّلَ الحُبُّ إِلَى كَرَاهِيَةٍ وَبُغْضٍ!!... ؛ مَا كَانَ حُبِّي إِيَّاكِ لِيُسَوِّغَ لأَهْلَكِ أن يَجُورُوا وَيَظْلِمُوا !!... ؛ وَمَهْمَا يَكُن مِن أَمْرٍ ؛ فَقَد قَابَلْتُ الإِسَاءَةَ بِأَعْظَمَ مِنْهَا... ؛ فَلَسْتُ أَنَا مَن يُعْطِي الدَّنِيَّةَ مِن أَجْلِ حُبٍّ أو هَوَى!!... ؛ أَنْتِ شَاهِدَةٌ عَلَى مَا كَان... ؛ وَمَعَ ذَلِكَ رَأَيْتُ بِعُيُونِكِ نَظَرَاتُ اللَّوْمِ وَالعِتَابِ وَالإِعْرَاض!!... ؛ فَكُونِي كَمَا تَبْغِينَ أن تَكُونِي !! ... ؛ كُونِي الَّتِي طَرَحَت هَوَايَ بِلَحْظَةٍ !!... ؛ أَنَا ذَاهِبٌ !!... ؛ إِي لَن تَرِي بَعْدَ الَّذِي قَدْ كَانَ شَوْقِي !!... ؛ أو حَنِينِي !!... ؛ أو جُنُونِي.

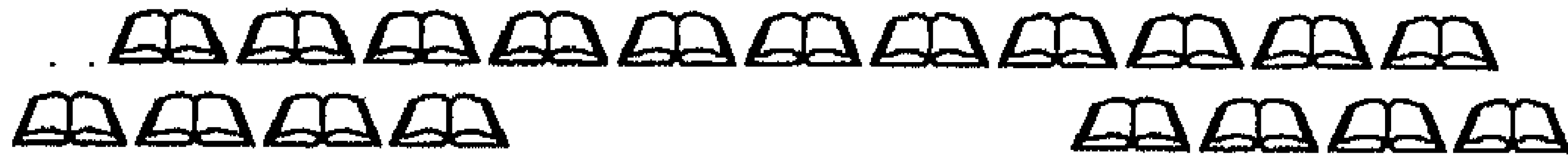
وَدَاعَاً !!... ؛ وَدَاعَاً يَا أُكْذُوبَتِي الكُبْرَى !!.

سَلامٌ عَلَيْكُم مَا أُحِبُّ وِصَالَكُم
وَغَايَةُ مَجْهُودِ المُقِلِّ سَلامٌ.

مَنَال !!.

حُـبٌّ؟!!... ؛ اقْتَحَمَ بِالقُوَّةِ أَرْضَ حَيَاتِى!!... ؛ خَدَعَتْنِى فِى مُنْتَصَفِ الطَّرِيق!!... ؛ فَقَتَلْتُهَا؟!!... ؛ وَتَرَكْتُهَا؟!! ... ؛ عِنْدَ المَضِيق!!.

وَإِنِّى إِذَا جَادَ الزَّمَانُ بِفَرْحَةٍ
عَلَىَّ وَكَانَ اليَوْمُ يَلْمَعُ فَتَّانَا.
أُفَكِّرُ فِى لَيْلٍ يَجِيئُ وَرَاءَهُ ؛
فَتَنْقَلِبُ الأَفْرَاحُ عِنْدِىَ أَحْزَانَا.



ـ الرِّسَالَةُ الأُولَى

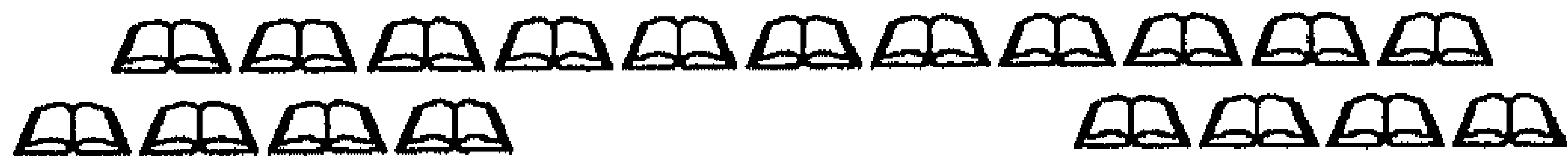
[الأَوَّلُ مِن يَنَاير ؛ مِن
عَامِ 2005م]

...

لا ضَيْرَ !!... ؛ رَغْمَ أَنِّى مُوقِنٌ أَنَّهُ مِنَ المُحَالِ أن يَعِيشَ حُبٌّ كَانَت بِدَايَتُهُ مَحْضُ مِزَاحٍ لِلْمَشَاعِرِ وَمُدَاعَبَةِ العَاطِفَةِ الكَامِنَة... ؛ لَكِن لا ضَيْر!!... ؛ فَمَن يَدْرِى ؟!!.

...

قَد كُنْتُ أَعْذِلُ فِى السَّفَاهَةِ أَهْلَهَا
...... ؛ فَاعْجَب لِمَا تَأْتِى بِهِ الأَيَّامُ.
فَالْيَوْمَ أَرْحَمُهُم وَأَعْلَمُ أَنَّمَا
... ؛ سُبُلُ الغُوَايَةِ وَالهُدَى أَقْسَامُ !!.



ـ الرِّسَالَةُ الثَّانِيَة

[مُنْتَصَف فِبْرَاير ؛ 2005م]

...

دُخُولُكَ مِن بَابِ الهَوَى إِن أَرَدتَهُ
يَسِيرٌ ... ؛ وَلَكِنَّ الخُرُوجَ عَسِيرُ !!.

...

هَكَذَا وَقَعَ مَا قَد كُنْتُ أَخْشَاهُ !!... ؛ بِالأَمْسِ قَد كُنْتِ المُضْطَرِبَةَ الحَائِرَة ؛ وَكُنْتُ أَنَا الهَادِيءُ السَّاكِن !!... ؛ وَاليَوْم !!... ؛ أَنْتِ سَعِيدَةٌ مُنْتَشِيَةٌ... ؛ بَيْنَمَا أَنَا أَتَقَلَّبُ عَلَى جَمْرِ الغَضَا!!.

طَوْعَاً لِقَاضٍ أَتَى فِي حُكْمِهِ عَجَبَا
أَفْتَى بِسَفْكِ دَمِي فِي الحِلِّ وَالحَرَمِ !!.

...

مَوْعِدُنَا غَدَاً عِنْدَ الصَّبَاح !!.



ـ الرِّسَالَةُ الثَّالِثَة

[الأوَّل مِن مَارِس ؛ 2005م]

...

وَجَدْتُ الحُبَّ لا يَشْفِيهِ إِلاَّ

...... ؛ لِقَاءٌ يَقْتُلُ الغُلَلَ النِّهَالا.

أُحِبُّ مِنَ النِّسَاءِ ؛ وَهُنَّ شَتَّى

حَدِيثَ النَّزْرِ ؛ وَالحِدَقَ الكِلالا.

مَوَانِعُ لِلحَرَامِ بِغَيْرِ فُحْشٍ..

... ؛ وَتَبْذُلُ مَا يَكُونُ لَهَا حَلالا.

...

أَضْحَكُ كَثِيراً حِينَمَا أَتَذَكَّرُ كَيْفَ كُنْتِ تَرْتَجِفِينَ وَأَنَا أُدَاعِبُ رَاحَتَكِ بِأَصَابِعِي !!... ؛ كُنْتُ أَرَاكِ فِي أَوَّلِ الأَمْرِ فَتَاةً جَسُورَةً... ؛ ثُمَّ هَا أَنْتِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ كُنْتِ أَضْعَفَ مِنَ العُصْفُورِ بَلَّلَهُ القَطْرُ!!... ؛ كُنْتِ قَبْلَ سُوَيْعَةٍ فِي الطَّابِقِ الأَعْلَى كَأَمِيرَةٍ تَرُوحُ وَتَجِيءُ فِي مَمْلَكَتِهَا... ؛ ثُمَّ صِرْتِ وَنَحْنُ فِي الحُجْرَةِ المُظْلِمَةِ كَأَسِيرٍ يَرَى القَتْلَ وَالمَوْتَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ!!.

لا تَخَافِي!!... ؛ فَلَسْتُ أَنَا !!... ؛ مِن رُوَّادِ الخَنَا !!... ؛ أَنَا غَايَتِي مَحْضُ النَّظَرِ وَكَلامِ الهَوَى... ؛ وَأَمَّا إِن طَاشَ عَقْلِي!!... ؛ فَعَبَثٌ بِالأَصَابِعِ وَاليَدِ ... ؛ وَلَسْتُ مِمَّن يُجَاوِزُ أَو يَشْطُط.

أَلِمَّا بِي إِلَى الأَبْيَا
تِ بِالخَيْفِ أَزُر هَنَّهْ.
غَزَالٌ مَا رَأَيْتُ اليَوْ
مَ فِي دُورِ بَنِي كِنَّهْ.
غَزَالٌ أَكْحَلُ العَيْنِ
وَفِي مَنْطِقِهِ غُنَّهْ.



ـ الرِّسَالَةُ الرَّابِعَة

[الخَامِسُ وَالعُشْرُون مِن إِبْرِيل ؛
2005مـ]

...

إِنَّ بَعْضاً مِنَ الظُّنُو
نِ لَكَالفَجْرِ صَادِقْ.
حَبَّذَا لَو تَكَشَّفَت
بِالتَّمَامِ الحَقَائِقْ.

...

لا رَيْب !!... ؛ تَجْرِبَةٌ وَانْقَضَى عَهْدُهَا !!... ؛ مَا سَالَ مِنِّي فِي المَعْرَكَةِ غَيْرُ قَطْرَةٍ وَاحِدَةٍ مِن دَمِي !!... ؛ لا بَأس !!... ؛ جُرِحْتُ جِرَاحَةً لا تَكَادُ تَبِين ... ؛ وَلَكِنِّي جَنَيْتُ مِنَ الحَرْبِ اللَّعِينَةِ مَا أَعُدُّهُ مَغْنَماً عَظِيماً !!... ؛ فَاذْهَبِي يَا ابْنَةَ الوَضَاعَةِ وَالسَّفَاهَةِ ؛ يَا ابْنَةِ العَبَثِ البَغِيضِ الرَّخِيص !!... ؛ اذْهَبِي يَا عَدُوَّةَ الصِّدْقِ والبَرَاءَةِ ... ؛ اذْهَبِي فِي صُحْبَةِ الشَّيْطَانِ !!... ؛ اذْهَبِي !! ... ؛ اذْهَبِي مِن غَيْرِ دَمْعٍ أَو حَزَن !!.



ـ بَلَى!! ؛ كُنْتِ فِي قَلْبِي !!

...

بَلَى!! ؛ كُنْتِ فِي قَلْبِي !!... ؛ وَلَكِن !!... ؛ هَكَذَا بَيْنَ غَمْضَةِ عَيْنٍ وَانْتِبَاهَتِهَا ... ؛ أَلْقَيْتُ بِهَذِهِ الذِّكْرَى هُنَاك !!... ؛ فِي قَبْرِ النِّسْيَان !!.

...

بَلَى!! ؛ كُنْتِ فِي قَلْبِي سِرَاجَاً يُضِيئُهُ
...... ؛ فَيَفْتَرُّ عَن أَنْوَارِهِ كُلُّ جَانِبِ.
وَكُنْتِ حَيَاةً لِلحَيَاةِ تُمِدُّهَا......
.... ؛ بِأَفْرَاحِهَا فِي عَابِسَاتِ المَصَائِبِ.
وَكُنْتِ لِيَ البَرَّ الوَدِيعَ إِذَا غَلَت......
بِأَمْوَاجِهَا .... ؛ وَادَّافَعَت بِالمَنَاكِبِ.
وَكُنْتِ نَسِيمَاً وَاللَّظَى يَنْشِفُ اللَّظَى
.... ؛ وَيَتْرُكُ ظِلَّ الدَّوْحِ ظِلَّ اللَّوَاهِبِ.
وَكُنْتِ مَلاذِي وَالشُّؤُونُ كَأَنَّهَا......
.... ؛ مِن الدَّمْعِ يُنْبُوعٌ يَجِيشُ بِغَارِبِ.
وَكُنْتِ إِذَا مَا العَيْنُ مَدَّت هُيَامَهَا.....
إِلَيْكِ........ ؛ تَلَقَّتْهَا أَحَنُّ التَّرَائِبِ.

وَكُنْتِ كَأَنْفَاسِ الرِّيَاضِ ؛ عَبِيرُهَا....

.... ؛ عَلَى الفَاقِدِ المَحْزُونِ فَرْحَةُ آيِبِ.

بَلَى كُنْتِ ؛ كُنْتِ السِّحْرَ تَبْدُو صُدُورُهُ

مِنَ الخَيْرِ تُخْفِي مِنْهُ شَرَّ العَوَاقِبِ.

أَرَى الحَيَّةَ الرَّقْطَاءَ أَجْمَلَ مَنْظَراً......

...... ؛ وَأَلْيَنَ مَسّاً مِن ثُدِيٍّ الكَوَاعِبِ.

إِذَا مَا تَرَاءَتْهَا العُيُونُ بَرِيئَةً..........

مِنَ الخَوْفِ..... ؛ خَالَتْهَا دُعَابَةَ لاعِبِ.

تَدَانَى إِلَى اللاَّهِي دُنُوَّ مُقَارِبٍ.......

فَيَدْنُو........ ؛ وَيُدْنِي كَفَّهُ كَالْمُلاعِبِ.

أَلا ارْفَعْ يَداً ؛ وَاذْهَبْ بِنَفسِكَ رَهْبَةً

.... ؛ فَمِن حُسْنِهَا نَابٌ شَدِيدُ المَعَاطِبِ.

بَلَى كُنْتِ ؛ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ.....

.... ؛ وَإِذْ أَتَرَدَّى مِن سَوَادِ الغَيَاهِبِ.

وَأُخْرَى عَلَى عَيْنِ البَصِيرَةِ خَيَّلَتْ

.... ؛ لِنَفْسِي هُدَاهَا بِالأَمَانِي الكَوَاذِبِ.

أَرَى مِـن تَـكَـاذِيبِ الـخَـيَـالِ كَـأَنَّنِـي

... ؛ إِلَى جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ أَحْدُو رَكَائِبِي.

أُغَنِّي لآمَالِي لأَبْلُغَ غَايَتِي..........

.... ؛ وَأُدْرِكَ لَذَّاتِي ؛ وَأَجْنِي مَطَالِبِي.

وَمَـا ذَاكَ إِلاَّ رَاحَـةُ الـقَـلْـبِ بِالـهَـوَى

وَبِالـوِدِّ فِي عَـيْـشٍ شَـدِيـدِ الـمَـتَـاعِـبِ.

وَأَن أَرِدَ المَاءَ الزُّلالَ ـ وَلَم أَرِد.........

وَقَـد عِشْـتُ دَهْـرَاً ـ غَـيْـرَ رَنْقِ المَشَارِبِ.

أَلا فَاعْلَمِي أَنِّي ظَمِئْتُ ؛ وَأَنَّنِي........

... ؛ تَجَنَّبْتُ جَهْدِي المَاءَ جَمَّ الشَّوَائِبِ.

فَجِئْتُكِ ظَمْآنَاً يَمُوتُ بِغُلَّةٍ...........

فَأَغْـرَيْـتِ بِي الـغُـلاَّتِ مِن كُـلِّ جَانِبِ.

لَـقَـد كُـنْـتُ خِـلْـوَاً أَنْتَحِي حَيْثُ أَشْتَهِي

.... ؛ وَأَرْضَى وَآبَى ؛ مُقْدِمَاً غَيْرَ هَائِبِ.

تُسَهِّلُ لِي الصَّعْبَ الأَبِيَّ عَزِيمَتِي.......

..... ؛ وَيَكْفُلُ لِي صِدْقِي قَضَاءَ مَآرِبِي.

وَأَرْمِي بِنَفْسِي فِي المَهَالِكِ بَاسِمَاً.......

.... ؛ لأَنْفُذَ مِنْهَا بِاسِمَاً غَيْرَ خَائِبِ.

فَوَاحَزَنَاً ؛ أَضْلَلْتُ عَزْمِي وَهِمَّتِي.......

... ؛ وَأَيْتَمْتُ أَفْكَارِي ؛ وَضَيَّعْتُ وَاجِبِي.

تَخَشَّعْتُ تَحْتَ الحُبِّ وَالوَجْدِ وَالجَوَى

وَطُولِ اضْطِرَابِي فِي الهُمُومِ الغَوَالِبِ.

أَذَلَّ شَبَابِي الحُبُّ حَتَّى رَأَيْتَنِي.........

.... ؛ أَمُرُّ بِأَتْرَابِي مُرُورَ المُجَانِبِ.

وَأَحْسُدُهُم مِمَّا لَقِيتُ ؛ وَإِنَّنِي..........

.... ؛ لأَخْشَى عَلَيْهِم مِحْنَتِي وَتَجَارِبِي.



سِهَام !!.

كَلِمَاتٌ خِلْتُهَا جَاءَت لِتَخُطَّ حُدُودَ العَهْدِ

الجَدِيد !!... ؛ فَإِذَا بِهَا تَذْبُلُ وَتَمَّحِي !!... ؛

فَإِذَا بِهَا تَذُوب !!... ؛ كَمَ يَذُوبُ الجَلِيد !!.

قَد عُدتَ بَعْدَ ذَهَابٍ مِنْكَ يَا عِيدُ

.... ؛ إِذْ كُلُّ شَيْءٍ يَسُرُّ النَّفسَ مَفْقُودُ.

أَأَنْتَ عِيدٌ بِهِ الأَفْرَاحُ شَامِلَةٌ.....

... ؛ أَم مَأْتَمٌ فِيهِ لِلأَحْزَانِ تَجْدِيدُ؟!.

عِيدٌ أَلَمَّ عَلَى يَأسٍ بِمَمْلَكَةٍ......

.. ؛ وَلَيْسَ فِيهِ لِجُرْحٍ سَالَ تَضْمِيدُ.



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

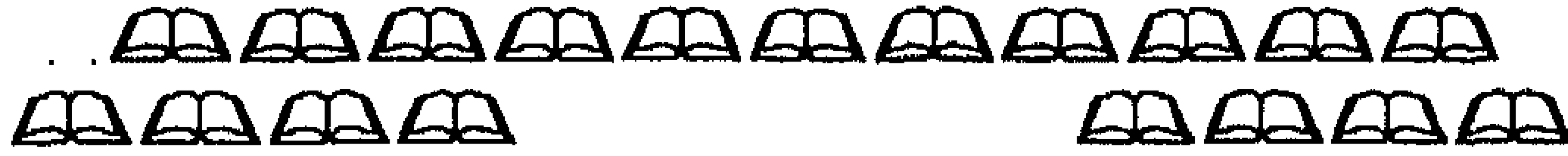
...

تَنَكَّرَت الحَيَاةُ كَأَنَّ دَهْراً

يجيءُ وَيَنْقَضِى فِى كُلِّ سَاعَةْ.

...

هَكَذَا أَرَادَت الحَيَاةُ !!... ؛ مَا ظَلَمْتُ أَحَداً أَبَداً !!... ؛ أَنَاطَت أَحْلامَهَا بِأَدِيبٍ تَائِهٍ بَيْنَ الزَّوَايَا وَالمَدَائِنِ وَالدُّرُوب!!... ؛ فَكَانَت العَاقِبَة؟!!... ؛ أَغْضَى وَأَطْرَق !!... ؛ وَهِى ذَهَبَت بِعَيْنَيْهَا عِتَابٌ وَلَوْمٌ وَتَأْنِيب!!... ؛ وَبِفُؤادِهَا صَمْتٌ حَزِينٌ لا يَثُورُ وَلا يَشْكُو!!.



ـ الرِّسَالَةُ الأُولَى

[يَنَاير ؛ 2007م]

...

خُبِّرْتُ أَنَّكِ لا تَكْذِبِينَ وَلا تَعْرِفِينَ مَكْراً وَلا سُوءاً !!... ؛ سَمِعْتُ هَذَا ... ؛ ثُمَّ كَانَ لِقَاءٌ وَلِقَاءٌ وَلِقَاء... ؛ فَإِذَا أَنْتِ فَوْقَ كُلِّ مَا قَد قِيلَ مِن مَدْحٍ وَثَنَاء!!.

إِنَّ إِحْسَاسِى بِصِدْقِ مَشَاعِرِى مَا يُنْتِجُهُ غَيْرُ إِيمَانِى بِصَفَاءِ هَذِهِ الرُّوح !! ... ؛ وَيطُهْرِ هَذِهِ النَّفْس !!.

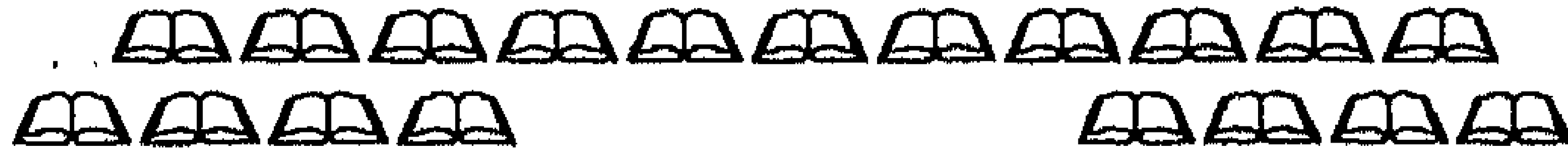
يَزِيدُ مِن تَعَلُّقِى بِهَذِهِ الذَّاتِ الطَّيِّبَة... ؛ هَذَا الحَيَاءُ الَّذِى يَدْفَعُكِ إِلَى الإِحْجَامِ عَن الحَدِيثِ بِشَأْنِ الأَمْرِ الَّذِى لابُدَّ مِنْهُ !!.

أَعْلَمُ أَنَّهُ لا غَضَاضَةَ فِى طَرْحِ هَذِهِ المَسْأَلَة... ؛ وَلَكِنِّى أَعْلَمُ أَيْضَاً أَنَّكِ تُوقِنِينَ بِأَنَّ هُنَاكَ مَوَانِعٌ وَأُمُورٌ تَحُول ... ؛ وَأَنَّهَا لَو زَالَت لَرَفَعْتُ الحِجَابَ الَّذِى ضَرَبْتُهُ عَلَى أَمْرِ الخَوْضِ فِى هَذِهِ القَضِيَّةِ.

أَنَا أُشْفِقُ عَلَيْكِ كَثِيراً !!... ؛ وَلَكِن هَذِهِ هِيَ حَيَاتِي ؛ وَذَلِكَ هُوَ قَدَرِي !! ... ؛ وَمَن يَدْرِي ؟!!... ؛ قَد يَأْتِي الغَدُ... ؛ فَتُشْرِقُ الشَّمْسُ مِن جَدِيدٍ !! ... ؛ وَلَعَلَّ العِنَايَةَ أَن تُؤازِرَ هَذَا الرَّجُل... ؛ لا لِشَيءٍ إِلا لِكَوْنِهِ يَقِفُ بِجَانِبِ هَذَا القَلْبِ النَّقِيِّ الشَّرِيف.

إِنَّ الأُمُورَ إِذَا التَوَت وَتَعَقَّدَت

جَاءَ القَضَاءُ مِنَ الكَرِيمِ فَحَلَّهَا.



ـ الرِّسَالَةُ الأَخِيرَة:

ـ وكَذَلِكَ كَان !!.

[مَارِس ؛ 2007م]

...

أَقْبَلَ العِيدُ ؛ وَلَكِن لَيْسَ فِي النَّاسِ المَسَرَّةْ.

...... ؛ لا أَرَى إِلاَّ وُجُوهاً كَالحَاتٍ مُكْفَهِرَّةْ.

.. ؛ كَالرَّكَايَا لَم تَدَعْ فِيهَا يَدُ المَاتِحِ قَطْرَةْ.

أَو كَمِثْلِ الرَّوْضِ لَم تَتْرُك بِهِ النَّكْبَاءُ زَهْرَةْ.

.... ؛ وَعُيُوناً دَنِقَت فِيهَا الأَمَانِي المُسْتَحِرَّةْ.

فَهْيَ حَيْرِي ذَاهِلاتٌ فِي الَّذِي تَهْوَى وَتَكْرَهْ.

وَخُدُوداً بَاهِتَاتٍ قَد كَسَاهَا الهَمُّ صُفْرَةْ.

وَشِفَاهاً تَحْذَرُ الضِّحْكَ كَأَنَّ الضِّحْكَ جَمْرَةْ.

لَيْسَ لِلقَوْمِ حَدِيثٌ غَيْرُ شَكْوَى مُسْتَمِرَّةْ.

قَد تَسَاوَى عِنْدَهُم لِلْيَأْسِ نَفْعٌ وَمَضَرَّةْ.

لا تَسَل مَاذَا عَرَاهُم ؟! ... ؛ كُلُّهُم يَجْهَلُ أَمْرَهْ.

...

آسِفٌ جِدّاً !!... ؛ إنَّ أرْضِي لا تَعْرِفُ الشَّمْس!!... ؛ إِنَّ الأَمَانِي فِي حَيَاتِي لَم تَرَ النُّورَ يَوْمَاً !!... ؛ فَعُذْراً !!... ؛ عُذْراً يَا رَفِيقَةَ الأَمْس !!... ؛ عُودِي مِن حَيْثُ جِئْتِ !!... ؛ وَدَعِينِي !!... ؛ دَعِينِي أُكْمِلُ رِحْلَتِي !!... ؛ نَحْوَ السَّرَاب !!.



مُنَى !!.

شَاعِرٌ تَائِهُ الأَقْدَام !!... ؛أَبْحَرَ فِى عَيُونِ فَتَاةٍ !!... ؛

لا تَعْرِفُ مَا تُرِيد !!.

غَابَت شَمْسُ النَّهَار !!... ؛وَهِى رَحَلَت بِلا أَسَفٍ !!

... ؛وَبَقِيتُ وَحْدِى مِثْلَ مَلاَّحٍ أَضَلَّتْهُ المَوَانِى!!... ؛

وَالبِحَار!!.

يَا هَجْرُ كُفَّ عَنِ الهَوَى ؛وَدَعِ الهَوَى
لِلعَاشِقِينَ يَطِيبُ ...... ؛يَا هَجْرُ !!.
مَاذَا تُرِيدُ مِنَ الَّذِينَ جُفُونُهُم
قَرْحَى ... ؛وَحَشْوُ صُدُورِهِم جَمْرُ !؟.
وَسَوَابِقُ العَبَرَاتِ فَوْقَ خُدُودِهِم
هُطْلاً تَلُوحُ !!.... ؛كَأَنَّهَا القَطْرُ !؟.
صَرْعَى عَلَى جِسْرِ الهَوَى لِشَقَائِهِم
.... ؛بِنُفُوسِهِم يَتَلاعَبُ الدَّهْرُ !؟.



ـ الرِّسَالَةُ الأُولَى

[مُنْتَصَفَ مَايو ؛ 2007م]

...

كُلُّ الحَوَادِثِ مَبْدَأُهَا مِنَ النَّظَرِ
وَمُعْظَمُ النَّارِ مِن مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ.
كَم نَظْرَةٍ فَتَكَت فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا
فَتْكَ السِّهَامِ بِلا قَوْسٍ وَلا وَتَرِ.
وَالمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا ؛
فِي أَعْيُنِ النَّاسِ مَوْقُوفٌ عَلَى الخَطَرِ.
يَسُرُّ مُقْلَتَهُ مَا ضَرَّ مُهْجَتَهُ.. ؛
لا مَرْحَبَاً بِسُرُورٍ جَاءَ بِالضَّرَرِ.

وَأَيْضَاً:

نَظَرُ العُيُونِ إِلَى العُيُونِ هُوَ الَّذِي
جَعَلَ الهَلاكَ إِلَى الفُؤَادِ سَبِيلا.
مَا زَالَت اللَّحَظَاتُ تَغْزُو قَلْبَهُ
.... ؛ حَتَّى تَشَحَّطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلا.

...

كَانَ اللِّقَاءُ فِى سَاعَةٍ خَرِيفِيَّةٍ سَاحِرَةٍ !!... ؛ كُنْتِ تَسِيرِينَ فِى طَرِيقٍ مُظْلِمٍ فِى أَوَّلِ سَاعَةٍ مِن سَاعَاتِ اللَّيْل!!... ؛ وكُنْتُ أَنَا أَمْشِى فِى دَرْبٍ آخَرَ يُنِيرُهُ ضَوْءُ القَمَر!!... ؛ كَانَت خُطُواتُكِ تَمْضِى عَلَى الأَرْضِ فِى هُدُوءٍ وَأَنْتِ تُحَادِثِينَ رَفِيقَتَكِ الَّتِى كَانَت بِجِوَارِك!!... ؛ وكَذَلِكَ كَانَت خُطُوَاتِى فِى هَذِهِ اللَّحَظَات!!... ؛ لا أَدْرِى كَيْفَ تَلاقَت العُيُون ؟!!... ؛ شَعُرْتُ بِشَىءٍ غَرِيبٍ أَحَاطَ بِكِيَانِى وَذَاتِى؟!!... ؛ وَمِنَ العَجِيبِ أَيْضاً أَنَّنِى كُنْتُ عَلَى يَقِينٍ مِن أَنَّ مَا أَصَابَنِى قَد نَالَكِ أَيْضاً !!... ؛ يَا لَهَا مِن نَظْرَةٍ !!... ؛ ذَهَبَت بِعَقْلِ الرَّجُل!!... ؛ وَأَلْهَبَت فُؤَادَ الفَتَاةِ الَّتِى كَانَت تَمْشِى فِى ثَبَاتٍ وَثِقَةٍ حَوْلَهَا رِيَاحُ السَّكِينَةِ وَالتَّأَمُّل!!... ؛ وَهَكَذَا صَارَ الفَارِسُ أَسِيراً !!... ؛ وَغَدَت الرَّاهِبَةُ عَاشِقَة!!... ؛ مَا أَغْرَبَ القُلُوب !!... ؛ إِذَا أَرَادَت؟!!... ؛ طَاشَت الأَلْبَاب!!... ؛ وَضَلَّت كَلِمَاتُ المَنْطِق!!... ؛ وَغَابَت نِدَاءَاتُ العُقُول!!.



- الرِّسَالَةُ الثَّانِيَة

[الأوَّلُ مِن أُكتُوبَر ؛ 2007م]

...

أرَى الطَّرِيقَ قَرِيباً حِينَ أسْلُكُهُ

إلَى الحَبِيبِ ؛ بَعِيداً حِينَ أنْصَرِفُ!!.

...

آسِفٌ لأنِّى حِينَمَا رَأَيْتُكِ مَعَ صَاحِبَتِكِ عَجَزْتُ عَنِ التَّعَامِى... ؛ فَأَخْجَلْتُكِ وَوَضَعْتُ نَفْسِى فِى حَرَجٍ شَدِيدٍ حَتَّى حِرْتُ فَمَا دَرِيتُ مَا أفْعَل!!.

حَقّاً لَقَد أخْطَأْت!!... ؛ ولَكِن بِاللهِ عَلَيْكِ أخْبِرِينِى!!... ؛ أيَقْدِرُ أحَدٌ أن يُبْصِرَ هَذِهِ العُيُونَ الخَضْرَاءَ الصَّافِيَةَ الوَدِيعَةَ... ؛ ثُمَّ يَذْهَبُ هَكَذَا؟!!!... ؛ إنَّ بِهَذِهِ العُيُونِ شَىْءٌ غَرِيبٌ كَالسِّحْرِ!!... ؛ فَأنَا إن نَظَرْتُ إلَيْكِ فَمَا أدْرِى مَا ذَاكَ الَّذِى يَحْدُثُ بِعَقْلِى وَفُؤَادِى!!.

أرْجُو أن تَغْفِرِى هَذَا الذَّنب... ؛ وَلَكِنِّى لا أعِدُ بِأنِّى لا أعُود!!.



ـ الرِّسَالَةُ الثَّالِثَة

[الثَّامِن مِن نُوفَمبر ؛
2007م]

...

أَهَابُكَ أَن أَقُولَ بَذَلْتُ نَفسِى
وَلَو أنِّى أُطِيعُ القَلْبَ قَالا.
حَيَاءً مِنْكِ حَتَّى شَفَّ جِسْمِى
وَشَقَّ عَلَىَّ كِتْمَانِى وَطَالا.

...

مَا تَقُولُ حَسْنَاءُ البَلْدَةِ فِى مَعْنَى الحُب ؟!!... ؛ مَا تَقُولُ فِى فَتَىً إِذَا رَأَى مَن يَعْشَقُهَا وَيَهْوَاهَا هَرِبَت الكَلِمَاتُ مِن فَمِهِ رَغْمَ أَنَّهُ مِن أُمَرَاءِ القَوْلِ وَالبَيَان ؟!!... ؛ مَا تَقُولُ فِى شَابٌّ عَشِقَ فَتَاةً... ؛ فَالمِيمُ تَجْرِى فِى دَمِهِ... ؛ وَالنُّونُ تَسْكُنُ فِى قَلْبِهِ ... ؛ وَاليَاءُ هِىَ رُوحُهُ الَّتِى بِهَا يَحْيَا هَذَا الجَسَد ؟!!.

مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الأَمْرَ سَيَبْلُغُ بِى إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الحَالَةِ مِن حَالاتِ العِشْق !!.
حَقّاً وَبِلا جِدَال:

مَا يَعْلَمُ الشَّوْقَ إِلاَّ مَن يُكَابِدُهُ

وَلا الصَّبَابَةَ إِلاَّ مَن يُعَانِيهَا !!.

هَكَذَا صَارَ حَالُ قَلْبِى !!... ؛ وَلَكِنِّى أَرْجُو !!... ؛ أَرْجُو أَلاَّ يَبْلُغَ الأَمْرُ أَكْثَرَ مِن هَذَا الحَدِّ الَّذِى لا أَرَى بَعْدَهُ مِن سَبِيل !!... ؛ لا أُغْرِبُ أَو أُبْعِدُ... ؛ لَقَد أَصْبَحْتُ أَخْشَى عَلَى فُؤادِى !!.

هَذَا هُوَ الشَّأْنُ عِنْدِى... ؛ فَيَا تُرَى ؟!!... ؛ كَيْفَ الخَطْبُ عِنْدَ مَن أَهْوَى ؟!!.

مُنَى !!... ؛ اسْمٌ يَحْلُو لِفَمِى أَن أُرَدِّدَه !!.

أُحِبُّك !!... ؛ أُحِبُّكِ رَغْمَ مَا قَد يَكُون.



ـ الرِّسَالَةُ الرَّابِعَة

[الرَّابِعُ مِن دِيسَمبر ؛
2007م]

...

عَـدَانِي أن أزُورَكَ يَا حَبِيبِي ؛
مَعَاشِرُ كُلُّهُم وَاشٍ حَسُودُ.
أشَاعُوا مَا سَمِعْتُ مِن الدَّوَاهِي
... ؛ وَعَابُونَا وَمَا فِيهِم رَشِيدُ !!.

...

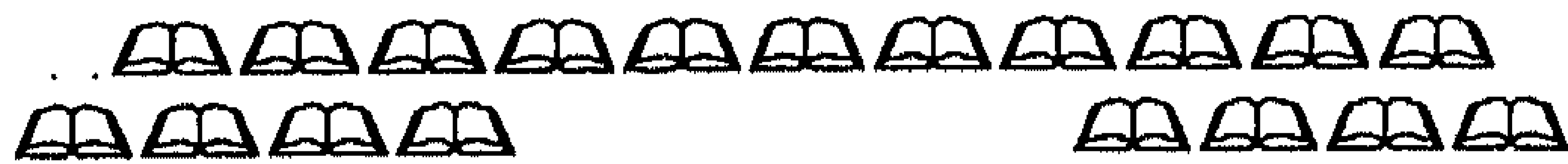
مَن هُوَ المُلام ؟!!... ؛ أنَا مَا نَظَرْتُ إلَيْكِ يَوْماً وَأنَا أظُنُّ أنَّ أحَداً بِالطَّرِيق !! ... ؛ أنَا كُنْتُ أمُرُّ فِي بَعْضِ الأحَايِينِ وَكَأنَّنِي مَا أعْرِفُك !!... ؛ لَقَد كَانَ الخَطَأُ يَوْمَ أوْقَفْتِنِي بِوَسَطِ حَارَتِنَا وَنَحْنُ مَا نَزَالُ تَحْتَ ضَوْءِ النَّهَارِ وَالنَّاسُ بِالدُّرُوبِ يَرُوحُونَ وَيَجِيئُون !!... ؛ بَل كَانَت العُيُونُ كُلُّهَا تَتَّجِهُ إلَى الفَتَاةِ الغَرِيبَةِ عَن بَلْدَتِنَا الَّتِي جَاءَت لَتَقْطُن هُنَا بِرُفْقَةِ زَوْجِهَا وَهِي تُحَادِثُنِي وَتَتَحَاوَرُ مَعِي !!... ؛ لَقَد كَانَ الخَطَأُ يَوْمَ جِئْتِ لِزِيَارَةِ أُمِّي فَتَحَادَثْنَا بِالعُيُونِ وَكُنْتِ أنْتِ صَاحِبَةَ المُبَادَرَة... ؛ فَنَظَرْتُ إلَى مَلامِحِ وَالدَتِي وَقَسَمَاتِ وَجْهِهَا ... ؛ فَعَلِمْتُ أنَّهَا قَد فَهِمَت الأمْر... ؛ وَبَلَغَ مِن نُفُورِهَا مِنِّي أن أعْرَضَت عَن

تَأْنِيبِى وَمُعَاتَبَتِى ؛ وَإِن كَانَت قَد أَشَارَت إِلَى عَدَمِ رَغْبَتِهَا فِى إِتْيَانِكِ إِلَى البَيْتِ رَغْمَ مَا تُكِنُّهُ لَكِ مِن حُبٍّ وَمَوَدَّةٍ... ؛ صَمَتَت أُمِّى ؛ وَلَكِنَّ جَارَتَنَا الَّتِى كَانَت حَاضِرَةً !!... ؛ أَذَاعَت الخَبَرَ وَأَخْبَرَت نِسَاءَ الحَىِّ أَنَّ مُنَى مَا تَأْتِى لِزِيَارَةِ وَالدَتِى المَرِيضَةِ وَإِنَّمَا تَأْتِى لِشَىْءٍ آخر !!.

أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ بَعْضَ أَبْنَاءِ البَلْدَةِ قَد رَغِبُوا فِى التَّقَرُّبِ مِنْكِ قَبْلَ أَن نَلْتَقِى أَوَّلَ مَرَّةٍ ... ؛ وَلَمَّا عَجَزُوا نَظَرُوا وَرَاقَبُوا مَا يَكُون !!... ؛ فَلَمَّا جِئْتُ أَنَا كَانَت حَيْطَتِى شَدِيدَةً لأَنَّكِ امْرَأَةٌ تَعِيشُ فِى كَنَفِ زَوْجِهَا... ؛ وَلَكِنَّكِ بِسَذَاجَةِ البَرَاءَةِ جَعَلْتِى الأَمْرَ يُعْرَفُ رَوِيدَاً رُوَيْدَاً حَتَّى انْتَشَرَ فَاشْتَهَر !!.

أَنَا لا أَثُورُ وَلا أُغَاضِب !!... ؛ وَلَكِنِّى لا أُحِبُّ أَن أُتَّهَمَ بِأَنِّى مَا كُنْتُ حَرِيصاً عَلَيْكِ !!... ؛ أُكْذُوبَةُ الأَكَاذِيبِ حَقَّاً أَن يُقَالَ مِثْلُ هَذَا الكَلام !! ... ؛ مَا أَحَدٌ عَلَى ظَهْرِ هَذِهِ الأَرْضِ يَخَافُ عَلَى مُنَى كَمَا أَخَافُ عَلَيْهَا أَنَا!!.

وَالسَّلام



ـ الرِّسَالَةُ الخَامِسَة

[يَنَاير ؛ 2008م]

...

يَتَعَاتَبَانِ وَيَشْكُوانِ هَوَاهُمَا
بِمَدَامِعٍ جَلَّت عَن الهَمَلانِ.
يَتَهَاجَرَانِ بِسُوءِ ظَنٍّ فِي الهَوَى
وَيَقِلُّ صَبْرُهُمَا فَيَصْطَلِحَانِ.

...

عَزِيزَةٌ عَلَيَّ دُمُوعُكِ !!... ؛ وَلَكِنِّي لَسْتُ مِمَّن يَرْغَبُونَ فِي حُبٍّ تُطَارِدُهُ شُبْهَةُ تَهَافُتِ الصِّدْقِ وَالإِخْلاص !!... ؛ أَنَا أَعْطَيْتُ قَلْبِي وَنَفْسِي وَرُوحِي !! ... ؛ فَلَسْتُ أَرْضَى بِهَفْوَةٍ... ؛ وَلَسْتُ أَنَا مَن يُمَرِّرُ الذَّنْبَ وَلا يُعَقِّب!! ... ؛ مَا كَانَ دَمْعَاً !!... ؛ بَل كَانَ جَمْرَاً أَصَابَ فُؤَادِي !!... ؛ وَمَهْمَا يَكُن مِن أَمْرٍ... ؛ فَأَنَا قَد أَقْهَرُ حُزْنِي... ؛ وَلَكِنِّي لا أُطِيقُ أَن أَبْقِي عَلَى حُبٍّ أَرَاهُ فِي بَعْضِ الأَحَايينِ كَسَرَابٍ خَادِعٍ !!... ؛ آسِفٌ لأَنِّي أَلْقَيْتُ بِمَشَاعِرِي كَي يَتَلاعَبَ بِهَا الوَهْمُ !!... ؛ وَالزَّيْفُ !!... ؛ وَالأَكَاذِيب.

مَا أَنْتِ المُنَى !!... ؛ بَل أَنْتِ المَرَارُ !!... ؛ أَنْتِ العَنَا !!.



ـ الرِّسَالَةُ الأَخِيرَة

[السَّادِسُ وَالعِشْرُون مِن
فِبْرَايِر ؛ 2008م]

...

قَالَ لِي فَمُكِ مِن قَبْل... ؛ أَنَّ حَيَاتَكِ مَعَ هَذَا الزَّوْجِ سَتُلْقِي بِكِ بِلا رَيْبٍ فِي قَلْبِ مَأْسَاةٍ رَهِيبَةٍ !!... ؛ فَكَّرْتُ فِي الأَمْرِ كَثِيراً... ؛ فَإِن كُنْتِ عَلَى العَهْد !! ... ؛ فَغَداً نَحْوَ الهُرُوب !!... ؛ هَذَا غَايَةُ مَا عِنْدِي !!.

وَالسَّلام



- إِي هَكَذَا ؟!!!.

...

وَفِي صَبِيحَةِ يَوْمٍ مَطِير !!... ؛ كَانَ المَسِير !!.
رَحَلَت مُنَى مَعَ زَوْجِهَا !! ... ؛ عَادَت إِلَى بَلْدَتِهَا !!.
رَحَلَت !!... ؛ رَحَلَت وَمَا وَدَّعَت !!... ؛ وَمَا سَلَّمَت !!.

...

غَرِيبَةٌ يَا دُنْيَا البَشَر !!... ؛ الدُّنْيَا ؟!!!.

الدُّنْيَا !!... ؛ دَارٌ تَمكُرُ بِسُكَّانِهَا !!... ؛ وَتَغْدِرُ بِأَهْلِهَا وَجِيرَانِهَا !!... ؛ كَم جَعَلَت مِن قُصُورٍ سُجُونَا !!... ؛ وَأَسْخَنَت بِالبُكَاءِ عُيُونَا !! ... ؛ كَم أَخْلَقَت جَدِيدًا !!... ؛ وَكَم قَهَرَت مِن حُبٍّ كَانَ قَوِيًّا عَنِيدًا !!... ؛ كَم بَدَّدَت شَمَلَ أَحْبَاب !!... ؛ وَمَا أَبْقَت بَعْدَ الآمَالِ البَرِيئَاتِ سِوَى الحُزْنِ وَالعَذَاب !!.

وَكَم قَد رَوَّعَت قَلْبَاً
وَسَاقَت نَحْوَهُ حُزْنَا.
وَمَلَّت بَعْدَ أَن مَالَت
وَأَذْوَت بِالرَّدَى غُصْنَا.

...

هَكَذَا الدُّنْيَا !!... ؛ فَلا مَلام !!... ؛ وَلا عِتَاب !!.

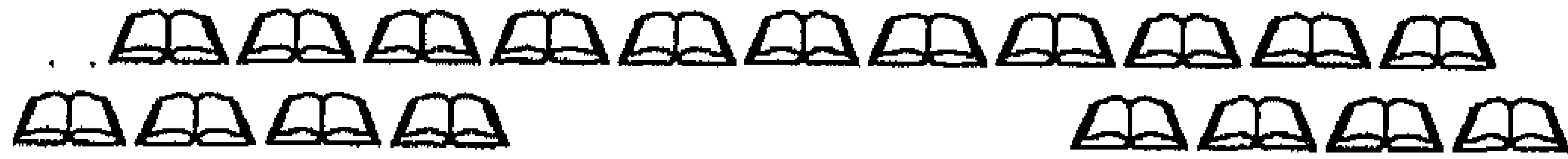
...

أَشَابَ القَلْبُ أم كَرِهَ الشَّبَابَا
وَبَانَ الأُنْسُ أم نَسِيَ الإِيَابَا.
وَغَالَبَنِى الأَسَى أم غَالَبَتْنِى
حَيَاةٌ تَجْعَلُ الفَوْزَ اغْتِصَابَا.
أَتَغْصِبُنِى الدُّمُوعُ الصَّبْرَ حَتَّى
.... ؛ أَرَى الدُّنْيَا أَنِينَاً وَانْتِحَابَا.
وَيُبْدِلُنِى الزَّمَانُ مِنَ التَّصَابِى
وَمِن طَرَبِى وُجُومَاً وَاكْتِئَابَا.
وَأَسْأَمُ لَذَّةَ الدُّنْيَا وَلَمَّا........
...... ؛ أَذُق مِن لَذَّةٍ إِلاَّ حَبَابَا.
فَأَزْجُرُ لَذَّتِى زَجْرَ اليَتَامَى
.. ؛ إِذَا مَا الدَّهْرُ أَمَّ بِهِم ذِئَابَا.
أَفِى وَهَجِ الشَّبَابِ أَعُودُ هِمَّاً
يَذُودُ بِضَعْفِهِ النُّوَبَ الصِّعَابَا.

وَأُطْرِقُ لِلْحَوَادِثِ مُسْتَكِيناً
كَجَانِي الشَّرِّ يَنْتَظِرُ العِقَابَا.
وَأُصْبِحُ فِي يَدِ الدُّنْيَا أَسِيراً
إِذَا رَامَ الفَكَاكَ وَهَى وَخَابَا.
كَمَا عَلِقَ الحِبَالَةَ ذُو جَنَاحٍ
وَلَم يَنْفَعْهُ أَن صَحِبَ السَّحَابَا.
فَصَفَّقَ ثُمَّ رَنَّقَ ثُمَّ أَعْيَى......
......؛ يَحِنُّ لِدَارِهِ جَوّاً وَغَابَا.
أَمِن عَدْلِ الحَوَادِثِ أَن أُضَرَّى
....؛ لأَطْعَمَ إِثْرَ لَذَّتِهِنَّ صَابَا.
وَأَن أَسْتَقْبِلَ الغَدَ مُسْتَرِيباً..؛
فَيُقْبِلَ......؛ لا أَفَادَ وَلا أَثَابَا.
وَأَحْمِلَ مِن بَنَاتِ الهَمِّ قَلْباً
إِذَا نَهْنَهْتُهُ.....؛ زَادَ اضْطِرَابَا.
جَزَاكِ اللهُ مِن دُنْيَا خَتُولٍ
غَذَوْتِ القَلْبَ شَكّاً وَارْتِيَابَا.

أتنهَانِى عَنِ الجَزَعِ اللَّيَالِى
وَمَا تَنفَكُّ تَتركُنِى مُصَابَا.
فَتسلُبُنِى الأَحِبَّةَ عَن عِيَانٍ
وَتَمْنَحُنِى بِذِكْرَاهُم عَذَابَا.
وَتَسألُنِى اختِدَاعاً: أينَ بَانُوا
وَمَن يُجْرِم تَوَقَّحَ أو تَغَابى.
سَلِى مَا شِئْتِ وَاستَمِعِى شَكَاتِى
كَمِثْلِ الدَّمْعِ تَنسَكِبُ انسِكَابَا.
أعَذْلٌ مِنْكِ أن أجَّجْتِ قَلْبِى
فَلَوْلا الصَّبْرُ يُمسِكُهُ لَذَابَا.
فَصَارَعْتُ الشُّجُونَ وَصَارَعَتْنِى
إلَى أن فُزْتُ بِالبُقْيَا غِلابَا.
فَإنَّ الدَّهْرَ يُنصِفُ مَن تَأبَّى
وَيَمْنَعُ يَائِساً مِن أن يُجَابَا.
وَمَن يُعْطَى التَّجَلُّدَ لِلرَّزَايَا
تَيَقَّنَ أن يُصِيبَ وَأن يُصَابَا.

وَسَائِلَةٍ بِظَهْرِ الغَيْبِ عَنِّى
وَعَن جَلَلٍ مِنَ الأَحْدَاثِ نَابَا.
تُذَكِّرُنِى الأَحِبَّةَ يَوْمَ وَلَّوْا
فَزَادَ الدَّمْعُ وَالجَزَعُ انْتِيَابَا.
أَحَافِظَتِى ؛ فَدَيْتُكِ مِن صَدِيقٍ
يُسَائِلُ مَن مَضَى عَنِّى وَآبَا.
هِيَ الدُّنْيَا تُفَرِّقُ سَاكِنِيهَا
وَفِى الذِّكْرَى تَزِيدُهُمُ اقْتِرَابَا.
ألا لا تَعْجَبِى لِى مِن نَحِيبِى
فَإِنَّ أَمَامَنَا العَجَبَ العُجَابَا.



هِبَـه !!

فَتَاةٌ جَاءَت إِلَى عَالَمِ الأَمَانِي !!... ؛ثُمَّ ذَهَبَت بَعْدَ حِينٍ لِتَحيَا فِي دَيْرِ الدَّمْعِ وَالأَحْزَان !!.

...

حُبٌّ ؟!!... ؛مَا أَرَدتُه !!... ؛وَذَنْبٌ ؟!!... ؛أَنَا الَّذِي صَنَعْتُه !!.

لا تَبْكِ إِثْرَ مُوَلٍّ عَنْكَ مُنْحَرِفٍ
تَحْتَ السَّمَاءِ ؛وَفَوْقَ الأَرْضِ أَبْدَالُ.



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

...

فِى زَمَنِ الخَوْفِ وَالمِحَن!!... ؛ يَنْظُرُ الإِنْسَانُ إِلَى ذَاتِهِ ؛ وَيَتَأَمَّلُ فِى حَقِيقَةِ وُجُودِهِ !!... ؛ فَلا يَرَى نَفْسَهُ إِلاَّ كَغَرِيقٍ بِوَسْطِ بَحْرٍ عَظِيمٍ مُتَلاطِمِ المَوْجِ !!... ؛ تَهْجُمُ عَلَيْهِ العَوَاصِفُ فِى كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ !!... ؛ وَتَتَتَابَعُ الأَعَاصِيرُ وَتُسَاقُ إِلَيْهِ مِن كُلِّ مَكَان... !!.

فِى مِثْلِ هَذِهِ اللَّحَظَات ؛ لا يُبَالِى الإِنْسانُ أىَّ يَدٍ امْتَدَّت نَحْوَهُ لِتُخْرِجْهُ مِمَّا هُوَ فِيهِ ؛ أو لِتُخَفِّفَ عَنْهُ بَعْضَ مَا يُلاقِيه ؛ وَكَذَلِكَ كَان !!... ؛ جَاءَت الفَتَاةُ لِتَعِيشَ فِى عَالَمِ المَشَاعِرِ ؛ فَكَانَت العَاقِبَة ؟!!... ؛ أن عَادَت بَعْدَ رِحْلَةِ الأَمَلِ المُوجِعِ لِتَقْضِى أَيَّامَهَا فِى ظِلِّ الصَّمْتِ وَالسُّكُونِ الكَئِيب ؛ فِى رِحَابِ دَيْرِ الدَّمْعِ وَالأَحْزَانِ وَالأَلم !!.



- الرِّسَالَةُ الأُولَى

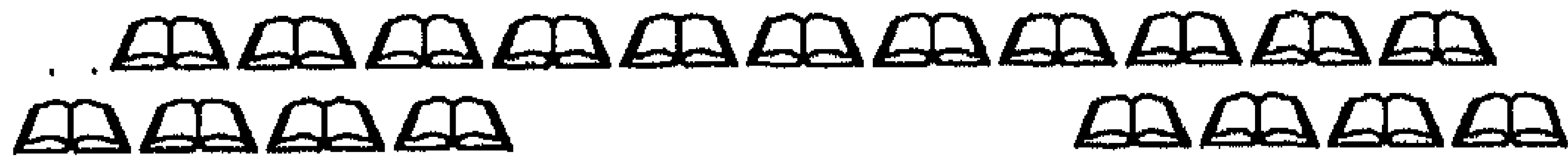
...

لا أَدْرِى مَا هُوَ سَبَبُ تِلْكَ الغُصَّةِ وَالحَسْرَةِ الَّتِى أَشْعُرُ بِهَا وَهِىَ تَمُوجُ فِى نَفْسَكِ وَتَسْتَحْوِذُ عَلَى كِيَانَكِ دَائِماً وَأَبَداً ؟!!.

أَنَا أَخْبَرْتُكِ سَلَفاً بِأَنَّنَا قَد وُجِدْنَا عَلَى هَذِهِ الأَرْضِ كَى نُوَاجِهَ خُطُوبَ الزَّمَن ؛ فَنُقْهَرُ بِالهَزِيمَةِ فِى بَعْضِ أَيَّامِ دَهْرِنَا ؛ وَنَسْعَدُ بِمَعْنَى النَّصْرِ وَالظَّفْرِ فِى بَعْضِ الأَحَايِين.

مِنَ العَسِيرِ عَلَى نَفْسِى أَن أَرَاكِ هَكَذَا ؟!!... ؛ ثُمَّ لا أَجِدُ عِنْدِى مِن سَبِيلٍ إِلَى مَدَاوَاةِ ذَلِكَ الجُرْحِ الَّذِى تَشْعُرِينَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَار؟!!... ؛ هَذَا لَعَمْرِى مِن تِيْكِ الأُمُورِ الَّتِى تَجْعَلُ المَرْءَ يَكَادُ أَن يَفْقِدَ عَقْلَهُ وَصَوَابَهُ!!.

لَسْتُ أَدْرِى مَا هُوَ الَّذِى يَجِبُ عَلَىَّ بِصَدَدِ أَمْرٍ لا نَعْرِفُ تِرْيَاقَهُ وَلا دَوَاءَه؟!! ؛ كُلُّ الَّذِى أَعْلَمُهُ وَأَدْرِيه ؛ أَنَّنَا تَعَاهَدْنَا عَلَى مُوَاجَهَةِ الحَيَاةِ مَعاً ؛ وَهَا أَنْتِ تَسْعَيْنَ إِلَى قَتْلِ نَفْسَكِ ؛ وَتَتَنَاسَيْنَ أَنَّنِى مَا زِلْتُ أَقِفُ هُنَا فِى انْتِظَارَكِ؟!!.



ـ الرِّسَالَةُ الثَّانِيَة

...

مَا كُنْتُ أَتوقَّعُ أَبَداً أَنَّكِ بِهَذَا الضَّعْفِ القَاهِرِ الرَّهِيب؟!!.

أَمِن أَجْلِ أَنَّنِي سَافَرْتُ هَذِهِ السَّفْرَةَ الجِدُّ قَصِيرَةٍ مِن دُونِ أَن آتِيكِ لِلسَّلامِ وَالوَدَاع ؛ تَفْعَلِينَ كُلَّ هَذَا ؛ وَتَبْكِينَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَة؟!!.

أَمَا تَذْكُرِينَ كَلامَكِ بِأَنَّ الرَّجُلَ الصَّادِقَ هُوَ مَن لا يُضَيِّعُ فُرْصَةً لِلكَسْبِ وَتَحْقِيقِ المَغْنَمِ وَجَنْي بَعْضِ ثِمَارِ كِفَاحِهِ؟!!.

أَمَّا تَعْلَمِينَ أَنَّنِي وَإِن كُنْتُ أَعِيشُ اليَوْمَ فِي أَرْضِي ؛ إِلاَّ أَنَّ الغَدَ قَدْ يَأْتِي فَيَحْمِلُنِي إِلَى دِيَارٍ قَصِيَّةٍ ؛ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ لا أَدْرِي مَتَى يَكُونُ العَوْدُ وَلا مَتَى يَكُونُ الإِيَاب؟!!... ؛ فَيَا تُرَى!!... ؛ مَا يَكُونُ مَوْقِفُكِ آنَئِذٍ؟!!.

أَمَّا تَعْلَمِينَ أَنَّنِي خَرَجْتُ إِلَى الدُّنْيَا فَلَم أَجِد إِرْثاً وَلا مَالاً؟!!... ؛ أَنْتِ تَعْرِفِينَ قِصَّتِي ؛ وَتَعْرِفِينَ أَنَّ أَبِي حِينَمَا وَدَّعَ الحَيَاةَ مَا تَرَكَ لِي سِوَى تِلْكَ الحِكْمَةِ اليَتِيمَةِ الَّتِي كُنْتُ أَحْفَظُهَا مِن صِغَرِي : «أَنَّ الحَيَاةَ كَالحَرْب ؛ وَالدُّنْيَا مَا هِيَ غَيْرُ مَعْرَكَةٍ لا تَنْتَهِي ؛ فَمَن قَصَّرَ أَو تَوَانَى؟!!... ؛ فَهُوَ بِصِفَاتِ النِّسَاءِ أَوْلَى ؛ وَمِن أَخْلاقِ الرِّجَالِ ذَوِي الشَّرَفِ بِمُطَّرَحٍ وَمَنْأَى.».

فَأجِيبِى سُؤالِى بِاللهِ عَلَيْكِ!!... ؛أتَرْغَبِينَ فِى رَجُلٍ لَو كُلِّفَ أن يَجُوبَ سَائِرَ آفَاقِ الدُّنْيَا ؛ثُمَّ هُوَ لايَعْلَمُ مَتَى يَرْجِعُ إلَى مَوْطِنِهِ ؛ وَلَكِنَّهُ يُوقِنُ أنَّ يَوْمَ عَوْدَتِهِ سَيَكُونُ يَوْمَ الظَّفْرِ وَالنَّصْر ؛لَمَا تَرَدَّدَ لَحْظَةً ؛ وَتَرَكَ نَفْسَهُ إلَى رِيَاحِ الأَرْضِ تَأخُذُهُ أنَّى شَاءَت وَحَيْثُمَا أرَادت؟!!.

أتَرْغَبِينَ فِى مِثْلِ هَذَا الرَّجُل؟!!... ؛أم أنَّكِ تُرِيدِينَ فَتَىً لا يَعْرِفُ مِن الدُّنْيَا غَيْرَ نَسْجِ الأَشْعَارِ وَمَحَادَثَةِ النِّسَاءِ بِكَلامٍ جَمِيلٍ مَعْسُول؟!!.

أتَرْغَبِينَ فِى رَجُلٍ ؛أم تَرْغَبِينَ فِيمَن يُعَدُّ مِن طَائِفَةِ أشْبَاهِ الرِّجَال؟!!.

...

حَبِيبَتِى يَا ذَاتَ القَلْبِ الطَّيِّبِ الرَّحِيم !... ؛أنَا وَاحِدٌ مِن تِلْكَ الفِئَةِ الَّتِى يَصْدُقُ فِيهَا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

أطَالَ بَيْنَ البِلادِ تَجْوَالِى
قُصُورُ مَالِى وَطُولُ آمَالِى.
إن رُحْتُ فِى بَلْدَةٍ غَدَوْتُ إلى
أُخْرَى فَمَا تَسْتَقِرُّ أجْمَالِى.
كَأنَّنِى فِكْرَةُ المُوسْوِسِ مَا
تَبْقَى بِذِى لَحْظَةٍ عَلَى حَالِ.

إِنَّنِى أَسْعَى فَوْقَ دُرُوبِ هَذِهِ الحَيَاةِ وَأَنَا أُرَدِّدُ قَوْلَ القَائِلِ :

لأُكَلِّفَنَّ الْعِيسَ دَامِيَةَ الأَ
خِفَافِ مِن بَلَدٍ إِلَى بَلَدِ.
إِمَّا يُقَالُ: مَضَى فَأَحْرَزَهَا
أَو لا ؛يُقَالُ: مَضَى وَلَم يَعُدِ.

أَنَا أَعْلَمُ جَيِّداً أَنَّكِ تَتَعَجَّلِينَ ذَلِكَ اليَوْمِ الَّذِى تَبْدَأُ فِيهِ حَيَاتُنَا الحَقِيقِيَّةُ مَعاً ؛ وَلَكِنَّنِى أَخْشَى ذَلِكَ اليَوْمِ الَّذِى أُشَبِّهُ فِيهِ بِذَلِكَ الَّذِى يَقُول :

قُلْتُ لأَهْلِى وَرَامُوا أَن أَمِيرَهُمُ
بِمَاءِ وَجْهِى فَلَم أَفْعَل وَلَم أَكَدِ.
لا يَسْتَوِى أَن تَهِينُونِى وَأُكْرِمَكُم
وَلا يَقُومُ عَلَى تَقْوِيمِكُم أَوْدِى.
فَطِيبُوا عَن رَقِيقِ الْعَيْشِ أَنْفُسكُم
وَلا تُمِدُّوا إِلَى أَيْدِى اللِّئَامِ يَدِى.
تَبَلَّغُوا وَادْفَعُوا الحَاجَاتِ مَا انْدَفَعَت
وَلا يَكُن هَمُّكُم فِى يَوْمِكُم لِغَدِ.

وَلَرُبَّ مُدَّخِرٍ مَا لَيْسَ آكِلُهُ
وَمُسْتَعِدٌّ لِيَوْمٍ لَيْسَ فِي الْعَدَدِ.
وَرُبَّ مُجْتَهِدٍ مَا لَيْسَ بَالِغُهُ
وَبَالِغٍ مَا تَمَنَّى غَيْرُ مُجْتَهِدِ.

...

اعْلَمِي أَنَّ خَيْرَ عُدَّةِ الْمَرْءِ آمَالٌ يَحْيَا مِن أَجْلِهَا ؛ وَإِذَا كَانَ الحُبُّ هُوَ أَعْظَمُ الآمَال ؛ فَلَقَد أَفَادَتْنِي تَجَارِبِي أَمْرَاً لَسْتُ أَنْسَاهُ ؛ بَل لَو قُلْتُ أَنَّنِي أَضَعْهُ دَائِمَاً وَأَبَدَاً نُصْبَ فُؤَادِي وَبَصِيرَتِي لَمَا كُنْتُ كَاذِبَاً أَو مُغَالِيَاً :

• يَغْدُو الفَقِيرُ وَكُلُّ شَئٍ ضِدُّهُ
وَالأَرْضُ تُغْلِقُ دُونَهُ أَبْوَابَهَا.
حَتَّى الكِلابَ إِذَا رَأَت ذَا بِزَّةٍ
أَصْغَت إِلَيْهِ وَحَرَّكَت أَذْنَابَهَا.
وَإِذَا رَأَت يَوْمَاً فَقِيرَاً مُقْبِلاً
هَرَّت عَلَيْهِ وَكَشَّرَت أَنْيَابَهَا



ـ الرِّسَالَةُ الثَّالِثَة

أَعْتَذِرُ إِلَيْكِ يَا حَبِيبَتِى الغَالِيَةَ اعْتِذَارَ مُقِرٍّ بِالتَّفْرِيطِ وَالتَّقْصِيرِ.

أَعْلَمُ أَنَّكِ سَئِمْتِى مِن كَثْرَةِ هَذِهِ الأُمُورِ الَّتِى تَحُولُ بَيْنِى وَبَيْنَ الإِتْيَانِ إِلَى المَوْعِدِ الَّذِى نَتَّفِقُ عَلَيْهِ دَائِماً !!.

أَنَا فِى الحَقِيقَةِ أَشْعُرُ إِزَائِكِ بِالخَجَلِ الشَّدِيد !!... ؛ وَلَكِنِّى مَا أَدْرِى ؟!! ... ؛ فَهَذِهِ هِى طَبِيعَةُ حَيَاتِى !!... ؛ وَأَنْتِ تَعْلَمِينَ أَنَّ الأَدِيبَ الَّذِى يَعِيشُ مِن قَلَمِهِ ؛ فَإِنَّهُ مِنَ المُقَدَّرِ عَلَيْهِ أَن يَقْضِى أَكْثَرَ أَوْقَاتِهِ ؛ إِن لَم يَكُن جَمِيعَهَا ؛ فِى وَسْطِ صَوْمَعَتِهِ بَيْنَ كُتُبِهِ وَأَسْفَارِهِ.

أَنَا مَا أَفْرَغُ مِن ذَلِكَ الَّذِى أَكُونُ بَصَدَدِهِ إِلاَّ وَأَنَا مُتَهَالِكُ القُوى ؛ لا أَدْرِى يَمِينِى مِن يَسَارِى !!... ؛ وَأَحْيَاناً أُحَاوِلُ أَن آتِيكِ لِيَقِينِى بِأَنَّكِ أَصْبَحْتِ مُسْتَاءَةً إِلَى الغَايَةِ ؛ وَلَكِنِّى أَعُودُ فِى النِّهَايَةِ وَأُعَاتِبُ نَفْسِى!!... ؛ إِذ كَيْفَ أُسَوِّغُ لِذَاتِى أَن آتِيكِ وَأَنَا مَحْضُ جَسَدٍ بِلا رُوح ؛ وَشَبَحٍ بِلا عَقْل ؛ وَعُيُونٍ بِلا ضَوْء!!.

أَعْلَمُ أَنَّ عَفْوَكِ أَعْظَمُ مِن آثَامِى وَذُنُوبِى ؛ فَعَسَى أَن أُعَجِّلَ بِمَا يَسْتَوْجِبُ مُسَامَحَتَكِ وَتَنَاسِيكِ لِمَا سَبَّبْتُهُ لَكِ مِن ضِيقٍ وَكَمَد.

نِزَار المِصْرِى



ـ الرِّسَالَةُ الرَّابِعَة

سُبْحَانَ الله !!... ؛ عَجِيبٌ أَمْرُكِ حَقّاً !!... ؛ أَبَعْدَ كُلِّ هَذَا تَرْتَابِينَ فِي حَقِيقَةِ مَشَاعِرِي ؟!!.

مَا هَذَا الَّذِي شَعُرْتُ بِهِ ؟!!... ؛ أَتَخْشَيْنَ مِنِّي ؟!!.

إِنَّ القُبْلَةَ البَرِيئَةَ الَّتِي حَاوَلْتُ أَن أَطْبَعَهَا عَلَى جَبِينَكِ فِي صَبَاحِ لِقَاءِنَا الأَخِير ؛ قَدْ كَانَ بِإِمْكَانِي أَن أُوصِلَهَا إِلَى حَيْثُ أُرِيد ؛ وَلَكِنِّي رَغِبْتُ عَن ذَلِكَ وَصَدَفْتُ عَنْهُ حِينَمَا تَأَمَّلْتُ بِعَيْنَيْكِ تِلْكَ النَّظْرَةِ المُسْتَرِيبَة !!.

أَيَّتُهَا الفَتَاةُ الغَرِيبَة !!... ؛ مَن أَخْبَرَكِ أَنَّنِي مِن رُوَّادِ العَبَثِ وَالتَّمَادِي فِي البَاطِل ؟!!.

فِي الوَاقِعِ أَنَا لا أَدْرِي مَا أَقُول ؟!!... ؛ صَنِيعُكِ هَذَا جَعَلَنِي أَخْرُجُ مِن عِنْدَكِ وَأَنَا أَشْعُرُ بِأَنَّ صَرْحَ الثِّقَةِ الَّذِي بَيْنَنَا ؛ مَا هُوَ فِي جَوْهَرِ الأَمْرِ إِلاَّ كَقَبْرٍ مُتَهَدِّمٍ بَال !!.

مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَبَداً أَنَّكِ تَرْتَابِين بِحَقِيقَةِ مَشَاعِرِي !!.

مَا زِلْتُ أَقُولُ كَمَا كُنْتُ أَقُولُ يَوْمَ رَأَيْتُكِ أَوَّلَ مَرَّةٍ : « مِسْكِينَةٌ أَنْتِ !! ... وَغَرِيبَةٌ أَنْتِ حَقّاً !!. ».



ـ الرِّسَالَةُ الخَامِسَة

لا أُرِيدُ أن أسْمَعَ هَذَا الكَلام !!... ؛اليَوْم ؟!!... ؛أصْبَحْتُ أقِفُ وَأنَا لا أَدْرِى إِلَى أيْنَ أسِير !!.

لَقَد حَدَثَ مَا كُنْتُ أَخْشَاه ؛ وَلا غَرَابَةَ فِى ذَلِكَ !! ... ؛ فَهَذَا هُوَ مَا عَوَّدَتْنِيهِ الأَيَّام!!.

مَا أَدْرِى أَيْنَ يَكْمُنُ الخَطَأ؟!!.

مَا أَغْرَبَ هَذَا الزَّمَن !!.

زَمَــانٌ يَمُرُّ وَعَيْشٌ يَفِــرُّ
وَدَهْـرٌ يَكِـرُّ بِمَـا لا يَسُــرُّ.
وَحَــالٌ تَذُوبُ ؛ وَهَمٌ يَثُوبُ
وَدُنْيَا تُنَادِيـكَ أن لَيْسَ حُــرُّ.
وَأَحْسَنَ مَا اسْتَشْعَرَ العَــارِفُو
نَ عِنْدَ الشَّدَائِدِ حِلْمٌ وَصَبْرُ.
وَللهِ فِــى كُـلِّ مَـا نَابَنِــى
وَأَوْلَــى وَأَبْلَـى ثَنَاءٌ وَشُكْرُ.



ـ الرِّسَالَةُ الأَخِيرَة

آسِفٌ جِدًّا يَا صَدِيقَتِي البَرِيئَة !!... ؛ لَسْتُ أَدْرِي مَن مِنَّا أَوْلَى بِالرِّثَاء؟!!!.

أَنَا؟!!!... ؛ مِن المُحَالِ أن أُكْمِل... ؛ وَأَنْتِ؟!!!... ؛ مِنَ العَبَثِ أن تُوَاصِلِي مَعِي تِلْكَ الرِّحْلَةِ المَحْكُومُ عَلَيْهَا مِن لَدُنِ بَدْءِهَا بِالمَوْت !!.

مَا تَزَالُ الدُّنْيَا أَمَامَكِ... ؛ أَمَّا أَنَا؟!!!... ؛ فَمَا أَدْرِي؟!!!.

أَخْبَرْتُكِ مِن أَمَدٍ بَعِيدٍ ؛ أَنَا قِصَّتِي مَعَ الحَيَاةِ شَدِيدَةُ الغَرَابَةِ!!... ؛ أَنَا دَائِمًا لا أَجِدُ أَمَامِي غَيْرَ تِلْكَ الدُّرُوبِ المَجْهُولَةِ !!... ؛ فَلِمَاذَا تَرْغَبِينَ فِي السَّيْرِ مَعَ رَجُلٍ بِهَذِهِ الصِّفَة؟!!!.

حَيَاتِيَ إِعْصَارٌ عَنِيفٌ !!... ؛ وَقَد وَطَّنْتُ نَفْسِي عَلَى هَذَا الأَمْر ؛ وَلَكِن مِنَ المُحَالِ أن أُسَوِّغَ لِنَفْسِي دَعْوَتَكِ إِلَى مُشَارَكَتِي فِي مِثْلِ هَذِهِ الحَيَاة ؟!!!... ؛ إِنَّ قَنَاتِي لا تَلِينُ أَبَدًا ؛ وَأَنَا لا أَعْرِفُ اليَأْسَ وَلا الهَزِيمَة ؛ وَالسِّرُّ فِي ذَلِكَ هُوَ أَنَّنِي أَعِيشُ وَحْدِي ؛ فَالجِرَاحَاتُ تَنَالُنِي وَحْدِي ؛ وَالأَحْزَانُ مَا تَنْتَابُ غَيْرَ قَلْبِي ؛ وَالظَّلامُ إِن هَجَمَ فَمَا يَأْسِرُ غَيْرَ عُيُونِي ؛ أَمَّا أن أَرَى صَاحِبَتِي تَتَجَرَّعُ الغُصَصَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَفِي كُلِّ لَحْظَةٍ ؛ فَهَذَا هُوَ مَا لا يَرْضَاهُ شَرِيف ؛ بَل هَذَا لَعَمْرِي دُونَهُ المَنِيَّةُ وَالحِمَامُ وَالأَجَل.

أَشْوَاقُ السَّاعَاتِ تَفْنَى ؛ وَجُنُونُ غَرَامِ اللَّيَالِي يَزُول ؛ وَتَارِيخُ السَّعَادَةِ سَرِيعًا مَا يَمَّحِي ؛ وَلَكِنَّ ذِكْرَى لَحَظَاتِ الشَّقَاءِ وَالتَّعَاسَةِ تَعِيشُ مَعَ المَرْءِ

إِلَى النِّهَايَة ؛ وَلِذَا !!... ؛ فَأَنَا لا أُرِيدُ أَن أَكُونَ لَكِ بِمَثَابَةِ تَعَاسَةِ الدَّهْر ؛ وَكَذَلِكَ ؛ فَأَنَا لا أُرِيدُ أَن تَكُونِى سَبَبَ شَقَائِى وَمِحْنَةَ حَيَاتِى ؛ فَأَنَا أَمْلُكُ مِنَ المِحَنِ مَا يَكْفِينِى إِلَى يَوْمِ تَكْفِينِى !!.

لِمَاذَا ؟!!... لِمَاذَا ؟!!... ؛ أَنْتِ مَا تَنْظُرِينَ إِلَى الأَمْرِ بِمَنْطِقٍ وَلا عَقْل !! ... ؛ إِنَّ حَيَاتَكِ مَعِى هِىَ الجَحِيمُ بِعَيْنِهِ ؛ إِنَّ العِشْقَ شَىْءٌ ؛ وَالوَاقِعُ شَىْءٌ آخَر ؛ العَشْقُ عَالَمٌ نُورَانِىٌّ رَائِعُ المَنْظَرِ وَالجَوْهَر... ؛ وَوَاقِعُ الحَيَاةِ ؟!! ... ؛ عَالَمٌ خَبِيثٌ بَشِعُ الظَّاهِرِ وَالبَاطِن !!.

أَنَا لا أَرْغَبُ فِى تَضْلِيلَكِ وَقَتْلِ سَنَوَاتِ عُمُرِك ؛ فَهَذَا مِن المَهَازِلِ الَّتِى لا تَشْرُفُ بِالرِّجَال.

أَنَا مَا عُدتُ أَمْلُكُ لا دِينَاراً وَلا دِرْهَمَاً ؛ إِنَّ بُكَائَكِ لَن يَحُولَ بَيْنِى وَبَيْنَ الفَقْرِ وَالفَاقَة ؛ وَكَذَلِكَ فَإِنَّ انْسِحَابِى مِن حِصْنِ الحُبِّ الَّذِى عَرِفْنَاهُ لَن يَجْعَلَ مِنِّى فَتَىً ثَرِيَّاً مُتْرَفَاً... ؛ أَنَا مَا أَضَعُ النِّهَايَةَ إِلاَّ مِن أَجْلَكِ.

لَيْتَنِى مَا عَرِفْتُكِ !!... ؛ أَنَا مَا جَلَبْتُ لَكِ غَيْرَ الأَسَى ؛ أَنَا مَا أَعْطَيْتُكِ سِوَى الهَمِّ وَالكَآبَةِ ؛ أَنَا مَا أَذَقْتُكِ إِلاَّ مِن كَأْسِ الحُزْنِ وَالمَرَارَة !!.

عِنْدَ هَذِهِ النُّقْطَةِ يَا صَدِيقَتِى ؟!!... ؛ يَجِبُ أَن نُنْزِلَ سِتَارَ النِّهَايَة.

أَرْجُو لَكِ السَّعَادَة.

نِزَار المِصْرِى

ـ فَتَاتِي !!... ؛ لا تَحْزَنِي !!.

...

خِطَابٌ إِلَيْهَا قَبْلَ الرَّحِيل :

...

« إِلَى مَن تَاهَ دَمْعُهَا بَيْنَ المَطَر !!. »

« عُذْراً فَتَاتِي!!... ؛ عُذْراً فَتَاتِي الحَائِرَه !!... ؛ عُذْراً لأَنَّ عُيُونَكِ الثَّكْلَى بِأَرْضِ رَجَاءِهَا فِي يَوْمِ عِيدٍ قَد تَولَّت خَاسِرَه!!... ؛ لا فَرْقَ بَعْدَ وَدَاعِنَا مَن ذَا نَجَا أَو مَن خَسِر!!... ؛ فَالمَرْكَبُ الوَرْدِيُّ عِنْدَ عُبُورِهِ فِي وَسْطِ نَهْرٍ قَد تَهَشَّمَ وَانْكَسَر!!... ؛ مَا كُنْتِ حُلْمِي!!... ؛ مَا كُنْتِ حُلْمِي وَهَا أَنَا مَا كُنْتُ يَوْماً بِالحَبِيبِ المُنْتَظَر!!... ؛ عِشْقٌ مُحَالٌ!!... ؛ عِشْقٌ مُحَالٌ أَن يُنَاطَ الحُلْمُ بِي وَأَنَا عَلَى بَحْرِ الزَّمَانِ أُرِيدُ عَوْدَ سَفَائِنِي كَي أَبْدَأَ التَّرْحَالَ أُعْلِنُ مِن جَدِيدٍ عَن رَحِيلٍ أَو سَفَر!!... ؛ عُذْراً !!... ؛ عُذْراً فَيَوْمُ لِقَاءِنَا وَسْطَ الغُيُومِ بِقَلْبِ أَوْدِيَةِ المَطَر!!.

عُذْراً !!... ؛ عُذْراً فَمَا يُجْدِي البُكَاء!!... ؛ أَنَا دَمْعُ عَيْنِي قَد نَزَف فِي ظِلِّ أَزْمِنَةِ الشَّقَاء!!... ؛ وَلِذَا فَإِنِّي؟!!... ؛ وَلِذَا فَإِنِّي قَد أَمُرُّ عَلَى الدَّمِ المَسْفُوحِ مِن غَيْرِ امْتِعَاضٍ أَو عَنَاء!!... ؛ هَا أَنْتِ تَرْثِينَ الهَوَى يَوْمَ التَّفَرُّقِ وَالخَسَار!!... ؛ وَأَنَا بِطُبْشُورٍ كَئِيبٍ قَد كَتَبْتُ نِهَايَتِي فِي وَجْهِ أَحْشَاءِ

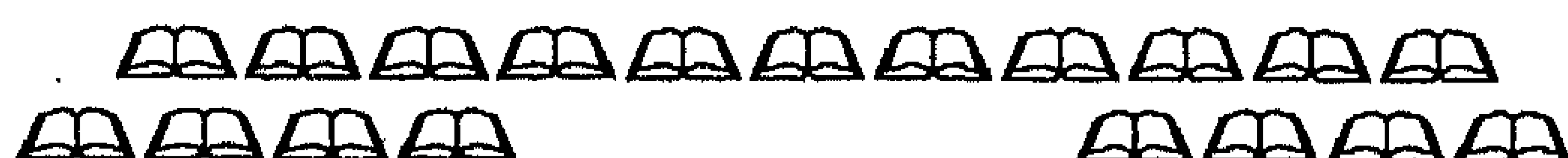
الجِدَار!!... ؛ عُـذْراً فَتَاتِي حَقِيقَةٌ!!... ؛ عُـذْراً فَتَاتِي فَإِنَّنِي !!... ؛ أنَا كُلُّ يَوْمٍ فِي قِطَار!!... ؛ مَا عُدْنَا!!... ؛ مَا عُدْنَا فِي زَمَنِ البُطُولَةِ وَالبَسَالَةِ وَالصُّمُود!!... ؛ بَل نَحْنُ فِي عَصْرِ الحَيَارَى وَالأَسَارَى وَسْطَ أَجْبَالِ القُيُود!!.

لا تَسْأَلِي!!... ؛ لا تَسْأَلِي عَنِّي صِحَابِي أَو رِفَاقِي فِي البِلاد!!... ؛ قَد بُعْثِرُوا وَسْطَ الرِّيَاحِ الهُوجِ لَم يَبْقَ لَنَا غَيْرَ المَآسِي وَالهَزَائِمِ إِنَّهَا دَوْماً تُبَادِرُ فِي احْتِشَاد !!... ؛ مَا كَانَ حَقُّكِ أَن تَجُوبِي وَسْطَ صَمْتِ مَدَائِنِي!!

... ؛ فَالأَرْضُ قَد مُلِئَت بِأَشْلاءِ المُنَى فِي يَوْمِ حَفْلٍ قَد تَهَاوَت قِصَّتِي
سَقَطَت هُنَاكَ مَآذِنِي!!... ؛ لَم يَبْقَ غَيْرُ الرِّيحِ تَعْبَثُ فِي مَتَاهَاتِ
الفَيَافِي وَالخَرَائِب!! ... ؛ فَحَبِيبَتِي لا تَعْجَبِي!!... ؛ فَحَيَاتُنَا فِي
قَلْبِ عَصْرٍ لا يَمَلُّ مِنَ المَقَابِحِ وَالمَخَازِي وَالمَثَالِب !!
... ؛ وَلِّي سَرِيعاً لا تُضِيعِي العُمْرَ فِي لَفَتَاتِ حُزْنٍ أَو وَدَاع !!
... ؛ فَمَصِيرُ أَشْعَارِي بِهَذَا التِّيهِ هُو مَحْضُ التَّمَزُّقِ وَالضَّيَاع !!.

لا تَذْكُرِي عَهْدِي فَمَا أَعْطَيْتُ قَلْبَكِ غَيْرَ أَزْهَارٍ بِلَوْنِ اللَّيْلِ قَد قُهِرَت مِنَ اليَأْسِ المُبَدَّدَ بَيْنَ فَقْرِ أَصَابِعِي !!... ؛ لا تَذْكُرِي زَمَناً مَدَامِعُكِ الشَّجِيَّةُ قَد تَمَادَت فَوْقَ عَرْشِ مَوَاجِعِي !!... ؛ عُودِي لأَرْضٍ قَد تَجُودُ بِلَحْظَةٍ مِن بَعْدِ أَن ذَبُلَت وُرُودُكِ بَعْدَ أَن وئِدَ الحُلْم يَوْمَ التَّغَنِّي بِالأَمَانِي عِنْدَ أَعْتَابِ التَّمَنِّي

وَالرَّجَاء !!... ؛ سِيرِى وَخَلِّينِى لأَشْدُو اليَوْمَ بَعْضَ قَصَائِدِى !!... ؛ فَهِيَ الَّتِى تَبْقَى!!... ؛ فَهِيَ الَّتِى تَبْقَى إِذَا مَا صِرْتُ مَحْضَ وَدِيعَةٍ فِى جَوْفِ تِيهٍ !!... ؛ لَم يَرَ غَيْرَ المَهَالِكِ !! ... ؛ وَالتَّلاشِى !! ... ؛ وَالفَنَاء .)).(1).



رَبَاب !!

فَتَاةٌ !!... ؛ خَرَجَت إِلَيْنَا مِنَ الجَحِيم ؟!!... ؛ ثُمَّ
جَاءت تَزْعُمُ أَنَّهَا آلِهَةُ العِشْقِ وَالهَوَى ؟!!.
رَبَاب !!... ؛ قِصَّةُ حُبٍّ!!... ؛ فِى أَرْضِ
النِّفَاق.

قَالُوا أَضَرَّ بِنَا السَّحَابُ بِقَطْرِهِ
... ؛ لَمَّا رَأَوْهُ لِعَبْرَتِى يَحْكِى.
لا تَعْجَبُوا مِمَّا تَرَوْنَ ؛ وَإِنَّمَا
هَذَا السَّحَابُ لِرَحْمَتِى يَبْكِى.

(1) ـ مِن قَصَائِدِ دِيوانِى ((عِنْدَمَا نَجْلِس سَوِيًّا)).



«اعْلَم أَنَّ العِشْقَ لا يَكُونُ مَعَ الفِسْق ؛ وَمَتَى مَازَجَ العِشْقَ الفِسْقُ !!... ؛ ضَعُفَت قُوَاه ؛ وَانْفَصَمَت عُرَاه .» .

ـ الرِّسَالَةُ اليَتِيمَة

[مُنْتَصَف مَارِس ؛ عَام 2010م]

...

أَنَا أَخْبَرُ شَابٌّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِحَقِيقَةِ هَذِهِ الأُنْثَى !!... ؛ أَنَا أَعْرَفُ النَّاسِ إِذَا مَا أَرَادَ أَحَدٌ أَن يَعْلَمَ مَن تَكُونِي !!.

صَدِيقَتِي البَرِيئَة !!.

أَلَسْتِ الَّتِي قَالَت لِي يَوْمَاً : أُقْسِمُ بِشَرَفِي لا أَعِيشُ مَعَ أَحَدٍ غَيْرَك ؟!!... ؛ ثُمَّ ذَهَبَ العَهْدُ!!... ؛ وَأَضْحَت بِلا شَرَفٍ؟!!.

أَلَسْتِ الَّتِي قَالَت لِي يَوْمَاً : أُقْسِمُ بِرَبِّي أَنَّ يَدِي لَن تُوضَع فِي يَدٍ سِوَاك؟!! ... ؛ ثُمَّ ضَاعَ القَسَم!!... ؛ وَصَارَ لا فَرْقٌ بَيْنَ أَيْمَانِكِ وَأَيْمَانَ مُومِسَاتِ اليَهُود!!.

أَلَسْتِ الَّتِى قَالَت لِى يَوْمَاً :

العِشْقُ دَاءٌ دَوِىٌّ لا دَوَاءَ لَـهُ........

.... ؛ إِلاَّ العِنَاقُ وَإِفْشَاءُ السُّرِيرَاتِ.

وَلَيْسَ يُلْتَذُّ طِيبُ العَيْشِ مِن أَحَدٍ

... ؛ إِلاَّ بِعَضِّكَ ؛ أَو رَشْفِ الثَّنِيَّاتِ.

وَوَضْعِكَ الصَّدْرَ فَوْقَ الصَّدْرِ تَجْمَعُهُ

ضَمَّاً إِلَيْكَ عَلَى ظَهْرِ الحَشِيَّاتِ. ؟!!!.

أَلَسْتِ الَّتِى قَالَت لِى يَوْمَاً :

إِذَا قَبَّلَ الإِنْسَانُ إِنْسَانَ يَشْتَهِى

ثَنَايَاهُ لَم يَأْثَم ؛ وَكَانَ لَهُ أَجْرَا.

فَإِن زَادَ ؛ زَادَ اللهُ فِى حَسَنَاتِهِ

مَثَاقِيلَ يَمْحُو اللهُ عَنْهُ بِهَا وِزْرَا. ؟!!!.

أَلَسْتِ الَّتِى قَالَت؟!!!... ؛ وَقَالَت ؟!!!... ؛ وَقَالَت؟!!!... ؛ أَلَسْتِ الَّتِى؟!!!.

هَذِهِ هِىَ نُبُوَّةُ أُمِّى - رَحِمَهَا الله -!!... ؛ رَأَتْنِى وَأَنَا فِى العَاشِرَةِ مِن عُمُرِى وَقَد عَانَقْتُ فَتَاةً فِى العِشْرِينَ مِن عُمُرِهَا ؛ ثُمَّ قَبَّلْتُهَا... ؛ فَكَانَت قُبْلَةُ الفَتَاةِ

لِى كَقُبْلَةٍ تُعْطِيهَا لِطِفْلٍ... ؛ بَيْنَمَا كَانَت قُبْلَتِى كَقُبْلَةٍ تُلْقَى مِن رَجُلٍ!! ... ؛ وَفَطِنَت أُمِّى لِمَا كَانَ فِى ضَمِيرِى!!... ؛ فَقَالَت: يَا صَغِيرِى!! ... ؛ يِرَبِّى أَلَن تَمُت مِن قَبْلِ تُبْصِر عُيُونَ المُومِسَات!!... ؛ وَلأَنَّ أُمِّى كَانَت مُبَارَكَة ... ؛ فَقَد صَدَقَت كَلِمَتُهَا الَّتِى قِيلَت مُنْذُ سَنَوَاتٍ وَسَنَوَات!!.

...

مَاذَا تَنْتَظِرِين؟!!... ؛ أَنَا أَبِى كَانَ يُمَازِحُنِى وَيَقُولُ لِى بِأَنَّ شَأْنِى مِنَ الصِّغَر!!... ؛ أَنَّ الشَّيْءَ الَّذِى أُرِيدُهُ ثُمَّ يُعَانِدُنِى لابُدَّ أَن أُحْدِثَ بِهِ تَلَفاً وَعَطَباً حَتَّى لا يَسْتَمْتِعَ بِهِ أَحَدٌ مِن بَعْدِى!!.

...

مَاذَا كُنْتِ تَظُنِّين؟!!... ؛ مَاذَا بَعْدَ عُهُودِ اليَهُود؟!!... ؛ مَاذَا يَا حَفِيدَةَ المَجُوس؟!!... ؛ بَل يَا ابْنَةَ التُّيُوس!!... ؛ يَا رَبَّةَ الشَّهَوَاتِ وَالرَّغَبَات!! ... ؛ عُذْراً !!... ؛ عُذْراً فَإِنَّ مَا فَات!!... ؛ مَات!!... ؛ وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ!! ... ؛ آت!!.

...

لَعْنَةُ اللهِ عَلَى عَهْدٍ رَخِيصٍ ضَاعَت بَيْنَ جَنَبَاتِهِ أَيَّامٌ!!... ؛ مِن تَارِيخِ عُمُرِى!!.

ـ رَبَاب!!... ؛ يَا مَن كُنْتِ يَوْمَاً هُنَا :

ـ انْتَظِرِى!!.

...

حَبَبْتُكِ ؛ وَالأَوْهَامُ فِكْرِى وَحُجَّتِى........
...... ؛ تُؤَلِّبُ بَعْضِى فِى هَوَاكِ عَلَى بَعْضِى.
إِذَا مَا نَفَضْتُ الرَّأْىَ بِالرَّأْى ؛ رَدَّنِى........
.... ؛ إِلَى خَطَرَاتِ الوَهْمِ مَضٌّ عَلَى مَضٍّ.
أُصَارِعُ أَهْوَالاً مِنَ الغَيْظِ وَالرِّضَى........
...... ؛ وَمَا يَتَوَلَّى الغَيْظَ فَوْقَ الَّذِى يُرْضِى.
عَجِبْتُ لِمَن رَاضَ النِّسَاءَ وَرُضْنَهُ........
.... ؛ وَيَقْضِينَ مِن إِيلامِهِ دُونَ مَا يَقْضِى.
وَيَرْمِينَهُ بِالسَّهْمِ لَيْسَ بِضَائِرٍ.............
.. ؛ وَيَرْمِى بِمَا يَحْمِى الجُفُونَ عَنِ الغُمْضِ.
فَكَيْفَ بِهِ قَد ذَلَّ وَهُوَ مُكَرَّمٌ......... !!؟
وَأَغْضَى ؛ وَلَو قَد نَاصَبَ الدَّهْرَ لَم يُغْضِ.

كَفَى بِكَ ذُلاًّ أن تَبِيتَ عَلَى جَوىً.........

وَتُصْبِحَ فِى ذِكْرَى ؛ وَتُمْسِى عَلَى رَمَضٍ.

كَأنَّكَ لَم تُخلَق لِدُنْيَا تَجُوبُهَا........ ؟!!

..... ؛ وَمَا أَضيَقَ الدُّنْيَا مِنَ الحِدَقِ المُرْضِ.

فَهُنَّ اللَّوَاتِى زِدْنَ فِى العَيْشِ لَذَّةً..........

.... ؛ فَأَقْصَيْنَ لَذَّاتٍ مِنَ الفَرَحِ المَحْضِ.

شَكَكْتُ ؛ وَقَد تُنْجِى مِنَ الشَّرِّ رِيبَةٌ........

.... ؛ وَتُبْدِلُ مُسْوَدَّ الحُظُوظِ بِمُبْيَضٍّ.

لَقَد كُنْتُ أَمْضِى طَائِعاً غَيْرَ جَامِحٍ.......!!

.. ؛ وَأَرْضَى بِإِطْرَاقِى عَلَى الرَّيْبِ أو غَضِّى.

وَيَفْضَحُنِى فِيكِ اقْتِحَامِى وَغَيْرَتِى........

... ؛ وَطَرْفِى ؛ وَمَا جَسَّ الأَطِبَّاءُ مِن نَبْضِى.

وَيَأْكُلُ قَلْبِى مَا أُكَتِّمُ رَاضِياً...........!!

... ؛ فَمَا بَكَتِ العَيْنُ الشَّبَابَ الَّذِى يَمْضِى.

وَأَنْتِ ؛ لَعَمْرِى فِى سُرُورٍ وَغِبْطَةٍ.......!!

.... ؛ يَسُرُّكِ بَسْطِى فِى الحَوَادِثِ أو قَبْضِى.

أأنثى وَوَحْشٌ؟!!....... ؛ جَلَّ خَالِقُ خَلْقِهِ

؛ وَسُبْحَانَ كَاسِى الوَحْشَ مِن رَوْنَقٍ غَضٍّ.

وَأَعْجَبُ مِنْهُ لَذَّتِى وَمَسَرَّتِى............

.. ؛ عَلَى حِينِ نَهْشِى فِى المَخَالِبِ أو نَفْضِى.

فَيَا سُوءَ مَا أَبْقَيْتِ فِى الدَّمِ مِن لَظَىً.....!!

وَفِى الفِكْرِ مِن كَلْمٍ ؛ وَفِى القَلْبِ مِن عَضٍّ.

أَخَافُكِ فِى سِرِّى ؛ وَجَهْرِى ؛ وَمَشْهَدِى

لَدَيْكِ ؛ وَغَيْبِى...... ؛ خَوْفَ أَرْقَطَ مُنْقَضٍّ.

لَقَد كُنْتِ أَحْلامِى إِذَا اللَّيْلُ ضَمَّنِى.......

..... ؛ وَكُنْتِ إِذَا مَا الفَجْرُ أَيْقَظَنِى رَوْضِى.

يُنَاجِيكِ طَيْرٌ فِى الضُّلُوعِ بِلَحْنِهِ........ ؛

لَقَد عَاشَ فِى سِحْرٍ ؛ وَقَد عِشْتِ فِى خَفْضٍ.

وَكُنْتِ عَلَى وَرْدِ الخَمَائِلِ زِينَةً !!.........

...... ؛ وَكَانَ بَشِيرَ الفَجْرِ فِى الفَنَنِ الغَضِّ.

فَأَصْبَحْتِ لا خَيْرَاً فَيُرْجَى...... ؛ وَلا لَقَىً

فَيُلْقَى.... ؛ وَلَسْتِ مِن سَمَائِى وَلا أَرْضِى.

تَصَامَمْتِ عَن قَلْبِى وَرُمْتِ مَسَاءَتِى!! ....

.. ؛ وَتَنْتَظِرِينَ الحُبَّ؟!!... ؛ انْتَظِرِى بُغْضِى.



تَغْرِيد !!.

عُيُونٌ تُنَادِينِى!!... ؛ وَجَسَدٌ يَرْغَبُ

فِى شَىْءٍ غَرِيب!!... ؛ ثُمَّ؟!!... ؛ إِحْجَامٌ

وَخَوْفٌ !!... ؛ وَأَنَا مَا أَقْدَمْتُ عَلَى

شَىْء؟!!... ؛ عُذْراً!!... ؛ أَنَا مَا عِنْدِى

وَقْت!!.

...

إِنِّى سَأُبْدِى الحُبَّ فِيمَا أُبْدِى.

لِى شَجَنَانِ ...: شَجَنٌ بِنَجْدِ.

؛ وَشَجَنٌ لِى بِبِلادِ الهِنْدِ.

ثُمَّ !!

أخَالِدَ ! قَد هَوِيتُكِ بَعْدَ هِنْدٍ
فَشَيَّبَنِى الخَوَالِدُ وَالهُنُودُ.
هَوَىً بِتِهَامَةٍ ؛ وَهَوَىً بِنَجْدٍ
فَتُبْلِينِى التَّهَائِمُ وَالنُّجُودُ.

ثُمَّ !!

هَوَىً بِالغَوْرِ لِى ؛ وَهَوَىً بِنَجْدٍ
.. ؛ فَمَا أدْرِى أأَنْجِدُ أم أغُورُ.
..بِكُلٍّ حَاجَةٌ ؛ وَهَوَىً مُقِيمٌ
بِقَلْبِكَ قَد تَضَمَّنَهُ الضَّمِيرُ.
بِشَرْقِىِّ العِرَاقِ ؛ بِبَابِ عَمْرٍو
وَبَالغَوْرَيْنِ زَيْنَبُ وَالقُدورُ.



- رِسَالَةٌ وَاحِدَةٌ تَكْفِى!!.

[مُنْتَصَف مَايُو ؛ 2011م]

...

أَنَا مَا أَدْرِى بِأَىِّ عَقْلٍ تَفْهَمِين؟!!... ؛ دَاعَبْتُ رَاحَتَكِ مَرَّةً فَبَكَيْتِ!!... ؛ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بِيَوْمَيْن لامَسْتُ وَجْهَكِ بِأَصَابِعِى فَلا ضَيْر؟!!... ؛ حَادَثْتُكِ مَرَّةً عَن ضَعْفِ كَتِفَيْكِ وَصَدْرَكِ وَأَنَا خَجِلٌ مِن مِثْلِ هَذَا الحِوَار ؛ وَمَا أَدْرِى مَا الَّذِى جَرَّه؟!!... ؛ فَنَظَرْتِى لِى فِى دَهَشٍ!!... ؛ ثُمَّ قُلْتِ: كَمَا قُلْتَ أَنْت ؛ وَلَكِنَّ أَرْدَافِى مُمْتَلِئَة!!.

أَنَا مَا تَكَلَّمْتُ عَن أَرْدَافِكِ؟!!... ؛ وَمَا كُنْتُ أَجْرُؤ أَن أَتَكَلَّمَ فِى هَذِهِ المَسْأَلَة!!.

قُلْتِ لِى فِى أَوَّلِ لَقَاءٍ أَتَمَنَّى فَتَىً جَرِيئَاً... ؛ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ قُلْتِ لِى أَنَّنِى هَجَّامٌ جَسُورٌ سَافِل؟!!... ؛ وَالغَرِيبُ فِى الأَمْرِ أَنَّنِى مَا فَعَلْتُ مَا يَسْتَوْجِبُ مِثْلَ هَذَا الكَلام!!.

مِن يَوْمِ أَن عَرِفْتُكِ وَأَنَا أُضْحِكُ!!... ؛ أَعْتَقِدُ أَنَّ مِن فَهْمِكِ لِلأُمُورِ... ؛ أَنَّ مَن سَارَ مَعَكِ عَلَى دَرْبِ الهَوَى وَسَوَّلَت لَهُ نَفْسُهُ يَوْمَاً أَن يُقَبِّلَ اليَدَ

الكَرِيمَة ؛ وَجَبَ عَلَيْهِ أن يَتَزَوَّجَكِ فِي الحَال... ؛ لأَنَّهُ اقْتَرَفَ جَرِيمَة... ؛ وَأَيُّ جَرِيمَة !!... ؛ تِلْكَ هِيَ الطَّامَةُ الكُبْرَى!!... ؛ وَأَمَّا لَو هَجَمَ عَلَيْكِ وَغْدٌ فِي الطَّرِيق!!... ؛ فَاغْتَصَبَ العَذْرَاءَ البَرِيئَة!!... ؛ فَإِنَّكِ تَقُومِين!!... ؛ ثُمَّ تَقُولِين : يَا قَلِيلَ الفَهْم!!... ؛ أَمَا تَعَلَّمْتَ العَزْل ؛ فَإِنِّي بِكْرٌ لَم أَزَل؟!!.

اذْهَبِي يَا مُشَوَّهَةَ الفِكْر!!... ؛ يَا قِدِّيسَةَ فَنِّ التَّنَاقُض!!... ؛ اذْهَبِي بِلا رَجْعَةٍ يَا جَسَدَ امْرَأَةٍ وَعَقْلَ طِفْلٍ أَبْلَه!!... ؛ لَعَلَّكِ تَظُنِّينَ أَنَّ الَّتِي تُمْطِر هِيَ الأَرْض ؛ وَأَنَّ الَّتِي تَمْشِينَ عَلَيْهَا هِيَ السَّمَاء!!.

خَرْقَاءُ حَقًّا!!.

مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الدُّنْيَا سَتَهْزَأُ بِي إِلَى هَذَا الحَد!!... ؛ مَخْبُولَةٌ!!... ؛ وَسَتَقُولُ يَوْمًا قَد عَشِقَنِي نِزَارُ المِصْرِيّ !!... ؛ بَل رُبَّمَا قَالَت : لَقَد كَانَ يُقَبِّلُ أَقْدَامِي... ؛ ظَنًّا مِنْهَا أَنَّ اليَدَ هِيَ القَدَم!!... ؛ لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا اليَوْم!!.



- وَأَخِيراً !!... ؛كَلِمَةٌ مِن أَجْلِ الحَقِيقَة ؟!!.

...

مَا كَانَت تَغْرِيد كَمَا وَصَفْت !!... ؛مَا كَانَت بِالخَرْقَاءِ وَلا الغَبِيَّة !!... ؛بَل كَانَت لَطِيفَةً مُهَذَّبَة !!... ؛وَلَكِن مَا عَسَى أَن يَكُون ؟!!... ؛جَاءَتْنِى الفَتَاةُ بَعْدَ أَن مَاتَت مَشَاعِرِى !!... ؛وَأَنَا وَالحَالَةُ هَذِهِ !!... ؛أَصْبَحْتُ أُفَكِّرُ بِأُسْلُوبٍ غَرِيبٍ عَنِّى مَا عَهِدتُهُ أَبَداً !!... ؛أَن أُجَرِّب !!... ؛وَلَكِنِّى أَخْتَصِر ... ؛وَلا أُكْمِل !!... ؛تَفْسِيرُ ذَلِكَ يَكُونُ عِنْدَ مَن ؟!!... ؛إِنَّهَا مَرَارَةُ السَّنَوَاتِ الَّتِى كَانَت!!.

حَقّاً ... ؛مَا أَغْرَبَ الدُّنْيَا !!... ؛مَا عُدتُ أَعْرِفُ نَفْسِى !!... ؛مَا عُدتُ أَعْلَمُ مَن أَكُون !!.

شَكَوْتُ وَمَا الشَّكْوَى بِمِثْلِيَ عَادَةٌ

وَلَكِن تَفِيضُ العَيْنُ عِنْدَ امْتِلائِهَا !!.



أَسْمَـاء...!!

حُـبٌّ !!... ؛يَجْرِي فِي دَمِي!!... ؛ أَيَّامٌ!!

... ؛هِيَ أَجْمَلُ مَا فِي تَارِيخِي!!.

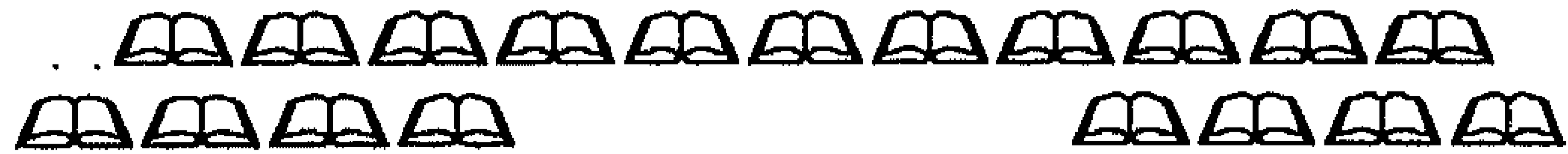
وَنِهَـايَـةٌ!!... ؛ قَهَرَت حَقِيقَةَ وُجُودِي!!.

فَيَا قَلْبُ مُت حَزَنَاً وَلا تَكُ جَازِعَاً

فَإِنَّ جُـزُوعَ القَـوْمِ لَيْـس بِخَالِدِ.

هَوَيْتَ فَتَـاةً نَيْلُهَا الخُلْدُ فَالتَمِس

سَبِيلاً إِلَى مَا لَسْتَ يَوْمَاً بِواجِدِ.



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

...

بَيْنَ العَقِيقِ وَحَاجِرِ
أَفْنَيْتُ مَاءَ محَاجِرِي.
كَم لِى بِذَاكَ المُنْحَنَى
مِن طِيبِ عَيْشٍ نَاضِرِ.
أَيَّامَ أَرْتَعُ لِلصِّبَا
فِى كُلِّ رَوْضٍ زَاهِرِ.
وَأَرُودُ كُلَّ غَضَارَةٍ
لِلْعَيْشِ غَيْرَ مُحَاذِرِ.
أَحْبَابَ قَلْبِى غِبْتُمُ
وَسَكَنْتُمُ فِى خَاطِرِى.
وَجَفَوْتُمُ وَخَيَالُكُم
مِن رَحْمَةٍ لِى زَائِرِى.

إِلَى مَتَى ؟!!!... إِلَى مَتَى يَا نَفْسُ هَذِهِ الحِيرَة ؟!!!... إِلَى مَتَى أَيُّهَا القَلْبُ المُضْطَرِبُ القَلِقُ ذَلِكَ النُّفُورُ وَتِلْكَ الثَّوْرَة ؟!!!... إِلَى مَتَى أَيَّتُهَا الرُّوحُ

المُعَذَّبَةُ الغَاضِبَةُ سَتَرْضَيْنَ بِالْعَيْشِ فِي دُنْيَا الوَهْمِ وَالأَكَاذِيبِ وَالأَبَاطِيل؟!!!.

لَقَدْ رَحَلُوا مِن هَذِهِ الدُّنْيَا !!.

نَعَم !! ... لَقَدْ رَحَلَ مَن كُنْتُ أُحِبُّ هَذِهِ الحَيَاةَ مِن أَجْلِهِم !!... لَقَدْ غَابَت عَن نَاظِرَيَّ تِلْكَ الوُجُوهِ الَّتِي مَا أَحْبَبْتُ بِعُمْرِي كَحُبِّي لَهَا!!.

فَإِلَى مَتَى ؟!!... إِلَى مَتَى سَتَخْدَعُنِي الحَيَاةُ بِالآمَالِ وَالأَمَانِيِّ بَعْدَ كُلِّ هَذَا الَّذِي صَار؟!!!.

أَلا بُعْداً لأَحْلامِي الَّتِي كَانَت !!... أَلا سُحْقاً لِطُولِ الأَمَلِ بَعْدَ أَن تَبَدَّلَت الدُّنْيَا وَأَضْحَت هَكَذَا !!.

سُبْحَانَ رَبِّي !!... إِنَّنِي أَحْيَا فِي عُزْلَتِي هَذِهِ لأَعِيشَ مَعَ الذِّكْرَى الَّتِي مَا تَبَقَّى لِي سِوَاهَا ... ؛ وَلَكِن يَالَهَا مِن ذِكْرَى !!... إِنَّهَا الدَّوَاءُ الَّذِي لا يَشْفِي وَلا يَرْحَمُ !!... كَأَنَّنِي وَسْطَ نِيرَانٍ حَامِيَةٍ تُلْهِبُ نَفْسِي وَمَشَاعِرِي !!... فَلَهْفَ نَفْسِي عَلَى نَفْسِي إِن طَالَ بِي هَذَا العَذَاب !!... وَسُحْقاً لِي إِن ظَلَّت رُوحِي مُتَعَلِّقَةً بِحِبَالِ هَذِهِ الدُّنْيَا المُوحِشَةِ البَغِيضَةِ الكَرِيهَة !!.

سُبْحَانَ رَبِّي !! ..:

«حَتَّى مَتَى أَعِظُ وَلا أَتَّعِظ ؛ وَأَزْجُرُ وَلا أَزْدَجِر ؛ أَدُلُّ عَلَى الطَّرِيقِ المُسْتَدِلِّين ؛ وَأَبْقَى مُقِيماً مَعَ الحَائِرِين ؟!! ؛ كَلا !! إِنَّ هَذَا لَهُوَ البَلاءُ المُبِين !!.

اللَّهُمَّ فَرَغْنِي لِمَا خَلَقْتَنِي لَهُ ؛ وَلا تَشْغَلْنِي بِمَا تَكَفَّلْتَ لِي بِهِ.» (1)..

...



(1) ـ هذه الكلمة للإمام منذر بن سعيد البَلُّوطيّ الأندلسيّ القرطبيّ (ت 355 هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ.

ـ رَسَائِلُ النِّهَايَة :

...

ـ الرِّسَالَةُ الأُولَى

أسْمَاء !!... ؛ آسِفٌ جِداً لأَنّى !!... ؛ آسِفٌ جِداً لأَنّى !!... ؛ ضَاعَ عُمْرِى فِى التَّمَنّى !!... ؛ كُلُّ أَحْلامِى تَلاشَت !!... ؛ كُلُّ شَىءٍ ضَلَّ مِنّى !!... ؛ مَا بَقِى غَيْرُ القَصَائِد !!... ؛ مَحْضُ مَأْسَاةٍ تُغَنّى !!... ؛ كُلُّ آمَالِى تَهَاوَت !!... ؛ كُلُّ أَمْرٍ غَابَ عَنّى !!... ؛ مَا غَدَا بِالأَرْضِ إلاَّ !! ... ؛ غَيْرُ شَيْطَانِى وَجِنّى !! ... ؛ أمَّا حُبّى وَالأَمَانِى!!... ؛ إِنَّهَا عَيْنُ التَّعَنّى!!... ؛ لَيْسَ عِنْدِى فِى حَيَاتِى !! ... ؛ غَيْرَ أَشْعَارِى وَفَنّى !!.

...

نَعَم يَا أسْمَاء !!... ؛ لَقَد خَدَعَتْنِى السُّنُون ؛ وَظَنَنْتُ أَنَّ الأَمَانِى قَد تَكُون !! ... ؛ وَمَا دَرِيتُ بِأَنّى سَأَكُونُ وَحْدِى الخَاسِرَ المَغْبُون !!.

...

لاأشْقَاكِ اللهُ يَا أسْمَاء !!...لا أَبْعَدَ اللهُ عَن عَيْنَيْكِ مَا يُسْعِدْهُمَا !!... أَنَا المَلُوم !! ... وَأَنَا المُخْطِىءُ !! ... أَنَا مَن هُزِمَ وَخَسِرَ بِرِحْلَتِهِ فِى هَذِهِ الدُّنْيَا !! ... أَنَا وَحْدِى الَّذِى سَيَحْيَا غَرِيباً حَتّى النِّهَايَة!! ... لِيَكُن مَايَكُون ؟!!.

لا تَعْذِلِيهِ فَإِنَّ العَذْلَ يُولِعُهُ
قَد قُلْتِ حَقّاً وَلَكِن لَيْسَ يَسْمَعُهُ.

جَاوَزْتِ فِى نُصْحِهِ حَدّاً أَضَرَّ بِهِ
مِن حَيْثُ قَدَّرْتِ أَنَّ النُّصْحَ يَنْفَعُهُ.
فَاستَعْمِلِى الرِّفْقَ فِى تَأْنِيبِهِ بَدَلاً
مِن عُنْفِهِ فَهُوَ مُضْنَى القَلْبِ مُوجَعُهُ.
قَد كَانَ مُضطَلِعاً بِالخَطْبِ يَحمِلُهُ
فَضَلَّعَت بِخُطُوبِ البَيْنِ أَضْلُعُهُ.
يَكْفِيهِ مِن رَوْعَةِ التَّنْفِيذِ أَنَّ لَهُ
مِنَ النَّوَى كُلَّ يَوْمٍ مَا يُرَوِّعُهُ.
مَا آبَ مِن سَفَرٍ إِلاَّ وَأَزْعَجَهُ
عَزْمٌ إِلى سَفَرٍ بِالرَّغْمِ يُزْمِعُهُ.
تَأْبَى المَطَالِبُ إِلاَّ أَن تُكَلِّفَهُ
لِلرِّزْقِ سَعْيَاً وَلَكِن لَيْسَ يَجْمَعُهُ.
كَأَنَّمَا هُوَ فِى حِلٍّ وَمُرْتَحَلٍ
مُوَكَّلٌ بِفَضَاءِ اللَّهِ يَذْرَعُهُ.
إِذَا الزَّمَانُ أَرَاهُ فِى الرَّحِيلِ غِنَى
وَلَوْ إِلى السِّنْدِ أَضْحَى وَهُوَ يَقْطَعُهُ.

وَمَا مُجَاهَدَةُ الإِنْسَانِ وَاصِلَةٌ
رِزْقَاً وَلا دِعَةُ الإِنْسَانِ تَقْطَعُهُ.
قَد قَسَّمَ اللهُ بَيْنَ النَّاسِ رِزْقَهُمُ
لا يَخْلُقُ اللَّهُ مِن خَلْقٍ يُضَيِّعُهُ.
لَكِنَّهُم كَلِفُوا حِرْصَاً فَلَسْتَ تَرَى
مُسْتَرْزِقَاً وَسِوَى الغَايَاتِ يُقْنِعُهُ.
وَالحِرْصُ فِى الرِّزْقِ وَالأَرْزَاقُ قَد قُسِمَت
بَغْىٌ أَلا إِنَّ بَغْىَ المَرْءِ يَصْرَعُهُ.
وَالدَّهْرُ يُعْطِى الفَتَى مِن حَيْثُ يَمْنَعُهُ
عَفْوَاً وَيَمْنَعُهُ مِن حَيْثُ يُطْمِعُهُ.
أَسْتَوْدِعُ اللهَ فِى بَغْدَادَ لِى قَمَرَاً
بِالكَرْخِ مِن فَلَكِ الأَزْرَارِ مَطْلَعُهُ.
وَدَّعْتُهُ وَبِوِدِّى لَو يُوَدِّعُنِى
صَفْوُ الحَيَاةِ وَأَنِّى لا أُوَدِّعُهُ.

مُحَمَّد مَحْمُود

...



ـ الرِّسَالَةُ الثَّانِيَة

...

وَمِن عَجَبٍ أنِّى أحُنُّ إِلَيْهِمُ
وَأسْألُ عَنْهُم مَن لَقِيتُ وَهُم مَعِى !! .
وَتَطْلُبُهُم عَيْنِى وَهُم فِى سَوَادِهَا
وَيَشْتَاقُهُم قَلْبِى وَهُم بَيْنَ أضْلُعِى ؟!!.

...

كَانَت هُنَا !!... ؛ وَلَكِنَّهَا غَابَت !!... ؛ كَمَا سَتَغِيبُ حَيَاتِى بَعْدَ حِين... !!.
اسماء !!... ؛ يَا لَكِ مِن ذِكْرَى !!... ؛ وَمَا أشْقَى أيَّامِى الَّتِى سَتَكُون !!.

سَكِّن فُؤَادَكَ ؛ ضَاعَتِ الأحْلامُ
وَتَكَشَّفَت حُجُبٌ وَزَالَ ظَلامُ.
وَبَقِيتَ وَحْدَكَ تَسْتَعِيدُ مَشَاهِداً
مِن حُبِّهَا حَفِلَت بِهَا الأيَّامُ.
كَانَتْ هُنَا مِلءَ المَشَاعِرِ ؛ كُنْهُهَا
صَافٍ تُضَاءُ بِنُورِهِ الأفْهَامُ.
كَانَتْ هُنَا مِلءَ النَّوَاظِرِ فِتْنَةً
جَبَّارَةً وَلِسِحْرِهَا أحْكَامُ.

كَانَتْ هُنَا مِلْءَ المَسَامِعِ نَغْمَةً
دَفَّاقَةً ؛ مَا خَانَهَا إِلْهَامُ.
كَانَتْ هُنَا حِصْناً وَصَدْراً حَانِياً
لا الخَوْفُ يَعْرِفُهَا وَلا الإِحْجَامُ.
لَكَأَنَّهَا بِالمَوْجِ ابْنَةُ سَابِحٍ
مَا نَالَهَا قَيْدٌ وَلاَ إِلْجَامُ.
كَانَتْ هُنَا مِلْءَ الدُّنَا إِشْرَاقُهَا
وَلَهَا عَلَى عَرْشِ الفُؤَادِ مَقَامُ.
كَانَتْ هُنَا يَالَيْتَهَا دَامَت لَنَا
بِدَوَامِهَا فِتَنٌ لَهُنَّ غُرَامُ.

...

مُحَمَّد مَحْمُود



ـ الرِّسَالَةُ الثَّـالِثَة

...

يُبَلُّ عَلَى التَّدَاوِى كُلُّ جُرْحٍ
وَجُـرْحُ القَـلْبِ دَامٍ لا يُبَلُّ .

....

أَهَكَـذَا؟!!

أَهَكَذَا ؟!!... أَهَكَذَا رَحَلْتِ ؟!!.

سُبْحَانَ رَبِّى !!... لَقَدْ رَحَلْتِ أَيَّتُهَا الحَبِيبَةُ وَخَلَّيْـتِ تِلْـكَ النَّفْسَ الشَّقِيَّةَ وَهِىَ أَشَدُّ مَا تَكُونُ مَعَانَاةً مِن حُرْقَةِ الظَّمَأِ إِلى يَوْمٍ مِن أَيَّامِ دَهْرِهَا تَشْعُرُ فِيهِ بِالسَّكِينَةِ وَمُوادَعَةِ الحَيَاةِ إِيَّاهَا !!.

رَحَلْـتِ ؟!!... أَهَكَـذَا تَرْحَلِينَ مِن غَيْرِ مَا وَدَاعٍ فِى يَوْمِ الرَّحِيـلِ؟!!... وَلَكِـن لا ضَيْـرَ عَلَيْـكِ أَيَّتُهَا التَّقِيَّـةُ النَّقِيَّـةُ الصَّـالِحَة... لا ضَيْرَ عَلَيْكِ بِـلا رَيْبٍ ؛ فَأَنَا المَلُومُ فِي الأَمْرِكُلِّهِ ؛ وَمَـا ذَلِكَ إِلاَّ لِمَا أَعْـرِفُهُ مِن حَقِيقَـةِ قِصَّتِى فِى هَـذِهِ الحَيَاة !!... إِنَّهُ الشَّقَاء !!... نَعَم !! إِنَّهُ الشَّقَاءُ الَّذِى قُـدِّرَ عَلَىَّ فِى هَذِهِ الرِّحْلَةِ الَّتِى أَقْضِّى أَيَّامَهَا فِى هَذِهِ الدُّنْيَا !!.

لَقَدْ رَحَلْتِ !!... لَقَـدْ رَحَلْـتِ وَتَرَكْـتِ فِى قَلْبِى غُصَّةً لا تَلْبَثُ أَن تُلَـوِّنَ أَيَّامِى بِذَلِكَ اللَّوْنِ الأَسْوَدِ الكَئِيبِ فِى كُلِّ وَقْتٍ وَحِين!!.

لَقَدْ رَحَلْتِ وَخَلَّيْتِ تِلْكَ النَّفْسَ المَكْلُومَةَ وَهِيَ تَحْتَرِقُ حُزْنًا مِن قَسْوةِ ذَلِكَ الَّذِى حَلَّ بِسَاحَتِهَا وَهَجَمَ عَلَيْهَا هُجُومَ اللَّيْلِ الَّذِى أَسْدَلَ أَسْتَارَهُ فَبَدَّدَ تِلْكَ البَقِيَّةَ البَاقِيَةَ مِن خُيوطِ نُورِ النَّهَارِ وَنَشَرَ الخَوْفَ المُمِيتَ وَالكَآبَةَ المُهْلِكِةَ عَلَى هَذِهِ الأَرْض!!.

لَقَدْ رَحَلْتِ وَطَابَ الرَّحِيل... وَلَكِنَّكِ تَرَكْتِ تِلْكَ الرُّوحَ وَهِيَ تَذْوِى وَتَخْبُو كَى تَنْطَفِئَ وَتَتَلاشَى!!.

لَقَدْ رَحَلْتِ وَصَيَّرْتِ حَالِى كَشَمْعَةٍ نَحِيلَةٍ ضَامِرَةٍ تَأْكُلُهَا النِّيرَانُ شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ ثُمَّ لا تَلْبَثُ أَن تَهْلَكَ وَتَمَّحِى وَتَغِيبَ عَن عَالَمِ الحِسِّ وَالوَاقِعِ المُشَاهَد !!... هَكَذَا صِرْتُ ؛ وَكَذَلِكَ غَدَوْتُ أَيَّتُهَا الحَبِيبَة !!... فَعَسَى أَن يَكُونَ اللِّقَاءُ عَمَّا قَرِيب.

إِلى مَن كَانَت بِالأَمْسِ فِى جِوَارِى أَرَاهَا وَأَنْظُرُهَا كُلَّمَا أَرَدْتُ وَرَغِبْتُ ... ثُمَّ هَكَذَا وَبَيْنَ غَمْضَةِ عَيْنٍ وَانْتِبَاهَتِهَا صَارَت فِى عَالَمِ الغَيْبِ البَعِيد !! .

إِلى مَن صَيَّرَتْنِى بَقَايَا إِنْسَان ... وَأَصْبَحَت هِيَ بَعْضُ ذِكْرَى !! ... وَلَكِنَّهَا الذِّكْرَى الَّتِى سَتَبْقَى فِى خَاطِرِى مَا حَيِيت !!.

مُحَمَّد مَحْمُود



ـ الرِّسَالَةُ الرَّابِعَة

...

إِذَا شَابَ قَلْبُ المَرْءِ شَابَ رَجَاؤهُ

وَشَـابَ هَوَاهُ وَهُوَ فِي صَحْوَةِ العُمُـرْ .

وَلَيْسَـت حَيَـاةُ المَـرْءِ إِلاَّ أَمَـانِيَـا

إِذَا هِيَ ضَـاعَـت فَالحَيَـاةُ عَلَـى أَثَـرْ .



قَـدْ يَمُوتُ الحُلُم !! ... وَقَـد تُقْتَلُ الآمَـال !! ... ؛ وَمَهْمَا يَكُن مِن أَمْـرٍ ؛ فَسَتَبْقَى بِخَاطِرِى تِلْكَ الأَيَّام !! ... تِلْكَ الأَيَّام الَّتِى نَطَقَت بِبَيَانٍ وَاضِحٍ ؛ وَأَخْبَرَت أَنَّ الحَيَاةَ مَا هِيَ غَيْرُ هَـذِهِ اللحَظَاتِ الَّتِى يَعِيشُـهَا المَـرْء !! ... يَعِيشُـهَا فَتَـذُوبُ نَفْسُـهُ... وَتَحْمَلُ رُوحُـهُ إِلَى عَالَـمٍ غَـرِيبٍ !! ... إِنَّـهُ العَالَمُ الَّـذِى تَتَلاشَـى فِيـهِ الذَّاتُ حَتَّى تَغْدُو وَكَأَنَّهَا مَحضُ فَلْسَفَةٍ طَاهِرَةٍ وَكَلِمَاتٍ بَرِيئَة !! ...ثُمَّ هَكَذَا !! ... هَكَـذَا تَمْضِـى هَـذِهِ اللحَظَـات!!... تَمْضِـى سَـرِيعًا!!... تَمْضِـى وَكَأَنَّهَـا عَجْلَى ؟!!... تَمْضِى كَطَرْفَةِ عَينٍ ؟!!... تَمْضِى وَتَتْرُكُنَا ؟!! ... تَتْرُكُنَا لِنُوَاجِهَ هَذَا المَصِيرَ المَجْهُولَ المَخُوف ؟!!... تَمْضِى لِيَقِفَ المَرْءُ بَعْدَهَا وَهُـوَ عَلَـى يَقِـينٍ مِـن حَقِيقَةٍ لا رَيْبَ فِيهَا وَلا شَكَّ فِى كُنْهِهَـا !! ... أَنَّ هَـذِهِ الـدُّنْيَا مَـا هِـيَ سُـوى خُدْعَةٍ كُبْرَى !! ... نَعَم !! ... إِنَّهَا !! ... قَبْضُ الرِّيح!! ... وَبَاطِلُ الأَبَاطِيل!!.

...

إلى !! ... إِلى أَسْمَاء !! ... إِلى ذَلِكَ الاسْمِ الَّذِى سَيَعِيشُ بِقَلْبِى ... وَسَيَسْكُنُ بِرُوحِى ... مَا دَامَت الأَنْفَاسُ تَتَرَدَّدُ بِهَذِهِ الذَّاتِ المُعَذَّبَة !!.

إِلَيْهَا.... رَغْمَ ذَلِكَ الَّذِى كَان !! ... وَرَغْمَ أَنَّ الأَقْدَامَ مَا عَادَت تَسِيرُ عَلَى دَرْبِ ذَلِكَ الخَرِيفِ الَّذِى مَضَى مُنْذُ سَنَوات !! .

إِلَيْهَا ... !!

أسماء !!

مُحَمَّد مَحْمُود !!

«نِزَارالمصْرِىّ !!»

...



ـ الرِّسَالَةُ الأَخِيرَة

...

مَا عُـدتُ أَرْتَابُ أَبَـدَاً ؛ مَا عُـدتُ أَشُكُّ فِى الأَمْرِ قُـلامَـةَ ظُفْرٍ!!.
نَحْنُ نَعِيشُ فِى زَمَنٍ يَمُوجُ بِالأَكَاذِيبِ !!... ؛ نَحْنُ نَعِيشُ فِى زَمَنٍ شِعَارُهُ ؟!! ... ؛ الخِدَاع !! ... ؛ وَالزَّيْف !! ... ؛ وَالتَّدْجِيل !!.

...

«لا تعودى!!»

لا تعودى !!
أحــرقَ الـشـكُّ وجـودى ... لا تـعـودى.
اذهـبـى مـاشئِت أنَّى شئتِ فى دُنيا الخلودِ.
واتركى النَّار التى أوقدتِها تقِضـمُ عُودى.
هـى بـردٌ وسـلامٌ يـتـلـظَّـى فـى بُرُودى.
فاسعدى فى شِقوة الروح ولكن ...لا تـعودى.
أنت والأقـدارُ...كم قاسيتُ منهنَّ ومنكِ.
هـى تـأتـى بيقينٍ خائنٍ فـى إثـرِ شَـكٍّ.
ثم أنـت الشَّكُّ فى إثـر يقـينٍ لم يخنكِ.
وأنا سائلُـك الحـيـرانُ عـنـهنَّ وعنكِ.

فأجيبى واذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.

اللّظَى زادى !! فهل ينفعنى زادٌ مميتُ ؟!.

اللّظَى روحُكِ؟ أم روحى سعيرٌ مستميتُ؟!.

كلّما مرَّت به النسمة من وجدى حَيِيتُ.

أهى تُحيينى إذا مرَّت بنارى أم تميتُ؟.

خبِّرينى ؛ واذهبى إن شئتِ... لكن لا تعودى.

أنا كالنَّار تَغَشَّاها من الموت رمادُ .

أحديثٌ منكِ يُحْيينى أم الصمتُ المُعادُ؟.

أم نسيمُ الحُبِّ؟ أم هجرُكِ؟ أم هذا البِعادُ؟.

أأنا حىٌّ ولا أدرى أم الحىُّ الجمادُ؟.

خبِّرينى واذهبى إن شئت.. لكن لاتعودى.

هذه الّريبةُ فى روحىَ من سرِّ حياتى.

بَعثت وَجْدِى فدبَّ الشوقُ منها فى رُفاتى.

فَجَّرَت أغْمَض ما أخفيتُ فى جَوْفِ صَفَاتى.

فإذا وَرْدُكِ نجواىَ وأشواكى شكاتى.

اسمعيها ؛ واذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.

أنت!! ما أنت سوى شكّىَ فى طول حنينى.
كلُّ ما فيك من الأوهام حقٌّ فى يقينى.
المُنَى والوجدُ والصَّبوةُ نبعٌ من ظنُونى.
أنتِ إيمانىَ؛ بل كُفرىَ؛ بل أنتِ جُنونى.
أنتِ لا أنتِ؛ اذهبى إن شئتِ.. لكن لا تُعودى.
ماسمائى؟ ؛هى إظلامٌ ورعدٌ وبُروقُ.
لا أرى نجمى ولا فيها غروبٌ أو شروقُ.
صَخَبٌ يهدِمُ بُنْيانى ؛ ورعبٌ ؛ وخُفوقُ.
ووميضٌ هو فى روحى حريقٌ وفتوقُ.
اشهدى ؛ثم اذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.
ثم ما أرْضىَ؟ زلزالٌ وجدبٌ وصُدوعُ.
ظمأٌ يغتالُ آمالى ؛ وأشواقٌ تَلوعُ.
هذه الأوهامُ من حولىَ أطيافٌ تَروعُ.
أينَ؟ لا أينَ ؛ ضلالٌ ؛ بل خِداعٌ ؛بل هُلوعُ.
أقبلى ثم اذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.
حَيْرتى فيكِ وفى نفسىَ من طولِ انتظارى.
حَيْرةُ الذرّةِ فى الرِّيح بمجهولِ القفارِ.

تشتكى للَّيل ما تلقاهُ من شمس النَّهارِ.
لا كؤوسُ الغَيْثِ تسقيها ولا الموتُ يُوارى.

اذهبى ثم اذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.

أنا فى العُزلة لا آنسُ إلا بارتيابى.
الأفاعى الصُّمُّ والوحشُ الضوارى من صحابى.
فى دمى تشتفُّ أو تنهش رُوحى وإهابى.
فتعالَى ؛ واسألى كيف رأتنى؟... ؛ لاتَهابى.

اسمعيها ؛ واذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.

كيف لا تأنسُ فى الرِّيبة بنتُ الظُّلُماتِ؟.
مُهجتى.. أُمُّ الخصام المُرِّ مهدُ النَّزواتِ .
خُلِقَت لليأس والبأس وطَىِّ الحسَراتِ .
وارتكابِ الفرَح النَّشوان فوقَ العَبَرَاتِ .

لا أبالى.. فاذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.

ما دمائى.. ؟ هى أشواقىَ من جُرحى تفيضُ.
شُعَلٌ ذابت من اللذات أو وَجْدٌ غويضُ.
ليتها تبقى كما تبقى الأمانى لا تغيضُ.
حَبَّبَ الشكَّ إلى قلبىَ إيمانٌ بغيضُ.

أنتِ جُرحى.. فاذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.

قد صحبتُ اللّيلَ ؛ والليلُ اكتئابٌ وارتياعُ.
ظُلُماتُ الصمتِ لا ينفذُ فيهنَّ شُعاعُ.
حسرةٌ تُطوى على أُخرى وَهَمٌّ وضَياعُ.
وأحاديثُ لها فى النَّفس هَدٌّ ونِزاعُ.

أنْصتى ثم اذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.

قلتُ : يا نجمىَ ! هذا الليلُ فاسطَعْ وأعِنّى.
اِهْدِنى.. هذى فلاةٌ ودليلٌ ضلَّ عنّى.
كلُّ ما أخشاه أو أرجوه قد أفلت منّى.
اهدنى أو لا لقد ضعتُ ؛ فغِبْ يا نجمُ ! إنّى.

لا أبالى فاذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.

أنت يا نجمىَ كالذكرى عذابٌ وارتياحُ.
ظَفَرٌ يخبو وقد ضرَّم آمالى الطّماحُ.
لكما فى النَّفس أضواءٌ تُدَمِّيها الجراحُ.
هكذا السُّعدُ إذا ما لامَهُ نَحْسٌ مُتاحُ.

أنتِ نجمى ... فاذهبى إن شئت.. لكن لا تعودى.

ساعةٌ فرَّتْ إلى الذكرى.. إلى غيرِ مآبِ.
تتجلّى كالخُلود الغضّ فى بَرْقِ الشَّبابِ.
سعَّرَت للرَّاحلِ المُنْبتِّ هَمِّى وطِلابى.
فَهْى تختالُ لتُضْرِينىَ من خلفِ حجابِ.
مزِّقيه ؛ واذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.
هَلَكَ الماضى.. ! أما تهلكُ ذكراه فتفنى؟!.
أهُوَ مالُ الحىّ فى دنياه يحويهِ لِيغْنى؟!.
أم ثمارُ العمر قد أنضجها الشوقُ لِتُجْنى؟!.
أم هو الشُّحُّ الذى لَوَّعَ أرواحاً وأضْنى؟!.
لستُ أدرى... فاذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.
هذه الساعاتُ تنسابُ كأن لم تَكُنِ.
هى كالحيَّات غابَت فى كهوف الزَّمنِ.
رُقيَةُ الذكرى أطارت حيَّةً من وسَنِ.
فأرتْنى القَلْبَ نَشْوانَ يِسُمٍّ الفِتَنِ.
فتنةَ الماضى! اذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.
أهِى الجنُّ تجلّت لى أرَاها وتَرانى؟!.
وسوست لى الشكُّ فى صمتك عَنِّى كى أعانى؟!.

أسمعُ النَّبْأةَ تأتينى بغيبٍ كالبيَانِ؟!.
فَهْىَ حَقٌّ ملء أسماعى ؛ وحقٌّ فى عيانى؟!.
أصْدُقِينى ؛ واذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.
أمِنَ الإنسِ تغارُ الجِنُّ؟ أم كيف أقولُ؟!.
أهْىَ منهنَّ التى تَخْتِلُ عقلى وتَغولُ؟!.
هذه الأشباحُ فى شَكِّىَ تبدو وتَزولُ؟!.
كُلَّما آمنتُ.. لاريبَ ؛ أتى الريبُ يجولُ؟!.
فإلى الجنِّ.. اذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.
ذكِّرى تلكَ التى تُخْفى عذابى واحتراقى.
هىَ أدرى منكِ لا شكَّ.. ولكنى أُلاقى.
اسأليها السِّلْمَ فالسِّلمُ نجاةٌ من فُواقِ.
واذكرا أنِّى على حربكِما لستُ بباقِ.
ذكِّريها ؛ واذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.
لا تعودى أحرقَ الشكُّ وجودى.
لا تعودى اذهبى ما شئتِ أنِّى شئتِ فى دنيا الخلودِ.
واتركى النارَ التى أوقدِتها تقضمُ عُودى.
هى بردٌ وسلامٌ يتلظَّى فى بُرودى.

فاسعَدى فى شِقْوةِ الروحِ ولكن.. لا تعودى.

أنا.. لاكنتُ ولا كان قصيدى أو نشيدى.
لوعةٌ تُمْلِى على الأكوان آلامَ العَبيدِ .
أنا فى الرِّقِّ أُعَانى ثورةَ الحُرِّ العنيدِ .
أتحدَّاكِ ولكنِّى ذليلٌ فى قُيودى!.

لا تَرِقِّى ؛ واذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.

نَفَثاتُ السِّحْرِ تَنَسابُ الأفاعى فى رُقاها.
هي بنتُ اللَّيلِ والأوهام لكنى أراها.
كُلَّما نازعتُها السيْرَ رَمتْنى فى خُطاها.
نفثاتُ السحر ما يفعلُ فى روحى صَداها؟!.

أنْفثيها ؛ واذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى.

هذه الزَّهرةُ من نُضْرتِها نفحُ الجَمالِ.
الشَّذى والحسنُ حُرَّاسٌ على سرِّ الجَمالِ.
أذْبَلتْها زفرةٌ منى.. ولكن لا أُبالى.
فأنا النَّارُ ؛ وكالنَّارِ ارْتِيَابى واشتعالى.

لا أبالى فاذهبى إن شئتِ.. لكن لا تعودى. (1)..

لا تعودى !!... لا تعودى!!... لا تعودى!! .

هكذا كُنَّا !! ... وكذا صرنا !! ... فلماذا ؟!!... لماذا ؟!!

...

إِلَى أَسْمَاء !!... إِلَى تِلْكَ الذِّكْرَى الَّتِى كَانَت ... وَالَّتِى عَاشَت بِفُؤَادِى لِسَنَواتٍ طُوال !!...وَلَكِنَّهَا اليَوم !!...بَعِيدَةٌ هُنَاك !!...فِى نَهْرِ النِّسْيان !!.

مُحَمَّد مَحْمُود

...



ـ يَا قَلْبُ مَالَك ؟!

ـ [2011/11/23م]

...

يَا لَهَا مِن أَقْدَار !!.

فِى هَذِهِ اللَّيْلَةِ الحَزِينَة .. ؛ وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَضَعُ الكَلِمَاتَ الأَخِيرَةَ فِى هَذَا الكِتَاب !!.. ؛ رَغِبَت نَفْسِى فِى الذَّهَابِ إِلَى قَرْيَةٍ مُجَاوِرَةٍ لِزِيَارَةِ بَعْضِ

(1) - من روائع أبى فهر- رحمه الله تعالى- .

أَهْلِي... ؛ ذَهَبْتُ !!... ؛ وَلَيْتَنِي لَم أَذْهَب؟!!... ؛ جَلَسْتُ مَعَ الفَتَاةِ الصَّغِيرَةِ .. ؛ فَأَلْقَت عَلَى سَمْعِي هَذَا الخَبَر!!... ؛ وَيَالَهُ مِن خَبَر!!... ؛ لَكَأَنَّ سَمَاءَ الرَّجُلِ انْقَضَّت عَلَى أَرْضِهِ فَصَيَّرَتْهُ فِي النِّهَايَةِ كَأَجْزَاءٍ مُفَرَّقَةٍ مُبَدَّدَةٍ مَا إِلَى اجْتِمَاعِهَا مِن سَبِيل!!.

أَخْبَرَتْنِي أَمِيرَتِي الصَّغِيرَةُ سَامَحَهَا اللهُ(1). أَنَّ عُرْسَ أَسْمَاءَ قَدْ كَانَ فِي اللَّيْلَةِ قَبْلَ المَاضِيَة !!.

سُبْحَانَ الله !!... ؛ كُنتُ ظَنَنْتُ أَنِّي قَد نَسِيت !!... ؛ فَإِذَا بِي مَا نَسِيتُ ؛ وَلَكِنِّي كُنْتُ أَتَنَاسَى ؛ وَلَيْسَ مَن نَسِيَ كَمَن تَنَاسَى !!... ؛ فَإِنَّ مَن نَسِيَ لا يَذْكُر ؛ وَإِذَا ذُكِّرَ فَإِنَّهُ لا يَعْبَأ... ؛ وَأَمَّا مَن تَنَاسَى؟!!... ؛ فَإِنَّهُ فِي الحَقِيقَةِ مَا يَخْدَعُ غَيْرَ نَفْسِهِ ؛ وَالحُجَّةُ عَلَى ذَلِكَ وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ !!... ؛ أَنَّهُ مَا إِن يُذَكَّرُ إِلاَّ وَيَجِدُ قَلْبَهُ أَضْعَفُ مِنَ دَمْعَةِ اليَتِيمِ فِي لَيْلِ الشِّتَاءِ الحَزِين !!.

مَا إِن يُذَكَّرُ؟!!... ؛ إِلاَّ وَيَشْعُرُ بِذَلِكَ البُرْكَانِ الكَامِنِ بِصَدْرِهِ وَقَد هَاجَ فَأَلْقَى بِحُمَمِهِ وَنِيرَانِهِ الرَّهِيبَةِ اللَّعِينَة!!.

---

(1) - أَمِيرَة : هَذَا هُوَ اسْمُ الفَتَاةِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي أَخْبَرَتْنِي ؛ وَهِيَ لَيْسَت صَغِيرَةً ؛ بَل هِيَ ابْنَةُ أُخْتِي ؛ وَلِذَا فَهِيَ دَوْمَاً عِنْدِي هَكَذَا .

مَا إن يُذَكِّرُ؟!!... ؛ إلاَّ وَتَقِفُ أَمَامَهُ لَفْظَتَان؟!!... ؛ هُمَا عِنْدَ التَّعْرِيفِ يُدْرِكُ المَرْءُ أَنَّهُ لا سَبِيلَ إِلَى إِيجَادِ وَجْهٍ بَيْنَهُمَا مِن أَوْجُهِ التَّشَابُهِ وَالاتِّفَاق !!... ؛ هَذَا فِي أَقْصَى الدُّنْيَا ؛ وَذَاكَ فِي طَرَفِهَا الآخَر !!... ؛ تَقِفُ أَمَامَهُ اللَّفْظَتَان !! ؛ فَيُوقِنُ وَيُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مِنَ المُحَالِ أَن يَكُونَ بَيْنَهُمَا أَدْنَى تَنَاقُضٍ أَو اخْتِلاف ؟!! ... ؛ نَعَم !!... ؛ المَوْتُ وَالحَيَاة !!.

...

عُدتُ إِلَى بَيْتِي !!... ؛ وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الذَّهَابِ وَالإِيَاب !!... ؛ خَرَجْتُ وَأَنَا مِن أَهْلِ الدُّنْيَا !!... ؛ ثُمَّ رَجَعْتُ وَكَأَنِّي مِن أَبْنَاءِ القُبُور !!... ؛ ذَهَبْتُ وَأَنَا ابْنُ عَالَمِ الوَاقِعِ وَالحَقِيقَة!!... ؛ ثُمَّ عُدتُ وَأَنَا لا أَنْتَمِي إلاَّ إِلَى الوَهَمِ وَالسَّرَاب !!... ؛ كَانَت خُطُوَاتِي تَمْشِي عَلَى الأَرْض !!... ؛ فَإِذَا بِرَأْسِي يَغُورُ فِي أَعْمَاقِ جَهَنَّم !!.

كَفَى حَزَنَاً لِلمَرْءِ مَا عَاشَ أَنَّهُ
.. ؛ بِبَيْنِ حَبِيبٍ لا يَزَالُ يُرَوَّعُ .
فَوَاحَزَنَاً لَو يَنْفَعُ الحُزْنُ أَهْلَهُ
وَوَاجَزَعَاً لَو كَانَ لِلنَّفْسِ مجْزَعُ .
فَأَيُّ فُؤَادٍ لا يَذُوبُ بمَا أَرَى ؟!
وَأَيُّ عُيُونٍ لا تَجُودُ فَتَدْمَعُ ؟! .

...

حَاوَلْتُ أن أهْرَبَ مِن ذَلِكَ بِأيِّ حِيلَةٍ... ؛ وَلَكِن ؟!!... ؛ كَانَ مَا لَم يَدُر بِخَلَدِي وَلا بِبَالِي ؟!!... ؛ هَجَمَ الدَّمْعُ رَغْمَ مُعَانَدَتِي !!... ؛ حَاوَلْتُ دَفْعَهُ وَمَنْعَهُ وَلَكِنِّي عَجَزْت !!... ؛ وَهَكَذَا !!... ؛ وَفِي نِهَايَةِ هَذَا الصِّرَاعِ المُؤْلِمِ العَنِيف !!... ؛ سَالَ الدَّمْعُ ... ؛ بَيْنَمَا الصَّوْتُ مَخْنُوقٌ لا يَنْبِس!!.

يَقُولُ أبَعْدَ اليَأْسِ تَبْكِي صَبَابَةً؟!
. ؛ فَقُلْتُ وَهَل قَبْلَ الإِيَاسِ بُكَاءُ ؟!.
أبْكِي عَلَى مَن لَسْتُ أَرْجُو ارْتِجَاعَهُ
؛ وَأَبْكِي عَلَى أن لا يَكُونَ رَجَاءُ !!.

نَعَم !!... ؛ لا رَجَاءَ بَعْدَ اليَوْم !!... ؛ وَلَكِن؟!!... ؛ وَلَكِن؟!!

قَضَى اللهُ يَا أَسْمَاءُ أن لَسْتُ زَائِلاً
أُحِبُّكِ حتَّى يُغْمِضَ العَيْنَ مُغْمِضُ !!.

...

أَسْمَاء ؟!!.

هَكَذَا ذَهَبْتِ إِلَى النِّهَايَة!!... ؛ وَبَقِيتُ وَحْدِي!!... ؛ بَقِيتُ وَحْدِي لا أرَى غَيْرَ الجِنِّ وَالشَّيَاطِين !!... ؛ سَمَائِي لا تَجُودُ بِغَيْرِ البَرْقِ وَالرَّعْد !! ... ؛ أرْضِي

مَا تَعْرِفُ سِوَى الخَرَابِ وَالقَحْطِ!!... ؛ سَفِينَتِى حَطَّمَتْهَا الأَعَاصِير!! ... ؛ أَقْدَامِى عَجَزَت عَن مُوَاصَلَةِ السَّيْر !!... ؛ عُيُونِى تَكَادُ تَنْطَفِىء!! ... ؛ شَبَابِى كَزَهْرَةٍ ذَابِلَةٍ فِى لَيْلِ الخَرِيف !!... ؛ نِهَايَتِى مَجْهُولَةٌ ؛ وَلَكِنِّى أَشْعُرُ بِاقْتِرَابِهَا !!.

دَائِماً مَا أَقُول : لا أَشْقَاكِ اللهُ يَا أَسْمَاء... ؛ نَعَم... ؛ لا أَشْقَاكِ اللهُ يَا أَسْمَاء ... ؛ فَإِنَّ لِلشَّقَاءِ مَعْنَىً لا يُطَاق!!... ؛ دَعِينِى وَإِيَّاه !!.

...

اذْكُرِى قَلْبِى ؛ فَقَد يَنْضُرُ مِن ذِكْرَاكِ عُودِى.
أَنَا غُصْنٌ فِى رِيَاضِ الدَّهْرِ ظَمْآنُ الصَّعِيدِ.
صَوَّحَتْنِى غُلَّةُ الوَجْدِ وَأَجَّت فِى بُرُودِى.
وَمَشَت نَاراً عَلَى أَنْوَارِ زَهْرِى وَوُرُودِى.
فَهِىَ أَلْقَاهٌ عَلَى أَرْضِىَ آثَارَ وَقُودِ !!.

فَاذْكُرِى قَلْبِى ؛ فَقَد يَنْضُرُ مِن ذِكْرَاكِ عُودِى.
أَنَا غُصْنٌ كَخَيَالِ السَّيْفِ فِى وَهْمِ الطَّرِيدِ.
نَاحِلُ الشَّخْصِ ؛ قَضِيفُ العُودِ ؛ خُمْصَانُ الغُمُودِ.(1)..

.(1) - القَضِيف : الدَّقِيقُ العَظْم ؛ القَلِيلُ اللَّحْم ؛ فَهُوَ نَحِيفُ الجَسَد ؛ و.

لَوَّحَتْنِى وَقْدَةُ الشَّمْسِ عَلَى وَجْهِى وَجِيدِى.
كَم شُعَاعٍ غَارَ فِى قَلْبِيَ كَالسَّهْمِ السَّدِيدِ.
عَبَّ فِى مَائِى !! ؛ فَغَاضَ المَاءُ كَالحُبِّ الشَّرُودِ.
فَاذْكُرِى قَلْبِى ؛ فَقَد يَنْضُرُ مِن ذِكْرَاكِ عُودِى.
أنَا غُصْنٌ شَاخِصُ الطَّرْفِ إِلَى رِىٍّ بَعِيدِ.
أسَرَابٌ هُوَ أم مَاءٌ ؟! فَيَا وَيْحَ جُدُودِى.
أثْبَتَتْنِى ؛ حَيْثُ أشْتَاقُ إِلَى المَاءِ البَرُودِ..(2).
هِيَ أشْوَاقٌ مِنَ المَوْتِ كَأشْوَاقِ الحَسُودِ.
تَرَكَتْنِى مُوقَدَ الغُلَّةِ كَالصَّبِّ الحَقُودِ.
فَاذْكُرِى قَلْبِى ؛ فَقَد يَنْضُرُ مِن ذِكْرَاكِ عُودِى.
أنَا غُصْنٌ حَائِرُ الأحْلامِ كَالنَّائِى الشَّرِيدِ.
غُرْبَةُ الرُّوحِ تَهَاوَت بِى إِلَى أرْضِ الجُحُودِ.
قَذَفَتْنِى هِمَّةُ الأحْرَارِ فِى ذُلِّ العَبِيدِ.
الصَّدَى ؛ وَالجَدْبُ ؛ وَالغُرْبَةُ !! سَجْنِى وَقُيُودِى.

الخُمْصَان : الضَّامِر ؛ و ـ الغُمُود : جَمْعُ غِمْدِ السَّيْف.

(2) ـ أثْبَتَتْنِى جِرَاحِى : اشْتَدَّت إِلَى الغَايَةِ ؛ فَأعْجَزَتْنِى عَنِ الحِرَاك.

مَزَّقَت نُضْرَةَ أَيَّامِى بِأَنْيَابِ الخُمُودِ!!.

فَاذْكُرِى قَلْبِى ؛ فَقَد يَنْضُرُ مِن ذِكْرَاكِ عُودِى.

أَنَا غُصْنٌ يُفْزِعُ الفَجْرَ بِلَيْلٍ مِن رُكُودِ.

يَتَلَقَّى مَوْلِدَ الشَّمْسِ بِأَحْزَانٍ هُجُودِ.

لَو بَكَى عُودٌ مِنَ الوَحْشَةِ فِى ذُلِّ الوجُودِ.

لأَذَابَت شَخْصِىَ الآلامُ كَالدَّمْعِ البَدِيدِ.

أَنْكَرَتْنِى الشَّمْسُ وَالفَجْرُ وَدُولاتُ العُهُودِ.

فَاذْكُرِى قَلْبِى ؛ فَقَد يَنْضُرُ مِن ذِكْرَاكِ عُودِى.

أَنَا غُصْنٌ فَارَقَتْهُ الطَّيْرُ رَبَّاتُ العُقُودِ.(1).

مُسْكِرَاتُ الزَّهْرِ وَالنُّورِ بِأَلْحَانِ النَّشِيدِ.

---

(1) - حِينَ بَقِىَ نُوحٌ - عَلَيْهِ السَّلام - فِى اللُّجَّةِ أَيَّاماً ؛ بَعَثَ الحَمَامَةَ لِتَنْظُر هَل تَرَى فِى الأَرْضِ مَوْضِعاً يَكُونُ لِلسَّفِينَةِ مِرْفَأً ؛ فَاسْتَجْعَلَت عَلَى نُوحٍ الطَّوْقَ الَّذِى فِى عُنُقِهَا ؛ فَجَعَلَهُ جُعْلاً لَهَا ؛ وَقِيل : إِنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَعْطَاهَا تِلْكَ الزِّينَة بِدُعَاءِ نُوحٍ حِينَ رَجَعَت إِلَيْهِ وَمَعَهَا مِنَ الكَرْمِ مَا مَعَهَا وَفِى رِجْلَيْهَا مِنَ الطِّينِ مَا فِيهَا ؛ فَعُوِّضَت مِن ذَلِكَ خِضَاب الرِّجْلَيْن وَطَوْق العُنُق.

وَقَد جُعِلَ الطَّوْقُ هُنَا عِقْداً - أَى فِى هَذَا البَيْت ..

نَغَمٌ ؛ هَمْسٌ !! كَهَمْسِ الغَيْثِ لِلرَّوْضِ المَجُودِ.
وَشَبَابٌ ضَاحِكُ النُّورِ بِتَرْجِيعٍ فَرِيدِ.
وَأَنَا !! الحَسْرَةُ وَالأَنَّاتُ لَحْنِي وَنَشِيدِي.
فَاذْكُرِي قَلْبِي ؛ فَقَد يَنْضُرُ مِن ذِكْرَاكِ عُودِي.
غُصُنٌ عَارٍ... وَأَغْصَانُكِ فِي بُرْدٍ جَدِيدِ.
قَد كَسَاكِ الرِّيُّ وَالنِّعْمَةُ مِن وَشْيِ البُرُودِ.
وَتَحَلَّى عُودُكِ الرَّيَّانُ نُوَّارَ الخُدُودِ.
فَإِذَا النَّشْوَةُ هَزَّتْكِ بِأَنْفَاسِي ؛ فَمِيدِي.
وَإِذَا غَنَّاكِ سَاقِي الطَّيْرِ لَحْنِي أَو قَصِيدِي.
فَاذْكُرِي قَلْبِي ؛ فَقَد يَنْضُرُ مِن ذِكْرَاكِ عُودِي.



ـ أَسْمَاء ؟!!... ؛ مَـن كَانَت ؟!!.

...

إِلَى ذِكْرَى خَمْسِ سَنَوَاتٍ مِن حَيَاتِى !!... ؛ هَكَذَا أَرَاكِ فِى النِّهَايَة !!.

...

« القَلْـبُ الخَلِىُّ !!... ؛ مِنَ النُّقُـوش »

« مَجُوسِيَّةُ الرَّغَبَاتِ!!... ؛ عَـذْرَاءُ الجَسَدِ!!... ؛ تَحْيَا بِقَلْبٍ نِصْفُهُ صَخْرٌ وَنِصْفٌ قَد فُطِر فِى لَيْلِ أَصْوَاتِ السَّآمَةِ وَالكَمَدِ!!... ؛ تَسْعَى بِأَوْرِدَةِ الحَيَاةِ دَمٌ خَؤُونٌ لَم يَكُن يَوْمَاً لأَشْعَارِ التَّوَحُّدِ وَالبَرَاءَةِ مُسْتَمِعِ!!... ؛ لَم تَقْتَرِف فُحْشَاً لِتَقْبَع فِى زَوَايَا الاعْتِرَافِ تُرِيدُ مَحْوَ خَطِيئَةٍ عِنْدَ الصَّوَامِعِ وَالبِيَعِ!! ... ؛ حَنِيفِيَّةُ النَّظَرَاتِ لَم تَدْرِ الغِوَايَةَ لَم تَذُق طَعْمَ المَآثِمِ وَالخَنَا الرَّذِلِ الكَئِيبِ!!... ؛ مِن نَسْلِ أَبْنَاءِ اليَهُودِ فَهِىَ تَعِيشُ اليَوْمَ جُبْنَاً مُفْزِعَاً وَغَدَاً تُقِيمُ الحَفْلَ فِى كِبْرٍ رَهِيبِ!!... ؛ لَم تَدْرِ سِرَّ الدَّمْعِ فِى عَيْنِ الفَتَى العُذْرِىِّ يَرْنُو فِى ظَلامِ اللَّيْلِ فِى زَمَنِ المَطَرِ!!... ؛ مَا كَانَ عَيْبَاً عِنْدَهَا!!... ؛ فَفُؤادُهَا جُلْمُودُ صَخْرٍ لا يَحُسُّ كَيَانُهَا مَعْنَى الهَوَى إِى لَم يُفَزِّع مُقْلَتَيْهَا عِنْدَ أَوْقَاتِ السَّحَرِ!!... ؛ عَيْنَانِ كَالطِّفْلِ البَرِىءِ المُسْتَكِينِ!!... ؛ وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الشِّفَاهَ رَأَيْتَهَا كَالنَّارِ تَأْكُلُ لا تَدَع زَرْعَاً وَلا صَرْحَاً مَكِينِ!!... ؛ وَيَدَانِ لَم تَرَيَا بِعُمْرٍ غَيْرَ

آثَارِ التَّنَزُّهِ وَالنَّعِيم!!... ؛ أَقْدَامُهَا فِى حِيرَةٍ !!... ؛ تَمْشِى كَمَغْضُوبٍ عَلَيْهِ يَسِيرُ كَى يُلْقَى لأَفْوَاهِ الجَحِيم!!.

مُتَنَاقِضٌ!!... ؛ مُتَنَاقِضٌ هَذَا الكِتَاب!!... ؛ مُلِئَت طُرُوسُهُ مِن كُلَيْمَاتِ الرُّسَل!!... ؛ وَالسِّفْرُ مَحْفُوظٌ بِحِصْنٍ عِنْدَهُ وَقَفَت شَيَاطِينٌ تَصِيحُ بِقَلْبِهِ أَصْدَاءُ أَرْوَاحٍ مُشَوَّهَةٍ غِضَاب!!... ؛ مُتَنَاقِضٌ!!... ؛ مُتَنَاقِضٌ يَا قَلْبُهَا؟!!! ... ؛ إِبْلِيسُ تَابَ بُعَيْدَ أَن عَرِفَ الهَوَى؟!!... ؛ قِدِّيسُ عَاشَ بِدَمْعِهِ وَبِفَجْأَةٍ مَزَّق مُسُوحَ الطُّهْرِ وَلَّى قَد تَزَنْدَقَ أَو غَوَى؟!!... ؛ أَهِىَ حَفِيدَةُ مَن حَمَت مُوسَى مِنَ الوَيْلاتِ فِى يَوْمِ العَذَاب؟!!... ؛ أَم أَنَّ جَدَّتُهَا الكَبِيرَةُ تِلْكَ مَن أَخَذَت تُرَاوِدُ عَبْدَهَا الصِّدِّيقَ إِى مِن مَكْرِهَا قَد غَلَّقَت فِى السِّرِّ بَاب؟!!! ... ؛ هَاذِى يرَبِّى مَن تَكُون؟!!... ؛ رَبُّ الطَّهَارَةِ وَالبَرَاءَةِ وَالسُّكُون؟!!! ... ؛ أَم إِلَهُ الخَسْفِ وَالإِعْصَارِ فِى لَيْلِ الجُنُون؟!!... ؛ رَوحٌ تَقُولُ بِأَنَّهَا الأُمُّ المُبَرَّأَةُ الرَّؤُوم؟!!... ؛ سَيْفٌ بِلَوْحَتِهِ دِمَاءٌ لَيسَ يَعْرِفُ غَيْرَ جَلاَّدٍ غَشُوم؟!!! ... ؛ مُتَنَاقِضٌ هَذَا الكَلام!!... ؛ تَعِبيرُ مِنْطِيقٍ وَأَحْيَانَاً تَرَى المَحْمُومَ يَهْذِى فِى المَنَام!!.

هِىَ تَعْرِفُ التَّكْبِيرَ فَوْقَ مَآذِنِى!!... ؛ وَكَذَاكَ تَطْرَبُ لِلنَّوَاقِيسِ الَّتِى تَعْلُو كَنِيسَةَ رَاهِبٍ!!... ؛ آيَاتُنَا فِى مُصْحَفٍ عِنْدَ السَّحَرِ وَالصَّوْتُ يَحْجُزُهُ النَّحِيب!!... ؛ دَمْعَاتُ قِدِّيسٍ يَنُوحُ وَيَبْتَهِل عِنْدَ الصَّلِيب!!... ؛ لا فَرْقَ بَيْنَ

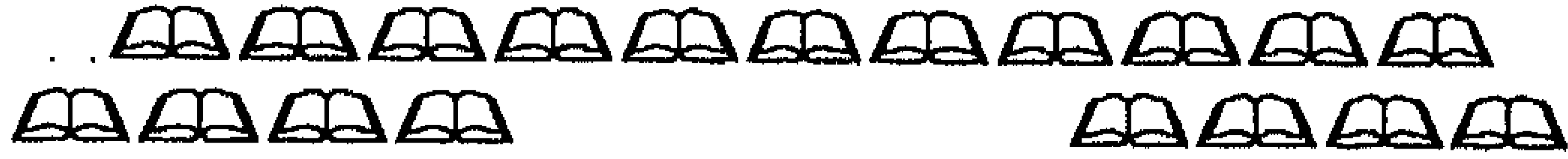
مُوَحِّدٍ وَمُثَلِّثٍ !!... ؛أو بَيْنَ أَرْبَابِ السَّعَادَةِ وَالنُّحُوس!!... ؛تَبْكِي بِيَوْمِ السَّبْتِ تَعْشَقُ شَعْبَهَا المُخْتَارُ لَكِن إِن أَتَى زَمَنُ الشِّتَاءِ فَهِي هُنَاكَ بِوَسْطِ نِيرَانِ المَجُوس!!.

مُتَشَابِهُ!!... ؛مُتَشَابِهٌ فِي عُرْفِهَا يَوْمُ الثَّكَالَى وَالجَنَائِز!!... ؛أو حُبٌّ لاهِيَةٍ تَسِيرُ وَلا تَرَى غَيْرَ المَخَازِي وَالغَرَائِز!!... ؛قَلْبٌ كَصَخْرٍ مُعْتِمٍ لَم يَعْرِفِ البَوْنَ الَّذِي جَعَلُوهُ بَيْنَ الغُولِ فِي البَيْدَاءِ أو دِفءِ البُيُوت!!... ؛كَحَمَامَةٍ بَيْضَاءَ لَكِن حَوْلَهَا تُبْنَى خُيُوطُ العَنْكَبُوت!!... ؛سِيَّانَ مَن يَحْيَا هُنَاكَ بِأَرْضِهَا ... ؛أو مَن يَمُوت!!... ؛أَصْدَاءُ كَلِمَاتِ الفَمِ المَغْسُولِ يَمْلأُ سَاحَتِي!!... ؛ وَبِلَحْظَةٍ وَكَأَنَّ شَيْئاً لَم يَكُن!!... ؛وَبِلَحْظَةٍ كَانَ السُّكُوت!!.

أَتُرَاهُ قَلْبَاً قَد يُرِيدُ بِغَيْرِ كَدٍّ أو نَصَب جَنْىَ الأَزَاهِرِ وَالثِّمَار؟!!... ؛أَم أَنَّهُ يَأْسٌ قَدِيمٌ قَد نَشَا فِي ظِلِّ أَوْدِيَةِ التَّعَاسَةِ وَالمَرَار؟!!... ؛النَّفْسُ قَد فَنِيت وَطَعْمُ الغَدْرِ مِن تَابُوتِهَا يَأْتِي يَفُوح؟!!... ؛أَبَرِيئَةٌ وَالعُذْرُ أَن الرُّوحَ قَد مُلِئَت بِآثَارِ المَوَاجِع ... ؛وَالجُرُوح؟!!.

يَا سَيِّدِي!!... ؛يَا سَيِّدِي هَاذِي تَعِلَّةُ حَائِرٍ!!... ؛وَحَقِيقَةُ الأَمْرِ اللَّعِينِ بِأَنَّهَا!!... ؛أَمَدَائِنُ العُشَّاقِ يَوْمَاً قَد هَوَت!!... ؛وَسْطَ الظَّلامِ وَفِي الجَحِيمِ

هُنَاكَ قَد قَامَت عُرُوش!!... ؛كُلُّ هَبَاءُ يعْرِفِهَا!!... ؛ لاجَـرْمَ هَـذَا فَإِنَّـهُ!! ... ؛قَلْبٌ خَلِيٌّ!!... ؛مِنَ النُّقُوش!!.)).(1).



هِنْـد...!!

زَهْرَةُ حَارَتِنَا العَتِيقَة

عُيُـونٌ !!... ؛ستَعِيشُ فِي عَالَـمِ مَشَاعِـرِي!!.

هِنْـد !!... ؛ حُبٌّ مَا وُلِـد!!... ؛ولَـن يَمُـوت!!.

أَمَلٌ !!... ؛مَا كَان!!... ؛ومِنَ المُحَالِ!! ... ؛أن

يَكُـون !!.

أُعَـلِّلُ بِالمُنَى قَـلْبِي لَعَلِّي

أُرَوِّحُ بِالأَمَانِي الهَـمَّ عَـنِّي.

وَأَعْلَمُ أَنَّ وَصْلَكِ لا يُرَجَّى

وَلَكِن لا أَقَلَّ مِـنَ التَمَنِّي.

---

(1) ـ مِن قَصَائِدِ دِيوَانِي المَوْسُوم سَلَفاً.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

...

غَرِيبَةٌ هِيَ الدُّنْيَا ! ؛ إِذَا مَا قَضَت بِالحِرْمَانِ عَلَى امْرِئٍ مِن أَبْنَاءِ هَذِهِ الأَرْضِ ؛ جَعَلَت حَيَاتَهُ كَحُلْمٍ مُفْزِعٍ فِي لَيْلَةٍ عَاصِفَةٍ كَئِيبَةٍ ! ؛ أَيَّامُهُ كَأَيَّامِ الثَّكَالَى! ؛ وَلَيَالِيهِ كَصَمْتِ لَيَالِي القُبُور! ؛ صَيَّرَت الحُزْنَ هُوَ الجَزَاء ؛ وَلَكِنَّهُ الجَزَاءُ عَلَى مَالا يُعْرَفُ وَلا يُعْلَم !! ؛ وَكَتَبَت أَحْرُفَ كَلِمَةِ الحَسْرَةِ بِدَمٍ أَسْوَدٍ وَأَسْكَنَتْهَا فِي كَبِدِ سَمَاءِ حَيَاتِهِ !! ؛ وَهَكَذَا !! ؛ حَتَّى يَمْضِي عُمُرُ الفَتَى ؛ وَيَذْهَبُ وَهُوَ لا يَدْرِي؟! ؛ لِمَا جَاءَ إِلَى هَذِهِ الدُّنْيَا؟! ؛ وَلِمَا يَتْرُكُهَا مِن غَيْرِ مَا مَعْرِفَةٍ بِذَلِكَ السَّبَبِ المَجْهُول؟!.

مَا أَرَدْنَا مِن مَتَاعِ هَذَا الكَوْنِ غَيْرَ طِلْبَةٍ وَاحِدَةٍ !! ؛ مَا رَغِبْنَا مِن زِينَةِ هَذِهِ الحَيَاةِ وَمَبَاهِجِهَا فِي سِوَى العَيْشِ وَقَضَاءِ أَيَّامِ دَهْرِنَا فِي ظِلِّ السُّكُونِ وَالسَّلام!! ؛ وَلَكِن هَكَذَا كَان ؟! ؛ لَنَا أَن نَتَمَنَّى ؛ وَلِلْقَدَرِ أَن يُهَيِّءَ وَيَصْنَع ؛ أَو أَن يَنْبُذَ نُفُوسَنَا ؛ وَأَن يُقَطِّبَ فِي وُجُوهِنَا ؛ وَأَن يُعْرِضَ عَنَّا وَيَهْزَأَ بِمَا نُرِيد.

وَمَن قُدِّرَ عَلَيْهِ الشَّقَاء !! ؛ فَلَعَمْرِي ؛ لَسْتُ أَدْرِي !! ؛ كَيْفَ يَحْيَا ؟! ؛ وَكَيْفَ يَرْغَبُ فِي البَقَاء ؟!.

...

إِنَّ مِن أَرَادَ البَحْثَ عَن مَاهِيَّةِ وَحَقِيقَةِ ذَاتِي ؛ وَمَن رَامَ التَّنْقِيبَ عَن جَوْهَرِ وَكُنْهِ مَشَاعِرِيَ الَّتِي قَادَتْنِي فِيمَا سَلَفَ مِن رِحْلَةِ عُمُرِي وَحَيَاتِي ؛ وَمَن رَغِبَ

فِى الوقُوفِ عَلَى طَبِيعَةِ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ فُؤادِى وَوجْدَانِى ؛ فَلْيَنْظُر ذَلِكَ هُنَاك !!... ؛ بَيْنَ قُبُورِ الآمَال ؛ وَوَسْطَ أَجْدَاثِ الأَمَانِى ؛ فَسَيَجِدُ مَكْتُوبَاً عَلَى لَوْحَةٍ مُغْبَرَّةٍ كَئِيبَةٍ ؛ وُضِعَت أَمَامَ ضَرِيحٍ أَسْوَدٍ مُتَهَالِكٍ ؛ سَيَجِدُ هَذِهِ الكَلِمَاتِ الحَزِينَة : ((هُنَا !!... ؛ قُبِرَت آمَالُ الرَّاهِبِ الأَدِيب.)).

...

إِلَى اللهِ كُلُّ الأَمْرِ فِى الْخَلْقِ كُلِّهِ
وَلَيْسَ إِلَى الْمَخْلُوقِ شَىْءٌ مِنَ الأَمْرِ.
إِذَا أَنَا لَم أَقْبَل مِنَ الدَّهْرِ كُلَّ مَا
تَكَرَّهْتُ مِنْهُ طَالَ عَتْبِى عَلَى الدَّهْرِ.
وَوَسَّعَ صَدْرِى لِلأَذَى كَثْرَةُ الأَذَى
وَقَدْ كُنْتُ أَحْيَانَاً يَضِيقُ بِهِ صَدْرِى.



ـ الرِّسَالَةُ الأُولَى

...

مِنَ العَسِيرِ عَلَيَّ أن أُحَادِثُكِ كِفَاحَاً وَوَجْهَاً لِوَجْهٍ ؛ وَأن أَقْتَحِمَ سُكُونَ حَيَاتَكِ ؛ وَأن أَهْجُمَ هَكَذَا مِن غَيْرِ إِشَارَةٍ وَلَو خَفِيَّةٍ أو قَصِيَّةٍ ؛ فَإِنِّى أَعْلَمُ أنَّ النَّفْسَ الودِيعَةَ وَالرُّوحَ البَرِيئَةَ إِذَا مَا أُلْقِيَ عَلَيْهَا هَكَذَا فَجْأَةً مَا هُوَ مِن قَبِيلِ مَا كُنْتُ أُرِيدُهُ ؛ اضْطَرَبَت اضْطِرَابَاً شَدِيدَاً ؛ وَأَصَابَ عَقْلَهَا مَا يَشْبِهُ العَاصِفَةَ العَاتِيَةَ فِى لَيْلِ الرَّبِيعِ الهَادِىءِ !!.

لَقَدْ عَانَدتُ نَفْسِى وَذَهَبْتُ إِلَى دِيَارِكُم بِالأَمْس ؛ وَاتَتْنِى رَغْبَةٌ قَوِيَّةٌ فِى الإِفْضَاءِ إِلَيْكِ بِحَقِيقَةِ مَشَاعِرِى ؛ ذَهَبْتُ إِلَى بَابِكُم وَأَنَا أَرْجُو أن أَظْفَرَ بِكِ وَحْدَكِ كَى أَبُوحَ بِمَا أَرَدت ؛ وَمِن عَجَبٍ أَنَّنِى وَجَدتُكِ أَنْتِ حِينَمَا نَادَيْت !! ؛ وَلَكِنَّ العَجَبَ حَقَّاً هُوَ مِن كَوْنِى مَا وَجَدتُ مَا أَنْطِقُ بِهِ عِنْدَمَا رَأَيْتُكِ !! ؛ لَقَد كَانَ وَجْهُكِ مُشْرِقَاً نَاضِرَاً جَمِيلاً كَوجُوهِ المَلائِكَةِ ؛ وَعَرِفْتُ أَنَّ الأَرِيحِيَّةَ تُوافِقُكِ بِهَذِهِ السَّاعَةِ ؛ وَمَعَ كُلِّ ذَلِك !! ؛ فَإِنِّى مَا قَدِرْتُ عَلَى أن أَهْزِمَ شَيْطَانَ العَجْزِ وَالحِيرَة !!.

وَهَكَذَا ؛ عُدتُ مِن حَيْثُ أَتَيْت ؛ عُدتُ وَأَنَا أَلْعَنُ خَيْبَتِى وَضَعْفَ قَلْبِى !!.

إِنَّ سُلْطَانَ عُيُونُكِ الصَّافِيَةِ الطَّاهِرَةِ جَعَلَنِى لا أَجِدُ كَلامَاً وَلا أَمْلِكُ جَوَابَاً !!.

تَمَنَّيْتُ مَن أَهْوَى فَلَمَّا لَقِيتُهُ
.. ؛بُهِتُّ فَلَم أُعْمِل لِسَانًا وَلا طَرْفًا !.
. ؛فَأَغْضَيْتُ إِجْلالاً لَهُ وَمَهَابَةً
وَحَاوَلْتُ أن يخفَى الَّذِى بِى ؛فَلَم يخفى !.

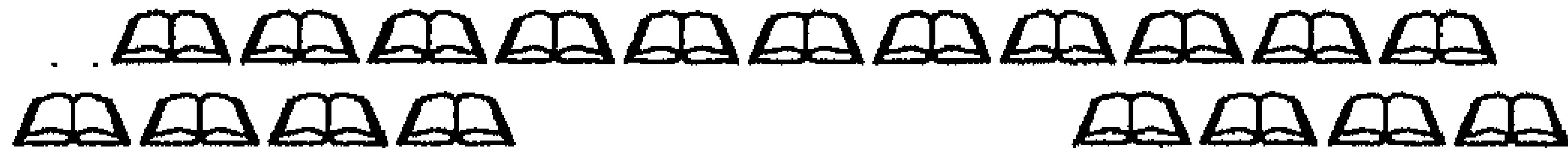
...

لَقَد كَتَمْتُ ذَلِكَ طَويلاً ؛ وَلَكِنَّ صَبْرِى قَد ضَجَّ وَمَلَّ !! ... ؛ وَمِنَ العَبَثِ أن أغْلِقَ فَمِى أَكْثَرَ مِن هَذَا !!... ؛أُحِبُّكِ يَا هِنْد .

إِلَى زَهْرَتِى البَيْضَاء

إِلَى !!... هِنْد جَمَال

مُحَمَّد مَحْمُود



ـ الرِّسَالَةُ الثَّانِيَة

...

رَأَيْتُكِ اليَوْمَ ! ؛ ولَيْتَنِى مَا خَرَجْتُ مِن دَارِى فِى هَذِهِ السَّاعَةِ وَمَا رَأَيْتُكِ ! .
وَلَيْتَنِى إذ خَرَجْتُ مَا سِرْتُ فِى ذَلِكَ الدَّرْبِ الَّذِى كُنْتِ تَسِيرِينَ فِيه!!.
كَم كُنْتُ أَتَمَنَّى ـ وَأَنْتِ تَعْرِفِينَ ذَلِكَ بِلا رَيْب ـ أَن أَرَاكِ فِى هَذِهِ الأَيَّام ! ؛ وَتَحقَّقَت أُمْنِيَتِى ! ؛ وَمَا خَالَفَتْنِى الدُّنْيَا فِيما أَرَدت ! ؛ قَالَت لِى إِلَيْكَ مَا تَرْجُو ؛ هَا هِىَ هِنْد أَمَامَكَ فِى الطَّرِيق!!.
نَعَم ! ؛ أَجَابَت الدُّنْيَا مَطْلَبِى ! ؛ وَكَانَ عَطَاؤهَا هُوَ العَطَاءُ الَّذِى عَوَّدَتْنِى إِيَّاه ! ؛ أَن تَجُودَ عَلَىَّ بِرَغْبَتِى فِى ظَاهِرِ الأَمْر ! ؛ وَلَكِن مِن وَرَاءِ ذَلِكَ تَأْتِى المَأْسَاةُ وَالمِحْنَةُ وَالقَهْر!!.
رَأَيْتُكِ !! ... ؛ وَرَأَيْتُ بِجِوارِكِ مَن أَنْكَرْتُهُ ! ؛ رَأَيْتُ شَابّاً لامَحِلَّ لَهُ مِنَ الإِعْرَاب! ؛ لاوَجْهَ لِوضْعِهِ بَيْنَ الأَلْفَاظ ! ؛ لاشَىْءَ يَلِيقُ بِهِ مِنَ التَّعْرِيفَات!!.
كَأَنَّهُ خَرَجَ عَلَيْنَا مِن عَالَمِ الجِنِّ ؛ وَتَجَسَّدَ فِى هَيئةِ بَنِى آدم ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ ؛ ثُمَّ قَالَ لَنَا : أَنَا إِنْسَان !! ؛ وَمَا ذَاكَ إِلاَّ لأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ وَيَسْمَعُ وَيُبْصِر!!.
سَأَلْتُ مَن هَذَا؟! ؛ فَقَالُوا بِأَنَّ هَذَا الكَائِنَ المَجْهُول ؛ هُو مَن سَيَحْمِلُكِ مَعَهُ عَمَّا قَرِيبٍ إِلَى دِيَارِه؟!.
سُبْحَانَ الله ! ؛ للهِ فِى خَلْقِهِ شُئُون !...سَامَحَ اللهُ الزَّمَن!!.

...

. ؛أَحُــنُّ إِلَى نَجْـدٍ وَإِنِّى لَـيَـائِـسٌ
طُوالَ اللَّيـالِى مِن قُفُـولٍ إِلى نَجْدِ.
وَإِنَّكَ لا لَيْلَى وَلا نَجْدَ فَاعْتَرِف
بِهَجْـرٍ إِلَى يَـوْمِ القِيَامَةِ وَالـوَعْـدِ.

...

«يَنَاير **2008**مـ »

مُحَمَّد مَحْمُود



ـ الرِّسَالَةُ الثَّالِثَة

اللهُ يَعْلَمُ أَنَّنِى مَا أَرْجُو لَكِ غَيْرَ الخَيْرِ وَسَعَادَةِ تِلْكَ النَّفْسِ البَرِيئَةِ الطَّاهِرَةِ ؛ وَلَو كَانَ ذَلِكَ لا يَعُودُ عَلَىَّ إِلاَّ بِتَعَاسَتِى وَشَقَاءِ ذَاتِى وَرُوحِى!!.

جَاءَتْنِى أَخْبَارٌ تُخْبِرُنِى بِأَنَّكِ رَاحِلَةٌ عَمَّا قَرِيب ؟!!.

لا أُنْكِرُ أَنَّ الحُزْنَ قَد سَيْطَرَ لِسُوَيْعَةٍ عَلَى عَقْلِى وَفُؤَادِى وَمَشَاعِرِى ؛ لا أُنْكِرُ ذَلِك ؛ وَلَكِنِّى لا أُنْكِرُ أَيْضاً أَنَّنِى قَد عُدتُ سَرِيعاً لأَقِف عَلَى أَرْضِ المَنْطِقِ وَالعَقْلِ وَالوَاقِع.

أَيَّتُهَا الشَّرِيفَةُ النَّقِيَّةُ !! ؛ لَو كَانَت الأَقْدَارُ تُرِيدُ لِيَ الخَيْرَ ؛ لَكَانَت قَد خَطَّت فِى كِتَابِهَا مُنْذُ عَهْدٍ قَد مَضَى غَيْرَ هَذَا الَّذى كَان !! ؛ نَعَم ؛ لَو كُنْتُ مِن أَهْلِ أَبْرَاجِ السُّعُود ؛ لَكَانَت رُوحُكِ المَلائِكِيَّةُ تُرَافِقُنِى فِى رِحْلَتِى مُنْذُ سَنَوات !!.

سَيِّدَتِى! ؛ لَسْتُ أَنَا مِمَّن سَيَبْتَسِمُونَ يَوْماً فِى هَذِهِ الحَيَاة !.

لا أَشْقَاكِ اللهُ يَا هِنْد !.

...

لَمَّا أَنَاخُوا ؛ قُبَيْلَ الصُّبْحِ عَيْسَهُمُ
وَرَحَّلُوهَا ؛ فَسَارَت بِالهَوَى الإِبِلُ.

وَقَلَّبَت مِـن خِلالِ السِّجْفِ نَاظِرَهَا
تَـرْنُـو إِلَيَّ وَدَمـعُ العَـيْنِ مُنْهـمِـلُ.
فَـوَدَّعَـت بِبَنانٍ عَـقْـدُهَا عَـنَـمٌ..... ؛
نَـادَيْـتُ لا حَمَلَـت رِجْـلاكَ يَا جَـمَـلُ!.
وَيْلِي مِـنَ البَيْنِ ! مَـاذَا حَـلَّ بِي وَبِهَا ؟! ؛
يَا نَـازِحَ الـدَّارِ حَـلَّ البَـيْنُ وَارْتَـحَلُـوا!.
يَـا رَاحِـلَ العِيسِ عَـرِّجْ كَـي أُوَدِّعَـهَـا
يَـا رَاحِـلَ العِيسِ فِي تَرْحَـالِكَ الأَجَلُ !.
إِنِّـي عَلَى العَهْدِ لَـم أَنْقُض مَـوَدَّتَكُـم
فَلَيْتَ شِعْرِي ؛ وَطَالَ العَهْدُ ؛ مَا فَعَلُوا ؟.

...

إِلَى زَهْـرَةِ جَـارَتِنَا العَتِيقَة ... !!
إِلَى... !!:
هِـنْـد جَـمَـال .... مُحَمَّد مَحْمُود



ـ الرِّسَالَةُ الرَّابِعَة

...

وَخَبَّرتَنِى يَا قَلْبُ أَنَّكَ صَابِرٌ
عَلَى الهَجْرِ مِن لُبْنَى فَسَوْفَ تَذُوقُ. !
فَمُت كَمَدَاً أو عِش سَقِيماً فَإنَّمَا
.... ؛ تُكَلِّفُنِى مَالا أَرَاكَ تُطِيقُ. !

...

رَحَلْتِ يَا وَرْدَتِى البَيْضَاء ! ؛ رَحَلْتِ وَمَا مِن سَبِيل ! ؛ كَانَ عُرْسُكِ وكَانَ مَأْتَمِى! ؛ ظَهَرَ البَدْرُ فِى لَيْلَتِك ؛ وَمَا رَأَيْتُ بِلَيْلَتِى غَيْرَ الغُيُومِ وَالرُّعُود !! ؛ كَانَت يَدُكِ تُمْسِكُ بِيَدِه ؛ وكَانَت يَدِى تَتَسَلَّى بِمُدَاعَبَةِ الحَصَى ! ؛ فَشَتَّانَ شَتَّان !! ؛ شَتَّانَ بَيْنَ العُيُونِ الصَّافِيَةِ الرَّائِقَةِ مِن فَرْطِ السَّعَادَةِ ؛ وَبَيْنَ العُيُونِ الحَمْرَاءِ المُتَّقِدَةِ مِن شِدَّةِ الهَمِّ وَالبَلاء !!.

فَسُبْحَانَ مَن أَضْحَكَ وَأَبْكَى ! ؛ وَسُبْحَانَ مَن أَمَاتَ وَأَحْيَا !!.

...

أَيَا كَبِدِى كَادَت عَشِيَّةَ غُرَّبٍ
مِنَ الوَجدِ إِثْرَ الظَّاعِنِينَ تصَدَّعُ. !

عَشِيَّةَ مَا فِيمَن أَقَامَ بِغُرَّبٍ
مُقَامٌ وَلا فِيمَن مَضَى مُتَسَرَّعُ. !
عَشِيَّةَ مَا لِى حِيلَةٌ غَيْرَ أَنَّنى
بِلَقْطِ الحَصَى وَالخَطِّ فِى الدَّارِ مُولَعُ. !
أَخُطُّ وَأَمْحُو كُلَّ خَطٍّ خَطَطْتُهُ
بِكَفِّىَ وَالغِرْبَانُ فِى الدَّارِ وُقَّعُ. !
كَأَنَّ سِنَاناً فَارِسِيّاً أَصَابَنِى
عَلَى كَبِدِى ؛بَل لَوْعَةُ الحُبِّ أَوْجَعُ. !
وَمَا يُرْجِعُ الشَّوْقُ الزَّمَانَ الَّذِى مَضَى
وَلا لِلْفَتَى فِى دِمْنَةِ الدَّارِ مَجْزَعُ. !

...

لَقَد عَرِفْتُ السَّبِيلَ! ؛مِنَ العَبَثِ أَن يَعِيشَ الحُبُّ بِقَلْبِى ؛بَيْنَمَا مَن أُحِبُّ قَد رَحَلَ بَعِيداً لِيَحْيَا مَعَ غَيْرِى !! ؛مَا أَعْظَمَ النِّسْيَان ! ؛سَأَبْحَثُ عَن دَرْبٍ جَدِيد ! ؛لَم تَزَل فِى العُمْرِ بَقِيَّةٌ مِن آمَالِ المَاضِى الَّذِى كَان !.

لَكِ السَّعَادَةُ يَا هِنْد ! ؛وَلْيَكُن مَا يَكُون !!.

...

إِذَا مَا شِئْتَ أَن تَسْلُو حَبِيباً
فَأَكْثِر دُونَهُ عَدَدَ اللَّيَالِى.

...

يَا دَهْرُ مَالَكَ؟! ؛ يَا عُمْرُ مَا شَأنُكَ؟!.

يَا أَقْدَارَ حَيَاتِي ؛ أَتِلْكَ هِيَ النِّهَايَاتُ دَائِماً؟!.

نَعُوذُ بِاللهِ مِن يَأْسٍ يَحْمِلُ عَلَى كُفْرٍ بِمَا قَضَاهُ خَالِقِي! ؛ وَمِن قُنُوطٍ يَدْعُو إِلَى غَفْلَةٍ! ؛ وَمِن سَخَطٍ يُؤدِّي إِلَى غَضَبِ مَن نَرْجُو مَغْفِرَتَهُ وَرَحْمَتَه.

سُبْحَانَكَ رَبَّنَا لا إِلَهَ سِواك.

...

رَمَتْنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِن حَيْثُ لا أَرَى

. ؛ فَكَيْفَ بِمَن يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامِ؟!.

.... ؛ فَلَو أَنَّهَا نَبْلٌ إِذاً لأَتَّقَيْتُهَا

.... ؛ وَلَكِنَّمَا أُرْمَى بِغَيْرِ سِهَامِ!!.

وَأَفْنَى وَمَا أُفْنِي مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً

وَلَم يُغْنِ مَا أَفْنَيْتُ سِلْكَ نِظَامِ!!.

... ؛ وَأَهْلَكَنِي تَأْمِيلُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ

..... ؛ وَتَأْمِيلُ عَامٍ بَعْدَ ذَاكَ وَعَامِ!!.

مُحَمَّد مَحْمُود



ـ الرِّسَالَةُ الخَامِسَة

...

إذا حَبَسْتُ عَلَى قَلْبِى يَدِى بِيَدِى
وَصِحْتُ فِى اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ وَاكَبِدِى!!.
ضَجَّت كَوَاكِبُ لَيْلِى فِى مَطَالِعِهَا
وَذابَتِ الصَّخْرَةُ الصَّمَّاءُ مِن كَمَدِى!!.

...

لَكِ مِنِّى كُلُّ مَا تُحِبِّين ؛ لَكِ مِنِّى مَا تَشَاءِين ؛ لَكَ أن أصْمُتَ حَتَّى النِّهَايَة ؛ لَكِ أن ألُوذَ بِالكِتْمَانِ حَتَّى وَلَو أوْشَكَت نَفسِى عَلَى الهَلاكِ مِن قَهْرِ السُّهْدِ وَالحِرْمَانِ ؛ وَمُغَالَبَةِ العَيْنِ وَمُعَانَدَة اللِّسان !!.

إنَّ مَوْتَ الآمَالِ لَيْسَ بِالهَيِّنِ وَلا بِاليَسِيرِ يَا عَزِيزَتِى... !! ؛ وَلَكِنِّى أُهَوِّنُ الصَّعْبَ العَنِيدَ مِن أجْلِكِ أنْتِ يَا وَرْدَتِى الغَالِيَة ...!! ؛ قَد يُعْلِنُ ظَاهِرِى أنَّنِى أعْرَضتُ عَنِ الأمْرِ وَجَعَلْتُهُ فِى نَهْرِ النِّسْيَان...!! ؛ وَلَكِن مَهْمَا كَان !!... ؛ سَتَعِيشِينَ بِخَاطِرِى ؛ وَسَتَعْشَقُكِ مَشَاعِرِى ؛ وَسَتَهِيمُ رُوحِى دَائِمَاً فِى ذَلِكَ العَالَمِ النُّورَانِىِّ النَّبِيل !!.



ضَعُفْتُ عَنِ التَّسْلِيمِ يَوْمَ فِرَاقِهَا
فَوَدَّعْتُهَا بِالطَّرْفِ وَالعَيْنُ تَدْمَعُ!!.
وَأَمْسَكتُ عَن رَدِّ السَّلامِ ؛ فَمَن رَأَى
مُحِبّاً بِطَرْفِ العَينِ قَبْلِي يُوَدِّعُ؟!.
رَأَيْتُ سُيوفَ البَيْنِ عِنْدَ فِرَاقِهَا
بِأَيْدِى جُنُودِ الشَّوْقِ بالمَوْتِ تَدْفَعُ.
عَلَيْكِ سَلامُ اللّهِ مِنِّى مُضَاعَفَاً
إِلَى أَن تَغِيبَ الشَّمْسُ مِن حَيْثُ تَطْلَعُ!!.



إِلَيْهَا...!!... ؛ إِلَى قِدِّيسَةِ الحَيِّ القَدِيم...!!... ؛ إِلَيْكِ أَنتِ...!!.
إِلَى عُنْوَانِ الطُّهْرِ وَالنَّقَاء !!
إِلَى وَرْدَتِي البَيْضَاء !!
إِلَى : ... هِنْد جَمَال !!.

مُحَمَّد مَحْمُود



ـ الرِّسَالَةُ السَّادِسَة

...

« الفراقُ قد اجترى واجترح ؛ وأذهب المسرَّة والفرح ؛ وضيَّق رحب الفضا ؛ وَقَلَّبَ القلب على جمر الغضا ؛ وأورث الكمد ؛ وأذاب جليد الجَلَد ؛ وجاب وجال ؛ ونثر عقود الاحتمال ؛ وأوجد الوجد والهيام ؛ وأحوج الصَّبَّ إلى العبث بالأقلام!!.

كَتَبْتُ وَعِنْدِى مِن فِرَاقِكِ لَوْعَةٌ
تُزِيدُ بُكَائِى أو تُقِلُّ هُجُوعِى.
فَلَو أبْصَرَت عَيْنَاكِ حَالِىَ كَاتِبَاً
إذَاً كُنْتِ تَرْثِى فِى الهَوَى لِخُضُوعِى.
أَخُطُّ وَدَاعِى الشَّوْقِ يُمْلِى ؛ وَكُلَّمَا
تَعَدَّيْتُ سَطْرَاً رَمَّلَتْهُ دُمُوعِى.

يا لها لوعة أسعرت وَقْدَ الضلوع !! ... ؛ ومالت إلى الصبر فأذوت منه الأصول والفروع !! ؛ وصبابة صَبَت النفس إليها ؛ ووقفت لامتثال الأمر طائعة بين يديها !! ؛ وغراماً يُلازم غريم الفؤاد ؛ ويتكلم من الدُّموع بألسنةٍ

حِدَاد!! ؛ وشوقاً إلى تلك الليالى المُستنيرة ؛ والأيّام التى تُطَوِّل الشرح فى وصف محاسنها وإن كانت قصيرة !!.

حَيْثُ اللِّقَا وَالنَّوَى حِلٌّ وَمُرْتَحَلٌ
وَالدَّهْرُ يَقْضِى لَنَا مِن وَصْلِكَ الغَرَضَا.
لَئِن تَعَوَّضتَ عَنِّى غَيْرَ مُكْتَرِثٍ
فَعَنْكَ مَا دُمْتُ حَيَّاً لَم أجِد عِوَضَا.

إلى الله أشكو جور أحباب ؛ لاشكَّ فى ظُلمهم ولا ارتياب!!.

سَارُوا وَسِرُّ الوَجْدِ قَلْبِى أَوْدَعُوا
يَا لَيْتَهُم يَوْمَ النَّوَى لَو وَدَّعُوا !!.

أفديهم غائبين أطالوا شُقَّة البَيْن ؛ ونازحين سكنوا القلب حين غابوا عن العين !!.

رَحَلُوا عَنِ الأَوْطَانِ لَكِن فِى الحَشَا
نَزَلُوا ؛ وَمَا رَاعُوا ؛ وَلَكِن رَوَّعُوا.

كيف العمل؟!... ؛ عَزَّ الاحتيال ؛ هل من طريقٍ إلى منزلة الوصال؟!.

يَا صَاحِ إِنَّ ظِبَاءَ جِيرَانِ النَّقَا
جَارُوا عَلَيَّ ؛ فَدُلَّنِى مَا أَصْنَعُ؟!.

أَيُّهَا المغرم باللوم والتفنيد؟!... ؛ لا تتعب نفسك فيما لا يجُدى ولا يُفيد!!.

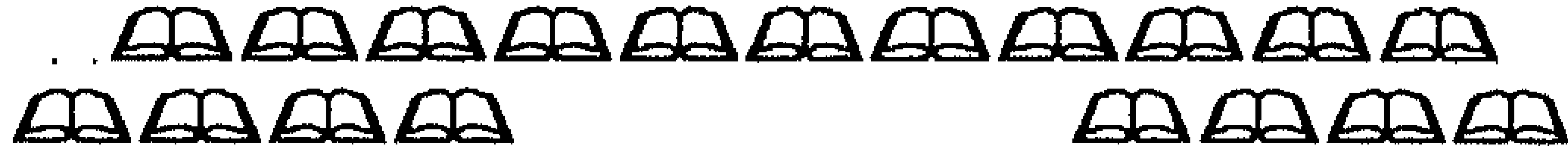
قَسَمَاً بِهِم مَالِى غِنَىً عَنْهُم وَلَو
أَمْسَيْتُ كَاسَاتِ الأَسَى أَتجَرَّعُ. » . (1)».

...

لَكِ السَّعَادَةُ يَا هِنْد ؛ وَلِىَ الصَّبْرُ أَتَدَرَّعُ بِهِ !!.

يَعْلَمُ اللهُ أَنَّ المَرَارَةَ لا تُفَارِقُ وَلا تَرْحَل ؛ وَلَكِنِّى سَأُوَاصِلُ السَّعْىَ عَلَى دُرُوبِ رِحْلَتِى رَغْمَ مَا قَد يَكُون !!.

مُحَمَّد مَحْمُود



(1) - « نسيمُ الصَّبَا» لأبى محمد بدر الدين الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب الحلبىُّ (ت سنة 779هـ) ؛ الفصل الرابع عشر : « فى الفراق ».

ـ وَقْفَةٌ :

وَمَضَت سِنَتَان ؛ وَرَحَلَ مِن عُمُرِ زَمَانِنَا عَامَان ؛ وَكَانَ حُدُوثُ مَالَم يَدُر بِخَلَدِى !! ؛ وَجَرَى مَالَم يَطُف يَوْمَاً بِخَيَالِى !!.

قَلْتُ فِى مُقَدِّمَةِ تَحْقِيقِى لِلمُعْجَمِ اللُّغَوىِّ النَّادِرِ المَوْسُوم بِـ : ((نُجْعَةُ الرَّائِد وَشِرْعَةُ الوَارِد فِى المُتَرَادِفِ وَالمُتَوَارِد)) ؛ وَالَّذِى صَنَّفَهُ العَلاَّمَةُ الأَدِيب : إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَاصِف بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنُ نَاصِف بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنُ نَاصِف بْنُ جُنْبْلاط بْنُ سَعْدِ الْيَازِجِىُّ الْحِمْصِىُّ ـ(الْمُتَوَفَّى سَنَة 1324هـ) ـ ؛ تَحْتَ عُنْوان :

((ـ بابةُالحديث عن مَاهِيَّة جَهْدِى وَكُنهِ منهجى فى هذا الكتاب.)) :

ـ((قال بعض الحكماء :

﴿ ربَّ حَربٍ جُنيت من لفظة ؛ وَرُبَّ عشقٍ غُرِس من لحظة﴾.

قُلْتُ : وتصدق هذه المقالة بسائر حروفها على شخصى وذاتى فى ساعتى هذه !!.

لقد دام حُبُّ هذه الواقفة هناك لسنوات وسنوات ! ؛ نعم ؛ لستُ أُبعد أو أُغْرِبُ ؛ لقد كانت أسماء هى نجمى الذى أُحدِّثهُ كل ليلةٍ ؛ وكانت هى شمسى التى أُخاطبها مع مجىء كُلِّ نهار!.

ثُـمَّ ماذا !! ؛ نعم! ؛ وماذا غير هذا ؟!!... ؛ لقد ذهبت لتبحث عن الغنىِّ الثرىِّ ؛ ثُمَّ بقيت أنا وحدى هُناك!... ؛ أُغنى وأنا واقفٌ فوق صخرة الـوهم الكبير!!... ؛ أُغنى بأبيات الحيارى ؛ وَأُرَدِّدُ قصائد الشَّقاء والألم !!.

نعم... ؛ لقد مضى حُلْمُ هاتيك السنوات !!... ؛ وتَهَدَّم كُلُّ ماشَيَّدتهُ بصرحِ الأُمنيات!!.

نعم ؛ كـان مـا كـان !!...،ولكنهـا فـى النهايـة ؛ كانت ؟!! ... ؛ أحـلام نائـم ... ؛ وتخيُّلات يقظان!!.

شَعُرْتُ بشىءٍ غـريبٍ يـدعـو إلى العجب !!... ؛ لا أُنكرُ أن الحـزن قـد عَمِـلَ بفؤادى عملَ الصَّهباء بالأعضاء ؛ ما كان هذا بمستغربٍ أبداً ، وما كـان هـذا هو الذى يدعو إلى العجب ؛ لكن الذى يـدعو إلى العجـبِ حَقّـاً ؛ هو أنـه لم يكد يمضى على وقوع هذه المحنة وذلك البلاء بعض أيّـام ؛ إلا وقـد شعرتُ بِبَرَدِ الرَّاحة وَبِعِزٍّ أورثتنيـه سُرعة الإعـراض عن هذه الذكرى!!.

فالحمدُ لله ! ؛ ولقد صدق من قال : ﴿ إذا ظهرَ الغدرُ ؛ سَهُلَ الهجرُ ﴾.

وليس هذا بغريبٍ على فتىً أجبرته الدُّنيا على أن يُوطِّن نفسه على مُلاقـاة الـمحن والخطـوب بين كُلِّ طرفة عينٍ وانتباهتها !! ؛ فالله المستعان.

يا قلبُ قدْ خانَ مَنْ كلفتَ بهِ
فخلِّ عنكَ البُكاءَ فى أثـرهْ

شُغْلكَ بالفكرِ فى تغيُّرِهِ

أعظمُ مِمَّا لقيتَ مِن غِيَرِهْ

فارحل فمن لا يَحُلُّ موردهُ

يُفضِ بهِ صفوهُ إلى كَدَرِهْ

وارجع إلى اللهِ فى الأُمورِ فلن

تقدرَ أن تستجيرَ مِن قَدرهْ

وهكذا رحلت أسماء !!... ؛ رحلت إلى عالم الأمانى التى كانت !... ثُمَّ ماتت !!.

رحلت هذه !... ؛ ولكن فتاة الحيِّ قد عادت !!... ؛ يا لها من أقدار !! ... ؛ تأتى بُعَيْدَ كُلِّ محنةٍ بمنحةٍ !!... ؛ وأعلمُ يقيناً أنَّ وراء تلك العَطيَّةِ بلاءٌ جديد !!... ؛ نعم ؛ لقد عادت هند !!...؛ عادت حزينةً مُنكسرة !!... ؛ عادت والدمع فى عينيها كقطع الجمر المُلتهب !!... ؛ ولكن دمع العيون ليس بأشدٍّ وطأةً من ذلك الجمر الذى يُذيب فؤادى !!.

حُلمى الَّذى مات قبل أن يُولد !!... ؛ لما عادت ؟!!... ؛ لما حَرَّكت ذلك الغائب تحت الرَّماد ؟!!... ؛ عادت وبيدها فتاتها الصغيرة !!... ؛ عادت لتدفعنى دفعاً إلى العيش بين الغُصَّةِ والأمل!!... ؛ فلماذا ؟!!... ؛ لماذا ؟!! ... ؛ عجيبٌ أمرُ ذلكَ الزَّمن !!.

ألا يا نسيمَ الرِّيحِ إنْ كنتَ هابطاً

بـلادَ سُليمى فالتمس أنْ تكلَّما.

لتَقْـرَا علَى ليلى السَّلامَ وأهلِها

وكن بعدَها عن سائرِ النَّاسِ أعجَما.

...

ألم أقل لكَ يا صديقى : (رُبَّ حَربٍ جُنيت من لفظة ؛ وَرُبَّ عشقٍ غُرِس من لحظة) .؟!!.

لقد كانت تلك اللفظةُ اللعينةُ من أسماء ؛ هى التى أشعلت تلك الحرب الضَّرُوس التى قامت بوجدانى ومشاعرى !!... ؛ نعم ؛ وكانت تلك النظرة الحزينة التى رأيتها بعيون هند ؛ هى الباعث على أن غُرِسَ الحبُّ بفؤادى من جديدٍ بعد أن كانت رياحُ الخريف قد أذبلت أوراقهُ مُنذُ عَهْدٍ بَعيد!!.

...

ثُمَّ... ؛ إنَّ كُلَّ هذه السُّطُورِ الطُّوالِ التى دَبَّجتُهَا بيراعى ؛ ما كانت نِتاجَ أمرٍ قد عشتهُ وفاضت بهِ نفسى وأرادت أن تطرحهُ هَاهُنا وحسب !... ؛ لا !! ... ؛ إنما قَيَّدتُ مشاعرى هذه فى هذا الموضع ؛ لأنَّ الصِّلةَ وثيقة ؛ والعِلَّة عندى ظَاهِرة جَلِيَّة.

لَمَّا كانَ هذا الَّذى ذكرتهُ جرى ويجرى بهذه الأيام ؛ تلك التى أقوم فيها على تحقيقِ هذا العمل ؛ فقد كان مَرَدُّ ذلكَ علىَّ ؛ أو بالأحرى : كانَ أثرهُ واضحاً بشأن قِصَّتى مع هذا العمل.

هَرِبْتُ مِن قصَّتى المريرة مع هذه الغالية ؛ والَّتى صارت اليوم هى تلكَ البغيضة الكذُوبة المُخادعة ؛ هربتُ من آثار تلك النهاية المؤسفة الكئيبة ؛ والتى كانت خاتمة المطاف فى رحلتى الشاَقة المُضنية مع أسماء ؛ هربت إلى هذا الكتاب ؛ عشتُ معهُ بعدَ أن عجزتُ عن العيش بين الناس بعدَ ذلك الَّذى كان!!.

هربتُ إليهِ بعدَ أن عادت هند إلى (حارتنا العتيقة) ؛ فوجدتنى أقفُ أمامَ مسألتى معهاوأنا بينَ اليأس والأمل! ؛ بين التفاؤل والحيرة ! ؛ بينَ الانتظار والترقُّبِ والضيق ... ؛ والخوف مما عسى أن يكون !!.

نعم ؛ لكَ أن تقول أننى جعلتهُ صديقى بعدَ أن مَزَّقْتُ عهود تلكَ الصداقات المأفونة المريضة الخرقاء!!.

لكَ أن تقول أننى جعلتهُ هو أهلى وجمعى وعشيرتى ؛ بعدَ أن أيقنتُ وآمنتُ أننى أحيا فى هذه الدُّنيا بلا أهلٍ أو عشيرة !!.

لكَ أن تقول أننى جعلتهُ رفيقتى وحبيبتى وعشيقتى ؛ بعدَ أن خُذِلْتُ فى عالم العشق والهوى !!.

لكَ أن تقول !! ؛ ولكَ أن تقول !! ؛ ولكن الغريب أيضاً... أننى !!... ؛ أننى أعطيتهُ وقتى ؛ واختصصتهُ برعايتى ؛ وآثرتهُ بجهدى وطاقتى ؛ ولكنهُ يخرجُ فى النهاية هكذا فى ثوبٍ قشيبٍ ؛ يخرجُ على القوم فى زينةٍ ما عهدها من قبل!... ؛ ولكنهُ يذهب وقد تركنى بعدَ أن أضعف نور عيونى! ؛ بعدَ أن غادر بنيتى فى نَصَبٍ دائمٍ لا تفارقهُ ولا يفارقها ! ؛ خلاّنى وكأننى جئتُ لِلّحْظَةِ من رحلةٍ رهيبةٍ بعيدةٍ كُتِبَ علىَّ أن أخوضها بقوىً مُنهكةٍ ؛ وبلا زادٍ ؛ وسائراً على قدمىَّ !!.

ومهما يكن من أمرِ كُلِّ ذلكَ الّذى ذكرتُ ؛ فهذا وحده هو الموطن الّذى يعود فيه المرءُ بلا هَمٍّ ولا حَزَنٍ ولا أسَفٍ. ».أهـ



ـ الرِّسَالَةُ السَّابِعَة

...

مَا هَبَّتِ الرِّيحُ مِن تِلْقَاءِ أَرْضِكُمُ
إِلاَّ وَجَدْتُ لَهَا بَرْداً عَلَى كَبِدِى.
وَلا تَنَسَّمْتُ أُخْرَى أَسْتَفِيقُ لَهَا
إِلاَّ وَجَدْتُ خَيَالاً مِنْكِ بِالرَّصَدِ !.

...

ثُمَّ :

اللهُ يَعْلَمُ أَنَّنِى سِرْتُ فِى دُرُوبٍ كَثِيرَةٍ، وَأَنَّنِى رَأَيْتُ وَشَاهَدتُ، وَجَالَسْتُ وَتَكَلَّمْتُ، وَاسْتَقْرَأْتُ وَاسْتَنْبَطْتُ ؛ وَعُدتُ فِى نِهَايَةِ رِحْلَةِ السَّنَواتِ السَّبْعِ العِجَافِ الَّتِى سَلَفَت مِن عُمْرِى وَحَيَاتِى !! ؛ وَأَنَا أَكَادُ أَن أُقْسِم !! ؛ أَنَّنِى مَا رَأَيْتُ مِثْلَكِ حَياءً وَعِفَّةً وَنَقَاءً !!.

مِثْلُكَ أَيَّتُهَا البَرِيئَةُ لا يَرُدُّنِى إِن جِئْتُ أَهْلَهَا زَائِراً أَو مُسَامِراً ؛ وَلَكِنَّ حُبِّى لَكِ قَد فَضَحَتْهُ عُيُونِى ؛ وَتِلْكَ عَادَةُ أَهْلِ الهَوى إِن بَلَغَ بِهِمُ العِشْقُ مَدَاه ؛ وَلأَنَّكِ ـ كَمَا عَهِدتُّكِ ـ تَخْشَيْنَ مَا عَسَى أَن يُقَال ؛ فَقَدأَخَذْتُ عَلَى نَفْسِى أَلاَّ أَزُورَ أَهْلَكِ أَو أُسَامِرَهُم عِنْدَ بَيْتِهِم.

لَكِ مَا يُرْضِيكِ يَا نَقِيَّةَ الوَجْهِ وَالإِزَار ؛ وَإِن كَانَت رُؤْيَةُ عُيُونُكِ الصَّافِيَةِ الوَدِيعَةِ لَهِيَ مِمَّا يُهَوِّنُ عَلَيَّ مَا أُلاقِيهِ وَأُبْتَلَى بِهِ مِن خُطُوبِ هَذِهِ الدُّنْيَا !!.
لا بَأس !! ؛ لا بَأْسَ يَا أَمَلَ الشَّبَابِ وَالعُمُر !! ؛ لَكِ مِنِّى حَيَاتِىَ لَو تَرْغَبِين !!.
...

إِلَى وَرْدَتِى البَيْضَاء !!

إِلَى بَدْرِ سَمَاءِ حَارَتِنَا العَتِيقَة !!

إِلَى... !! : ... هِنْد جَمَال

ـ[2011/6/15م]ـ

مُحَمَّد مَحْمُود



ـ الرِّسَالَةُ الأَخِيرَة

...

أَمِن آلِ هِنْدٍ عَرفْتَ الرُّسُومَا
بِحُمْرَانَ قَفْراً أَبَت أن تَرِيمَا.
.. ؛ تَخَالُ مَعَارِفَهَا بَعْدَمَا
أَتَت سِنْتَانِ عَلَيْهَا الوُشُومَا.
.. ؛ وقَفْتُ أُسَائِلُهَا نَاقَتِي
وَمَاذَا يَرُدُّ سُؤَالِي الرُّسُومَا.
..... ؛ وَذَكَّرَنِي العَهْدَ آيَاتُهَا
فَهَاجَ التَّذَكُّرُ قَلْباً سَقِيمَا.

...

كَأَنِّي صِرْتُ لا أَعْرِفُ تِلْكَ الدَّارِ الَّتِي تَعِيشِينَ فِيهَا ؛ للهِ أَيَّامٌ كُنْتُ أَمْرَحُ وَأَلْهُو بِجِوارِهَا !! ؛ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّكِ بِهَا ؛ كُنْتُ آتِيكُم وَمَا تُحَدِّثُنِي نَفْسِي إِلاَّ بِذَلِكَ الأَمَلِ الَّذِي تَمَلَّكَ مِن رُوحِي وَمَشَاعِرِي !! ؛ أَن أَرَى هَذِهِ العُيونَ الجَمِيلَةَ الوَدِيعَة !!.

مَا أَمَرَتْنِي نَفْسِي بِمُحَادَثَتِكِ وَالبَوْحِ بِمَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ فُؤَادِي غَيْرَ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ ؛ أَرَدْتُ أَن أَفْصِلَ فِي قَضِيَّتِي ؛ وَلَكِنِّي مَا كِدْتُ أَظْفَرُ بِرُؤْيَتِكِ ؛ إِلاَّ وَسَيْطَرَ عَلَيَّ العَجْزُ ؛ وَمَا نَادَيْتُ بِاسْمِكِ إِلاَّ وَهَجَمَ عَلَيَّ شَيْطَانُ الصَّمْتِ

اللَّعِين !! ؛ وكَأَنَّ الأقْدَارَ أرَادَت أن يَكُونَ أوّلُ وآخِرُ مَا بَيْنِى وَبَيْنَكِ هُوَ النُّطْقُ باسْمَكِ وَحَسْب ؛ ثُمَّ كَانَ الصَّمْتُ إِلَى النِّهَايَة !!.

ذَهَبْتِ إِلَى حَيَاتَكِ الجَدِيدَةِ ؛ وَذَهَبْتُ أنَا لأُواصِلَ رِحْلَةَ الشَّقَاءِ وَالتَّعَاسَةِ فِى هَذِهِ الحَيَاة !!.

ثُمَّ هَكَذَا ؛ وَمِن دُونِ انْتِظَارٍ ؛ عَادَت زَهْرَةُ حَارَتِنَا العَتِيقَة !! ؛ عَادَت وَأنَا وَاقِفٌ هُنَاكَ فِى دَرْبٍ بَعِيدٍ ؛ أُنْشِدُ قَصِيدَةَ « الأَرْض الخَرَاب » !! ؛ تِلْكَ الَّتِى وَدَعْتُ بِهَا أَسْمَاء ؛ نَعَم !! ؛ أَسْمَاء !! ؛ تِلْكَ !!... الحَبِيبَةُ البَغِيضَة !! ؛ الغَالِيَةُ الكَرِيهَة !! ؛ البَرِيئَةُ الَّتِى تُحَارِبُهَا التُّهْمَةُ النَّكْرَاء !! ؛ نَعَم !! ؛ إِنَّهَا المَلاكُ اللَّعِين !!.

وَعُدتُ !! ؛ عُدتُ لأَجِد !! ؛ نَعَم !! ؛ لأَجِد !! ؛ الأَمَل الَّذِى صَرَعَ اليَأس !! ؛ وَالحَيَاة الَّتِى هَزَمَت المَوْت !! ؛ وَالبَسْمَة الَّتِى أذْهَبَت العَبْرَة !! ؛ وَالدَّوَاء الَّذِى ضَمَّدَ الجُرْحَ وَأَذْهَبَ الأَلَم !! ؛ وَالتِّرْيَاق الَّذِى قَهَرَ السُّمَّ وَأَوْدَى بِهِ !!.

...

وَلَكِن !! ؛ نَعَم !! ؛ مَا أَشْبَهَ اليَوْمَ بِالبَارِحَة !! ؛ إِنَّهَا سَتَرْحَلُ اللَّيْلَةَ أو غَداً !!.

وَهَكَذَا مَاتَ الحُلْمُ مِن جَدِيد !! ؛ مَاتَ وَالسَّنَواتُ تَمْضِى !! ؛ وَالعُمُرُ كَأَنَّهُ يَذْهَبُ إِلَى النِّهَايَة !!.

فَلْيَكُن مَا يَكُون !!.

...

هِيَ الدَّارُ الَّتى تَعْرِ
فُ أو لا تَعْرِفُ الدَّارَا ؟!.
تَرَى فيها لأَحبابِـ
كَ... ؛ أَعْلامَاً وآثَارَا.
فَيُبْدِى القَلْبُ عِرْفَانَاً
وَيُبدِى الطَّرْفُ إنْكارَا !.

...

إِلَى ...!! : ...هِنْد جَمَال ...

ـ [أُكتُوبَر ... مِن عَام : 2011 م]ـ

مُحَمَّد مَحْمُود



وَهَكَذَا كَانَت نِهَايَةُ الحِكَايَات!!.

ـ مَلْحَمَة :

المُنتَحِرُون

...

« كُلُّنَا هَذَا الفَقِيد!!... ؛ كُلُّنَا مُغتَالُ وَسْطَ اللَّيْلِ بِالوَادِى البَعِيد!!... ؛ كُلُّنَا أَضْحَى صَرِيعاً بَعْدَ أن جُرِّع عَذَابَاتِ النَّوَى!!... ؛ كُلُّنَا مَقْتُولُ وَالقَاتِل هُو المَوْسُومُ مِن قِدَمِ الزَّمَانِ بِأَنَّهُ!!... ؛ دَاءُ الهَوَى!!.

قِيلَ هَذَا !!... ؛ رَغْمَ أنِّى مُوقِنٌ أنَّ الجَمِيعَ هُوَ الَّذِى رَغِبَ المَنِيَّةَ وَانتَحَر!! ... ؛ وَالحَقِيقَةُ لَيْسَ مِن فَرْقٍ ... ؛ نِهَايَتُنَا جَمِيعاً !!... ؛ فَوْقَهَا هَزْءَ المَصِيرُ ... ؛ وَفَوْقَهَا ضَحِكَ القدَر!!.

وَأشَدُّ عِنْدِى فِى الحَقِيقَةِ أنَّنَا!!... ؛ كُلُّنَا قَاتِل وَمَقْتُولُ!!... ؛ إِى هَكَذَا !! ... ؛ إِى كُلُّنَا عَاشِق وَلَكِن فِى النِّهَايَةِ فَوْقَ أرْضِ الوَهْمِ مَخْذُولُ!!.

أمَّا حَمَامَتُنَا اليَتِيمَةُ إِنَّهَا !!... ؛ وَقَفَت وَقَالَت مَن لَهَا؟!!... ؛ أنَا قُلْتُ إِنِّى فِى النِّهَايَةِ مَحْضُ تِلْمِيذٍ صَغِير!!... ؛ لا أمْلُكُ الدِّينَارَ كَى آتِى فَعُذْراً إِنَّهُ الوَهْمُ الكَبِير!!... ؛ وَذَهَبْتُ مَهْمُوماً وَهِىَ ذَهَبَت وَلَكِن فِى الأخِير!! ... ؛ قَالُوا لَقَد جِئْنَاكِ يَا حَسْنَاءُ بِالزَّوْجِ الرَّشِيد!!... ؛ نَظَرَت رَأت رَجُلاً

تَجَاوَزَ مِن قَدِيمٍ... ؛ألْفَ عِيد!!... ؛قَبِلْتُهُ مُجْبَرَةً وَرَغْمَ الأَنْفِ أعْطَت عَن صَغَارٍ قَلْبَهَا !!... ؛إِي هَكَذَا !!... ؛وَكَأَنَّهَا فِي يَوْمِ عُرْسٍ !!... ؛قَد تَعَاطَت سُمَّهَا!!.

وَكَذَاكَ فِي يَوْمِ المَرَار!!... ؛عَاشَت بُعَيْدَ الانْتِحَار!!.

إِي بَعْدَهَا !!... ؛إِي بَعْدَهَا جَاءَت حَنَان !!... ؛كَانَت لَنَا أُنْشُودَةٌ تُتْلَى!! ... ؛ذُقْنَا بِهَا صِرْفَ البَرَاءَةِ وَالعُذُوبَةِ وَالأَمَان!!... ؛الشَّعْرُ كَاللَّيْلِ البَهِيمِ وَرِيقُهَا أَنْفَاسُهَا كَالصُّبْحِ إِن صُبْحٌ تَهَادَى أَو تَنَفَّس!!... ؛أَنَا كُنْتُ رَاهِبُ عَصْرِهَا!!... ؛وَكَذَاكَ هِيَ كَانَت لَنَا سِفْرَ الهَوَى ... ؛وَبَرَاءَةَ العَهْدِ المُقَدَّس!!... ؛كَانَت حَقِيقَةُ بَعْثَتِي!!... ؛وَهُنَاكَ فِي فَمِهَا ... ؛هُنَاكَ نُبُوَّتِي!!... ؛عِشْنَا!!... ؛عِشْنَا وَلَكِن قَد أَتَت!!... ؛أَصْدَاءُ مِن مَجْهُولِ عَصْرٍ قَد عَلَت!!... ؛جَاءَ الغَنِيُّ المُقْتَدِر!!... ؛وَبَقِيتُ وَحْدِي تَائِهاً!! ... ؛أَبْكِي عَلَى زَمَنٍ غَدِر!!.

رَحَلَت بِدَمْعٍ يَسْتَقِي!!... ؛مِن نَهْرِ أَوْدِيَةِ الأَلَم!!... ؛أَسِفَت بُعَيْدَ فَوَاتِهِ!! ... ؛ذَهَبَت لِقَبْرٍ مِن نَدَم!!... ؛وَأَنَا هُنَا مِن يَوْمِهَا!!... ؛مَازَالَ يَعْلُونِي الدَّهَش!!... ؛أَحْيَا عَلَى أَرْضِ العَدَم!!.

إِي بَعْدَهَا ؟!!... ؛إِي بَعْدَهَا رَامَا الَّتِي تَحْيَا بِشَارِعِنَا العَتِيق!!... ؛مَا بَيْنَنَا يَفْصِل سِوَى أَمْتَارُ هِي عُرْضُ الطَّرِيق!!... ؛رُبَّت عَلَى يَدِيَ النَّحِيلَةُ هَاهُنَا

مُنْذُ الصِّغَر!!... ؛ كُنَّا نُقضِّى اللَّيْلَ فِى نَسْجِ الأَمَانِى تَحْتَ أَضْواءِ القَمَر!! ... ؛ كُنَّا نُدَاعِبُهَا وَنَمْزَحُ إِى وَنَمْرَحُ مَا عَرِفْنَا بِيَوْمِهَا مَعْنَى السَّآمَةِ لَم يُرَافِقْنَا الضَّجَر!!.

أَذْكُر بِيَوْمِ القَيْظِ فِى وَسَطِ النَّهَار!!... ؛ كُنَّا هُنَالِكَ جَالِسِين!!... ؛ مَا كُنْتُ أَعْرِفُ يَوْمَهَا رِيحَ التَّعَاسَةِ وَالْمَرَار!!... ؛ سَأَلَتْنِى مَا عِنْدَ الأَدِيبِ الْمُنْتَظَر؟!!... ؛ قُلْتُ الهَوَى شَىْءٌ عَنِيدٌ لا تُحَطِّمُهُ العَوَاصِفُ أَو تُبَدِّلُهُ الغِيَر!!... ؛ أَكْمَلْتُ بَاقِ مِن كِفَاحِى سَبْعُ أَعْوَامٍ عِجَاف!!... ؛ إِى مَا تَقُولِى حَبِيبَتِى ؟!!... ؛ قَالَت حَبِيبِى لا تَخَاف !!... ؛ لَوْ صَارَ تَرْحَالٌ بِهَاذِى الأَرْضِ آلافَ السِّنِين!!... ؛ فَمُحَالٌ لا لا مِن سَبِيل!!... ؛ فَالحُبُّ فِى قَلْبِى سَيَسْكُنُ دَائِماً !!... ؛ الحُبُّ فِى حِصْنِ البَرَاءَةِ وَالعَفَاف !!.

وَمَضَت لَيَال !!... ؛ بَعْدَهَا سَلَفَت شُهُور !!... ؛ بَعْدَهَا ذَهَبَت سُنُون !! ... ؛ وَأَنَا هُنَاكَ بِوَسْطِ عَاصِمَةِ الدِّيَارِ مُضَيَّعٌ !!... ؛ وَبِيَوْمِ عَوْدِى كَأَنَّنِى قَد جِئْتُ مَدْعُوّاً لِيَوْمِ زِفَافِهَا !!... ؛ نَظَرَت إِلَىَّ تَبَسَّمَت !!... ؛ وَكَأَنَّهَا لِرِيَاحِ نِسْيَانِ العُهُودِ تَنَسَّمَت !... ؛ قَالَت لِى بِالنَّظَرَاتِ دَعْ عَنْكَ الَّذِى بِالأَمْسِ قَد وَلَّى وَكَان !!... ؛ هَاذِى مَوَاثِيقٌ كَوَاذِبُ مَا عَسَى تَفْعَل إِذَا جَاءَ الخَرِيفُ وَدِيسَتِ الأَحْلامُ مِن قَدَمِ الزَّمَان ؟!!.

حَمَلَتْهَا نَاقَةُ زَوْجِهَا يَوْمَ المَسِيرِ !!... ؛ وَبَقِيتُ وَحْدِى وَاقِفاً !!... ؛ وَبَقِيتُ وَحْدِى وَاقِفاً أَنْظُر هُنَالِكَ فِى الأُفُق !!... ؛ أَذْكُر كُلَيْمَاتٍ بِيَوْمِ القَيْظِ فِى زَمَنِ الهَوَى الغَضُّ الغَرِير !!.

وَبُعَيْدَهَا ؟!!... ؛ وَبُعَيْدَهَا جَاءَت مَنَال !!... ؛ حَمَلَتْهَا رِيحٌ قَد أَتَت مِن عِنْدِ أَزْمِنَةِ الُمحَال !!... ؛ شَهْرَانِ تَعْبَثُ كَى تُحَاوِلَ صَيْدَ شَاعِرَ نَحْوَ أَطْرَافِ المَدِينَةِ قَد أَتَى !! ... ؛ ظَلَّت تَرُومُ وَهُوَ يُدَاعِبُ مَكْرَهَا !!... ؛ وَبِآخِرِ الأَدْوَارِ قُلْتُ اليَوْمَ لا ضَيْرٌ !!... ؛ فَقَد عَشِقَ الفَتَى !!.

سِرْنَا قَلِيلاً كُلَّ يَوْمٍ فِى الغُرُوب !!... ؛ فِى أَوَّلِ الأَمْرِ الجَمِيلِ رَأَيْتُهَا أُخْتَ الكَمَال !!... ؛ وَبُعَيْدَ بِضْعِ مَوَاقِفٍ !!... ؛ صَرَخَ القُطُوب ؟!!... ؛ فَصَمَتُّ كَالمَخْدُوعِ يُوهِمُ أَنَّهُ سَيَسِيرُ دَوْماً فِى الطَّرِيق !!... ؛ مَثَّلْتُ بِالدَّمْعِ البَرِىءِ مَوَدَّتِى !!... ؛ وَبِلَحْظَةِ الحُبُّ الجَمِيلِ تَرَكْتُهَا ؟!!... ؛ خَلَّفْتُهَا عِنْدَ المَضِيق !!.

وَبُعَيْدَهَا ؟!!... ؛ وَبُعَيْدَهَا جَاءَت مُنَى !!... ؛ بِالقُرْبِ مِنَّا وَسْطَ حَارَتِنَا العَتِيقَةِ قَد أَتَت عَاشَت هُنَا !!... ؛ عَاشَت مَعَ زَوْجٍ لَعِينٍ لا يَرَى غَيْرَ الأَنَا !! ... ؛ وَبِصُدْفَةٍ قَدَرِيَّةٍ عِنْدَ الأَصِيلِ عَرِفْتُهَا !!... ؛ كَانَت هِىَ البَادِى وَكُنْتُ أَنَا الُمجِيب !!... ؛ سَأَلَتْنِى أَنْتَ الشَّاعِرُ السَّائِر عَلَى دَرْبِ الحَيَارَى التَّائِهِين ؟!! ... ؛ فَأَجَبْتُ أَدْرَكْتِ الخَبِيثَةَ !! تَعْرِفِين !!... ؛ إِنَّنِى هَذَا الأَدِيب !!... ؛ سَأَلَتْنِى عَن بَحْرٍ بِهِ سُفُنٌ تُهَاجِرُ نَحْوَ أَرْضٍ لا تَرَى غَيْرَ الحَقِيقَةِ وَاليَقِين ؟!!

... ؛ فَأجَبْتُها أنَا لِي سُنُونٌ لَم أزَل أبْحَث أجُوبُ الأرْضَ أسْألُ فِي المَدَائِنِ وَالقِفَار !! ... ؛ قَالَت فَهَل أمَلٌ يُخَبِّرُ عَن قَرِيبٍ قَد تَصِل ؟!!! ... ؛ عَن قَرِيبٍ قَد تَجِد فِي الشَّاطِيءِ المَجْهُولِ مَا يُنْسِي ... ؛ عُهُودَ الانْكِسَار ؟!!! ... ؛ فَأجَبْتُهَا إِي قَد إِرَى أن لا مَحَالَةَ قَد يَكُون !! ... ؛ وَإِذَا خَسِرْتُ فَلا مَلامَ فَإِنَّ دُنْيَانَا حُظُوظٌ ... ؛ أو ظُنُون !! ... ؛ وَتَرَكْتُهَا وَمَضَيْتُ فِي دَرْبِي أسِير ... ؛ فُوجِئْتُ بِالصَّوْتِ الحَزِينِ أن انْتَظِر !! .. ؛ قَالَت أمَا تَبْغِي رَفِيقَاً أو سَمِيراً فِي السَّفَر ؟!!! ... ؛ قَالَت وَمَدَّت لِي يَدَا !! ... ؛ قَالَت لَعَلَّ مَعَاً سَنُبْصِرُ مَا الهُدَى !! ... ؛ سِرْنَا مَعَاً وَالحَقُّ قَد أحْبَبْتُهَا !! ... ؛ كُنَّا نُؤَمِّلُ أن نَرَى نُورَ الحَيَاةِ بِدَرْبِنَا ... ؛ وَبِذَاتِ يَوْمٍ جِئْتُهَا !! ... ؛ أن قُلْتُ لا يَحْسُن بِنَا ... ؛ حُبُّ النَّهَارِ وَفِي المَسَاءِ أرَاكِ فِي بَيْتٍ غَرِيب !! ... ؛ الزَّوْجُ فِي اللَّيْلِ البَهِيمِ وَعِنْدَ إِصْبَاحٍ !! ... ؛ يَجِي دَوْرُ الحَبِيب !! ... ؛ حَقَّاً هَوَانَا شَأنُهُ ؟!!! ... ؛ شَأنٌ عَجِيب ؟!!! ... ؛ فَغَدَاً مَعَاً نَحْوَ الهُرُوب !! ... ؛ وَالمَوْعِدُ المَضْرُوبُ فِي وَقْتِ الغُرُوب !! ... ؛ قَالَت بُعَيْدَ تَسَاؤلٍ بِالعَيْنِ يُخْبِرُ عَن خَفِيٍّ قَد أتَى !! ... ؛ قَالَت نُهَاجِرُ فِي الغَدِ !! ... ؛ آتِيكَ مَعْ خَيْطِ المَسَاءِ لِمَوْعِدِي !! ... ؛ فِي الصُّبْحِ جَاءَتْنِي فَتَاةٌ تَقُولُ قَد ذَهَبَت مُنَى !! ... ؛ رَحَلَت مَعَ فَجْرٍ مَطِيرٍ ... ؛ لَم تَعُد تَقْطُن هُنَا !! ... ؛ تَرَكَت رِسَالَةَ لِي بِأسْطُرِهَا جَوَابُ سُؤالِيَ الحَيْرَانُ عَن سِرِّ الرَّحِيل !! ... ؛ وَفَضَضْتُ أخْتَامَ الرِّسَالَةِ فِي صَبَاحٍ مِثْلَ أنْفَاسِ الرَّدَى ... ؛

أو مِثْلَ صَيْحَاتِ العَوِيل !! ... ؛ فَوَجَدتُهَا تَذْكُر كُلَيْمَاتِ الوَدَاع !!... ؛ قَالَت ظُرُوفُ حَيَاتِي الحَيْرَى لَقَد شَاءَت بِأن يَبْقَى الصِّرَاع !!... ؛ أنَا لَسْتُ أرْضَى مِن حَلِيلِي بِالطَّلاق !!... ؛ أفَأنْتَ تَرْغَبُ أن نَسِيرَ بِنَحْوِ مَجْهُولِ الفَيَافِي وَالبِلاد ؟!!... ؛ نَرْقُب بِأزْمِنَةِ المَرَاثِي أن يُوافِينَا انْعِتَاق ؟!!... ؛ عُذْرًا حَبِيبِي فَإنَّنِي أخْشَى الدُّرُوبَ المُوعِره !! ... ؛ وَلِذَا أرَدْتُ بِأن أُرِيحَكَ مِن مَآسِينَا وَحِيرَتِنَا بِإعْلانِ الفِرَاق !!.

إِي هَكَذَا !!... ؛ إِي هَكَذَا رَحَلَت مُنَى !!... ؛ قَتَلَت هَوَانَا بِاعْتِذَار !!
... ؛ عَادَت لِمَوْطِنِهَا القَدِيم !!... ؛ وَذَهَبْتُ وَحْدِي فِي القِطَار !!.
وَبُعَيْدَهَا ؟!!... ؛ وَبُعَيْدَهَا جَاءَت سِهَام !!... ؛ جَاءَت وَلا أدْرِي لِمَا
جَاءَت بِأرْضٍ قَد أمَاتَت مُنْذُ أزْمَانٍ هَوَاهُ فَلَم يَعُد إلاَّ الرَّمَادُ مِنَ الغَرَام ؟!!
... ؛ كَانَ اللِّقَاءُ بِحَارَةِ الأغْرَابِ فِي زَمَنِ الشِّتَاء... ؛ كَانَت تُحَادِثُنِي عَنِ الشَّمْسِ الحَنُونَةِ أمَّا حَالَتِي كَانَت كَدَمْعَةِ يَائِسٍ عِنْدَ المَسَاء !!... ؛ أيَّامُ جَاءَت ثُمَّ وَلَّت بَعْدَهَا... ؛ نَظَرَت فَلَم تُبْصِر فَتَاهَا عِنْدَهَا !!... ؛ أنَا قُلْتُ مَخْدُوعٌ إذَا أمَّلْتُ أنَّ النَّجْمَ قَد يَظْهَر بِلَيْلٍ لَم يَرَ غَيْرَ المَطَر !!... ؛ نَظَرَت سِهَامُ فَلَم تَرَانِي قَادِمًا !!... ؛ صَمَتَت عَلَى وَجَلٍ !!... ؛ وَفِي عَصْرٍ تَلاقَيْنَا فَقُلْتُ مُبَادِرًا !! ... ؛ عُذْرًا إلَيْكِ أيَا فَتَاه !!... ؛ عُذْرًا فَإنَّ العُمْرَ أخْبَرَ أن مُحَالٌ أن يَنَالَ العَاشِقُ المِسْكِينُ فِي يَوْمٍ مُنَاه !!... ؛ ذَهَبَت وَقَالَت لا مَلام !!

... ؛ذَهَبَت وَقَالَت لا تَحَار !!... ؛فَالعِشْقُ فِي زَمَنِي حَرَام !!... ؛ وَبَقِيتُ وَحْدِي مِن جَدِيد !!... ؛وَبَقِيتُ وَحْدِي مِن جَدِيد !!... ؛أَحْيَا بِزِيِّ الفَقْرِ وَالحِرْمَانِ فِي زَمَنِ الأَسَى !!... ؛أَمْشِي بِأَقْدَامِي ... ؛ عَلَى بَرْدِ الجَلِيد !!.

وَبُعَيْدَهَا ؟!!... ؛ وَبُعَيْدَهَا ؟!!... ؛وَبُعَيْدَهَا كَانَت رَبَاب !!... ؛كَانَت سَوَاداً فِي بَلاءٍ فِي عَذَاب !!... ؛تُبْدِي دُمُوعَ بَرِيئَةٍ !!... ؛وَالسُّمُّ ذُو الطَّعْمِ اللَّعِينِ خِيَانَةُ الدَّمِّ الكَرِيهِ وَغَدْرُهَا !!... ؛تُخْفِيهِ مِن خَلْفِ النِّقَاب !!... ؛مَا كُنْتُ أَعْرِفُهَا وَعُذْرِي فِي جَهَالَةِ أَمْرِهَا !!... ؛أَبْدَت كَلاماً رَامَ مِنِّي أَنَّهَا صَوْتُ البَرَاءَةِ مِن جَحِيمِ زَمَانِهَا !!... ؛وَكَذَاكَ كَان !!... ؛سِرْنَا فَكَانَت تَسْبِقُ الأَحْدَاثَ مِن قَبْلِ الأَوَان !!... ؛ فَالعِشْقُ قَد يَبْقَى سِنِيناً لا يَرَى غَيْرَ الكَلام !!... ؛لَكِن بِأَعْرَافِ الإِنَاثِ المَاجِنَه !!... ؛هُوَ مَحْضُ رَقْصٍ فَوْقَ أَصْدَاءِ المُدَام !!... ؛وَسَأَلْتُ يَوْماً ؟!!... ؛وَسَأَلْتُ يَوْماً كَيْفَ فَلْسَفَةُ الحَبِيبَةِ يَوْمَ أَن عَاشَت بِأَزْمِنَةِ الجِرَاح ؟!!... ؛قَالَت أَقُومُ اللَّيْلَ لا أَسْجُد لِمَعْبُودِي ؟!!... ؛وَلَكِن إِنَّمَا ؟!!... ؛أُخْرِج نُهُودِي؟!!... ؛ بِقَسْوَةٍ ؟!! ... ؛بِقَسْوَةٍ أَعْصِرْهُمَا بَيْنَ الشِّفَاهِ السَّاخِنَه!!... ؛أَسْكُب عَلَى حَلَمَاتِهَا مِن بَعْضِ رَاح!!... ؛أَنَا قُلْتُ يَا حُبِّي البَرِيء!!... ؛أَنَا كُنْتُ أَزْعُمُ أَنَّنِي الوَلَدَ الجَرِيء؟!!... ؛لَكِن بِهَذَا حَقِيقَةً !!... ؛لَكِن بِهَذَا حَقِيقَةً أَنَا صِرْتُ تِلْمِيذاً

بِمَدْرَسَةِ الجُنُون !!... ؛أنَا كُنْتُ أَزْعُمُ أَنَّنِى كَالخَيْلِ لا تَهْدَأ وَلا تَعْرِف قَرَار !! ... ؛وَاليَوْمَ حُلْمِى أن يَكُونَ العَيْشُ فِى ظِلِّ السُّكُون !!... ؛إِى مَن بِهَاذِى الأَرْضِ يَسْعَدُ أن تَكُونَ نِهَايَتِى !!... ؛قَلْبٌ تَوَقَّفَ فَوْقَ جِسْمِ فَتَاةَ لَم تَرْقُب بِهَذَا الكَوْنِ غَيْرَ العَيْشِ فِى لَيْلِ المُجُون !!... ؛أنَا أُمِّى قَالَت لِى بِيَوْمٍ فِى الصِّغَر ... ؛أن لَن تَمُت مِن قَبْلِ أن تُبْصِر عَيُونَ المُومِسَات !!... ؛إِى قَد رَأَيْتُ وَبَعْدَهَا أَعْلَنْتُ عُذْرَاً لَن أكُون !!... ؛عُذْرَاً لِسَاخِنَةِ النُّهُود !! ... ؛عُذْرَاً فَإِنِّى إِى وَرَبِّى لا أَعُود !!... ؛عُذْرَاً فَإِنَّ الحُبَّ مَات !!.

وَبُعَيْدَهَا ؟!!... ؛وَبُعَيْدَهَا كَانَت هِبَه !!... ؛مَا كَان فِى حُلْمِ الفَتَاةِ سِوَى حَيَاةٍ طَيِّبَه !!... ؛تَرَكَت بَوَادِيهَا وَجَاءَت كَى تَعِيشَ هُنَا بِأَعْمَاقِ المَدِينَه !!... ؛أنَا كُنْتُ ذَاهِبُ فِى دُرُوبِى وَجَدتُّهَا تَشْكُو بِأَشْعَارٍ حَزِينَه !!... ؛وَاسَيْتُهَا فَرَأَيْتُهَا قَالَت ألا تَرْغَب فِى أن تَسْعَى مَعِى فِى وِحْدَتِى فَالضَّعْفُ يَشْمَلُنِى وَالعَزْمُ يَسْقُطُ فِى الطَرِيقِ ؟!!... ؛فَأَجَبْتُهَا !!... ؛فَأَجَبْتُهَا عَلَى أىِّ نَحْوٍ قَد أكُون ؟!! ... ؛قَالَت أخِى فِى عُزْلَتِى... ؛أو قُل صَدِيقِ !!... ؛سِرْنَا عَلَى الشَّرْطِ الصَّرِيح !!... ؛وَبِفَجْأةٍ !!... ؛قَالَت أُحِبُّكَ دَاوِنِى فَالقَلْبُ مِن ألَمٍ جَرِيح !! ... ؛أنَا حِرْتُ فِى أمْرِى وَمِن دُونِ التَّأَمُّلِ أو نَظَر !!... ؛أنَا قُلْتُ مَن يَدْرِى؟! ... ؛فَسِيرِى لا ضَرَر !!... ؛مِن يَوْمِهَا سِرْنَا كَعُشَّاقٍ عَلَى دَرْبِ الأَمَل !! ... ؛وَبُعَيْدَ أشْهُرَ مِن تَارِيخِ لِقَاءِنَا !! ؛جَاءَ المَلَل !!... ؛فَتَرَكْتُهَا!! ... ؛

فَتَرَكْتُهَا إذ كَانَ حُبُّهَا كَوَهْمٍ لا يَبِين !!... ؛ وَمَضَيْتُ لا أَلْوِى عَلَى شَىْءٍ وَهِىَ ذَهَبَت لِتَحيَا فِى لَيَالِى اليَائِسِين !!... ؛مَرَّت بِدَمْعِ القَهْرِ فِى نَهْرِ العُيُـون !! ... ؛ ذَهَبَت وَهِىَ تَبْكِى عَلَى العَهْدِ الخَؤون !!... ؛ فَأَجَبْتُهَا !!... ؛ فَأَجَبْتُهَا أُخْتَاهُ لا تَبْكِى فَفَرْقٌ بَيْنَ عَشْقِى لِلْحَبِيبَةِ بَيْنَ حُبِّى لِلصَّدِيقَه !!... ؛ هَل تَذْكُرِى شَرْطَ اللِّقَاءِ الأَوَّلِ ؟!!... ؛ فَهُنَاكَ أَسْبَابُ الفِرَاقِ !!... ؛ هُنَاكَ أَسْرَارُ الحَقِيقَه !!.

وَبُعَيْدَهَا ؟!!... ؛ وَبُعَيْدَهَا تَغْرِيدُ كَانَت مُنْذُ أَزْمَانٍ تَوَلَّت وَاقِفَه !!... ؛ وَكَأَنَّهَا عَن كُلِّ أَزْهَارِ العُمُر أَضْحَت هُنَالِكَ عَازِفَه !!... ؛ أَنَا كُنْتُ أَعْبُرُ فِى طَرِيقِى أَرَاهَا لا أَعْبَأ بِهَا !!... ؛ مَا كُنْتُ أُبْصِرُهَا سِوَى أُنْثَى تَعِيشُ بِحَارَةِ النَّهْرِ الصَّغِيرِ بِلا رِفَاقٍ غَيْرَ صَمْتِ حَيَاتِهَا !!... ؛ خَمْسٌ مِنَ الأَعْوَامِ وَلَّت مُنْذُ يَوْمِ مَجِيئِهَا وَأَنَا مُحَالٌ أَن أُدَاوِرَ أَو أُنَاوِرَ أَو أَرُوم !!... ؛ فَهِىَ كَمَا يَبْدُو حَزِينَةٌ وَالحَقِيقَةُ أَنَّنِى عِفْتُ التَّقَدُّمَ نَحْوَ أُنْثَى فَوْقَهَا زَمَنٌ كَئِيبٌ لا يَرَى غَيْرَ الغُيُوم !! ... ؛ لَكِن لَقَد شَاءَ القَدَر !!... ؛ مَا كُنْتُ أَحْسَبُ ذَا يَكُونُ وَإِنَّمَا لا عُجْبَ فَالعُمْرُ المُوَلَّى مَلِىءُ بِالأَسْفَارِ عَن كُنْهِ العِبَر !!... ؛ كَانَت تَقُولُ بِأَنَّنِى شَخْصٌ غَرِيب !!... ؛ بَيْنَا أُضَاحِكُهَا تَرَى فِى لَحْظَةٍ صَمْتاً يَدُلُّكَ أَنَّنِى قَد جِئْتُ مِن عَصْرٍ كَئِيب !!... ؛ وَمَضَت بِنَا الأَيَّامُ ثُمَّ عَرِفْتُهَا ؟!!... ؛ كُلُّ الحَيَاةِ بِعُرْفِهَا !! ... ؛ زَوْجٌ يَجِى يَحْمِلُهَا لِلبَيْتِ الجَدِيدِ وَحَسْبُ هَذَا حُلْمُهَا !!... ؛

وَذَهَبْتُ فِى يَوْمٍ صبيح ؟!!!... ؛ دَاعَبْتُهَا بِطَرِيقَتِى وَلَّت وَهِىْ تَبْكِى وَقَالَت إِنَّنِى!!... ؛ لا أَستَرِيح !!... ؛ أَقْسَمْتُ لا أَبْغِى وَرَاءَ المَزْحِ مِن شَىْءٍ مُرِيب !! ... ؛ قَالَت تَخَالُ الحُبَّ مَبْذُولٌ لِكُلِّ سَحَابَةٍ دَوْمَاً يُجِيب ؟!!!... ؛ قَالَت تَخَالُ اللَّهْوَ مَطْرُوحٌ وَمَبْذُولُ ؟!!... ؛ قَالَت تَظُنُّ بَرَاءَتِى وُئِدَت وَهَذَا السِّتْرُ فَوْقَ الطَّيْشِ مَنْثُورٌ وَمَسْدُولُ ؟!!!... ؛ أَنَا قُلْتُ مَهْلاً يَا صَبِيَّةُ لَسْتُ بِالخِلِّ الدَّنِىءِ وَلا الوَغْدِ !!... ؛ فَلَعَلَّ فَهْمُكِ مُقْتَبَس مِن عِشْقِ فَتَىً تَوَلَّى فَعُذْرَاً قَد نَسِيتُكِ إِى وَقَد أُنسِيتُ مَا قُلْنَا وَمَا عِنْدِى !!... ؛ وَتَرَكْتُهَا !!... ؛ وَتَرَكْتُهَا وَالسُّخْطُ قُدَّامِى وَمِن خَلْفِى شَيَاطِينُ النَّهَار !!... ؛ وَلَعَنْتُهَا !!... ؛ أَلْقَيْتُ فِى وَجْهِ الزَّمَانِ بِمَا حَوَتْهُ يَدِى النَّحِيلَةُ مِن بُقَيَّاتِ الغُبَار !!.

وَرَجَعْتُ ثَانِيَةً !!... ؛ وَرَجَعْتُ ثَانِيَةً لأَمْشِى بِلا حُبٍّ بِلا أَحَدٍ !!... ؛ أَقْتَاتُ مِن هَمِّ الشَّقَاءِ وَبِالأَغَانِى قَد تَبُوحُ وَتَشْتَكِى مِن بُؤْسِ عَهْدِى !!... ؛ وَمَضَيْتُ كَالمَلْعُونِ حِينَ وَشَى عَلَى جَسَدِ المَسِيح !!... ؛ فَبَقِى مُخَلَّدَ وَسْطَ لَعْنَتِهِ فَلا يَحْيَا كَمَا يَحْيَا البَشَر !!... ؛ أَو لا يَمُوتُ !!... ؛ فَيَسْتَرِيح !!.

وَبُعَيْدَهَا ؟!!... ؛ وَبُعَيْدَهَا ؟!!... ؛ حُبٌّ كَمَيْتٍ مَا وُلِد !!... ؛ حُبٌّ أَرَادَ لأَن يُرَى !!... ؛ وَبِلَحْظَةِ المِيلادِ فِى صَمْتٍ وُئِد !!... ؛ هِنْدُ البَرِيئَةُ يَا مَلاك !! ... ؛ أَنَا عِشْتُ فِى لَيْلِ الهَلاك !!... ؛ أَنَا عِشْتُ فِى الزَّمَنِ السَّقِيم !!... ؛ أَبَدَاً أُنَاجِى فِى دَيَاجِى رِحْلَتِى !!... ؛ قِدِّيسَةَ الحَىِّ القَدِيم !!... ؛ (لا خَيْلَ عِنْدِىَ

أهْلِيهَا وَلا مَالُ ﴾ !! ... ؛ فَلْيُسْكَبِ الدَّمْعُ إِن لَم يُسْعِدِ الحَالُ !!... ؛ ذَهَبَت مَعَ زَوْجٍ لِتَحْيَا فِي مَتَاهَاتِ القُرَى!!... ؛ وَبَقِيتُ وَحْدِي حِيلَتِي شِعْرٌ أُرَدِّدُهُ لأطْيَافِ الكَرَى!!... ؛ ذَهَبَت بِلا عَوْدٍ فَمَهْلاً يَا رِحَال !!... ؛ مَا عَادَ بَعْدَ اليَوْمِ يُجْدِي الحُبُّ أو مَحْضُ السُّؤال!!.

وَبُعَيْدَهَا ؟!!... ؛ وَبُعَيْدَهَا أَسْمَاءُ كَانَت مَوْطِنِي !!... ؛ كَانَت بِلادِي وَمَسْكَنِي !!... ؛ كَانَت مَلاذِي وَمَوْئِلِي !!... ؛ مَازِلْتُ أذْكُرُ مُنْذُ أزْمَانٍ لِقَائِي الأَوَّلِ !!... ؛ كُنَّا بِجَمْعٍ مِن بَشَر !!... ؛ مَا بَيْنَ طِفْلٍ أو فَتَاةٍ أو صَبِي !! ... ؛ مَا بَيْنَ أُمٍّ أو فَتَى أو مَحْضِ شَيْخٍ قَد تَهَدَّمَ مِن كِبَر !!... ؛ مَازِلْتُ أذْكُرُ ذَا الصَّبَاح !!... ؛ مَازِلْتُ أذْكُرُ كَيْفَ لَم نَعْبَأ بِبَرْدِ الفَجْرِ أو عَصْفِ الرِّيَاح !! ... ؛ شُغِلَ الجَمِيعُ بِشَأْنِهِم !!... ؛ بِطَعَامِهِم وَبِخُبْزِهِم !!... ؛ بَيْنَا العُيُونُ تَكَلَّمَت !!... ؛ وَقَعَ الهَوَى !!... ؛ فَرَأَيْتُهَا صَمَتَت وَمِن بَيْنِ النِّسَاءِ تَبَسَّمَت !! ... ؛ كَانَت كَبَدْرِ الكَوْنِ فِي اللَّيْلِ الحَزِين !!... ؛ كَانَت كَلَحْنٍ سَاحِرٍ يَنْزِع مِنَ الصَّدْرِ المُعَذَّبِ كُلَّ آلامِ السِّنِين !!.

مَازِلْتُ أذْكُرُ وَجْهَهَا !!... ؛ مَا عَيْنَهَا ؛ مَا ثَغْرَهَا وَشِفَاهَهَا !!... ؛ مَا غُصْنُهَا وَقَوَامُهَا وَبَرِيقُهَا !!... ؛ مَازِلْتُ أذْكُرُ حُسْنَهَا وَجَمَالَهَا !!.

سِرْنَا مَعًا !!... ؛ كَانَت مَلاكُ وَفَوْقَ أَرْضِي قَد نَزَل !!... ؛ جَاءَت بِشَمْسٍ قَد أَبَادَت كُلَّ أزْمَانِ المَلَل !!... ؛ أَحْيَت مَعِيناً كَانَ فِي قَلْبِي نَضِب !!... ؛ ذَهَبَت

رِيَاحُ الحُزْنِ وَالآثَارُ مِن عَهْدِ الغَضَب !!... ؛ كَانَ اللِّقَاءُ هُنَاكَ دَوْمَاً وَسْطَ أَحْشَادِ الجُمُوع !!... ؛ كَانَ النَّهَارُ إِذَا أَتَت يُحْيِي كَوَامِنَ قُوَّتِي وَإِرَادَتِي !! ... ؛ أَمَّا المَسَاءُ وَفِي لَيَالِي غُرْبَتِي ... ؛ عَيْنَاهَا كَانَت لِي شُمُوع !!... ؛ مَازِلْتُ أَذْكُرُ مُنْذُ أَعْوَامٍ تَخَلَّت كَيْفَ كَانَ لِقَاؤنَا عِنْدَ الصَّبَاح !!... ؛ كَيْفَ كُنْتُ بِرُؤيَةِ الوَجْهِ الحَبِيبِ أُمِيتُ مَا قَد كَانَ فِي لَيْلِي مِنَ الأَوْجَاعِ أَو صَوْتِ الجِرَاح !! ... ؛ وَبِفَجْأَةٍ !!... ؛ وَبِفَجْأَةٍ غَابَت عُيُونُ حَبِيبَتِي !!... ؛ وَنَظَرْتُ لا أَدْرِي جَوَابَاً لِلسَّبَب ؟!!... ؛ وَبُعَيْدَ تَسَالِي الحَزِين ؟!!... ؛ أَيْقَنْتُ أَنَّ السِّرَّ هُوَ عُدْمِي وَإِفْلاسِي وَفَقْرِي وَفَاقَتِي !!... ؛ وَلِذَاكَ وَلَّت بَعْدَ يَأْسٍ مِن رَجَاءٍ لَم يَرَ غَيْرَ القُنُوط !!... ؛ وَبَقِيتُ وَحْدِي مِن جَدِيدٍ تَائِهَا !!... ؛ وَبِلَحْظَةٍ ؟!!! .. ؛ كَانَ السُّقُوط !!.. ؛ وَتَرَادَفَت عِنْدِي المَعَانِي كُلُّهَا !!... ؛ كَلِمَاتُ مَجْدٍ !! .. ؛ أَو سُكُوت !!.. ؛ العَيْشُ فِي صَرْحِ المَعَالِي أَو بِإِحْدَى خَرَائِبِ المَجْهُولِ !! ... ؛ مَطْرُوحٌ يَمُوت !!... ؛ لا فَرْقَ بَيْنَ السُّمِّ مَعْسُولاً وَذِي طَعْمٍ مَرِير !! ... ؛ لا فَرْقَ عِنْدَ البَائِسِ المَحْطُومِ أن يَبْقَى طَوِيلاً !!... ؛ أَو يُعَجِّلَ بِالمَصِير !!.

إِي هَاذِي كُلُّ حِكَايَتِي !!... ؛ مَا بَيْنَ خَاتِمَتِي وَبَيْنَ بِدَايَتِي !!... ؛ كَانُوا وَهَا أَنَا فِي الأَخِير !!... ؛ جَسَدٌ طَرِيح !!... ؛ رُوحٌ تُطَارِدُهَا خَيَالاتُ الرَّدَى !! ... ؛ عَيْنٌ كَلِيلَةٌ لا تَرَى غَيْرَ التَّلاشِي !! ... ؛ وَالنِّهَايَةِ !! ... ؛ وَالمَصِير !!... ؛ هَاذِي رِوَايَةٌ قُيِّدَت بِالأَسْطُرِ الحَمْرَاءِ مِن قَلَمِ الزَّمَن !!... ؛ بِالأَمْسِ قَد كَانُوا

هُنَا !! ... ؛ وَالْيَوْمَ أَشْبَاحِى هُنَالِكَ عِنْدَ صَخْرِ الوَهْمِ !!... ؛ فِى وَادِى المِحَن !!.
وَبَقِيتُ وَحْدِى !!... ؛ وَبَقِيتُ وَحْدِى حَائِرًا وَسْطَ الدُّرُوب !!... ؛ رُوحِى
مَلِيئَةٌ ؟!! ... ؛ بِالشَّظَايَا !!... ؛ وَالنُّدُوب !!.)). (1).



ـ وَبَقِيتُ وَحْدِى فِى نِهَايَةِ رِحْلَتِى !!.

...

نَعَم !! ... ؛ وَبَقِيتُ وَحْدِى فِى نِهَايَةِ رِحْلَتِى !!... ؛ مَا أَمْلُكُ مِنَ الدُّنْيَا غَيْرَ حُجْرَتِى الكَئِيبَةِ ؛ وَبَعْضِ أَقْلامٍ وَأَوْرَاقٍ قَد سَئِمَت مِن مَرَارَةِ العُزْلَةِ وَمِن طُولِ المُكْثِ فِى مَكَانٍ مُظْلِمٍ مُوحِشٍ لَعِين.

بَقِيتُ وَحْدِى فِى نِهَايَةِ رِحْلَتِى ... ؛ أَجْلِسُ فِى ظَلامِ اللَّيْلِ وَأَنَا أَتَسَمَّعُ وَقْعَ حَبَّاتِ المَطَر ... ؛ أَبُثُّ لِلْكَوْنِ أَشْجَانِى وَآلامِى ... ؛ وَأُغَنِّى فِى بَعْضِ الأَحَايِينِ مَرْثِيَّةَ العِشْقِ الَّذِى كَان.

(1) - مِن قَصَائِدِ دِيوَانِى ((عِنْدَمَا نَجْلِس سَوِيًّا)) .

- العِشْقُ حُلْمٌ مَا أَتَى

«العِشْقُ حُلْمٌ مَا أَتَى... ؛ كُلُّ اللَّيَالِي الخَالِيَه... ؛ عَبَرَت وَقَالَت فِي أَسَى ... ؛ بَل عِشْ بِحُزْنِكَ يَا فَتَى... ؛ العِشْقُ حُلْمٌ مَا أَتَى.

العِشْقُ حُلْمٌ لَم يَكُن ... ؛ إِلاَّ كَأَشْعَارٍ غَدَت ... ؛ وَكَأَنَّهَا فِي حَسْرَةٍ وَبِدَمْعٍ رَاهِبَةٍ تُنَادِي : ...إِلَى مَتَى ... ؛ اليَوْمَ لا أَمَلٌ هُنَاكَ فَمَا عَسَى ؟!!... ؛ العِشْقُ حُلْمٌ مَا أَتَى.

العِشْقُ أَضْحَى مِن أَمَد ... ؛ أُضْحُوكَةَ الرِّيحِ الَّتِي... ؛ جَعَلَتْهُ يَحْيَا عَاجِزاً... ؛ بَيْنَ التَّعَاسَةِ وَالكَمَد ... ؛ يَحْيَا بِعُزْلَةِ قَهْرِهِ ... ؛ مِن غَيْرِ آمَالِ الزَّمَانِ وَلا أَحَد ... ؛ صَوْتٌ يُنَادِي مِن بَعِيد... ؛ صَوْتٌ كَقَهْرِ اليُتْمِ بَيْنَ رِفَاقِهِ فِي يَوْمِ عِيد ... ؛ صَوْتٌ يُبَاعِدُ بَيْنَ أَيَّامِي وَبَيْنِي... ؛ صَوْتٌ يُذَكِّرُنِي بِعَهْدِ الحُلْمِ فِي لَيْلِ التَّمَنِّي ... ؛ أَحْبَابَ قَلْبِي غِبْتُمُ... ؛ وَسَكَنْتُمُ قَلْبِي وَمَا... ؛ يُغْنِي الخَيَالُ المُشْتَهَى... ؛ وَغَداً أَسِيرُ بِلا رُجُوع ... ؛ أَمْضِي بِحَيْثُ أَقِف !!... ؛ بِيَوْمِ المُنْتَهَى.

إِي هَكَذَا ... ؛ إِي هَكَذَا كَانُوا المُنَى... ؛ وَبَقِيتُ وَحْدِي فِي جِوَارِ الصَّمْتِ فِي لَيْلِ العَنَا... ؛ رَحَلُوا كَطَيْفٍ قَد عَبَر ... ؛ صَارُوا هُنَاكَ وَكَانُوا فِي عَهْدٍ مَضَى !!... ؛ أَو قَد غَبَر... ؛ ذَهَبُوا فَلا يُجْدِي التَّوَهُّمُ... ؛ وَالرَّجَاءُ المُنْتَظَر... ؛ وَبَقِيتُ وَحْدِي وَاقِفاً... ؛ رَحَّالَةٌ نَبَذَ المَسِيرَ وَفَاضَ مِن فَرْطِ

السَّأم... ؛ وَلِـذَا تَـرَاهُ عَـنِ البَـوَارِقِ وَالخَـوَاطِفِ وَالمَطَامِعِ ؟!!... ؛ عَازِفًا ... ؛ إِى هَكَذَا... ؛ مَا عُدتُ أَعْبَأُ فِى حَيَاتِى بِمَن وَذَا ... ؛ فَوْقَ الصُّخُورِ الصُّمِّ قَد دَمِيَت خُطَاه ... ؛ وَطَرِيقُهُ مِثْلُ الجَحِيمِ مِنَ المُحَالِ بِأن تَرَى يَوْمًا مَدَاه !! ... ؛ عَيْنِى الضَّعِيفَةُ لا تَرَى غَيْرَ السُّكُونِ وَبَعْضِ أَجْبَالِ السَّحَابِ القَاتِمِ ... ؛ وَالكَوْنُ وَجْمٌ ؟!!... ؛ مِثْلُ مَلْعُونٍ كَئِيبٍ وَاجِمِ ... ؛ وَأَنَا هُنَا ... ؛ وَأَنَا هُنَا فِى الأَرْضِ مَا فِى جُعْبَتِى ؟!!... ؛ غَيْرُ الرَّجَاءَاتِ الَّتِى صَارَت سُدَى ... ؛ وَلَّت وَضَاعَت فِى المَدَى... ؛

أُذْنِى تَسَمَّعُ صَوْتَ بُومٍ قَد أَتَى ... ؛ يُخْبِر
وَيُنْذِر قُرْبَ سَاعَاتِ الرَّدَى... ؛ ذَهَبَت نُجُومُ اللَّيْلِ
وَاعتَذَرَ القَمَر... ؛ أَمَّا أَنَا ؟!! ... ؛ شَبَحٌ يَجُوبُ
الدَّرْبَ لا أَحَدٌ سِوَى !!... ؛ وَقْعِ المَطَر.

... ؛ هَذَا أَنَا !!... ؛ هَذَا أَنَا !!... ؛
وَكَأَنَّنِى حَتَّى نِهَايَةِ رِحْلَتِى !!... ؛
سَأَظَلُّ مَأْسُورًا هُنَا !!.)).(1)..

نِـزَار المصـرى

(1) - ((العِشْقُ حُلْمٌ مَا أَتَى)) ؛ مِن قَصَائِدِ دِيوَانِى : ((عِنْدَمَا نَجْلِس سَوِيًّا)) .

وَمَاذَا بَعْـد ؟!!... ؛ مَا عَادَ هُنَاكَ مَا يُقَال !!.

بَدَأَ حَيَاتَهُ بِالأَمَل !!... ؛ أَرَادَ مِنَ الدُّنْيَا بَعْضَ فُتَاتِهَا... ؛ وَلَكِن؟!!... ؛ أَبَت إِلاَّ أَن تَحْرِمَهُ مِن كُلِّ شَيْء!!... ؛ وَهَكَذَا مَضَى العُمُر!!... ؛ هَاهُو ابْنُ السَّادِسَةِ عَشْرَةَ وَقَد صَارَ فِى الثَّلاثِين !!... ؛ وَهَذَا هُـوَ آخِرُ فَصْلٍ مِن فُصُولِ الـرِّوَايَـةِ الغَـرِيبَـةِ : سَائِـرٌ فِى طَرِيقٍ مَجْهُول !!... ؛ لا يَدْرِى !! ... ؛ كَيْفَ تَكُونُ النِّهَـايَـة !!.



« سَألَتْنِى مَن؟!! »

« سَألَتْنِى مَن؟!! ... ؛ إِى أَنْتَ يَا ابْنَ الصَّمْتِ قُل ؟!!... ؛ قُل أَنْتَ مَن ؟!! ... ؛ فَخَجِلْتُ مِن عَجْزِى... ؛ وَلَم أَنْطِق... ؛ وَاهْتَزَّت الأَرْضُ الَّتِى حَمَلَتْنِى أَقْدَامِى عَلَيْهَا مِن سِنِين !! ... ؛ أَنَا مَن أَكُون ؟!!... ؛ فَلْتَسْأَلُوا عَنِّى دُرُوبَاً فِى ظَلامٍ لَم تَزَل ... ؛ فَلْتَسْأَلُوا عَنِّى بِأَوْدِيَةِ الحَيَارَى التَّائِهِين !!.

قَالَت أَجِب !!... ؛ فَإِلَى مَتَى تَبْقَى بِحِصْنِكَ قَابِعَاً وَسْطَ السُّكُون ؟!! ... ؛ قَالَت أَجِب !!... ؛ مَا مِن فَتَىً إِلاَّ وَيَعْرِفُ مَن يَكُون ؟!!.

فَأَجَبْتُهَا : أَنَا شَاعِرٌ... ؛ أَنَا شَاعِرٌ أَوْطَانُهُ الوَهْمُ اللَّعِين ... ؛ إِرْثِى مِنَ الحِرْمَانِ وَالخَوْفِ المُفَزِّعِ وَالشَّجَن ... ؛ لِى ذِكْرَيَاتٌ !!... ؛ إِنَّمَا أَنَا فِى الحَقِيقَةِ لَسْتُ أَذْكُرُهَا... ؛ وَقَفَت هُنَاكَ بِخَلْفِ أَبْوَابِ الزَّمَن !!... ؛ قَد كَانَ لِى بِالأَمْسِ أَرْضٌ كُنْتُ أُبْصِرُهَا !!... ؛ اليَوْمَ مَا أَذْكُر سِوَى ... ؛ أَحْيَا بِلا أَرْضٍ بِلا أَهْلٍ بِلا حُبٍّ ... ؛ وَمَا عِنْدِى وَطَن !!... ؛ هَاذِى حَقِيقَةُ قِصَّتِى.

قَالَت فَمَا تَرْجُو ؟!!... ؛ وَمَا تَبْغِى بِسَعْيِكَ فِى بِلادٍ لَسْتَ تَعْرِفُهَا ؟!! ... ؛ وَلِمَا مَجِيئُكَ مِن دِيَارِكَ يَا تُرَى ؟!!... ؛ أَلَدَيْكَ أَحْلامٌ وَآمَالٌ وَأَفْكَارٌ ... ؛ وَشَىْءٌ مِن رُؤَى ؟!!.

فَأَجَبْتُهَا : أَنَا مَا أُؤَمِّلُ أَىَّ شَىْء !!... ؛ حُلْمِى البَقَاءُ بِدَيْرِ صَمْتِى لا أَعِيشُ بِعَالَمِ الأَحْقَادِ فِى دُنْيَا البَشَر... ؛ أَمَلِى مِنَ الدُّنْيَا اللَّعِينَةِ هُوْ سُكُونِى وَعُزْلَتِى

... ؛ مَحْضُ التَّنَائِي عَن مَدَائِنَ أهْلُهَا صُنِعَت قُلُوبُهُمُ هُنَالِكَ مِن جَلامِيدِ الصَّخَر !!... ؛ أنَا لَيْسَ عِنْدِي مِن رُؤى ... ؛ أنَا لَسْتُ أعْبَأ بِالأمُورِ يَكُونُ مِنْهَا وَمَا جَرَى... ؛ مُتَشَابِهٌ ذَا المَوْتُ عِنْدِي وَالكَرَى... ؛ مُتَسَاوِيَان... ؛ مُتَسَاوِيَانِ السَّيْرُ فِي ظِلِّ النَّعِيمِ بِطُولِ سَاحَاتِ المَدَى... ؛ وَوُقُوفُ حَيْرَانٍ هُنَاكَ عَلَى شَوَاطِيءَ لا تَرَى غَيْرَ الرَّدَى !!.

فَأجَبْتُهَا : لا تَسْألِي كَيْفَ المَجِيءُ وَأنْتَ مَن ؟!!... ؛ أنَا مَن أكُون ؟!!... ؛ أنَا مَحْضُ قَلْبٍ مَا عَلَى الأرْضِ اطْمَأن !! ... ؛ لا تَسْألِينِي مَا أرِيد ... ؛ أنَا جِئْتُ مِن مَاضٍ تَلاشَى وَهَا أسِيرُ بِنَحْوِ مَرْهُوبٍ بَعِيد... ؛ لا تَسْألِينِي مَا الَّذِي قَد كَانَ فِي يَوْمِ الفِرَار ... ؛ يَوْمِ الخِيَانَاتِ الَّتِي مَاجَت بِهَا بَلَدِي هُنَاكَ بِوَسْطِ أوْدِيَةِ الحِصَار ... ؛ أنَا كُلُّ مَا أذْكُر... ؛ أنَا كُلُّ مَا أذْكُر خُرُوجِي لاهِثاً خَوْفَ العُدُوِّ كَجُثَّةٍ مَطْرُوحَةٍ كَانَت لِبَعْضِ رِفَاقِنَا... ؛ خَلَّفْتُهَا!!... ؛ خَلَّفْتُهَا نَهْباً مُقَسَّمَةً لأنْيَابِ النُّسُور... ؛ وَخَرَجْتُ تَحْتَ ظَلامِ لَيْلِ رِحَابِهَا... ؛ وَتَرَكْتُهَا!!... ؛ وَتَرَكْتُهَا كَمَدِينَةٍ مَلْعُونَةٍ ضَاعَت هُنَاكَ!! ... ؛ بِوَسْطِ مَجْهُولِ العُصُور.!!. »).(1)..

(1) ـ مِن قَصَائِدِ دِيوَانِي : « عِنْدَمَا نَجْلِس سَوِيّاً ».

الفهرس

محمود السيد

المقالات الشوارد

مقالات منهجية تتناول شوارد

القضايا الأدبية







عمان - وسط البلد
ص.ب 184248
dar_alkindi@yahoo.com